جـامعة عمار ثليجي بالأغـواط



دراســـــات

مجلّة دولية محكّمة

العدد: 47
أكتوبر 2016

ISSN 1112-4652

مجلّة "دراسات"

مجلّة دولية علمية محكّمة متعدّدة التخصّصات

تصدر عن جامعة عمار ثليجي بالأغواط

مجلّة دراسات - العدد: 47 - أكتوبر 2016

مجلة دراسات العدد: 47 - أكتوبر 2016

الهيئة الاستشارية

مجلة دراسات العدد: 47 - أكتوبر 2016

قواعد النشر

1- تنشر المجلّة البحوث العلمية للأساتذة الباحثين في مختلف التخصّصات.

2- تقدّم البحوث على قرص مكتوب بنظام word أو عن طريق البريد الإلكتروني:

bourguiba_d@yahoo.fr

3- يرفق البحث بملخّص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث، وملخّص ثانٍ باللغة الإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية، وكذا ملخّص للسيرة الذاتية للباحث.

4- أن لا يكون البحث منشورًا من قبل، أو مقدّمًا للنشر في جهة أخرى، ويقدّم الباحث تعهّدًا مكتوبًا بذلك.

5- أن لا يكون البحث فصلاً من رسالة جامعية.

6- أن لا تقلّ صفحات البحث عن 15 صفحة (أي في حدود 4000 كلمة)، وأن لا تزيد عن 30 صفحة.

7- أن يلتزم الباحث منهجية علمية معتمدة.

8- البحوث التي تخلّ بأيّ ضابط من الضوابط أعلاه لا تؤخذ بعين الاعتبار.

9- تخضع البحوث والمقالات لرأي محكّمين من مختلف الجامعات.

10- ترتيب البحوث لا يخضع لأهمّية البحث ولا لمكانة الباحث.

11- البحوث التي تقدّم للمجلّة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، ولا تلتزم المجلّة بإبداء أسباب عدم النشر.

ملاحظة:

جميع الآراء الواردة في المجلّة تعبّر عن وجهة نظر أصحابها, ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلّة أو الجامعة.

فهرس المحتويات

دور الجامعات الأّردنية الّرسمية في تعزيز التّربية التّحررّية لدى طلبتها في ظل التّغير الاجتّماعي استنادًا إلى أفكار "باولو فريري".

ا.د.محمد سليم الزبون /كلية العلوم التربوية/ الجامعة الأردنية

د.نجاح محمد اليعقوب الوريكات/ وزارة التربية والتعليم/ الأردن

الملخص

هدفت هذه الّدراسة إلى معرفة دور الجامعات الأردنيّة الرّسميّة في تعزيز التّربية التّحررية لدى طلبتها في ظل التّغير الاجتماعيّ استنادا إلى أفكار "باولو فريري"، تكوّن مجتمع الدّراسة من جميع طلبة الجامعات الأردنيّة الحكوميّة (الأردنيّة، واليرموك، ومؤته) وقد تمّ اختيارها قصديًّا والبالغ عددهم (91019) طالبًا وطالبة، في العام الدّراسي 2014_2015، اختيرت منه عينة طبقيّة عشوائيّة نسبيّة من طلبة الجامعات الحكوميّة الثلاث، إذ بلغ عدد أفرادها (384) طالبًا وطالبةً، واستخدم فيها المنهج الوصفي، وتمّ تطوير أداة للتّعرف إلى دور الجامعات الأردنيّة الرّسمية في تعزيز التّربية التّحرريّة لدى طلبتها في ظلّ التّغيّر الاجتماعي استنادًا إلى أفكار "باولو فريري" من وجهة نظر الطّلبة، بالرجوع إلى الأدب النظري وبعض الدّراسات ذات الصّلة، وقد تكوّنت بصورتها النهائية من (62) فقرة، تمّ التحقق من صدق الأداة بعرضها على عشرة محكمين من المختصين وذوي الخبرة في المجالات التّربوية والإدارية في بعض الجامعات الأردنية، وتمّ الّتأكد من ثبات أداة الدّراسة، باستخدام طريقة الاختبار وإعادة الاختبار(test – retest) وطريقة الاتّساق الداخليّ كرونباخ الفا(Cronbach alpha)، وتمّ الإجابة عن تساؤلات الدّراسة من خلال استخدام الأساليب الإحصائيّة المناسبة، وأظهرت النتائج:

– أن واقع دور الجامعات الأردنيّة الرسميّة في تعزيز التّربية التّحررية لدى طلبتها في ظلّ التّغير الاجتماعي استنادا إلى (أفكار باولو فريري) من وجهة نظر الطّلبة كان متوسّطاً، وجاء في الرتبة الأولى مجال "دور نظام التقييم والعلامات"، وفي الرتبة الثّانية جاء مجال "دور الأنشطة الطّلابية" ، و في الرّتبة قبل الأخيرة جاء مجال "القبول الجامعي" ، وجاء في الرّتبة الأخيرة مجال " دور عضو هيئة التدريس"

Abstract

The current study aimed at finding the role for the public Jordanian universities in the promotion of liberal education among their students in light of social change based on the ideas of " Paulo Freire ".The study sample consisted of all the students of public universities (University of Jordan,Yarmouk University and Mutah University).The study population consisted of (91019) students during the academic year 2014-2015. The study sample was a Random Proportionate Stratified Sample selected from the students of the three universities. The study sample consisted of (384) male and female students. The researcher has applied the descriptive approach, and also has developed a tool to identify the role for the public Jordanian universities in the promotion of liberal education among their students in light of social change based on the ideas of " Paulo Freire " from the students' point of view with reference to the theoretical literature and some relative studies. The study tool consisted of (62) items and was verified regarding its reliability and validity having submitted to ten qualified and experienced experts in educational and administrative fields in some universities. The validity of the study tools was verified using test – retest approach and

Cronbach alpha. The questions of the current study were answered using the appropriate statistical methodologies. The results of the current study showed the following:
-The status of the role for the public Jordanian universities in the promotion of liberal education among their students in light of social change based on the ideas of " Paulo Freire " from the point of view of the students was average, where the field "the role of evaluation and marks system" has ranked first followed by the field " the role of students' activities", and "university admission" has ranked third , while the field "the role of the faculty member" has ranked last.

المقدمة: يشهدُ عالمُ اليومِ سباقاً نحو التّقدم والإصلاح في المجال التّربوي التّعليمي بعدما أدرك أهمية التّعليم بصفة عامة والتّعليم الجامعيّ بصفة خاصة وأثره العظيم في حياة الأمم والشّعوب ودوره الكبير في مواجهة التّحديات والتغيّرات التي طالت جميع مناحي الحياة، فالتّعليم يعدُّ قطاعاً استراتيجياً منتجاً، والاستثمار في التّعليم يعد استثماراً طويل المدى يستفيد من عائده كلٌّ من الفرد والمجتمع.

والتّعليم الجامعيّ من الأدوات الأساسية في إعداد الفرد من الجوانب كافة وإبراز مواهبه الفكريّة وطاقاته المبدعة التّي تقود التّغير وتوجهه الوجهة الصّحيحة، وتمهد السّبيل أمامه كي يشارك مشاركة فاعلة في تطوير ذاته ومجتمعه، فتطوير الفرد، والنهوض بالمجتمع إلى أفضل المستويات العلميّة والاقتصادية، والصّحية والاجتماعية، والثقافية وغيرها، من أهم أهداف وأدوار التّعليم الجامعي، وهذا يستدعي توفير بيئة مشبعة بالحريّة تركّز على احترام الفرد وتحريره من آفات الخوف والطّاعة العمياء في جوٍ من الممارسة الحقيقية للديمقراطيّة داخل المجتمع. فالديمقراطيّةُ قيمة لا غنى عنها في المجتمعات المعاصرة، فهي منهجيّةُ حياةٍ للفرد في المجتمع، إذ يكون التّفاعل مبنياً على الحوار، وتقبُّل الطّرف الآخر، لذا لابد من تربية الطّلبة على الديمقراطيّة، فحينما يعي الشباب ممارسة العمليات الدّيمقراطيّة في أبعادها المختلفة، سيساعد هذا على توافر أرضيّة صحيّة، وبيئة مناسبة لتطبيقها. وغياب الحريّة ينتج وبشكل ملموس، غياب الإنسان والفكر، ويؤدّي أيضاً إلى تفتت الشّعب، وترهل الأمة وسقوطها في هوّة من اليأس والسّلبيّة والانحدار وهذا يعني أن الإنسان لا يقرر مصيره إلا عندما يكون حراً (ناصر وشويحات 2006). كما وأن قيام الدّولة الحديثة على مبدأ المواطنة والحريّة هو الضّمان لاستقرارها وأمنها وتقدمها، إذ يشعر أفراد المجتمع جميعهم بالعدالة، والأمان وأن الفرص التي يحصلون عليها هي نتيجة لتفاعلهم في جماعة وطنية ونتيجة لمقدرتهم ومهاراتهم، وليست نتيجة لانتمائهم لقبيلة ما أو لمرتبة اجتماعية معينة، مما يسهم في تشكيل شعورٍ حقيقيٍّ بالانتماء إلى الوطن (المعمري، 2014). فالتعليم الديمقراطيّ هو التّعليم الذي يساعد المتعلمين على إطلاق طاقاتهم، ويسمح بنموهم نموًا سليمًا ويدعم قيم العدالة والسّلام، والحريّة والاستقرار في المجتمع، وهو تعلم يقدم أرفع نماذج المعرفة الإنسانيّة التي تعين الأفراد على أداء أدوارهم في بيئتهم الطّبيعيّة والاجتماعيّة وفهم ذواتهم وعلاقاتهم؛ وذلك من أجل الإسهام في التّقدم المعرفيّ والتّطور الحضاريّ، وهو التّعليم الذي يوجه المتعلّمين إلى التفكير بطريقةٍ منهجيّةٍ منظّمة، ويدعم التّفكير الناقد (الخوالدة، 2010).

ولا شك أن المنهجيّة في التّعليم تقوم على أساليب مختلفة في شتى أنواع المعارف، فهي تركز على مهارات التّفكير والتّطبيق العملي للمعرفة وتوفر بيئة تعليميّة آمنة، وتشجع على الاتصال والتواصل السليم وتقوم على التعاون والمشاركة وإبداء الرأي واحترام الرأي الآخر، وتنأى عن الأسلوب التلقينيّ الذي يتعارض مع حريّة التّعليم والتفكير. فالاقتصار في التّعليم على الأسلوب التلقينيّ يجعل الطّلبة في حالة اغترابٍ ثقافيٍّ، وخصوصا

في بلدان العالم الثالث، إذ لا تملك هذه البلدان غالبا ثقافة خاصة بها تعبّر عن احتياجاتها وعن حقيقة مشاكلها، وإنما يقتصر الأمر على التّقليد الأعمى والنّقل من المجتمعات المتقدمة، التي يطلق عليها فريري اسم "مجتمعات موجهة"، ولأن التّعليم في هذه البلدان لا يهتم بتشكيل العقل النّاقد، فإن دور المعلمين ينحصر في تلقين هذه الثقافة المستوردة من الخارج، وأما دور المتعلمين فيقتصر على حفظ واستظهار هذه الثقافة دون الحق في نقدها أو تعديلها وتطويرها، وهذا القهر الذي يتعرض له المتعلّم يشمل جميع مناحي حياته، والحل الذي يقدمه فريري هو التخلّص من التّلقين باعتباره من بقايا التّبعية والاستعمار (جاد، 2005).

ويؤكد فريري على مفهوم التعليم الحواريّ الديمقراطيّ كأداةٍ للوعي بمضمون التعليم وتمثله، في مواجهة مفهوم (التعليم البنكي) من تلقين من قبل المعلّم ومن استقبال دون نقد من جانب المتعلم؛ وبذلك يصبح دور المتعلمين سلبيًا في عملية التّعلم أي مجرد مخازن لما يُملى عليهم من قبل معلّميهم باعتباره صاحب السلطة ومالك المعرفة، والمتعلم جاهلٌ بها. وتأسيسًا على إيمان فريري بأنه لا يوجد جهلٌ مطلق ومعرفة مطلقة، فهو يرى أن التّعليم الحقيقيّ يقوم على الأسلوب الحواريّ (عمار،2004).فالأسلوب الحواريّ في التّعليم أحد أهم أساليب التّعلم والتّعليم كونه يتيح للطّلبة فرصةً للمشاركة الإيجابية في البحث، والرأي، وطرح التّساؤلات مما يزيد من مقدرتهم على الفهم والإدراك والنّقد وحل المشكلات، ويتحمّل المعلّم مسؤولية كبيرة في تجسيد هذا الأسلوب على أرض الواقع وذلك من خلال إعطاء المعلّم للطالب دورًا وقيمة وإشعاره بالثقة والأمان، وتجنبه لممارسة دور المُلقي بينما الطّالب الطرف السّلبي الذي يستمع فقط دون تدخل مما يعيق عمليّة الإبداع لديه ويفقده الرّغبة في التعلّم أساسًا؛ لذا فالمؤسسات التّعليميّة من مدارس وجامعات عليها توفير بيئة اتصاليّة تتيحُ قدرًا مناسبًا من الحريّة والاحترام. والنّظام التّربويّ يهدف إلى إصلاح التّعليم وتحسين جودته متّبعًا جملةً من الإجراءات والتي تتعلقُ بتطوير وتعديل المناهج التّعليميّة وتفعيل العمل التربويّ من خلال التّجديدات التربوية والإصلاحات في جوانب متعددة منه، ويتم تطوير التّعليم وتحسين نوعيته بالإفادة من مستحدثات العِلم والتكنولوجيا (الخوالدة، 2010). والإصلاح الّتربويّ مطلبٌ اجتماعيّ ملح من أجل التّغيير الاجتماعي والتنمية الشاملة، ولا بد لعمليات الإصلاح من مراعاة الجوانب السوسيوثقافية للمجتمع وما يرتبط بها لضمان التغيير الناجح ومن الضروري أن تتناغم هذه الإصلاحات مع الفلسفة الاجتماعيّة التي يتبناها المجتمع(هياق، 2011). فالإصلاح التربويّ آلية تهدف لرفع مستوى مخرجات النّظم التربويّة، وإدخال مجموعة من التّغييرات على النّظام التربويّ لتفعيل العملية التّربويّة لتشمل المناهج والمعلمين والإدارة والمجتمع (استيته وسرحان، 2008). ويحتاج الإصلاح الشامل إلى متطلّبات لتحقيقه والتي بيّنها (الصالح، 2007) كالآتي:

- **التغيير التربوي**: وهو الذي يتم عن طريق تحديد مواصفات وخصائص النّموذج المرغوب فيه للإصلاح بجوانبه المختلفة عن النموذج التقليدي الثابت من جوانب التعليم والتعلّم والإدارة.
- **تطوير التعليم**: وذلك من خلال تطبيق العمليّة التعليميّة التّعلمية المنظّمة لإنتاج النموذج المرغوب فيه للإصلاح.
- **تطوير الهيئة التدريسيّة**: من خلال تنمية اتجاهات إيجابية نحو التغيير والمهارات التي يتطلبها.

– **تطوير المؤسسة** : وذلك بتطوير منظومة لوائح وقوانين وسياسات توجه عملية التغيير، وتوفير المصادر المادية التي يتطلبها تنفيذ التغيير وإيجاد ثقافة مشجّعة على التغيير وقيادة ملهمة ومؤثرة وميسرة لعملية التغيير.ويُعدُّ التّغير الاجتماعيّ من أهم التغيرات وأكثرها تأثيرا في الحياة وهو عبارة عن ظاهرة اجتماعية تحدث في جميع المجتمعات البشريّة، والمتتبع لأي مجتمع يجد أن هناك تحوّلات كثيرة، تحدث في أنظمة مختلفة نتيجةً لعوامل عديدة، اجتماعيّة، اقتصاديّة، تربويّة، ثقافيّة وغيرها، وبما أن النظم الاجتماعيّة مترابطة فإن التّغير الذي يحدث في جزءٍ منها يؤثر في الأجزاء الأخرى في المجتمع وبدرجات مختلفة (جعنيني،2009). فالتغيّر الاجتماعي عبارة عن عملية اجتماعية يحدث عن طريقها تغير في المجتمع بأكمله، أي في أنظمته وأبنيته الاجتماعيّة كالنظام السياسيّ والاقتصادي والعائليّ، وذلك في غضون فترة زمنيّة محدّدة وذلك نتيجةً لعوامل ثقافيّة واقتصاديّة وسياسيّة يتداخل بعضها ببعض ويؤثر بعضها في الآخر (طبال، 2012).

ويتطلب هذا التّغيّر من التربية جهدًا كبيرًا في تهيئة الأفراد له وإكسابهم المرونة في التّفكير والاختيار، وإعدادهم لدورهم الجديد في مواجهة التّغيرات، وفهمها والاستفادة منها وتوجيهها الوجهة الصحيحة، بحيث يصبحون هم أنفسهم قوة تغيير فعّالة تبتكر وتجدد، مستفيدة من التّقدم المعرفي على مستوى العالم، وعليها أيضًا إكسابهم المقدرة على انتقاء الأساليب والوسائل الحديثة في العمل والإنتاج، واستخدام التكنولوجيا الحديثة، الملائمة لمجتمعاتهم (استيتية وسرحان،2008). وتعتمد دراسة التغير الاجتماعي وخاصة إذا كان هدفها التوصل إلى رؤية محددة للمستقبل على أمرين أساسيين :أولهما: أن الماضي والمستقبل ينبغي أن ينظر إليهما كجزء من الحاضر لأن صور المستقبل ضرورية في توجيه سلوك الأفراد والجماعات في المجتمع، وثانيهما: أن الاتجاه الأعظم في التاريخ يكشف عن زيادة تحكّم الإنسان في بيئته الاجتماعية والطبيعية، ويبنى على ذلك أن تفسيرات التغير الاجتماعيّ تكون دقيقة بالقدر الذي تستطيع على أساسه أن تفسر قدرة وقوة تأثير الإنسان في توجيه التّغير في المستقبل (مصطفى، عبد العاطي وغنيم، 2002).والتّربية صانعة للحياة الاجتماعية، ووسيلة لبقاء واستقرار المجتمع، وهي ضرورة من الضرورات الاجتماعيّة اللازمة للحياة في المجتمع (سليمان، 1979)، وينظر باولو فريري إلى أن رسالتها تتمثل في إثارة الوعي والنضال لإعادة تشكيل الأنساق الاجتماعيّة وإحداث التّغيير المرغوب من خلال تغيير المتعلمين واتجاهاتهم وأفكارهم (السنبل، 2009).

وتمثل آراء باولو فريري الفيلسوف البرازيليّ (1921_1997) رأي مدرسة الثّورة والصراع في الفكر التّربوي الحديث، إذ أنه كان علماً من أعلام التربيّة والتعليم وعلم الاجتماع السياسيّ، وكتب مؤلفات عديدة في هذا السياق من أشهرها: (تربية المقهورين)، وقد وضع فلسفة إنسانيّة تؤمن بطاقات الإنسان ومقدرته على تغيير واقعه والتأثير في مجتمعه، ووضع فلسفة ديمقراطية تسعى لتغيير ثقافة القهر المولدة لثقافة الصمت، وأخرى راديكاليّة، ودعا إلى نبذ العنف والدماء من خلال الثورات (فريري، 2005).وتقوم نظرية باولو فريري على مفاهيم خاصة بإثارة الوعي أو بث السياسة والمبادرة إلى الفعل، فهو عبّر عن موقف سياسيّ بوضوح وصراحة رافضًا فيه رفضًا قاطعًا للفكر وللمؤسسات التربوية في السّياقات الاجتماعية التي كان بينها وعاش فيها، وعدَّ أن هيمنة الفكر والممارسة المتخلفتين أدتا إلى ترسيخ وتكريس ثقافة الصمت، وتفشي القهر والتّسلط، وعرقلة فرص الابتكار والإبداع والتّميز في تحقيق نهضة مجتمعيّة منشودة، وتتمثّل فلسفته فيما يعرف بالمنحى (الإنسانيّ الديمقراطيّ الراديكاليّ) وبين جاد (2005) أبرز ما جاء في نظريته التربوية كالآتي:

– **القهر**: فسّره بأنه حالة لا إنسانيّة توظف أساليب الهيمنة وتغييب العقل والخداع للإبقاء على الواقع المرغوب بالنسبة للقاهر، وانتقد ثقافة الصمت مؤكداً على مفهوم الأنسنة، وبين أن الوعي بالواقع يؤدّي إلى إزالة الغشاوة عن العيون وبالتالي إزالة وكسر الظلم.

– **التعليم البنكي**: أوضح فريري أن ما يميز التعلّيم البنكي عن غيره لهجته المتعالية وعدم تركيزه على إحداث التغيير، ويتم خلاله إيداع المعلومات في عقول الطلبة بإسلوب تلقيني من قبل المعلم باعتباره صاحب السلطة والمتحكّم بتعلّمهم، وكبديل لهذا النوع من التّعليم يطرح فريري التّعليم الحواريّ الذي يتطلب وجود معلم يركّز على تعليم التفكير النقديّ.

– **تعليم الكبار ومحو الأمية**: اعتمد فريري في تعليم الكبار أسلوب الحلقات الثقافية في القرى والأرياف والأحياء الشعبيّة، وبدلا من المحاضرة التقليديّة أصبح هناك تفاعلاً وتواصلًا وحوارًا بين الناس.

– **التربية التّحريرية** : وهي التي تقوم على أساس التّعاون والحوار من أجل التطوير.

– **الوحدة من أجل التحرير**: وهي عمل ثقافيّ وليس مجرد شعار، يتحد فيه الأفراد لتحقيق أهدافهم التعليميّة ، والمطالبة بحقوقهم بجرأة ووعي.

يُلاحظ مما سبق الدّور العظيم للتّربية المبنيّة على الحريّة المسؤولة في بناء المجتمع، وإعداد المتعلّمين للحياة بطريقة سليمة، وكذلك تحسين وتجويد العمليّة التّعليميّة، والنهوض بها إلى أعلى درجات الرّقي والتّطور، فالتّربية القائمة على الحريّة تحصّن أفرادها من التّبعيّة والتقليد الأعمى وتمنحهم فرص المشاركة في الإنتاج، وتصنع منهم قادة ومبدعين، وتدفعهم إلى الإنجاز المنافس على مستوى العالم.

واستنادًا إلى ما سبق، وبالاطلاع على بعض نتائج تصنيف الجامعات عالميًا؛ كتصنيف جامعة شنغهاي لأفضل 500 جامعة ـ حسب جودتها ـ يتضح الوضع المأزوم الذي تعيشه الجامعات العربية ومن ضمنها الجامعات الأردنيّة، إذ جاءت في مراتب متدنية مما يدلّل على وجود مشكلات عديدة مسؤولة عن هذا الوضع؛ تستدعي البحث فيها، ولعل منها غياب أو ضعف الحريّة التعليميّة، ومن خلال تجربة الباحثين في المجال التربويّ؛ فقد لاحَظَا كثيراً من الممارسات البعيدة عن احترام حريّة الآخرين، واتباع الأسلوب التلقيني في تدريس بعض المساقات الجامعيّة، وإيمانًا بضرورة التّربية التّحرريّة التي تدعم الإبداع وتعزّزه، وتعلّم المرء كيف يتعلم، ويتحمّل مسؤولية تعلمه، وكيف يخرج من صمته إلى أفقٍ رحبٍ وحوارٍ هادفٍ، ودور الجامعة في ذلك، فقد سوّغ للباحثين البحي في دور الجامعات الأردنيّة الرّسميّة في تعزيز التّربية التّحرريّة لدى طلبتها في ظلّ التّغير الاجتماعيّ استنادا إلى أفكار "باولو فريري".

مشكلة الدراسة تشهدُ التّربية في عصرِ العولمة تغيّرات كبيرة وتدفقًا معرفيًا هائلًا صاحَب الثّورة التكنولوجيّة، مما يستدعي مواكبة مستمرّة للتّطورات والتّغيرات الحادثة على مستوى العالم كي تصبح التّربية أداةً لهذا التغيير، فالتربية نشاط تربويّ اجتماعيّ على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية في التّحرر من الجهل والفقر والمرض، وهي الوسيلة الفعّالة للتنشئة الاجتماعية والتي تضمن المقدرة على التكيفّ مع المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد، والتأثير فيه إيجابا، وتستدعي هذه التّغيرات أيضا إعادة النّظر في بعض أساليب التعليم التقليدية.

فالتّعليم الرّاهن يوجّهُ اهتمامه الرئيس نحو صبّ الحقائق والتفاصيل بذاكرة المتعلم، وضعف مخاطبة آليات التفكير لديه، ودعوته للحفظ والاستظهار بصورة أكبر من دعوته لإعمال العقل، وبذل المجهود في اكتساب الخبرة عن طريق التجريب والاستكشاف. إذ لا يزال الجانب المعرفيّ الكميّ يطغى على الجانب المعرفيّ النوعيّ، وأصبح المتعلّم يقدّس الكتاب، وكل ما هو جاهز من ملخصاتٍ وغيرها، دون أن يبذل أي جهد في الحصول على المعلومة ونقدها وفهما وتوظيفها، كما أدى التّوسع الكميّ في المنهج الدّراسي إلى اضطرار المعلّم لعدم التّعمق في بسط الحقائق وتحليلها، وقلّة إتاحة المجال أمام المتعلمين للحوار والمناقشة والاستقراء والاستدلال والنّقد والتميز (عرفه، 2006). ونظراً لأهمية الدّور التربويّ الذي يجب أن تضطلع به الجامعات الأردنيّة الرّسميّة في حلّ مشكلات التّعليم المختلفة، والانتقال من الأدوار التقليديّة إلى أدوار أكثر إبداعاً، خاصةً في ظل التّغيرات العالميّة، وتحديداً العربيّة منها في مختلف مناحي الحياة، السياسيّة والتعليميّة والاقتصاديّة ، فالتّركيز على الحريّة في التّعليم باستخدام أساليب معزّزة للإبداع، يسهم في رفع مكانة الجامعات الأردنيّة الرّسمية وإبراز موقعها على خريطة العالم التّربويّة التعليميّة ، ومن هنا تبرز ضرورة تفعيل دور الجامعات في إرساء قواعد الحرية وتعزيز مبادئها من خلال كل ما تقدمه لطلبتها من برامج وأنشطة ومحاضرات وغيرها، وبناء على ما سبق، فإن مشكلة الدراسة تتمثل في الإجابة عن السؤال الآتي : ما دور الجامعات الأردنيّة الرسميّة في تعزيز التربيّة التحرريّة لدى طلبتها في ظلّ التّغير الاجتماعيّ استنادًا إلى أفكار "باولو فريري"؟

هدف الدراسة وأسئلتها: هدفت الدراسةُ إلى التعرف إلى دور الجامعات الأردنيّة الرّسميّة في تعزيز التّربية التّحرريّة لدى طلبتها في ظل التغيّر الاجتماعي استنادا إلى أفكار "باولو فريري" من خلال ما تقدّم من محاضرات ومصادر تعلّم أخرى؛ كالمراجع، ونتائج البحوث والتّعليم عبر الشّبكة، والمقرّرات الدّراسية المتنوعة، ومن خلال أنشطة الجامعة المتعددة.

وسعت الدّراسة للإجابة عن السؤال الآتي :

- ما واقع دور الجامعات الأردنيّة الرسميّة في تعزيز التّربيّة التّحرريّة لدى طلبتها في ظلّ التّغير الاجتماعيّ استنادًا إلى أفكار "باولو فريري" من وجهة نظر الطّلبة؟

أهمية الدراسة: تتمثّل أهمية هذه الدّراسة في أنها تتناول دور الجامعات الأردنيّة الرّسميّة في تعزيز التّربية التّحرريّة لدى طلبتها في ظل التّغير الاجتماعي استنادًا إلى أفكار "باولو فريري ".ويؤمّلُ أن يستفيد من نتائج الدّراسة كلّ من : الباحثين، والمسؤولين عن صنع القرار في وزارتيّ التّربية والتعليم والتّعليم العالي، ورؤساء الجامعات، وكذلك أعضاء هيئات التّدريس والطّلبة. وتعدّ هذه الدّراسة من الدّراسات النادرة _حسب حدود علم الباحثين_ التي تبحث دور الجامعات الأردنيّة الرّسمية في تعزيز التّربية التّحررية لدى طلبتها في ظلّ التّغير الاجتماعي استنادًا إلى أفكار (باولو فريري).

مصطلحات الدراسة: تشتمل الدراسة على مصطلحات سيتم تعريفها مفاهيمياً وإجرائياً على النحو الآتي :

الدّور: وهو السّلوك الذي يقوم به الفرد، في" المركز" الذي يشغله أو يتواجد به، ويتحدّد المركز على أساس العمر، أوالجنس، أوالمولد، أوالمهنة، أوالزواج، أوالطبقة الاجتماعية وهو نمط من الأفعال التي يقوم بها الفرد، في المواقف الاجتماعية المختلفة التي يتعرض لها، وتتقبلها الجماعة، في ضوء مستويات السّلوك في الثقافة السّائدة حوله " (ناصر،2011).

ويعّرف إجرائيا بأنه مجموعة المهام والمسؤوليات التي تتولى الجامعات القيام بها؛ لتعزيز التّربية التّحرريّة، (وهو الدّور الذي سيتم بناؤه خلال هذه الدّراسة).

التّربية التحّرريّة: هي التّربية التي يمارس خلالها المتعلّمون الحريّة وهم يتعلّمون (أي يتحررون) ويكتسبون الوعي الناقد الذي يوصلهم إلى رفض كافة أشكال التّسلط والخضوع (تركي،2004).

وتعرف إجرائيا بأنها التّربية التي تؤكد احترام كرامة الإنسان وتمنحه مساحة من الحرية المسؤولة التي تساعده على الإبداع والمساهمة في التقدم، وتركز على إشراك الطّالب في العملية التّعليمية التّعلمية، وتقاس بالدرجة الكلية التي يتم الحصول عليها على المقياس الذي سيعدُّ لهذه الغاية.

التّغير الاجتماعي: يعرف التّغير الاجتماعيّ بأنه كل تحول يحدث في النّظم والأنساق والأجهزة الاجتماعيّة، سواء كان ذلك في البناء أم الوظيفة خلال فترة زمنية محددة (استيتية،2008)

ويعرف إجرائياً بأنه جميع التحولات التي تطرأ على الأبنية والأدوار والوظائف في المجتمع الأردني في كافة المجالات التعليمية والثقافية وغيرها، وتأثيرها على الأفراد والمجتمع ككل.

حدود الدّراسة: تتحدد الدّراسة بالحدود الآتية:

الحدود الزمانية : العام الدّراسي 2014 _ 2015

الحدود المكانية : الجامعة الأردنيّة، جامعة مؤته، جامعة اليرموك.

الحدود البشرية: جميع طلبة الجامعات الأردنيّة الرّسمية المنتظمين في الدّراسة للعام 2014_2015

وتتحدد نتائج الدّراسة بدرجة صدق وثبات أداة الدّراسة التي ستعدّ لهذه الغاية.

وسيتم تعميم النتائج على المجتمعات التي سُحبت منها عينة الّدراسة

محدّدات الدّراسة: عدم توفر دراسات تتناول موضوع التّربية التّحرّريّة مباشرة.

الدراسات السابقة: فيما يلي عرض لبعض الدراسات ذات الصلة

هدفت دراسة السّوالمة (2000) التّعرف إلى تصوّرات طلبة جامعة اليرموك نحو الممارسات الدّيموقراطية لأعضاء هيئة التّدريس فيها، وأثر متغير جنس الطّالب، ومستواه الدّراسي وكليته في ذلك، وتألفت عينة الدّراسة من (585) طالباً وطالبة، واستخدمت الاستبانة أداةً لجمع المعلومات، واشتملت على (93) فقرة، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم المنهج الوصفي التحليلي، وقد أظهرت نتائج الدّراسة أن أكثر مجالات الدّيمقراطية ممارسةً هو العدل والمساواة، وأقلها مجال أسلوب التدريس، وأظهرت النتائج كذلك عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تصورات الطّلبة نحو الممارسات الدّيمقراطية، تعزى للجنس، في حين وُجدت فروق في تصورات طلبة جامعة اليرموك نحو الممارسات الديمقراطية لأعضاء هيئة التدريس فيها تعزى إلى السنة الدراسية، ولصالح طلبة السنة الأولى، وللكلية ولصالح الطلبة في كلية التربية.

وهدفت دراسة وطفه وشريع (2000) هدفت التّعرف إلى الفعاليات الديمقراطية في جامعة الكويت، وقد بلغ حجم العينة (622) طالبًا وطالبة وعدد أفراد العينة من أساتذة الجامعات (128) من مختلف كليات الجامعة وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج منها : أن الطلبة يبدون موقفًا إيجابيًا من الانتخابات الطلابيّة بوصفها مظهرًا من مظاهر الحياة الديمقراطية، في حين يأخذون موقفًا سلبيًا من التّفاعل التّربوي مع المدرسين والإدارة، ومن جهة أخرى فإن أساتذة الجامعة يعلنون أن الطّلبة يعانون انخفاضًا في وعيهم

الدّيمقراطي، ويؤكدون الحاجة إلى جهودٍ تربويةٍ كبيرة لبناء الوعي الديمقراطيّ لدى الطّلبة، ويعلنون أيضا أن المقررات الجامعية لا تؤدي دورها في بناء وعيّ ديمقراطي طلابيّ ،كما أشارت الدّراسة إلى انخفاض مستوى التّفاعل بين الطّلبة والأستاذ الجامعيّ، وغياب العلاقات الدّيمقراطية المتوازنة بينهم، كما أشارت إلى وجود علاقة تسلطية بين الطّلبة والأستاذ.

هدفت دراسة الخراشي(2004) إلى الكشف والتّعرف إلى الأنشطة الطّلابية الجامعيّة وأهميتها في إكساب الطّالب الشّخصية المميزة، وتنمية المسؤولية الاجتماعية لدى الطّلبة, ومدى تأثير هذه الأنشطة والبرامج المتاحة على شخصية الطّالب الجامعي، واستخدمت الدّراسة مقياس المسؤولية الاجتماعية وإجراء مقابلات شبه مقننة, وطبّقت هذه الأدوات على عيّنة مكونة من (149) طالباً من جميع الكليات والأقسام والمستويات داخل الجامعة، وتوصلت الدّراسة إلى العديد من النتائج منها : أن من معوقات الأنشطة الطّلابية عدم التعاون والمشاركة من قبل الطالب مع غيره, وعدم توفر الأدوات والمنشآت اللازمة لممارسة الأنشطة.

وهدفت دراسة خضور(2009) التّعرف الى العلاقة بين التّربية بالمعنى الواسع للكلمة وعملية التّغير الاجتماعي بمعناها الواسع أيضا في ضوء معطيات المرحلة المعاصرة ، باستخدام أسلوب البحث والتحليل وتوصّلت الدّراسة إلى استنتاجات عدة من أهمها أن التقدّم الاقتصادي مقترن دائما بالتطور العلمي وتعميم التعلم والتعليم، وأن تشكيل الجماعة السياسية والمجتمع السياسي يتطلب عدة معطيات يجري إعداد قسم منها في المؤسسات التربوية، وأن بنية المجتمع ومرونته تتطلب توافر عدة أسس يقع أغلبها على صعيد تربوي وأن أي عملية تغيّر اجتماعي لا بد أن يمهد لها ويعززها تغير في العمل التربوي من حيث فلسفته ومضامينه وطرائقه.

دراسة الهبوب (2012) هدفت التعرف إلى واقع ثقافة التغيير في الجامعات اليمنية، استخدم الباحث فيها المنهج الوصفي بأسلوبه التحليلي النقدي وذلك عبر مسارين متكاملين: يعنى الأول بالتأصيل الفكري لثقافة التغيير والدور الريادي للجامعة في هذه العملية المصيرية على مستوى التحليل النظري، أما المسار الثاني فيعنى باستقصاء تحليلي نقدي لأبعاد ثقافة التغيير في الجامعات اليمنية سواء في الأطر التشريعية أو البنية التنظيمية أو المناهج والأنشطة التدريسية، وتوصّلت الدّراسة إلى العديد من النتائج منها: أن الجامعات اليمنية تواجه العديد من التحديات التي تجعلها عاجزة عن مواكبة متطلبات التغيير، ولعل أبرز هذه التحديات تتمثل في جمود المرجعيات الفكرية وغياب إرادة التغيير والافتقار إلى القيادة التحويلية وهيمنة المناهج والأساليب التدريسية التقليدية.

دراسة الكندري (2013) هدفت الدّراسة إلى تعرّف فرص الحرية الأكاديمية المتاحة للطلبة في جامعة الكويت وتعرف تأثير كل من الجنس والكليات والسنوات الدراسية في توضيح آراء الطلبة في توافر فرص ممارسة الحرية الأكاديمية وتكونت عينة الدراسة من(570) طالبًا وطالبة تم اختيارهم بالطريقة العشوائية من كليات جامعة الكويت، وأظهرت نتائج الدّراسة أن فرص الحرية المتاحة للطلبة جاءت بصورة مرتفعة، وكشفت عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية في وجهات نظر كلّ من الطالبات والطلاب في توافر فرص الحرية لهم لصالح الطالبات؛ إذ أن الطالبات يمارسن الحرية بصورة أفضل من الطلاب ولم تشر نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهة نظر الطلبة الدارسين في الكليات العلمية والطلبة الدارسين في الكليات الإنسانية والاجتماعية والطلبة من مختلف السنوات الدراسية في فرص الحرية المتاحة لهم.

الدراسات الأجنبية: هدفت الدراسة التي أجرتها جوتفريدسون (Gottfredson ,2010) الى مساعدة الباحثين في التعرف إلى مهدّدات الحرية الأكاديمية، وكيف يمكن حمايتها، وذلك من خلال عرض حالة من عام 1989 – 1994، لبيان كيف تطوّرت انتهاكات الحركة الأكاديمية والحجة التقليدية المستخدمة لتبرير هذه الانتهاكات، وما هو مطلوب لوقف هذه الانتهاكات، ووصفت الدّراسة الإشكاليات الاجتماعية العامة التي تحدث داخل وخارج المؤسسة التربوية وتؤدي إلى ممارسات القمع وتقييد الحريات، وقدمت دراسة الحالة أمثلة لتوضيح أن الحركة الأكاديمية مثل حركة التغيير عموماً: لها تكاليف للحفاظ عليها وليست معززة ذاتياً ويتم انتهاكها في المعتاد من المؤسسات الأكاديمية. وفي دراسة أجراها الباحثان بروكس ويونغ (Brooks and Young ,2011) هدفت إلى اكتشاف العلاقة بين زيادة الدافعيّة للتعلّم وتمكين المتعلم، أجريت على عينة تكوّنت من (419) طالبًا وطالبة من الدّارسين في كبرى الجامعات الأمريكية، وطبّقت استبانه تم توزيعها على الطلبة، ولم تعط أربعة فصول حرية الاختيار في إعداد واجبات المقرر التي تتراوح بين تقديم ورقة بحثيّة أو تقديم الاختبار النهائي، وقد توصّلت الدّراسة إلى نتائج عديدة ، أبرزها أن هناك علاقة إيجابية بين إتاحة الفرصة للطّالب في حرية الاختيار وأثر ذلك في تحفيزه وتمكينه من التعلّم.

وأجرى ايركان (Erkan, 2011) دراسة هدفت إلى تقييم التغييرات الحالية في مؤسسات التعليم العالي بغرض تحديد تأثيراتها على الحرية الأكاديمية واستخدمت الدّراسة منهج عرض مراجعة الأدب النظري للمشكلة إلى جانب طرق عديدة تفحص التغيرات كما هي متعلقة بنظريات التغيير، وتوصلت الدّراسة الى أن المتاجرة التي يمكن النظر اليها على أنها أهم نزعة في التعليم العالي لها إمكانية هائلة في تقويض الحرية الأكاديمية، كذلك قضايا عدم التسامح الديني أو السياسي وعدم احترام التنوع والتعددية الثقافية والأمن القومي كلها بمثابة مهدّدات للحرية الأكاديمية، كما وأن دمج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التّعليم من التغيرات الأخرى التي تؤثّر في الحرية الأكاديمية لدى الجامعة.

وفي دراسة أجراها كيلاس (Kilase, 2013) هدفت التّعرف إلى أهمية الحرية الأكاديمية في الترويج للعملية الأكاديمية في السودان، وتبنت الدّراسة رؤية تاريخية وتحليلية في التعامل مع قضية الحركة الأكاديمية والسيطرة الحكومية على الجامعات، وأظهرت الدّراسة قضايا عديدة متعلقة بالتفاعل بين السياسية والتعليم في السودان على وجه الخصوص منها أن التعليم العالي في السودان كان دائماً تاريخياً تحت نفوذ الحكومة المركزية حيث أن تدخل الدولة في التعليم واضح وجلي، وبينت الدراسة أن التعليم في الكثير من المواقف هو عامل سياسي كونه يتجه بطبيعته إما للحفاظ على الوضع القائم أو الدفع للتغيير وذلك بالاعتماد عن كيف جرى تنظيمه؟ ومن نظمه؟ والغرض من وضعه، وأشارت نتائج الدّراسة إلى أن التّدخل السياسي المباشر في الحرم الجامعي للجامعات هو مسؤولية كل من النظام الحاكم والمعارضة السياسية اللذان يتسابقان لتجنيد الطّلبة لمجموعاتهم مما دفع الطلبة لجعل الحرم الجامعي ساحة مجابهة للنشاطات السياسية مما يتسبب بانتشار العنف الطّلابيّ في الجامعات الحكومية، واقترحت الدّراسة نقاطاً توجيهية لتدعيم وتعزيز معنى الحرية الأكاديمية واستقلالية الجامعات ومن هذه النقاط، أن يتمتع أعضاء الهيئة التدريسية بحرية الفكر والبحث والتعليم والأمن الوظيفي، وأن يتوقف استقطاب الطلبة من كل من أحزاب الحكومة والمعارضة.

تعقيب على الدّراسات السّابقة وموقع الدّراسة الحالية منها: تناولت الدّراسات السابقة موضوعات ذات صلة بموضوع الدراسة الحالية، فبعضها تناول مفهوم الحريات الأكاديمية في الجامعات، وواقع هذه الحريات كدراسة خضور (2009) والتي ألقت الضّوء على مفهوم الحريّة الأكاديمية، وتناولت بعض الدّراسات التّغير الاجتماعي، من عدة جوانب فقد تناولت دراسة الهبوب (2012) واقع ثقافة التغيير في الجامعات اليمنية وهناك دراسات بحثت العلاقة بين التّغير الاجتماعي والتّربية كدراسة خضّور (2009) التي هدفت التّعرف إلى العلاقة بين التّربية بالمعنى الواسع للكلمة وعمليّة التّغير الاجتماعي بمعناها الواسع أيضًا، وكذلك تناولت بعض الدّراسات المقررات الدّراسية ودورها في بناء وعي ديمقراطيّ طلابيّ كدراسة وطفه وشريع (2000) والتي اختلفت مع نتيجة هذه الدّراسة، إذ توصلت الدّراسة إلى أن المقرّرات الدّراسيّة لا تؤدي دورها في بناء وعيٍ ديمقراطيّ. ومن خلال البحث والاطلاع، لم يتم العثور على دراسات تمس موضوع التّربية التّحرّريّة مباشرة وتربطه بالتّغيّر الاجتماعيّ والدّراسات التي تم الاطلاع عليها تتناول جوانب محدّدة من التّربية التّحررية، بينما الدّراسة الحالية من الدّراسات العربية النادرة_ حسب حدود علم الباحثين- التي تبحث دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التّربية التّحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي استنادًا إلى أفكار" باولو فريري".

مجتمع الدراسة: تكون مجتمع الدّراسة من جميع طلبة الجامعات الأردنية الرّسميّة والمتمثلة في (الجامعة الأردنية، وجامعة اليرموك، وجامعة مؤته) والبالغ عددهم (91019) طالبًا وطالبةً حسب إحصائيات دائرة القبول والتّسجيل في تلك الجامعات للعام الدّراسي 2014_2015.

عينة الدراسة: تم اختيار عينة الدراسة بالطريقة الطبقية العشوائية النسبية من طلبة الجامعات الحكومية الثلاث (الأردنية، واليرموك، ومؤتة)، والتي اختيرت قصدياً، إذ بلغ عدد أفرادها (384) طالباً وطالبة، وذلك استناداً إلى جدول حجم العينة المناسب لكرجسي ومورجن (Krejcie,& Morgan,1970). ويشير الجدول رقم (1) إلى ذلك.

جدول رقم (1):توزيع عينة الدراسة حسب الجامعة والكلية

الجامعة	الكلية	N
الأردنية	علمية	76
	إنسانية	79
	المجموع	155
اليرموك	علمية	39
	إنسانية	109
	المجموع	148
مؤتة	علمية	31
	إنسانية	50
	المجموع	81
المجموع	علمية	146
	إنسانية	238
	المجموع	384

يلاحظ من الجدول (1) أن عينة الدراسة مكونة من (384) طالبًا وطالبة، منهم (155) طالبا وطالبة من الجامعة الأردنية، و (148) طالبًا وطالبة من جامعة اليرموك، (81) طالبًا وطالبة من جامعة مؤتة.

أداة الدراسة: لما كان الهدف من الدراسة الحالية هو الوصول إلى دور مقترح للجامعات الأردنية في تعزيز التربية التحررية، فإنه تمّ تطوير أداة للتعرف إلى دور الجامعات الأردنية في تعزيز التربية التحررية من وجهة نظر الطلبة، بالرجوع الأدب النظري وبعض الدراسات مثل: دراسة(الكندري، نبيله، 2013) فرص الحرية الأكاديمية المتاحة للطلبة في جامعة الكويت، إلى وقد تكوّنت بصورتها الأولية من (67) فقرة موزّعة على خمسة مجالات، وقد أُعطي لكل فقرة من فقرات المقياس وزن مدرج وفق سلم ليكرت (Likert) الخماسي وكانت أبدال الإجابة هي: (بدرجة كبيرة جداً، بدرجة كبيرة، بدرجة متوسّطة، بدرجة منخفضة، بدرجة منخفضة جداً)، وقد أُعطي البديل بدرجة كبيرة جداً خمس درجات والبديل بدرجة كبيرة، أربع درجات، والبديل بدرجة متوسّطة ثلاث درجات، والبديل بدرجة منخفضة درجتين، والبديل بدرجة منخفضة جداً درجة واحدة.

صدق أداة الدراسة: تم عرض الأداة على عشرة محكمين من المختصين وذوي الخبرة في المجالات التربوية من أعضاء هيئة التدريس في كليات العلوم التربوية المختلفة من جامعات متعددة وذلك للتأكد من مدى وضوح الفقرات والسلامة اللغوية لصياغة الفقرات ومدى انتمائها للمجال الذي وضعت فيه، وقد أخذ الباحثان بملاحظات المحكمين ومقترحاتهم التي تتعلق بإعادة صياغة بعض الفقرات، وحذف (5) فقرات، وقد عدّت موافقة المحكمين على كلِّ فقرة من فقرات الاستبانة وبنسبة (80%) فأكثر، مؤشراً على صدق الفقرات، واستقرّت الأداة بصورتها النهائية على (62) فقرة، موزّعة على خمسة مجالات.

ثبات أداة الدراسة: للتأكد من ثبات أداة الدّراسة، استخدم الباحثان طريقة الاختبار وإعادة الاختبار test – (retest)، إذ قام الباحثان بتطبيق الأداة على عينة استطلاعية مكونة من (40) طالبًا وطالبةً من مجتمع الدّراسة وخارج عيّنة الدّراسة بفاصل زمني مدته أسبوعان بين مرتي التّطبيق وتمّ حساب معامل الثّبات باستخدام معامل ارتباط بيرسون، كما استخدم الباحثان طريقة الاتّساق الدّاخلي بحساب معادلة كرونباخ الفا (Cronbach Alpha)، والجدول (2) يبين معاملات ثبات الاستبانة على النحو الآتي:

جدول رقم (2) معاملات ثبات أداة دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي استنادًا إلى أفكار "باولو فريري" من وجهة نظر الطلبة

الرقم	المجال	معامل ارتباط بيرسون	كرونباخ الفا
1	دور المقررات الدراسية	0.88	380.
2	دور عضو هيئة التدريس	0.84	190.
3	دور الأنشطة الطلابية	0.82	280.
4	دور نظام التقييم والعلامات	0.80	0.84
5	القبول الجامعي	0.84	380.
	الدرجة الكلية	0.88	0.92

يلاحظ من الجدول (2) أن معاملات ثبات أداة دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة، كانت مقبولة إذ بلغ معامل ارتباط بيرسون (0.88)، للدرجة الكلية ومعامل كرونباخ الفا بلغ بين (0.92) وتعد هذه القيم مقبولة لأغراض الدراسة الحالية.

المعالجة الإحصائية: تم الإجابة عن تساؤلات الدّراسة من خلال استخدام الأساليب الإحصائية المناسبة، حيث تم استخدام المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية، والرتبة، والدرجة والنسبة المئوية.

وللتعرّف إلى دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة تمّ اعتماد المعادلة الآتية: القيمة العليا للبديل - القيمة الدنيا للبديل

عدد الدرجات

$$1.33 = \frac{4}{3} = \frac{5 - 1}{3}$$

وبذلك تكون الدرجة المنخفضة من 1 + 1.33 = 2.33

وتيتضمن هذا الجزء عرضاً للنتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة من خلال الإجابة عن سؤالها، وعلى النحو الآتي:

السؤال الأول: ما واقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي استنادًا إلى أفكار "باولو فريري" من وجهة نظر الطلبة ؟

للإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لواقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة بشكل عام ولكل مجال من مجالات أداة الدراسة، ويظهر الجدول (3) ذلك.

الجدول (3)المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب لواقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي استنادًا إلى "أفكار باولو فريري" من وجهة نظر الطلبة مرتبة تنازلياً

الرقم	المجال	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	واقع الدور
4	دور نظام التقييم والعلامات	2.99	0.97	1	متوسّط
3	دورا لأنشطة الطلابية	2.93	0.74	2	متوسّط
1	دور المقررات الدراسية	2.87	0.98	3	متوسّط
5	القبول الجامعي	2.79	1.16	4	متوسّط
2	دور عضو هيئة التدريس	2.76	0.95	5	متوسّط
الدرجة الكلية		**2.87**	**0.66**		**متوسّط**

يلاحظ من الجدول (3) أن واقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة كان متوسّطاً، إذ بلغ المتوسّط الحسابي (2.87) وانحراف معياري (0.66)، وجاءت مجالات الأداة في جميعها في الدرجة المتوسّطة، إذ تراوحت المتوسّطات الحسابية بين (2.99 -2.76)، وجاء في الرتبة الأولى مجال "دور نظام التقييم والعلامات"، بمتوسّط حسابي (2.99) وانحراف معياري (0.97)، وفي الرتبة الثانية جاء مجال "دور الأنشطة الطلابية" بمتوسّط حسابي (2.93) وانحراف معياري (0.74)، وجاءت في الرتبة قبل الأخيرة جاء مجال "القبول الجامعي" بمتوسّط حسابي (2.79) وانحراف معياري (1.16)، وجاء

في الرتبة الأخيرة مجال " دور عضو هيئة التدريس" بمتوسّط حسابي (2.76) وانحراف معياري (0.95).أما بالنسبة لفقرات كل مجال فكانت النتائج على النحو الآتي:

1. دور نظام التقييم والعلامات: تم حساب المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب لواقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة، لفقرات هذا المجال، والجدول (4) يوضح ذلك.

الجدول (4) المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب لواقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي استنادًا إلى "أفكار باولو فريري" من وجهة نظر الطلبة في مجال دور نظام التقييم والعلامات مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرة	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	واقع الدّور
9	يسمح أستاذ المادة للطلبة مراجعة نتيجة تقييمهم	3.83	1.39	1	مرتفع
4	يزود الامتحان الطلبة بطرائق جديدة للفهم والاستيعاب	663.	1.24	2	متوسّط
5	يحتوي الامتحان على أسئلة تثير التفكير الإبداعي	3.45	1.29	3	متوسّط
8	يقيد نظام التقييم المعمول به حرية الطلبة في التعبير عن معرفتهم	3.43	1.29	4	متوسّط
2	تراعي أساليب التقييم مستويات الطلبة والفروق الفردية بينهم	3.41	1.29	5	متوسّط
6	تقيس الامتحانات مقدار ما حفظه الطالب من المادة الدراسية	2.81	1.34	6	متوسّط
7	يتاح للطلبة نقد نظام العلامات والتقييم	2.62	1.37	7	متوسّط
3	يتم تبصير الطلبة بطبيعة التقييم وأغراضه في بداية الفصل الدراسي	232.	1.38	8	منخفض
1	تعتمد الجامعة استراتيجيات تقويم حديثة كالتقويم الواقعي والمعتمد على الأداء	2.27	1.11	9	منخفض
10	يقدم أستاذ المادة تغذية راجعة مناسبة للطلبة بعد الامتحان	2.13	1.05	10	منخفض
	الدرجة الكلية	**2.99**	**0.97**		**متوسّط**

يلاحظ من الجدول (4) أن واقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة في مجال دور نظام التقييم والعلامات كان متوسّطاً، إذ بلغ المتوسّط الحسابي (2.99) وانحراف معياري (0.97)، وجاءت فقرات هذا المجال في الدرجات المرتفعة والمتوسّطة والمنخفضة، إذ تراوحت المتوسّطات الحسابية بين (3.83- 2.13)، وجاءت في الرتبة الأولى الفقرة (9) التي تنص على" يسمح أستاذ المادة للطلبة مراجعة نتيجة تقييمهم "، بمتوسّط حسابي (3.83) وانحراف معياري (1.39) وبدرجة مرتفعة، وفي الرتبة الثانية جاءت الفقرة (4) التي تنص على " الامتحان يزود الطلبة بطرائق جديدة للفهم والاستيعاب " بمتوسّط حسابي (3.66) وانحراف معياري (1.24) وبدرجة متوسّطة، وجاءت في الرتبة قبل الأخيرة الفقرة (1) التي تنص على" تعتمد الجامعة استراتيجيات تقويم حديثة كالتقويم الواقعي والمعتمد على الأداء " بمتوسّط حسابي (2.27) وانحراف معياري (1.11)، وبدرجة منخفضة، وجاءت في الرتبة الأخيرة الفقرة (10) التي تنص على" يقدم أستاذ المادة تغذية راجعة مناسبة للطلبة بعد الامتحان." بمتوسّط حسابي (2.13) وانحراف معياري (1.05) وبدرجة منخفضة.

2. دور الأنشطة الطلابية: تم حساب المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب لواقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة، لفقرات هذا المجال، والجدول (5) يوضح ذلك.

الجدول (5) المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب لواقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي استنادًا إلى "أفكار باولو فريري" من وجهة نظر الطلبة في مجال دور الأنشطة الطلابية مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرة	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	الدرجة
16	يقدم اتحاد الطلبة أنشطة تزيدمن معرفة الطلبة بحقوقهم وواجباتهم	3.64	1.47	1	متوسّط
17	يسهم اتحاد الطلبة في تنمية لغة الحوار بين الجهات المختلفة والطلب	23.6	1.46	2	متوسّط
14	يُتيح اتحاد الطلبة فرص التعبير عن الرأي دون قيود	3.36	1.46	3	متوسّط
12	يمارس الطلبة حقهم في الترشح للجان الطلابية	3.28	1.27	4	متوسّط
15	يقوم اتحاد الطلبة على مبادئ التعاون والديمقراطية	3.26	1.39	5	متوسّط
4	يسمح للطلبة التعبير عن رأيهم في النشرات والصحف الجامعية	3.16	1.03	6	متوسّط
3	يستطيع الطلبة حضور الفعاليات والأنشطة الجامعية دون قيود	3.07	1.06	7	متوسّط
11	يقوم اتحاد الطلبة بدور مهم في تنمية مفاهيم الحرية في التعليم في ظل التطور العلمي والمعرفي	2.97	1.15	8	متوسّط
5	تُوثّق الأنشطة الطلابية العلاقات الإنسانية بين الطلبة	2.94	1.09	9	متوسّط
1	يُسمح للطلبة المشاركة في الأنشطة الطلابية وفق رغباتهم.	2.91	1.30	10	متوسّط
10	يُراعي النشاط الطلابي الفروق الفردية بين الطلبة ويلبي حاجاتهم	2.78	1.06	11	متوسّط
13	يمارس الطلبة حقهم في انتخاب اللجان الطلابية	2.71	1.21	12	متوسّط
8	يوفر القائمون على الأنشطة الطلابية فرص تبادل الخبرات مع جامعات عالمية ذات تجارب ناجحة ومتطورة	2.57	0.90	13	متوسّط
7	تُعزّز الأنشطة الطلابية المساهمة الإيجابية للطلبة في مجالات العلم والتقنية لصالح البشرية	2.44	0.67	14	متوسّط
6	تُساعد الأنشطة الطلابية في الانفتاح على تجارب العالم بشكل افضل	2.41	0.73	15	متوسّط
2	تُؤدي الندوات والمحاضرات دوراً مميزاً في تنمية مقدرة الطلبة على الحوار	2.34	0.84	16	منخفض
9	يؤخذ برأي الطلبة عند اختيار موضوعات الأنشطة الطلابية	32.3	0.94	17	منخفض
	الدرجة الكلية	**2.93**	**0.74**		**متوسّط**

يلاحظ من الجدول (5) أن واقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التّغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة في مجال دور الأنشطة الطلابية كان متوسّطا، إذ بلغ المتوسّط الحسابي (2.93) وانحراف معياري (0.74)، وجاءت فقرات هذا المجال في الدرجتين المتوسّطة والمنخفضة، إذ تراوحت المتوسّطات الحسابية بين (3.64- 2.33)، وجاءت في الرتبة الأولى الفقرة (16) التي تنص على"يقدم

اتحاد الطلبة أنشطة تزيد من معرفة الطلبة بحقوقهم وواجباتهم"، بمتوسّط حسابي (3.64) وانحراف معياري (1.47) وبدرجة متوسّطة، وفي الرتبة الثانية جاءت الفقرة (17) التي تنص على "يسهم اتحاد الطلبة في تنمية لغة الحوار بين الجهات المختلفة والطلب" بمتوسّط حسابي (3.62) وانحراف معياري (1.46) وبدرجة متوسّطة، وجاءت في الرتبة قبل الأخيرة الفقرة (2) التي تنص على"تُؤدي الندوات والمحاضرات دوراًمميزاً في تنمية مقدرة الطلبة على الحوار" بمتوسّط حسابي (2.34) وانحراف معياري (0.84)، وبدرجة منخفضة، وجاءت في الرتبة الأخيرة الفقرة (9) التي تنص على "يؤخذ برأي الطلبة عند اختيار موضوعات الأنشطة الطلابية." بمتوسّط حسابي (2.33) وانحراف معياري (0.94) وبدرجة منخفضة.

3. **دور المقررات الدراسية:** تم حساب المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب لواقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة، لفقرات هذا المجال، والجدول (6) يوضح ذلك.

الجدول (6)المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب لواقع دور الجامعات الأردنية الرّسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي استنادًا إلى "أفكار باولو فريري" من وجهة نظر الطلبة في مجال دور المقررات الدراسية مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرة	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	الدرجة
13	تتيح المقررات الجامعية فرص التعاون بين الطلبة بما يتناسب مع استراتيجيات التعليم الحديثة	923.	1.35	1	متوسّط
12	تراعي المقررات الجامعية الفروق الفردية بين الطلبة	823.	1.45	2	متوسّط
7	تشتمل المقررات الجامعية على أسئلة عصف ذهني	523.	1.54	3	متوسّط
8	تساعد المقررات الجامعية الطلبة على المساهمة في أعمال إبداعية على مستوى عالمي	3.28	1.52	4	متوسّط
9	تسهم المقررات الجامعية في زيادة مقدرة الطلبة على الحوار والانفتاح المدروس على العالم	3.24	1.38	5	متوسّط
11	تركز المقررات الجامعية على الفهم والتحليل بدرجة اكبر من الحفظ	3.04	1.46	5	متوسّط
6	تنطوي المقررات الجامعية على الحد الضروري من مفاهيم حقوق الإنسان وما طرأ من تطورات في هذا المجال	3.03	1.48	7	متوسّط
5	تهتم المقررات الجامعية بالجوانب الإنسانية	3.02	1.52	8	متوسّط
14	تساعد المقررات الجامعية الطلبة على التحرر من التقليد الأعمى للسلوكات الناجمة عن التغيرات العالمية السلبية	2.93	1.15	9	متوسّط
3	تتاح للطلبة فرص التطبيق في المساقات ذات الطابع العملي بما يتناسب مع المستجدات الحديثة في مجال الإتقان والإنتاج الجيد	2.84	1.50	10	متوسّط
2	تحفز المقررات الجامعية الطلبة على المشاركة في إحداث التغيير الإيجابي في مجتمعاتهم	2.73	1.48	11	متوسّط
4	تساعد المقررات الجامعية الطلبة على التفكير الناقد	132.	1.38	12	منخفض
15	تعزز المقررات الجامعية استخدام أسلوب حل المشكلات لمواجهة مشكلات العصر.	032.	1.50	13	منخفض
10	تحتوي المقررات الجامعية على بنود لتقييمها من قبل الطلبة	122.	1.03	14	منخفض
1	تتيح الجامعة للطلبة دراسة مقررات يرغبونها	2.15	0.71	15	منخفض
الدرجة الكلية		**2.87**	**0.98**		**متوسّط**

يلاحظ من الجدول (6) أن واقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة في مجال دور المقررات الدراسية كان متوسّطا، إذ بلغ المتوسّط الحسابي (2.87) وانحراف معياري (0.98)، وجاءت فقرات هذا المجال في الدرجتين المتوسّطة والمنخفضة، إذ تراوحت المتوسّطات الحسابية بين (3.29- 2.15)، وجاءت في الرتبة الأولى الفقرة (13) التي تنص على"تتيح المقررات الجامعية فرص التعاون بين الطلبة بما يتناسب مع استراتيجيات التعليم الحديثة"، بمتوسّط حسابي (3.29) وانحراف معياري (1.35) وبدرجة متوسّطة، وفي الرتبة الثانية جاءت الفقرة (12) التي تنص على "تراعي المقررات الجامعية الفروق الفردية بين الطلبة " بمتوسّط حسابي (3.28) وانحراف معياري (1.45) وبدرجة متوسّطة، وجاءت في الرتبة قبل الأخيرة الفقرة (10) التي تنص على" تحتوي المقررات الجامعية على بنود لتقييمها من قبل الطلبة " بمتوسّط حسابي (2.21) وانحراف معياري (1.03)، وبدرجة منخفضة، وجاءت في الرتبة الأخيرة الفقرة (1) التي تنص على "تتيح الجامعة للطلبة دراسة مقررات يرغبونها" بمتوسّط حسابي (2.15) وانحراف معياري (0.71) وبدرجة منخفضة.

4. **دور القبول الجامعي:** تم حساب المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب لواقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة، لفقرات هذا المجال، والجدول (7) يوضح ذلك.

الجدول (7)المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب لواقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي استنادًا إلى "أفكار باولو فريري" من وجهة نظر الطلبة في مجال دور القبول الجامعي مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرة	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	الدرجة
5	لا تشجع سياسات القبول على تفتح الديمقراطية بسب القبول الاستثنائي	3.09	1.57	1	متوسّط
8	تأخذ سياسات القبول الجامعي بعين الاعتبار التغيرات التي تحدث في التعليم العالي على مستوى العالم	3.03	1.52	2	متوسّط
7	تتعارض سياسات القبول الجامعي مع ديمقراطية التعليم	2.98	1.59	3	متوسّط
6	تقوم أسس القبول الجامعي على التميز الأكاديمي والكفاءة	2.96	1.51	4	متوسّط
4	تتفق سياسات القبول الجامعي مع حاجات الطلبة وحاجات المجتمع في ضوء المتغيرات الحديثة	2.76	1.38	5	متوسّط
3	يتاح للطلبة اختيار التخصصات الملائمة لميولهم وإمكاناتهم	2.59	1.20	5	متوسّط
1	تتوافق سياسات القبول في الجامعة مع أهداف الجامعة المعلنة	2.51	1.07	7	متوسّط
2	معايير قبول الطلبة في الجامعة واضحة ومحددة بدقة	2.36	0.92	8	متوسط
	الدرجة الكلية	**2.79**	**1.16**		**متوسّط**

يلاحظ من الجدول (7) أن واقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة في مجال دور القبول الجامعي كان متوسّطا، إذ بلغ المتوسّط الحسابي (2.79) وانحراف معياري (1.16)، وجاءت فقرات هذا المجال في الدرجة المتوسّطة، إذ تراوحت المتوسّطات الحسابية بين (3.09- 2.36)، وجاءت في الرتبة الأولى الفقرة (8) التي تنص على "لا تشجع سياسات القبول

على تفتح الديمقراطية بسب القبول الاستثنائي"، بمتوسّط حسابي (3.09) وانحراف معياري (1.57) وبدرجة متوسّطة، وفي الرتبة الثانية جاءت الفقرة (5) التي تنص على "سياسات القبول الجامعي تأخذ بعين الاعتبار التغيرات التي تحدث في التعليم العالي على مستوى العالم" بمتوسّط حسابي (3.03) وانحراف معياري (1.52) وبدرجة متوسّطة، وجاءت في الرتبة قبل الأخيرة الفقرة (1) التي تنص على "سياسات القبول في الجامعة متوافقة مع أهداف الجامعة المعلنة" بمتوسّط حسابي (2.51) وانحراف معياري (1.07)، وبدرجة متوسّطة، وجاءت في الرتبة الأخيرة الفقرة (2) التي تنص على "معايير قبول الطلبة في الجامعة واضحة ومحددة بدقة" بمتوسّط حسابي (2.36) وانحراف معياري (0.92) وبدرجة متوسّطة.

5. **دور عضو هيئة التدريس:** تم حساب المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب لواقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة، لفقرات هذا المجال، والجدول (8) يوضح ذلك.

الجدول (8)المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب لواقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي استنادًا إلى "أفكار باولو فريري" من وجهة نظر الطلبة في مجال دور عضو هيئة التدريس مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرة	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	الدرجة
9	يمثل عضو هيئة التدريس قدوة حسنة في ممارسة الحرية المسؤولة	3.05	1.51	1	متوسّط
12	يزوّد عضو هيئة التدريس الطالب بالمعارف والمهارات اللازمة لمواجهة تحديات المستقبل	2.96	1.15	2	متوسّط
8	يشجع عضو هيئة التدريس الطلبة على التآزر والعمل الجماعي وجها لوجه وعبر التكنولوجيا الاتصالية	2.93	1.43	3	متوسّط
7	يحفز عضو هيئة التدريس الطلبة على ممارسة التفكير الإبداعي	2.86	1.46	4	متوسّط
10	يوظف عضو هيئة التدريس الاستراتيجيات الحديثة في التدريس الجامعي	2.86	1.44	4	متوسّط
6	يشجع عضو هيئة التدريس الطلبة على عرض المادة التعليمية داخل المحاضرة باستخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة	2.82	1.37	5	متوسّط
2	يتيح عضو هيئة التدريس الحرية للطلبة في طرح الأسئلة داخل المحاضرات	2.73	1.19	7	متوسّط
4	يشجع عضو هيئة التدريس الطلبة على الحوار والمناقشة أثناء المحاضرة	2.71	1.19	8	متوسّط
5	يتقبل عضو هيئة التدريس أفكار الطلبة ويحترمها ويعمل على تحسينها	2.63	1.10	9	متوسّط
1	يبصر عضو هيئة التدريس الطلبة بمبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان على مستوى العالم	2.62	0.96	10	متوسّط
11	يقدر عضو هيئة التدريس الصفات المميزة في شخصيات الطلبة	2.51	1.18	11	متوسّط
3	يستخدم عضو هيئة التدريس الأسلوب التلقيني في تقديم المادة الدراسية باعتباره المالك الوحيد للمعرفة	2.44	1.01	12	متوسّط
	الدرجة الكلية	**2.76**	**0.95**		

يلاحظ من الجدول (8) أن واقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة في مجال دور عضو هيئة التدريس كان متوسّطا، إذ بلغ المتوسّط الحسابي (2.76) وانحراف معياري (0.95)، وجاءت فقرات هذا المجال في الدرجة المتوسّطة، إذ تراوحت

المتوسّطات الحسابية بين (3.05- 2.44)، وجاءت في الرتبة الأولى الفقرة (9) التي تنص على"يمثل عضو هيئة التدريس قدوة حسنة في ممارسة الحرية المسؤولة"، بمتوسّط حسابي (3.05) وانحراف معياري (1.51) وبدرجة متوسّطة، وفي الرتبة الثانية جاءت الفقرة (12) التي تنص على "يزوّد عضو هيئة التدريس الطالب بالمعارف والمهارات اللازمة لمواجهة تحديات المستقبل" بمتوسّط حسابي (2.96) وانحراف معياري (1.15) وبدرجة متوسّطة، وجاءت في الرتبة قبل الأخيرة الفقرة (11) التي تنص على "يقدر عضو هيئة التدريس الصفات المميزة في شخصيات الطلبة" بمتوسّط حسابي (2.51) وانحراف معياري (1.18)، وبدرجة متوسّطة، وجاءت في الرتبة الأخيرة الفقرة (3) التي تنص على "يستخدم عضو هيئة التدريس الأسلوب التلقيني في تقديم المادة الدراسية باعتباره المالك الوحيد للمعرفة" بمتوسّط حسابي (2.44) وانحراف معياري (1.01) وبدرجة متوسّطة.

مناقشة نتائج الدّراسة والتوصيات: فيما يلي عرضاً لمناقشة النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة من خلال الإجابة عن سؤالها، وعلى النحو الآتي:

مناقشة نتائج السؤال الأول: ما واقع دور الجامعات الأردنية الرّسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التّغيّر الاجتماعيّ من وجهة نظر الطلبة ؟ ظهرت نتائج التّحليل أن واقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة كان متوسّطاً، وجاء في الرّتبة الأولى مجال "دور نظام التقييم والعلامات"، وفي الرتبة الثانية جاء مجال "دور الأنشطة الطلابية"، وجاء في الرتبة قبل الأخيرة مجال "القبول الجامعي"، وجاء في الرتبة الأخيرة مجال " دور عضو هيئة التدريس الجامعيّ" وقد تعزى هذه النتيجة إلى غياب الاستقلالية الأكاديمية في مختلف كليات الجامعة ولدى العاملين فيها، وغياب الاستقلال المالي والإداري مما يقلل من القدرة على الإبداع، لأن هذا الأخير مرتبط ارتباطا جذريا بالحرية، فلا إبداع بدون حرية، لأن العقل المبدع يحتاج إلى التحرر من الضوابط، والحواجز التي تعيق حركة إبداعه، ونموه، وتطوره. أما بالنسبة لفقرات كل مجال فكانت النتائج على النحو الآتي:

1. دور نظام التقييم والعلامات: أظهرت نتائج التحليل أن واقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعيّ من وجهة نظر الطّلبة في مجال دور نظام التقييم والعلامات كان متوسّطاً، وجاءت في الرتبة الأولى الفقرة (9) التي تنص على" يسمح أستاذ المادة للطلبة مراجعة نتيجة تقييمهم"، وبدرجة مرتفعة، وفي الرتبة الثانية جاءت الفقرة (4) التي تنص على" يزود الامتحان الطلبة بطرائق جديدة للفهم والاستيعاب " وبدرجة متوسّطة، وجاءت في الرتبة قبل الأخيرة الفقرة (1) التي تنص على" تعتمد الجامعة استراتيجيات تقويم حديثة كالتقويم الواقعي والمعتمد على الأداء " وبدرجة منخفضة، وجاءت في الرتبة الأخيرة الفقرة (10) التي تنص على" يقدم أستاذ المادة تغذية راجعة مناسبة للطلبة بعد الامتحان." وبدرجة منخفضة. وقد تعزى هذه النتيجة إلى أن نظام التقييم والعلامات، يحدّ من استخدام وسائل التقييم الواقعي وتقييم الأداء الذاتي وكذلك يقلّل النظام من حريّة مدرس المادة في أن يُقرَّ أو يصيغ نظامًا فيه مساحة من الحرية في استخدام وسائل وأساليب أخرى بديلة للامتحانات وخصوصا في المساقات التي تناسبها طرق تقويم أخرى غير الامتحانات، وأن التأكيد على إبراز دور التقييم المؤسسي هو الأمر السائد، وبذلك يقلّ دور الخبرة والتجربة المهنية، وقد ترجع هذه النتيجة المتوسّطة إلى أن الطلبة لا يشاركون غالبًا في تقديم مقترحات بشأن نظام التقييم عند وضعه، وقد ترجع هذه النتيجة أيضا إلى أن الامتحانات

تركز على الحفظ أكثر من مهارات التفكير الأخرى من تحليل وتركيب وغيره ولا يركز نظام التقييم والعلامات ومحتوى الامتحانات بشكل كافٍ على مساعدة الطّلبة في حل المشكلات ومواجهة التحديات وزيادة وعيهم ونضج شخصياتهم.

2. دور الأنشطة الطلابية: أظهرت نتائج التحليل أن واقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة في مجال دور الأنشطة الطلابية كان متوسّطا، وجاءت في الرتبة الأولى الفقرة (16) التي تنص على"يقدم اتحاد الطلبة أنشطة تزيد من معرفة الطلبة بحقوقهم وواجباتهم"، وبدرجة متوسّطة، وفي الرتبة الثانية جاءت الفقرة (17) التي تنص على "يسهم اتحاد الطلبة في تنمية لغة الحوار بين الجهات المختلفة والطلبة" وبدرجة متوسّطة، وجاءت في الرتبة قبل الأخيرة الفقرة (2) التي تنص على"تُؤدي الندوات والمحاضرات دورا مميزاً في تنمية مقدرة الطلبة على الحوار" وبدرجة منخفضة، وجاءت في الرتبة الأخيرة الفقرة (9) التي تنص على "يؤخذ برأي الطلبة عند اختيار موضوعات الأنشطة الطلابية." وبدرجة منخفضة. وقد تعزى هذه النتيجة إلى أن إحداث هذا التغيير في الجامعات في مجال الأنشطة يتطلب تغييراً في مسار الحياة الدراسية، التي ينبغي أن تتضمن ممارسات عملية لكافة جوانب الحياة في المجتمع، ويمكن أن يتأتى ذلك من خلال توفير أنواع عديدة من الأنشطة يشترك الطلبة في اقتراحها واختيار أنشطة تزيد من خبراتهم وتصقل شخصياتهم وتكشف عن إبداعاتهم وتسهم في إتاحة الفرص لهم للمشاركة والاطلاع على التجارب العالمية والتطورات والتغيرات الحاصلة في مجال الأنشطة على مستوى العالم، لذلك يظهر عدم الاهتمام الكافي من قبل الطلبة بالأنشطة فبعضهم لا يحرصون على الحضور والمشاركة، وبعض طلاب الجامعات تنقضي فترات دراساتهم الجامعية دون أن يشاركوا في أي نوع من النشاط ولا يطلعون سوى على المقررات الدراسيّة ، وهؤلاء عادة ما يتخرجون من الجامعة دون تغيير حقيقي في بنائهم الفكري أو اهتمامهم الثقافي أو مهاراتهم ومقدراتهم العملية، وقد تكون الإمكانات البيئية سواء مادية كانت أم معنوية لممارسة الأنشطة كالمسارح والمكتبات والصالات الثقافية متوسّطة الإعداد والتجهيز في هذه الجامعات، أو تكون بعض هذه البنى او الخدمات، وغيرها المخصصة للأنشطة الطّلابية متاحة فقط أثناء الدوام الرسمي والذي يكون فيه الطلبة والأساتذة مشغولين بالمحاضرات مما يقلل فرص الاستفادة منها، بالإضافة إلى ما يسود الجامعة والمجتمع من حولها من اتجاهات تقليدية تولد الشعور لدى الأساتذة والطلاب على السواء بضعف عائد الأنشطة سواء العائد المعنوي أم المادي، وهذه النتيجة المتوسّطة تختلف مع نتيجة دراسة (الخراشي, 2004) التي جاءت منخفضة في مجال الأنشطة الطلابية متمثلة بعدم التعاون والمشاركة من قبل الطالب مع غيره, وعدم توفر الأدوات والمنشآت اللازمة لممارسة الأنشطة.

3. دور المقررات الدراسية:أظهرت نتائج التحليل أن واقع دور الجامعات الأردنية الرسمية في تعزيز التربية التّحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطلبة في مجال دور المقررات الدراسية كان متوسّطا، وجاءت في الرتبة الأولى الفقرة (13) التي تنص على"تتيح المقررات الجامعية فرص التعاون بين الطلبة بما يتناسب مع استراتيجيات التعليم الحديثة"، وبدرجة متوسّطة، وفي الرتبة الثانية جاءت الفقرة (12) التي تنص على " تراعي المقررات الجامعية الفروق الفردية بين الطلبة " وبدرجة متوسّطة، وجاءت في الرتبة قبل الأخيرة الفقرة (10) التي تنص على" تحتوي المقررات الجامعية على بنود لتقييمها من قبل الطلبة

" وبدرجة منخفضة، وجاءت في الرتبة الأخيرة الفقرة (1) التي تنص على "تتيح الجامعة للطلبة دراسة مقررات يرغبونها وبدرجة منخفضة. وقد تعزى هذه النتيجة إلى وجود مناهج تعليمية تقليدية تعتمد على الحفظ والتلقين كوسيلة وحيدة للتعلم، بعيدًا عن الاهتمام بوسائل وتقنيات التعليم الحديثة، مما أدى إلى تحويل الكثير من عمليات التعليم إلى واجب حفظي (لكمّ) من المعلومات، تسمح للطلبة بتجاوز سنوات الدّراسة، والحصول على الشهادة الجامعية لا أكثر، وهو ما أدى إلى اكتفاء بعض الطّلبة بجمع كمية من المعلومات ودراستها قبيل الامتحان بطريقة لا تتوافق مع أساليب التعليم والتعلّم الحديثة، . فالمحاضرات الجامعية تتوافر مطبوعة على هيئة ملخصات او ما يعرف (بالدّوسيّات)، لتباع للطلاب في المكتبات التجارية، دون رقابة ومسؤولية، مما أضر بمستوى التعليم الجامعي وجعله امتدادًا نمطيا للتعليم العام، ولا تهدف المقررات الدّراسية بصورة كافية الى إثارة الاهتمام الثقافي الذي يولد الإبداع الثقافي والعلمي، وبالرغم من أهمية المقررات التي ترسخ الثقافة العلمية التي يحتاج اليها طلبة الجامعات إلا أن تدريسها لا يحظى بالاهتمام المناسب، واختلفت نتائج الدراسة مع دراسة وطفه والشرع (2000) والتي جاءت بدرجة منخفضة فيما يتعلّق بدور المقررات الدّراسيّة ، إذ أظهرت أن المقررات الجامعية لا تؤدي دورها في بناء وعي ديمقراطي طلابيّ.

4. **دور القبول الجامعي:** أظهرت نتائج التحليل أن واقع دور الجامعات الأردنية الرّسمية في تعزيز التّربية التّحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطّلبة في مجال دور القبول الجامعي كان متوسّطا، وجاءت في الرّتبة الأولى الفقرة (5) التي تنص على"لا تشجع سياسات القبول على تفتح الديمقراطية بسب القبول الاستثنائي"، وبدرجة متوسّطة، وفي الرتبة الثانية جاءت الفقرة (5) التي تنص على "سياسات القبول الجامعي تأخذ بعين الاعتبار التغيرات التي تحدث في التعليم العالي على مستوى العالم" وبدرجة متوسّطة، وجاءت في الرتبة قبل الأخيرة الفقرة (1) التي تنص على "سياسات القبول في الجامعة متوافقة مع أهداف الجامعة المعلنة" وبدرجة متوسّطة، وجاءت في الرتبة الأخيرة الفقرة (2) التي تنص على "معايير قبول الطلبة في الجامعة واضحة ومحددة بدقة" وبدرجة متوسّطة.

وقد تعزى هذه النتيجة إلى أن سياسة القبول تقتضي تنسيب الطّلبة في التّخصصات الدّراسية في التّعليم العالي بعيدًا عن توجيه او إرشادٍ أكاديميّ كافٍ، وتأخذ بعين الاعتبار المعدّل النهائي دون النّظر في تفاوت مقدرة الطّلبة في مادة دون أخرى فعلى سبيل المثال الطّالب الحاصل على علامات في الفيزياء والرّياضيات أعلى من الكيمياء والأحياء يتم إرشاده وتوجيه إلى تخصصات الفيزياء والرياضيات والهندسة والطّالب الذي علاماته في الكيمياء والأحياء أعلى يوجه إلى التّخصصات المناسبة لمقدراته في الكيمياء والأحياء والطب والصيدله كون الكيمياء والأحياء أساسية فيها، وفي كلا الحالتين تؤخذ رغبة الطالب بعين الاعتبار كون الرغبة في التعليم تؤدي إلى الإبداع. وقد يكون هناك تكريس للاتجاهات النمطية التقليدية للأدوار المستقبلية المحددة ثقافيا للنوع الاجتماعي، فهو تنسيب يغلب عليه التنميط النوعي.. فعلى الرغم من زيادة التحاق الإناث في التعليم العالي، إلا أن بعض المجالات الدّراسية تظل خاصة بالذكور. وقد تعزى هذه النتيجة لسياسات القبول الاستثنائية، واعتماد معايير أو شروط أخرى غير الكفاءة والتميز في بعض الحالات، ولا تراعي حاجات الطلبة.

واختلفت هذه الدّراسة مع دراسة الكندري (2013) التي جاءت نتيجتها بدرجة مرتفعة بنسبة 73,2% إذ بينت تمتّع الطلبة بحرية اختيار الالتحاق بالكلية التي يرغبون والتخصص وفق مقدراتهم وميولهم مما يمكنهم من استثمار مقدراتهم ومهاراتهم في التخصص الذي يرغبون فيه.

5. **دور عضو هيئة التدريس:** أظهرت نتائج التحليل أن واقع دور الجامعات الأردنية الّرسمية في تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها في ظل التغير الاجتماعي من وجهة نظر الطّلبة في مجال دور عضو هيئة التدريس كان متوسّطا، وجاءت في الرتبة الأولى الفقرة (9) التي تنص على"يمثل عضو هيئة التدريس قدوة حسنة في ممارسة الحرية المسؤولة"، وبدرجة متوسّطة، وفي الرتبة الثانية جاءت الفقرة (12) التي تنص على "يزوّد عضو هيئة التدريس الطالب بالمعارف والمهارات اللازمة لمواجهة تحديات المستقبل" وبدرجة متوسّطة، وجاءت في الرتبة قبل الأخيرة الفقرة (11) التي تنص على "يقدر عضو هيئة التدريس الصفات المميزة في شخصيات الطلبة" وبدرجة متوسّطة، وجاءت في الرتبة الأخيرة الفقرة (3) التي تنص على "يستخدم عضو هيئة التدريس الأسلوب التلقيني في تقديم المادة الدراسية باعتباره المالك الوحيد للمعرفة" وبدرجة متوسّطة.

وقد تعزى هذه النتيجة إلى عدم وضوح النصوص المتعلقة بالحريات الأكاديمية لدى الجامعات في دساتيرها سواء في جانب الحريّة الأكاديميّة لأعضاء هيئة التّدريس أو في جانب الحريّة الأكاديميّة للطلبة، واختراق معايير اختيار أساتذة الجامعات وذلك بدخول الواسطة والمحسوبية _ في بعض الحالات _ وقد تعزى للتدخل من قبل أجهزة السلطة التنفيذية في السياسات المتصلة بتعيين أعضاء هيئة التدريس، وبذلك لا يكون التّميز العلمي هو المعيار وقد تعزى إلى خلو خطط بعض أعضاء هيئة التدريس من التطورات الحاصلة في العالم بالنسبة للمتعلمين كالنظريات والمخترعات في مجال العلم والتعليم، وقد تعزى أيضا هذه النتيجة إلى ممارسات سلطوية من قبل بعض أعضاء هيئة التدريس كقمع الطّالب وعدم السماح له بإبداء رأيه وعدم تشجيع الحوار داخل المحاضرة بين الطّلبة أنفسهم وبينهم وبين أستاذ المادة، واعتماد الأسلوب التلقيني في التدريس وعدم إدخال التكنولوجيا الحديثة التي تسمح بمزيد من التّواصل.

التوصيات: بعد استعراض نتائج الدّراسة فإنه من الضروري أن تركّز الجامعات وبصورة أكبر على تعزيز التربية التحررية لدى طلبتها لما لها من أهمية في حرية التعبير والحوار والاتصال والتواصل ودعم التعليم والتعلم، وإطلاق الطاقات الإبداعية التي تبني المجتمع وترفع شأن الأمة وتعد الجيل لمواجه التغيرات والاستفادة مما تحمله من إيجابيات وفي هذا المجال تم اقتراح التوصيات الآتية :

1-تثقيف الطّلبة في مفاهيم التربية التحررية والأسس التي تقوم عليها والممارسات التي تدعمها وذلك من خلال إدراجها في المساقات الدراسية والجلسات واللقاءات التثقيفية والصّحافة الجامعيّة.

2- إيلاء النشاط الطلابي أهمية كبيرة كونه يكشف عن ميولهم ومقدراتهم وإبداعاتهم ،وذلك من خلال تقديم خطة، ومقترحات مشتركة، للأنشطة وتعميمها على جميع الكليات وتوفير ما يلزم من دعم مادي ومعنوي لأكبر قدر من الأنشطة المنوعة، الّتي تلبي رغبات وميول الطّلبة وتظهر إبداعاتهم وتحقق إنتاجًا وإنجازًا على مستوى المجتمع والعالم.

3- مشاركة النشاط الطّلابي مع جامعات ومراكز خارج الجامعة وعلى مستوى عالمي من خلال العرض أو المسابقات أو التطوع وذلك لدعم الحوار والعمل المشترك بين الجامعات والمراكز البحثية بجو من الحرية والاستفادة من تجارب الآخرين.

4- التركيز على دور الأستاذ الجامعي في ترسيخ قيم ومبادئ التّربية التّحررية؛ كونه المؤثر والموجه والقدوة لطلاّبه وذلك من خلال أساليب التدريس المنوعة القائمة على الحوار والعمل الجماعي وتهيئة بيئة اتصالية مناسبة والتركيز على مهارات التفكير والكشف عن المبدعين وتشجيعهم ورعايتهم.

5- إعادة النّظر في نظام التقويم والامتحانات والعلامات بحيث يسمح للطلبة بالتعبير عن معرفتهم ويحدد مستوياتهم بدقة وواقعية ويكشف عن مهاراتهم ومقدراتهم بعيدا عن قياس مدى ما حفظوا من المادة الدّراسية وفي هذا المجال يجب الاطلاع على تجارب أخرى ناجحة تسهم في تحّرر العقل وتقدم مزيدا من المبدعين.

6- مراجعة شاملة ودقيقة لأسس القبول الجامعي بحيث تعتمد مبدأ العدالة وتكافؤ الفرص وتقوم على الكفاءة والتميز الأكاديمي بالدرجة الأولى.

7- ممارسة الديمقراطية من خلال البرلمانات الطّلابية بحيث تتم حملات واسعة من التوعية بالأسس العميقة للديمقراطية في الانتخابات والديمقراطية بصورة عامة.

8- تشكيل لجان من مختلف الشرائح طلبة أساتذة مسوؤلين خبراء أصحاب قرار أولياء أمور وذلك لدراسة المقترحات والدراسات المقدمة من الباحثين والخبراء فيما يتعلق بالتربية التّحرريّة وحريات التعليم بصورة عامة، ونقدها وتعديلها ودراسة إمكانية العمل بها ووضع خطة للعمل تشمل الإجراءات والزمن وأساليب الدعم المقترح ومصادره وتحديد فترة تجريبية ومراجعة دورية للتعديل والتحسين.

9- دعوة الباحثين لإجراء المزيد من الدراسات عن التربية التحرريّة.

قائمة المراجع:المراجع العربية

استيته، دلال ملحس وسرحان، عمر موسى (2008)، **التجديدات التربوية**، دار وائل للنشر، عمان، الأردن.

استيتية، دلال ملحس (2008)، **التغير الاجتماعي والثقافي**، عمان: دار وائل للطباعة والنشر.

تركي، عبد الفتاح (2004)، **تربية باولو فكاك من أثر الحتمية إلى رحابة الصيرورة**، المؤتمر السنوي الثاني لمركز تعليم الكبار(تقويم التجارب والجهود العربية في مجال محو الأمية وتعليم الكبار)، مصر، (429 ـ 242).

جاد، مبروك عبد العال (2005)، **النظرية التربوية عند باولو فريري**، ط 1، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر.

جعنيني، نعيم حبيب (2009)، **علم اجتماع التربية المعاصر**، عمان: دار وائل للنشر.

الخراشي, وليد عبدالعزيز (2004)، **دور الأنشطة الطلابية في تنمية المسؤولية الاجتماعية (دراسة ميدانية على عينة مختارة من طلاب جامعة الملك سعود**، رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الملك سعود. الرياض.

خضور، إبراهيم.(2009)، التّربية والتّغيّر الاجتماعي، **مجلة جامعة دمشق**، 25 (1)، دمشق، سوريا ،367_430.

الخوالدة ،محمد محمود (2010)، **مقدمة في التربية**، ط1 عمان: دار المسيرة للنشر.

سليمان، عرفات عبدالعزيز (1979)، **ديناميكية التربية في المجتمعات**، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية.

السنبل، عبد العزيز بن عبد الله (2009)، **البعد السياسي لحركة تعليم الكبار: منظور عالمي**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص:1-82.

السوالمة، وفاء (2000)، **تصورات طلبة جامعة اليرموك نحو الممارسات الديمقراطية لأعضاء هيئة التدريس فيها**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

الصالح، بدر عبد الله (2007) **المنظور الشامل للإصلاح المدرسي (إطار مقترح)**، مؤتمر الإصلاح التربوي تحديات وطموحات، جامعة الإمارات العربية المتحدة، دبي، الإمارات العربية المتحدة.

طبال، لطيفة (2012)، التّغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، ع (8)، حزيران، جامعة ورقلة، الجزائر: 406-428.

عرفه، صلاح الدّين محمود (2006)، **مفهومات المنهج الدّراسي والتنمية المتكاملة في مجتمع المعرفة**، عالم الكتب، القاهرة، مصر.

عمار،حامد (2004)،.**باولو فريري في ذكراه السابعة فيلسوف التربية للتحرر والأمل**. المؤتمر السنوي الثّاني لمركز، تقويم التّجارب والجهود العربية في مجال تعليم الكبار.

فريري، باولو (2005)، **آفاق تربوية متجددة المعلمون بناة ثقافة رسائل إلى الذين يتجاسرون على اتخاذ التدريس مهنة**، (ترجمة عمارحامد وآخرون)، الدار المصرية اللبنانية، مكتبة الأسرة.

الكندري، نبيلة يوسف (2013)، فرص الحرية الأكاديمية المتاحة للطلبة في جامعة الكويت، **مجلة العلوم التربوية**، (2)،81 ـ 105.

المعمري، سيف بن ناصر بن علي (2014)، التربية من أجل المواطنة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية: الواقع والتحديات، **مجلة رؤى استراتيجية**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، يوليو، ع (7): 38-61.

ناصر، إبراهيم عبدالله وشويحات، صفاء نعمة (2006)، **أسس التربية الوطنية**، الأردن: دار الرائد للنشر.

ناصر إبراهيم (2011)، علم الاجتماع التربوي، دار وائل للنشر ط1 عمان.

الهبوب، أحمد غالب (2012)، الجامعة وثقافة التغيير: دراسة تحليلية نقدية لواقع ثقافة التغيير في الجامعات اليمنية، **المؤتمر الدولي السابع عشر لجامعة فيلادلفيا**، 6-8 تشرين الثاني/ نوفمبر، عمان، الأردن

هياق، إبراهيم (2011)، **اتجاهات أساتذة التعليم المتوسّط نحو الإصلاح التربوي في الجزائر**: أساتذة متوسّطات أولاد جلال وسيدي خالد نموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.

وطفة، علي والشريع، سعد (2000)، الفعاليات الديمقراطية ومظاهرها في جامعة الكويت : آراء عينة من الطلاب وأعضاء هيئة التدريس في مستوى الأداء الديمقراطي لجامعة الكويت، **مجلة اتحاد الجامعات العربية**، ع (37) :142-181.

ثانياً : المراجع الأجنبية

Brooks, C.F., & Young., S.L.(2011). Are choice making opportunities needed in the classroom? Using self-determination theory to consider student motivation and learner empowerment. **International Journal of Teaching and Learning in Higher Education**. 23(1), 48_59

Erkan, S. (2011). **Change in Higher Education and a Core Value: Academic Freedom, Educational Administration: Theory and Practice**, Vol. 17, Issue 3, pp: 349-376.

Gottfredson, L,. S. (2010). **Lessons in academic freedom as lived experience, Personality and Individual Differences**, pp. 1-9.

درجة ممارسة الديمقراطية الرقمية ومتطلّبات تفعيلها في المؤسّسات التعليمية

(دراسة ميدانية على عيّنة من طلبة جامعة اليرموك)

د.هند سمعان إبراهيم الصمادي
كلية العلوم والآداب بالرس
جامعة القصيم / المملكة العربية السعودية

الملخص

هدفت الدراسة إلى معرفة درجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية من وجهة نظرهم، ومتطلبات تفعيلها في المؤسسات التعليمية، حيث قامت الباحثة بتطبيق أداة الدراسة على عينة مكونة من (385) طالب وطالبة تم اختيارهم بالطريقة الطبقية، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي .

وأسفرت نتائج الدراسة عن أن درجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية من وجهة نظرهم ، ومتطلبات تفعيلها في المؤسسات التعليمية جاءت بدرجة متوسّطة, ووجود فروق دالة إحصائيا لآثر متغير الجنس ولصالح الذكور, ولأثر السنة الدراسية لصالح السنة الرابعة، ولأثر عدد ساعات الاستخدام ولصالح أكثر من ثلاث ساعات في مجال درجة الممارسة، وعدم وجود فروق دالة إحصائيا لآثر متغير الجنس، ووجود فروق دالة إحصائيا لأثر متغير السنة الدراسية ولصالح السنة الرابعة, ولأثر عدد ساعات الاستخدام ولصالح أكثر من ثلاث ساعات في مجال متطلبات التفعيل، وأوصت الباحثة بإجراء دراسات مكثفة حول موضوع الديمقراطية الرقمية مع تناول أبعاد لم تتناولها الدراسة الحالية، وإلى تفعيل الممارسات المتعلقة بالديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية في الوطن العربي.

الكلمات المفتاحية : درجة ممارسة، الديمقراطية الرقمية، متطلبات، تفعيل، المؤسسات التعليمية.

Abstract:
The study aimed to identify the degree of digital democracy practicing and requirements of promoting it in the educational institutions. A random sample was chosen to represent the population, the study sample consisted of (385) students .The researcher used the descriptive and analytical approach.
Results revealed that degree of digital democracy practicing and requirements of promoting it in the educational institutions was moderate.Therefore, the researcher recommended conducting intensive studies about the digital democracy. Furthermore, the importance of taking further dimensions had not been addressed in the current study.
Key Words: Digital Democracy, Requirements, Educational Institutions, The Degree of Practicing، promoting .

مقدمة:

يعتبر دافيز (Davies,2012,10) أن الديمقراطية أصبحت الآن أجندة في كثير من دول العالم وبالأخص في العالم العربي، حيث ساهمت ثورات الربيع العربي وتوسع أطلس الانتفاضات الشعبية العربية بإحداث تحول ديمقراطي غير مشهود، يؤكد على قيم الحرية والمساواة، وغيرها من قيم الديمقراطية.

إن عدم قدرة الوسائط والمؤسسات التقليدية التي تقوم عليها الديمقراطية في العالم العربي للقيام بدورها كمحرك لتنشيط الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعجزها عن تحقيق أهدافها, وإخفاقها في تتويج المشروع النهضوي لبناء دولة ديمقراطية حديثة، وانعزالها عن الشارع السياسي ومتطلباته، و عدم قدرتها على القيام بدورها في التنشئة السياسية للشباب، جعلها تفقد الكثير من الثقة والمصداقية، الأمر الذي دفع الكثيرين للبحث عن البديل للتعبير عن آرائهم بدون رقابة وبدون قيود وهذا البديل هو الأنترنت (Andy، 2010). لقد قدمت الثورة التكنولوجية- في ظل ما تشهده المؤسسات السياسية التقليدية من معوقات وتحديات في سبيل القيام بأدوارها - طوق النجاة وبارقة الأمل في تحفيز القيم الديمقراطية من جديد, وتنشيط عمل المؤسسات الديمقراطية، والتأثير في طبيعة الممارسات الديمقراطية للأفراد، وسهولة الوصول للمعلومة وتوصيلها للجمهور دون تدخل السلطات العليا والجهات الضاغطة (Veena,2011).

وأمام التطور العلمي والتكنولوجي الذي يشهده العالم اليوم والذي فرض تغيير في الطريقة التي يفكر بها الإنسان، وفي أنماط سلوكه، أصبحنا أمام تغيير عميق فيما يتصل بنظم الاتصال وتبادل المعلومات ليس فقط على المستوى الدولي والمؤسساتي بل أيضا على المستوى الشخصي، الأمر الذي انعكس على الحياة السياسية، وأدى إلى ظهور ممارسات سياسية جديدة بأطر جديدة تتبع ذلك التغيير (الدهشان، 2012).

ولقد ساهمت وسائل الاتصال والإعلام الحديثة من مدونات ومنتديات وشبكات تواصل اجتماعية الكترونية من: وانس آب، وفيس بوك، وتويتر، ويوتيوب، وغيرها بدرجة كبيرة في ممارسة قيم الديمقراطية بكافة صورها، وذلك من خلال الترويج لقيم الديمقراطية وحث الناس على المشاركة السياسية الفاعلة من خلالها، حيث أصبحت للمواطنين كأداة للتعبير عن الرأي الحر، والمطالبة بالمساواة والعدالة دون تمييز، ومنبر للتواصل مع المسئولين والحكام، وساحة لتنظيم المناقشات مع قادة الأحزاب والسياسيين، بل وأصبحت أماكن لاستطلاعات الرأي العام، والية للانتخاب والتصويت والاحتجاج والعصيان المدني وغيرها, ووسيلة لترويج قيم العدالة الاجتماعية، و قبول التعددية السياسية (الغمراوي، 2010).

وتعد المؤسسات التربوية هي الوسيط الرئيسي لغرس الديمقراطية في أذهان الطلبة وسلوكهم، و ذلك بجعل مبدأ تكافؤ الفرص حقيقة فعلية قائمة على المساواة دون تمييز, فالتربية والديمقراطية متلازمتان، فلا تربية بلا ديمقراطية، ولا ديمقراطية بلا تربية (Ann& Angus,2010).

المؤسسات التعليمية هي إحدى أبرز مؤسسات التطبيع الاجتماعي في الإعداد للديمقراطية، فالديمقراطية في التعليم ليست مجرد شعار ولافتة، ولا تصريحات وردية بل هي ممارسات صريحة تفتح مساحتها للرأي والرأي الآخر, بدون نبذ وتهميش ومقاطعة وضغوط وتعالي لأحد على أحد لمجرد الطرح المختلف والرأي المغاير (Parker,2003). والجامعة هي إحدى أهم المؤسسات التعليمية التي تلعب دورا حيويا في بناء وغرس القيم الديمقراطية, وترجمة هذه القيم إلى ممارسات على أرض الواقع، من خلال القوانين والتعليمات والأنشطة التي تدعم وتسهم في إرساء مبدأ الحوار واحترام الرأي الآخر، وترسيخ قيم العدالة والمساواة والحرية (Reiger,2001). وفي ضوء الثورة الرقمية التي نشهدها أصبحت أحد أهم الأهداف التي تسعى الجامعة إلى تحقيقها هو إعداد المواطن الرقمي، الذي يوظف التقنية والوسائط الإلكترونية في الحصول على المعرفة من أجل مواكبة التغيرات التي تطرأ في حقول المعرفة، وفي فهم البيئة السياسية من حوله وما يجري فيها من

أحداث، والمشاركة فيها بشكل إيجابي، وفي التعبير عن رأيه واتجاهاته بمنتهى الحرية والشفافية (Hammett & Staethesi،2011). ولتفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية لابد من وجود مناخ ديمقراطي تستند عليه، أي بمعنى آخر لابد من وجود ديمقراطية تقليدية أصلا ليتم تحويلها إلى ديمقراطية رقمية، أضف إلى ذلك ضرورة توافر بنية تكنولوجية في تلك المؤسسات, وإلى ضرورة الوصول الرقمي لكافة أفرادها بلا استثناء من خلال توفير الوسائط الرقمية (الدهشان، 2012).

إن تفعيل الديمقراطية الرقمية في تلك المؤسسات يتطلب نشر ثقافة الديمقراطية الرقمية بين أبنائها، وتدريبهم على ممارستها من خلال إنشاء مواقع وصفحات الكترونية كتحرير صحيفة الكترونية على موقعها تسمح للطلبة بتبادل المعلومات مع الأساتذة والمسئولين في داخلها وخارجها، والتعبير عن آرائهم والمطالبة بحقوقهم (Glickman،2011).

مشكلة الدراسة: ويمكن بلورة مشكلة الدراسة بالأسئلة التالية:

1. ما درجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية من وجهة نظرهم؟

2.هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند (α =0.05(بين المتوسّطات الحسابية لدرجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية تعزى للمتغيرات التالية :(الجنس، السنة الدراسية, عدد ساعات الاستخدام يوميا)؟

3. ما هي متطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية؟

4. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند (α =0.05(بين المتوسّطات الحسابية لمتطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية تعزى للمتغيرات التالية :(الجنس، السنة الدراسية، عدد ساعات الاستخدام يوميا)؟

مصطلحات الدراسة:

الديمقراطية الرقمية: توظيف أدوات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الرقمية من مدونات ومنتديات الكترونية، وشبكات تواصل اجتماعي الكترونية كالفيس بوك، والتويتر، اليوتيوب، وغيرها في توليد وجمع وتصنيف وتحليل وتداول المعلومات والبيانات المتعلقة بممارسة قيم الديمقراطية وآلياتها المختلفة، بعض النظر عن قالبها الفكري ومدى انتشارها وسلامة مقاصدها وفاعليتها في تحقيق الأهداف بمعنى آخر ممارسة قيم الديمقراطية من حرية ومساواة وعدالة وغيرها من خلال الوسائط الالكترونية (غيطاس، 2006).

درجة ممارسة الديمقراطية الرقمية إجرائيا: هي الدرجة التي يحصل عليها الطلبة أفراد عينة الدراسة من خلال إجابتهم على أداة الدراسة.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى:

-التعرف على درجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية.

- التعرف على درجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية وعلاقاتها ببعض المتغيرات:(الجنس، السنة الدراسية، عدد ساعات الاستخدام للرقمية).

-التعرف على متطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية.

-التعرف على متطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية وعلاقاتها ببعض المتغيرات: (الجنس، السنة الدراسية، عدد ساعات الاستخدام للرقمية).

أهمية الدراسة: -تعد هذه الدراسة على حد علم الباحثة من الدراسات القليلة عالميا في تناولها موضوع ممارسة الديمقراطية الرقمية، والأولى من نوعها في تناولها متطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية.

-جاءت هذه الدراسة لتتناول موضوعا حيويا مواكبا للأحداث والثورات التي تشهدها الساحة العالمية بشكل عام، والساحة العربية بشكل خاصة، لذا ستشكل هذه الدراسة ونتائجها مادة اثرائية للمكتبات العالمية والعربية.

- تبرز أهمية هذه الدراسة من الدور الكبير الذي نشهده للوسائط الالكترونية على أرض الواقع في تشكيل الاتجاهات والقيم وتغيير المفاهيم السائدة بل تعد أحد الأدوات البارزة لتحريك دفة الحراك الاجتماعي والسياسي في المجتمعات.

حدود الدراسة:

-**الحدود البشرية**: اقتصرت الدراسة على طلبة جامعة اليرموك.

-**الحدود المكانية**: اقتصرت الدراسة على جامعة اليرموك في محافظة اربد في المملكة الأردنية الهاشمية .

-**الحدود الزمانية**: اقتصرت الدراسة على العام الجامعي2014-2015 .

-**الحدود الموضوعية**: اقتصرت الدراسة على دراسة درجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية ومتطلبات تفعيلها في المؤسسات التعليمية.

الدراسات السابقة:وتجدر الإشارة إلى ندرة الدراسات العربية والأجنبية التي تناولت موضوع ممارسة الديمقراطية الرقمية (الإلكترونية) ومتطلبات تفعيلها في المؤسسات التعليمية, ولذا قامت الباحثة بتناول الدراسات التي لها علاقة بالموضوع، وهي:

-أجرى كلا من محمد وهيونج (Mohammed & Hwang، 2008) دراسة بعنوان " نحو ديمقراطية الكترونية: الأردن كدراسة حالة ", حيث هدفت الدراسة إلى معرفة توجهات المواطنين الأردنيين نحو الديمقراطية الإلكترونية، واستخدمت الدراسة المنهج التحليلي للوثائق، وخلصت الدراسة إلى إن توجهات المواطنين الأردنيين تجاه الديمقراطية الإلكترونية متدنية، و أوصى الباحثان بضرورة تحويل الحكومات الأردنية نماذج الديمقراطية التقليدية إلى ديمقراطية الكترونية.

-أجرى كلا من أوزمو وكيريم (Ozlem & Kareem، 2010) دراسة بعنوان " تصورات معلمي قبل الخدمة بالدراسات الاجتماعية بجامعة مرمره التركية نحو الديمقراطية الإلكترونية ", حيث هدفت الدراسة إلى التعرف على تصورات معلمي قبل الخدمة بالدراسات الاجتماعية بجامعة مرمره التركية نحو الديمقراطية الإلكترونية، وتم إجراء مقابلة مع 7 من أفراد عينة الدراسة، ووجهت قائمة من الأسئلة للكشف عن تصوراتهم، و وزعت استبانة على (701) معلما، وجاءت التصورات بدرجة منخفضة، وأشارت الدراسة إلى أن الفجوة الرقمية بين المعلمين تعد العقبة في نشر ثقافة الديمقراطية الإلكترونية، وإلى عدم امتلاكهم الثقافة

الكافية للديمقراطية الإلكترونية، وأوصت الدراسة بضرورة إدماج ثقافة الديمقراطية الإلكترونية للمعلمين في تعليم ما قبل الخدمة.

-أجرى كانغ (Kang,2012) دراسة بعنوان "مقارنة ممارسات الديمقراطية الإلكترونية في أستراليا وكوريا الجنوبية", حيث هدفت الدراسة للمقارنة بين الممارسات الديمقراطية الإلكترونية في أستراليا وكوريا الجنوبية، واستخدم الباحث أساليب متعددة لجمع البيانات من تحليل وثائق، ومقابلات، وملاحظة بالمشاركة، حيث قام الباحث بتناول قضايا اجتماعية وكيفية تعاطي الحكومات معها وتأثير ذلك على اتجاهات المواطنين نحو الديمقراطية، و خلصت النتائج إلى ضعف الممارسات في كلا البلدين للديمقراطية الكترونية ، و خاصة في المواضيع والقضايا المحلية.

-أجرى الأنصاري (2012) دراسة بعنوان "تصور طلبة كلية التربية في جامعة الكويت للديمقراطية الرقمية داخل الجامعة"، حيث هدفت للتعرف على تصورات طلبة جامعة الكويت في كلية التربية للديمقراطية الرقمية داخل جامعتهم فقط أي في الفعاليات التعليمية من أراء تجاه المناهج التعليمية، أو الأساتذة، أو الأنشطة الطلابية، أو في الزملاء, أو في نظام الامتحانات. و قام الباحث بتطبيق أداة الدراسة على(400) طالب تم اختيارهم بالطريقة الطبقية، وخلصت الدراسة إلى أن تصورات الطلبة للديمقراطية الرقمية جاءت بدرجة منخفضة، وإلى عدم وجود فروق دالة لمتغير الجنس، والتخصص العلمي، والانتماء لأحد القوائم الطلابية.

-أجرى رمضان(2013) دراسة بعنوان "تصورات طلاب الدبلوم العام بجامعة الأزهر نحو الديمقراطية الإلكترونية ", حيث هدفت للتعرف على تصورات طلاب الدبلوم العام بجامعة الأزهر نحو الديمقراطية الإلكترونية, و بيان إذا ما كانت تصوراتهم تختلف باختلاف الجنس والمؤهل العلمي والتخصص الدراسي والحصول على دورات بالكمبيوتر، و تم بناء استبانة تم تطبيقها على (902) طالب وطالبة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، وخلصت النتائج إلى أن تصورات الطلبة لديمقراطية الإلكترونية جاءت إيجابية وبدرجة كبيرة، و إلى عدم وجود فروق دالة لتصوراتهم تعزى للمؤهل العلمي والتخصص الدراسي والحصول على دورات بالكمبيوتر, وجود فروق للجنس لصالح الإناث.

- كما أجرى سيركان (Serkan,2014) دراسة بعنوان " تطبيق الديمقراطية الإلكترونية: لا تجعل أحلامي تبقى مثالية فقط ", وتهدف إلى دراسة التطبيق الالكتروني"لا تجعل أحلامي تبقى مثالية فقط" وإلى جمع البيانات حوله وتحليلها ومناقشتها، و تم بناء التطبيق في ضوء الديمقراطية الإلكترونية من خلال استخدام الفيس بوك والتويتر، والهدف منه هو تطوير الأفكار التي من شأنها تعمل على تطوير التعليم الجامعي، ويتكون التطبيق من أربعة مراحل وهي: مرحلة إطلاق الأفكار، و مرحلة التفاعل على الأنترنت، ومرحلة التقييم، ومرحلة مشاركة النتائج، وخلصت الدراسة إلى ضعف ممارسة الديمقراطية الإلكترونية عبر وسائل مواقع التواصل الإلكتروني في مؤسسات التعليم العالي، وإلى عدم وجود فروق دالة إحصائيا لمتغير عدد ساعات استخدام الأنترنت.

ما يميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة :

-امتازت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة بتناولها موضوع ممارسة الديمقراطية الرقمية، بينما اكتفت بعض الدراسات السابقة بدراسة التصورات والاتجاهات نحو مفهوم الديمقراطية الرقمية كدراسة كلا من محمد وهيونج (Mohammed & Hwang،2008)، ودراسة أوزمو وكيريم (Ozlem & Kareem،2010)، ودراسة الأنصاري (2012)، ودراسة رمضان(2013).

- تختلف الدراسة الحالية عن دراسة كانغ (Kang,2012) التي تناولت ممارسة الديمقراطية الرقمية من قبل الحكومات وباستخدام منهج المقارنة، و تم استخدام المقابلة وتحليل الوثائق، والملاحظة بالمشاركة، وهذا يجعلها تختلف عن الدراسة الحالية.

- تختلف الدراسة الحالية عن دراسة سيركان (Serkan,2014) التي تناولت تطبيق الكتروني لتقيس فيه درجة ممارسة الديمقراطية الإلكترونية من خلال مواقع التواصل الإلكترونية.

- تختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة بدراسة متطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية، فهي الأولى من نوعها بتناولها هذا الموضوع.

- تختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة بتناولها لمتغيرات مختلفة لم تتناولها الدراسات السابقة.

الطريقة والإجراءات:

منهجية الدراسة: استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي القائم على جمع البيانات لمناسبته لأغراض الدراسة.

مجتمع الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من جميع طلاب وطالبات البكالوريوس في جامعة اليرموك المنتظمين بالدوام الرسمي للفصل الدراسي الثاني للسنة الدراسية 2014-2015، والبالغ عددهم (30197) طالبا وطالبة.

عينة الدراسة:تكونت عينة الدراسة من (385) طالبا وطالبة في جامعة اليرموك، وتم اختيارها بالطريقة الطبقية، وجدول (1(يبين ذلك.

جدول (1). التكرارات والنسب المئوية حسب متغيرات الدراسة

المتغير	الفئات	التكرار	النسبة
الجنس	ذكر	175	45.5
	أنثى	210	54.5
السنة الدراسية	الأولى	114	29.6
	الثانية	97	25.2
	الثالثة	79	20.5
	الرابعة	95	24.7
عدد ساعات الاستخدام يوميا للرقمية	أقل من ساعة	134	34.8
	من ساعة إلى ثلاث ساعات	106	27.5
	أكثر من ثلاث ساعات	145	37.7
المجموع		385	100.0

أداة الدراسة : اعتمدت الباحثة على الاستبانة كأداة لجمع المعلومات والبيانات فجاءت الاستبانة بعنوان "درجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية, ومتطلبات تفعيلها في المؤسسات التعليمية " ومر بناء الأداة بعدة مراحل، وهي: مراجعة الأدب النظري والدراسات السابقة التي اهتمت بالموضوع، ومناقشة جوانب مشكلة الدراسة الحالية مع بعض أعضاء الهيئة التدريسية للاستفادة من خبراتهم في تحديد مجالات

الأداة موضوع الدراسة، وتم إعداد الأداة بصورة أولية، وعرض الأداة على لجنة تحكيم من المختصين، وتعديلها بالصورة النهائية.

ثبات الأداة: قامت الباحثة باعتماد أكثر من طريقة لحساب ثبات الأداة فقد تم التحقق بطريقة الاختبار وإعادة الاختبار (test-retest) بتطبيق المقياس، وإعادة تطبيقه بعد أسبوعين على مجموعة من خارج عينة الدراسة مكوّنة من(40) ، ومن ثم تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين تقديراتهم في المرتين .وتم أيضاً حساب معامل الثبات بطريقة الاتساق الداخلي حسب معادلة كرونباخ ألفا، وجدول (2) يبين معامل الاتساق الداخلي وفق معادلة كرونباخ ألفا وثبات الإعادة.

جدول (2). معامل الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا وثبات الإعادة للمحاور

المجال	ثبات الإعادة	الاتساق الداخلي
درجة ممارسة الديمقراطية الرقمية	0.90	0.78
متطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية	0.88	0.81

صدق الأداة : قامت الباحثة بالتحقق من صدق الأداة بأنواعه التالية:

1-صدق البناء :قامت الباحثة بحساب علاقة الارتباط بين كل فقرة من فقرات كل مجال من مجالات الاستبانة بالدرجة الكلية للمجال.

2-صدق المحتوى: تم عرض الاستبانة بصورتها الأولية على عدد من المختصين من أعضاء هيئة التدريس لإبداء الملاحظات عليها وتم تعديلها بصورة النهائية.

متغيرات الدراسة :

1. المتغير المستقلّ: طلبة جامعة اليرموك، وله مستويات وهي :(الجنس، السنة الدراسية, عدد ساعات الاستخدام يوميا)؟

2 .المتغير التابع: استجابات طلاب وطالبات جامعة اليرموك على الأداة.

المعيار الإحصائي للأداة تم اعتماد سلم ليكرت الثلاثي لتصحيح أداة الدراسة بإعطاء كل فقرة من فقراته درجة واحدة من بين درجاته الثلاث(مرتفعة، متوسّطة، منخفضة)وهي تمثل رقمياً3 ،2 ، 1 على الترتيب، وقد تم اعتماد المقياس التالي لأغراض تحليل النتائج: من 1 إلى 1.66 **منخفضة**، ومن 1,67 إلى 2.33 **متوسّطة**، ومن 2,34 إلى 3 **مرتفعة**.

عرض النتائج:

السؤال الأول: ما درجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية من وجهة نظرهم؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية من وجهة نظرهم، والجدول أدناه يوضح ذلك.

جدول (3). المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات لدرجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية من وجهة نظرهم مرتبة تنازلياً حسب المتوسّطات الحسابية

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	2	أعرض وجهة نظري بموضوعية عبر الوسائط الإلكترونية في البرامج الانتخابية للمرشحين	2.66	.536	مرتفعة
2	1	أشارك في المناقشات السياسية أو الاجتماعية بشفافية عبر الوسائط الإلكترونية	2.39	.607	مرتفعة

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
3	13	أتخلى عن رأيي الشخصي عبر الوسائط الإلكترونية لصالح رأي الأغلبية	2.28	.724	متوسّطة
4	11	احترم جميع الآراء المطروحة عبر الوسائط الإلكترونية دون تمييز	2.26	.675	متوسّطة
5	12	أتقبل النقد المعارض لآرائي عبر الوسائط الإلكترونية بكل روح رياضية	2.22	.641	متوسّطة
6	14	أهتم بقضايا أبناء المجتمع التي تطرح عبر الوسائط الإلكترونية دون تحيز بغض النظر عن جنسهم أو عرقهم أو دينهم أو انتمائهم السياسي	2.15	.787	متوسّطة
7	3	أشارك في استطلاعات الرأي التي تنشر عبر الوسائط الإلكترونية	2.12	.658	متوسّطة
8	10	أبرز الممارسات والقضايا المسيئة لوطني كقضايا الفساد والرشاوى والمحسوبية وغيرها عبر الوسائط الإلكترونية	2.09	.599	متوسّطة
9	8	أنظم حملات تأييد أو احتجاج سلمية عبر الوسائط الإلكترونية	2.05	.713	متوسّطة
10	7	أشارك في الجمعيات التطوعية الخيرية الكترونيا	1.97	.686	متوسّطة
11	9	أبادر في إنشاء مواقع أو صفحات الكترونية تتبنى قضايا مجتمعية	1.86	.566	متوسّطة
12	6	أشارك في الاعتصامات السلمية عبر الوسائط الإلكترونية	1.74	.679	متوسّطة
13	4	أشارك في التصويت في الانتخابات الإلكترونية	1.69	.614	متوسّطة
14	5	أشارك بالانضمام إلى التنظيمات والأحزاب السياسية المعتدلة عبر الوسائط الإلكترونية	1.59	.648	منخفضة
		ممارسة الديمقراطية الرقمية ككل	2.08	.254	متوسّطة

يبين الجدول (3) أن المتوسّطات الحسابية قد تراوحت مابين (1.59-2.66)، حيث جاءت الفقرة رقم (2) والتي تنص على "أعرض وجهة نظري بموضوعية عبر الوسائط الإلكترونية في البرامج الانتخابية للمرشحين" في المرتبة الأولى وبمتوسّط حسابي بلغ (2.66)، بينما جاءت الفقرة رقم (5) ونصها "أشارك بالانضمام إلى التنظيمات والأحزاب السياسية المعتدلة عبر الوسائط الإلكترونية" بالمرتبة الأخيرة وبمتوسّط حسابي بلغ (1.59). وبلغ المتوسّط الحسابي لدرجة ممارسة الديمقراطية الرقمية ككل (2.08).

السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند (α=0.05) بين المتوسّطات الحسابية لدرجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية من وجهة نظرهم تعزى للمتغيرات التالية :(الجنس، السنة الدراسية, عدد ساعات الاستخدام يوميا)؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية من وجهة نظرهم حسب متغيرات:)الجنس، السنة الدراسية، عدد ساعات الاستخدام يوميا)، والجدول يوضح ذلك.

جدول رقم (4). المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية من وجهة نظرهم حسب متغيرات الجنس، والسنة الدراسية، وعدد ساعات الاستخدام يوميا

المتغير		المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	العدد
الجنس	ذكر	2.10	.249	175
	أنثى	2.06	.256	210
السنة الدراسية	الأولى	2.04	.268	114
	الثانية	2.05	.245	97
	الثالثة	2.08	.244	79

	الرابعة	2.15	.239	95
عدد ساعات الاستخدام يوميا	أقل من ساعة	2.01	.258	134
	من ساعة إلى ثلاث ساعات	2.07	.248	106
	أكثر من ثلاث ساعات	2.14	.239	145

يبين الجدول (4) تبايناً ظاهرياً في المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية من وجهة نظرهم بسبب اختلاف فئات متغيرات الجنس، والسنة الدراسية، وعدد ساعات الاستخدام يوميا ولبيان دلالة الفروق الإحصائية بين المتوسّطات الحسابية تم استخدام تحليل التباين الثلاثي جدول (5).

جدول رقم (5). تحليل التباين الثلاثي لأثر الجنس، والسنة الدراسية، وعدد ساعات الاستخدام يوميا على درجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسّط المربعات	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
الجنس	.228	1	.228	3.768	0.050
السنة الدراسية	.524	3	.175	2.894	0.035
ساعات الاستخدام	.842	2	.421	6.967	0.001
الخطأ	22.829	378	.060		
الكلي	24.716	384			

يتبين من الجدول (5) الآتي:

-وجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) تعزى لأثر الجنس، حيث بلغت قيمة ف 3.768 وبدلالة إحصائية بلغت 0.050، وجاءت الفروق لصالح الذكور.

-وجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) تعزى لأثر السنة الدراسية، حيث بلغت قيمة ف 2.894 وبدلالة إحصائية بلغت 0.035، ولبيان الفروق الزوجية الدالة إحصائيا بين المتوسّطات الحسابية تم استخدام المقارنات البعدية بطريقة شيفيه كما هو مبين في الجدول (6).

-وجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) تعزى لأثر ساعات الاستخدام، حيث بلغت قيمة ف 6.967 وبدلالة إحصائية بلغت 0.001، ولبيان الفروق الزوجية الدالة إحصائيا بين المتوسّطات الحسابية تم استخدام المقارنات البعدية بطريقة شيفيه كما هو مبين في الجدول (6).

جدول (6).المقارنات البعدية بطريقة شيفيه لأثر السنة الدراسية على درجة الممارسة

السنة الدراسية	المتوسّط الحسابي	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة
الأولى	2.04				
الثانية	2.05	.01			
الثالثة	2.08	.05	.03		
الرابعة	2.15	*.11	*.10	.07	

* دالة عند مستوى الدلالة (α=0.05).

يتبين من الجدول (6) وجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) بين الرابعة من جهة وكل من الأولى والثانية من جهة أخرى وجاءت الفروق لصالح الرابعة.

جدول (7). المقارنات البعدية بطريقة شيفيه لأثر عدد ساعات الاستخدام على درجة ممارسة

عدد ساعات الاستخدام	المتوسّط الحسابي	أقل من ساعة	من ساعة إلى ثلاث ساعات	أكثر من ثلاث ساعات
أقل من ساعة	2.01			

من ساعة إلى ثلاث ساعات	2.07	.06		
أكثر من ثلاث ساعات	2.14	*.13	.07	

* دالة عند مستوى الدلالة (α=0.05).

يتبين من الجدول (7) وجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) بين أقل من ساعة وأكثر من ثلاث ساعات وجاءت الفروق لصالح أكثر من ثلاث ساعات.

السؤال الثالث: ما هي متطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمتطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية، والجدول أدناه يوضح ذلك.

جدول (8). المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمتطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية مرتبة تنازلياً حسب المتوسّطات الحسابية

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	2	توفير مناخ ديمقراطي مناسب لإنشاء المجالس والاتحادات الطلابية لتعزيز مبادئ الديمقراطية كمبدأ الشورى والتعاون والعمل الجماعي	2.69	.507	مرتفعة
2	6	استبدال التقليدية في العلمية التعليمية وتبنى الرقمية من خلال توظيفها داخل العملية التعليمية لتشجيع الطلبة على مواكبة المستجدات من علوم ومعارف وأحداث	2.41	.592	مرتفعة
3	9	تفعيل عملية التصويت الإلكتروني من خلال مواقعها الإلكترونية أثناء انتخاب الاتحادات والبرلمانات الطلابية	2.32	.658	متوسّطة
4	5	توفير وصول الرقمية داخل المؤسسات التعليمية للجميع بلا استثناء	2.26	.641	متوسّطة
5	1	اعتماد أساليب التعليم التي تنمي التفكير الناقد والإبداعي	2.23	.641	متوسّطة
6	10	إتاحة الفرصة للطلبة لممارسة الأنشطة التي يرغبونها داخل وخارج المؤسسة التعليمية	2.21	.781	متوسّطة
7	14	تضمين المناهج التعليمية بمفاهيم الديمقراطية وأساليب ممارستها	2.14	.503	متوسّطة
8	4	تفعيل المنتديات والمدونات وشبكات التواصل الاجتماعي الإلكترونية لمناقشة قضايا مجتمعية سياسة أو اجتماعية	2.11	.663	متوسّطة
9	3	تنظيم ندوات تثقيفية لتعريف الطلبة بقضايا لها صلة كبيرة بالديمقراطية كالمساواة والعدالة الاجتماعية والمشاركة السياسية وغيرها من القضايا	2.08	.741	متوسّطة
10	13	ممارسة أنماط إدارية مرنة بعيدة عن السلطوية داخل المؤسسة التعليمية	1.97	.763	متوسّطة
11	11	إتاحة الفرصة للطلبة بمناقشة القوانين والتعليمات في المؤسسات التعليمية والمشاركة في وضعها	1.88	.495	متوسّطة
12	8	تصميم مواقع وصفحات الكترونية خاصة بالمؤسسات التعليمية تتناول القضايا التعليمية وتسمح للطلبة والأساتذة وأولياء الأمر التواصل لتبادل الآراء والخبرات	1.84	.830	متوسّطة
13	12	المساواة في التعامل مع الطلبة وعدم التمييز بينهم تبعا لجنسهم أو لدينهم أو لانتماءاتهم السياسية	1.82	.672	متوسّطة
14	7	إزالة الفجوة الرقمية بين الطلبة من خلال إقامة دورات تعليمية لاستخدام الوسائط الإلكترونية كإنشاء موقع أو صفحة الكترونية	1.75	.552	متوسّطة
		متطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية	2.12	.247	متوسّطة

يبين الجدول (8) إن المتوسّطات الحسابية قد تراوحت مابين (1.75-2.69)، حيث جاءت الفقرة رقم (2) والتي تنص على "توفير مناخ ديمقراطي مناسب لإنشاء المجالس والاتحادات الطلابية لتعزيز مبادئ الديمقراطية كمبدأ الشورى والتعاون والعمل الجماعي " في المرتبة الأولى وبمتوسّط حسابي بلغ (2.69)، بينما جاءت الفقرة رقم (7) ونصها "إزالة الفجوة الرقمية بين الطلبة من خلال إقامة دورات تعليمية لاستخدام الوسائط

الإلكترونية كإنشاء موقع أو صفحة الكترونية " بالمرتبة الأخيرة وبمتوسّط حسابي بلغ (1.75).وبلغ المتوسّط الحسابي لمتطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية ككل (2.12).

السؤال الرابع: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند (α=0.05) بين المتوسّطات الحسابية لمتطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية تعزى للمتغيرات التالية :(الجنس، السنة الدراسية, عدد ساعات الاستخدام يوميا)؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمتطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية حسب متغيرات الجنس، والسنة الدراسية، وعدد ساعات الاستخدام يوميا والجدول أدناه يبين ذلك.

جدول رقم (9). المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمتطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية حسب متغيرات الجنس، والسنة الدراسية، وعدد ساعات الاستخدام يوميا

المتغير		المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	العدد
الجنس	ذكر	2.13	.246	175
	أنثى	2.11	.249	210
السنة الدراسية	الأولى	2.07	.251	114
	الثانية	2.10	.244	97
	الثالثة	2.15	.254	79
	الرابعة	2.17	.229	95
عدد ساعات الاستخدام يوميا	أقل من ساعة	2.04	.242	134
	من ساعة إلى ثلاث ساعات	2.14	.249	106
	أكثر من ثلاث ساعات	2.18	.231	145

يبين الجدول (9) تبايناً ظاهرياً في المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمتطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية بسبب اختلاف فئات متغيرات الجنس، والسنة الدراسية، وعدد ساعات الاستخدام يوميا ولبيان دلالة الفروق الإحصائية بين المتوسّطات الحسابية تم استخدام تحليل التباين الثلاثي جدول (10).

جدول رقم (10).تحليل التباين الثلاثي لأثر الجنس، والسنة الدراسية، وعدد ساعات الاستخدام يوميا على متطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسّط المربعات	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
الجنس	.076	1	.076	1.342	0.247
السنة الدراسية	.465	3	.155	2.723	0.044
عدد ساعات الاستخدام يوميا	1.171	2	.585	10.282	0.000
الخطأ	21.518	378	.057		
الكلي	23.460	384			

يتبين من الجدول (10) الآتي:

-عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) تعزى لأثر الجنس، حيث بلغت قيمة ف 1.342 وبدلالة إحصائية بلغت 0.247.

-وجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) تعزى لأثر السنة الدراسية، حيث بلغت قيمة ف 2.723 وبدلالة إحصائية بلغت 0.044، ولبيان الفروق الزوجية الدالة إحصائيا بين المتوسّطات الحسابية تم استخدام المقارنات البعدية بطريقة شيفيه كما هو مبين في الجدول (11).

-وجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) تعزى لأثر عدد ساعات الاستخدام يوميا، حيث بلغت قيمة ف 10.282 وبدلالة إحصائية بلغت 0.000، ولبيان الفروق الزوجية الدالة إحصائيا بين المتوسّطات الحسابية تم استخدام المقارنات البعدية بطريقة شيفيه كما هو مبين في الجدول (12).

جدول (11). المقارنات البعدية بطريقة شيفيه لأثر السنة الدراسية على متطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية

	المتوسّط الحسابي	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة
الأولى	2.07				
الثانية	2.10	.03			
الثالثة	2.15	.08	.05		
الرابعة	2.17	*.10	.07	.02	

* دالة عند مستوى الدلالة (α=0.05).

يتبين من الجدول (11) وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الأولى والرابعة وجاءت لصالح الرابعة.

جدول (12). المقارنات البعدية بطريقة شيفيه لأثر عدد ساعات الاستخدام يوميا على متطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية

	المتوسّط الحسابي	أقل من ساعة	من ساعة إلى ثلاث ساعات	أكثر من ثلاث ساعات
أقل من ساعة	2.04			
من ساعة إلى ثلاث ساعات	2.14	*.10		
أكثر من ثلاث ساعات	2.18	*.14	.04	

* دالة عند مستوى الدلالة (α=0.05).

يتبين من الجدول (12) وجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) بين أقل من ساعة من جهة وكل من ساعة إلى ثلاث ساعات وأكثر من ثلاث ساعات من جهة أخرى وجاءت الفروق لصالح أكثر من ثلاث ساعات.

مناقشة نتائج الدراسة:

مناقشة نتيجة السؤال الأول: ما درجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية؟

تم استخراج المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية، حيث تراوحت المتوسّطات الحسابية مابين (1.59-2.66)، حيث جاءت الفقرة رقم (2) والتي تنص على "أعرض وجهة نظري بموضوعية عبر الوسائط الإلكترونية في البرامج الانتخابية للمرشحين" في المرتبة الأولى وبمتوسّط حسابي بلغ (2.66) أي بدرجة مرتفعة, وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى مقدار الوعي المرتفع الذي يتمتع به الطالب الجامعي فهو يدرك بأن وجهة نظره في البرامج الانتخابية للمرشحين ستعمل على تعديل السلبي منها وتعزيز الإيجابي فيها، بالإضافة إلى أن مميزات الوسائط الإلكترونية تساعد الفرد على إبداء رأيه بشفافية تحت أسماء مستعارة.

بينما جاءت الفقرة رقم (5) ونصها "أشارك بالانضمام إلى التنظيمات والأحزاب السياسية المعتدلة عبر الوسائط الإلكترونية" بالمرتبة الأخيرة وبمتوسّط حسابي بلغ (1.59) أي بدرجة منخفضة, وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى عدة أسباب أبرزها ثقافة الخوف التي نشأ عليها الطالب من الانضمام إلى الأحزاب السياسية، وإلى أزمة الثقة بين المواطن والأحزاب السياسية، فسلبية الكثير من الأحزاب، وانعزالها عن الشارع السياسي ومتطلباته، وعدم قدرتها على المطالبة باحتياجات المواطنين, وعدم وضوح برامجها جعلها تفقد الكثير من الثقة والمصداقية، وبلغ المتوسّط الحسابي لدرجة ممارسة الديمقراطية الرقمية ككل (2.08) أي بدرجة متوسّطة، وهذه النتيجة مقبولة نوعا ما، وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى أن تجربة الديمقراطية الرقمية في البلاد العربية حديثة العهد وما زالت تحتاج إلى نضج، أضف إلى ذلك أن الطالب الجامعي قد يمارس الديمقراطية بشكلها التقليدي بعيد عن الرقمية.

وتختلف هذه الدراسة في نتيجتها مع دراسة سيركان (Serkan,2014)، ودراسة كانغ (Kang,2012) حيث جاءت درجة ممارسة الديمقراطية الرقمية بدرجة ضعيفة.

مناقشة نتيجة السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند (α =0.05) بين المتوسّطات الحسابية لدرجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية من وجهة نظرهم تعزى للمتغيرات التالية:(الجنس، السنة الدراسية, عدد ساعات الاستخدام يوميا)؟

تم استخراج المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة ممارسة طلبة جامعة اليرموك للديمقراطية الرقمية من وجهة نظرهم حسب متغيرات:)الجنس، السنة الدراسية، عدد ساعات الاستخدام يوميا)، حيث: وجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) تعزى لأثر الجنس لصالح الذكور، وتعزو الباحثة ذلك إلى أن المجتمع الأردني كأي مجتمع عربي شرقي ذكوري يمنح للذكور فرصة أكبر في ممارسة الأنشطة واكتساب الخبرات والمعارف أكثر من الإناث، فطبيعة تنشئة الذكور في تلك المجتمعات تختلف عن الإناث، وهذا الأمر له تأثير كبير على درجة ممارستهن للديمقراطية.

ووجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) تعزى لأثر السنة الدراسية لصالح السنة الرابعة، وتعزو الباحثة ذلك إلى أن طلبة السنة الرابعة أكثر وعيا ونضجا وممارسة لمبادئ الديمقراطية الرقمية من طلبة السنة الأولى والثانية والثالثة، وذلك بحكم عدد السنوات الدراسية التي قضوها على المقاعد الدراسية تعرضوا من خلالها لخبرات ومواقف تعليمية منهجية وغير منهجية سواء من خلال المقررات الدراسية أو من خلال تفاعلهم مع أساتذتهم وزملائهم داخل البيئة الجامعية وخارجها، فكل سنة دراسية تمر على الطالب الجامعي تزيد من مقدار خبراته وترفع من مستوى نضجه وتعمق معرفته لحقوقه وواجباته، حيث يصبح قادرا على التعبير عن رأيه بحريه وممارسة الديمقراطية بشكل أكبر.

ووجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=0.05) تعزى لأثر عدد ساعات الاستخدام ولصالح أكثر من ثلاث ساعات، وتعزو الباحثة ذلك إلى أن من يستخدم الرقمية لساعات أكثر من غيره يتمكن من ممارسة الديمقراطية بشكل أكبر, فالديمقراطية الرقمية تعني توظيف الرقمية من خلال التفاعل مع الآخرين واحترام الرأي والرأي الآخر وتقبل التعددية والإعلان عن وجهة النظر حول القضايا الاجتماعية والسياسية وغير ذلك، فكلما زادت عدد ساعات التفاعل على الوسائط الرقمية زادت الممارسة للديمقراطية الرقمية.

و تختلف هذه الدراسة في نتيجتها مع دراسة سيركان (Serkan,2014)، والتي خلصت إلى عدم وجود فروق دالة إحصائيا لمتغير عدد ساعات استخدام الإنترنت.

مناقشة نتيجة السؤال الثالث: ما هي متطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية؟

تم استخراج المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمتطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية، وتبين إن المتوسّطات الحسابية قد تراوحت مابين (1.75-2.69)، حيث جاءت الفقرة رقم (2) والتي تنص على "توفير مناخ ديمقراطي مناسب لإنشاء المجالس والاتحادات الطلابية لتعزيز مبادئ الديمقراطية كمبدأ الشورى والتعاون والعمل الجماعي " في المرتبة الأولى وبمتوسّط حسابي بلغ (2.69), وتعزو الباحثة ذلك إلى أن مقدار الحرية التي تتمتع به الاتحادات والمجالس الطلابية في الجامعات ما زال محدودا، لذا يرى أفراد عينة الدراسة أن توفير المناخ الديمقراطي للاتحادات والمجالس الطلابية أهم متطلب لتفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية.

بينما جاءت الفقرة رقم (7) ونصها "إزالة الفجوة الرقمية بين الطلبة من خلال إقامة دورات تعليمية لاستخدام الوسائط الإلكترونية كإنشاء موقع أو صفحة الكترونية " بالمرتبة الأخيرة وبمتوسّط حسابي بلغ (1.75)، وتعزو الباحثة ذلك إلى أن أفراد عينة الدراسة الذين أجابوا على هذه الفقرة يعتقدون أنه لا وجود للأمية الرقمية، وأن إزالة الفجوة الرقمية ليس متطلب أساسي في البيئة الجامعية، فمهارة استخدام الوسائط الرقمية هي مهارة يمتلكها الجميع، وبلغ المتوسّط الحسابي لمتطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية ككل (2.12)، وهذه الدرجة مقبولة, وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى أهمية تلك المتطلبات لتفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية من وجهة نظر الطلبة، وهذه النتيجة تدلل على تعطش الطلبة لتفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية.

و تجدر الإشارة بأن هذه النتيجة التي توصلت إليها الدراسة الحالية لم تتفق ولم تختلف مع نتائج الدراسات السابقة، لعدم تناول الدراسات السابقة متطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية.

مناقشة نتيجة السؤال الرابع:هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند (α=0.05(بين المتوسّطات الحسابية لمتطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية تعزى للمتغيرات التالية : (الجنس، السنة الدراسية, عدد ساعات الاستخدام يوميا)؟

تم استخراج المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمتطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية حسب متغيرات الجنس، والسنة الدراسية، وعدد ساعات الاستخدام يوميا، وتبين:

عدم وجود فروق دالة إحصائيا لأثر متغير الجنس، وتعزو الباحثة ذلك إلى إيمان الطلبة من كلا الجنسين ذكورا وإناثا بأهمية المتطلبات المقترحة لتفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية، فالطلبة من كلا الجنسين يعيشون في بيئة تعليمية واحدة يحتاجون فيها لتفعيل الديمقراطية بكافة أنواعها.

وإلى وجود فروق دالة إحصائيا لمتغير السنة الدراسية ولصالح السنة الرابع، وتعزو الباحثة ذلك إلى أن طلبة السنة الرابعة هم أكثر احتكاكا وخبرة، وهم أقدر على تقييم المتطلبات اللازمة لتفعيل الديمقراطية الرقمية في جامعتهم، وذلك بحكم عدد السنوات الدراسية التي قضوها على المقاعد الدراسة.

وإلى وجود فروق دالة إحصائيا لمتغير عدد ساعات الاستخدام ولصالح أكثر من ثلاث ساعات, وتعزو الباحثة ذلك إلى أنه الطلبة الذين يستخدمون تلك الوسائط الرقمية بعدد ساعات أكثر يستطيعون أن يلمسوا ويستشعروا أهمية تلك الوسائط الرقمية وضرورة تفعيلها في الحياة الجامعية أكثر من غيرهم، لذا جاءت متطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية لصالحهم.

و تجدر الإشارة بأن هذه النتيجة التي توصلت إليها الدراسة الحالية لم تتفق ولم تختلف مع نتائج الدراسات السابقة، لعدم تناول الدراسات السابقة متطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية.

التوصيات:

- تبني نتائج الدراسة الحالية والاستفادة منها للنهوض بالواقع.
- إجراء المزيد من الدراسات المكثفة الكمية والنوعية حول موضوع الديمقراطية الرقمية لقلة تناوله في الدراسات العربية، علما بأننا بأمس الحاجة في العالم العربي لمثل هذه الدراسات.
- تفعيل الممارسات المتعلقة بالديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية من خلال إنشائها صفحات ومواقع الكترونية خاصة بها للتواصل مع طلبتها والعاملين فيها.
-ضرورة تضمين المناهج التعليمية لمفاهيم الديمقراطية الرقمية وأساليب وطرق تفعيلها على أرض الواقع.
-ضرورة الوصول الرقمي للجميع في المؤسسات التعليمية بلا استثناء.
- عقد دورات تدريبية لتمكين الطلبة وأساتذتهم من توظيف الرقمية بشكل فاعل لتحقيق مبادئ الديمقراطية.

قائمة المراجع:المراجع العربية:

الأنصاري، عيسى (2012). تصورات طلبة كلية التربية بجامعة الكويت للديمقراطية الرقمية داخل الجامعة. *مجلة العلوم التربوية، 2*(2)، 226-167.

الدهشان، جمال (2014). *دور تكنولوجيا المعلومات في دعم التحولات الديمقراطية "الديمقراطية الرقمية أنموذجا"*, ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر العلمي الرابع تحت عنوان التربية وبناء الإنسان في ظل التحولات الديمقراطية. كلية التربية، جامعة المنوفية، المنعقد في 29/4/2014 حتى 30/4/2014.

رمضان، محمود (2013). تصورات طلاب الدبلوم العام في كلية التربية للديمقراطية الرقمية. *مجلة البحوث النفسية والتربوية، 2*(25)، 203-187.

الغمراوي، أحمد (2010). المدونات نوافذ جديدة للمشاركة والتغيير، دراسة تحليلية لمضمون عينة من المدونات المصرية خلال عام 2009, *مجلة السلام للتنمية وحقوق الإنسان، 4*(23)، 38-23.

غيطاس، جمال (2006). *الديمقراطية الرقمية*. القاهرة: دار نهضة مصر.

المراجع الأجنبية:

Andy،W.(2010). A model for emergent citizen focused local e-Democracy.Assessing the impact of information and communication technology in facilitating the democratic process in New Zealand. *Annual Review of Political Science, 7*(1), 315-344.

Ann، M.,& Angus،W.(2010). Electronic Democracy and Educating young people. *Annual of Political Science،7*(1),230-247.

Davis،R.(2012). Editorial does democracy in education still live. *Journal of Curriculum and Supervision،19*(1), 1-4.

Glickman, C. (1998). Revolution, education, and the practice of democracy. *The Educational Forum*, *63*(1), 16-122.
Hammett،D., & Staethesi،T. (2011). Respect and Responsibility. *International Journal of Educational Development.34*(3)،296-278.
Kang, J.(2012).*A comparative study of e-democracy practices in Australia and in South Korea*،Unpublished master thesis, Canberra university, Australia.
Mohammed, E., & Hwang،T.(2008). Approaching e-democracy: A Case Study Analysis from Jordan. *British Journal of Political*،*14*(7),45-53.
Ozlem, E., & Kerem، C. (2010). The opinions of the pre-service teachers about e-democracy in Turkey. *Proscenia Social and Behavioral Sciences*, *2*(2), 712–716.
Parker،W.(2003). *Teaching Democracy:Unity and Diversity in Public Life*. New York: Teacher collage press.
Reiger, R.(2001).Graduating seniors make democracy become alive by evaluating their high school program. *Education*، *121*(4), 839-842.
Serkan، Ş. (2014). E-democracy application: Do not let my dreams of an ideal university stay only in my dreams. *International Journal on New Trends in Education*، 5 (9),320-322.
Veena،R.(2011). *Information Technology and Participatory Democracy:a case study of Bangalore city*،Unpublished master thesis،Pennsylvania university.

الاستبانة

عزيزي /عزيزتي الطالب \ ة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد:

تقوم الباحثة بإجراء دراسة بعنوان " درجة ممارسة الديمقراطية الرقمية و متطلبات تفعيلها في المؤسسات التعليمية (دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة اليرموك) " .

وتسعى الباحثة من خلال أداة الدراسة التي بين أيديكم للتعرف على درجة ممارسة الديمقراطية الرقمية و متطلبات تفعيلها في المؤسسات التعليمية من وجهة نظر طلبة جامعة اليرموك .

وستكون الإجابة بمشيئة الله عن فقرات الاستبانة وفقا لمقياس ليكرت الثلاثي على النحو التالي :بدرجة عالية ,بدرجة متوسّطة ,بدرجة منخفضة.

أولا :البيانات الأساسية :

فضلاً ضع علامة (√) أمام الاختيار المناسب:

1- الجنس : - ذكر - أنثى

2 -السنة الدراسية : - الأولى - الثانية - الثالثة - الرابعة

3-عدد ساعات الاستخدام يوميا :

- أقل من ساعة - ساعة إلى 3 ساعات - أكثر من 3 ساعات

ثانيا : درجة ممارسة الديمقراطية الرقمية , و متطلبات تفعيلها في المؤسسات التعليمية :

م	ممارسة الديمقراطية الرقمية	بدرجة عالية	بدرجة متوسّطة	بدرجة منخفضة
1	أشارك في المناقشات السياسية أو الاجتماعية بشفافية عبر الوسائط الإلكترونية			
2	أعرض وجهة نظري بموضوعية عبر الوسائط الإلكترونية في البرامج الانتخابية للمرشحين			
3	أشارك في استطلاعات الرأي التي تنشر عبر الوسائط الإلكترونية			
4	أشارك في التصويت في الانتخابات الإلكترونية			
5	أشارك بالانضمام إلى التنظيمات و الأحزاب السياسية المعتدلة عبر الوسائط الإلكترونية			
6	أشارك في الاعتصامات السلمية عبر الوسائط الإلكترونية			
7	أشارك في الجمعيات التطوعية الخيرية الكترونيا			
8	أنظم حملات تأييد أو احتجاج سلمية عبر الوسائط الإلكترونية			
9	أبادر في إنشاء مواقع أو صفحات الكترونية تتبنى قضايا مجتمعية			
10	أبرز الممارسات و القضايا المسيئة لوطني كقضايا الفساد و الرشاوى والمحسوبية و غيرها عبر الوسائط الإلكترونية			
11	احترم جميع الآراء المطروحة عبر الوسائط الإلكترونية دون تمييز			
12	أتقبل النقد المعارض لآرائي عبر الوسائط الإلكترونية بكل روح رياضية			
13	أتخلى عن رأيي الشخصي عبر الوسائط الإلكترونية لصالح رأي الأغلبية			
14	أهتم بقضايا أبناء المجتمع التي تطرح عبر الوسائط الإلكترونية دون تحيز بغض النظر عن جنسهم أو عرقهم أو دينهم أو انتمائهم السياسي			
	متطلبات تفعيل الديمقراطية الرقمية في المؤسسات التعليمية			

1	اعتماد أساليب التعليم التي تنمي التفكير الناقد و الإبداعي			
2	توفير مناخ ديمقراطي مناسب لإنشاء المجالس و الاتحادات الطلابية لتعزيز مبادئ الديمقراطية كمبدأ الشورى و التعاون و العمل الجماعي			
3	تنظيم ندوات تثقيفية لتعريف الطلبة بقضايا لها صلة كبيرة بالديمقراطية كالمساواة و العدالة الاجتماعية و المشاركة السياسية و غيرها من القضايا			
4	تفعيل المنتديات و المدونات و شبكات التواصل الاجتماعي الإلكترونية لمناقشة قضايا مجتمعية سياسة أو اجتماعية			
5	توفير وصول الرقمية داخل المؤسسات التعليمية للجميع بلا استثناء			
6	استبدال التقليدية في العلمية التعليمية و تبنى الرقمية من خلال توظيفها داخل العملية التعليمية لتشجيع الطلبة على مواكبة المستجدات من علوم و معارف و أحداث			
7	إزالة الفجوة الرقمية بين الطلبة من خلال إقامة دورات تعليمية لاستخدام الوسائط الإلكترونية كإنشاء موقع أو صفحة الكترونية			
8	تصميم مواقع و صفحات الكترونية خاصة بالمؤسسات التعليمية تتناول القضايا التعليمية و تسمح للطلبة و الأساتذة و أولياء الأمر التواصل لتبادل الآراء و الخبرات			
9	تفعيل عملية التصويت الإلكتروني من خلال مواقعها الإلكترونية أثناء انتخاب الاتحادات و البرلمانات الطلابية			
10	إتاحة الفرصة للطلبة لممارسة الأنشطة التي يرغبونها داخل و خارج المؤسسة التعليمية			
11	إتاحة الفرصة للطلبة بمناقشة القوانين و التعليمات في المؤسسات التعليمية و المشاركة في وضعها			
12	المساواة في التعامل مع الطلبة و عدم التمييز بينهم تبعا لجنسهم أو لدينهم أو لانتماءاتهم السياسية			
13	ممارسة أنماط إدارية مرنة بعيدة عن السلطوية داخل المؤسسة التعليمية			
14	تضمين المناهج التعليمية بمفاهيم الديمقراطية و أساليب ممارستها			

هذا وتقبلوا تحياتي وتقديري .

الباحثة : د.هند سمعان إبراهيم الصمادي.

أستاذ أصول التربية المساعد _ جامعة القصيم

الإسهامات الثقافية والفكرية لمهاجري بني مزاب بتونس العاصمة

خلال الفترة 1917م–1962م

أ/عبد القادر عزام عوادي
جامعة الجزائر2/ أبو القاسم سعد الله

الملخص:
شكلت الجالية الجزائرية الوافدة على الحاضرة التونسية رافدا مهما في الحياة التونسية المختلفة، ولقد كانت نسبة المهاجرين المزابيين في تونس نسبة مهمة من مجموع المهاجرين الجزائريين بصفة عامة، ولذلك كان دورهم واضحا ومهما خاصة في المجال السياسي والثقافي، فنجدهم قد شاركوا في تأسيس الحزب الدستوري الحر مع الشيخ عبد العزيز الثعالبي وثلة من الزعماء السياسيين الآخرين الجزائريين والتونسيين، كما كان لهم دور كبير في تدعيم هذا الحزب ونشاطه بالأموال، كما نجد أن طلبة البعثات العلمية الميزابية كانت لهم مشاركات عديدة في الساحة الفكرية والثقافية التونسية، من خلال المشاركة في الجرائد اليومية والأسبوعية ومن خلال النشاطات الطلابية المتنوعة، كالشعر والمسرح والنشاط الكشفي وغيرها من النشاطات الأخرى.

Abstract
In the Tunisian conference, the Algerian immigrants have formed a very important space in which the rate of Mezab immigrants was the major number in Tunisia if compared to that of the number of Algerian immigrants in general. Thus they had an important role especially in the cultural and political side. They also participated in the establishment of the free constitutional party with Cheikh Abd El Aziz El Taalibi and a number of other political leaders. Moreover, the selected scientific Mezab category of students had also an important participation in the Tunisian cultural and thoughtful side ,in daily and weekly news and other different students 'activities like poems, theatre and other activities.

المقدمة:

مع دخول الاستعمار الفرنسي إلى أرض الجزائر سنة 1830م، بدأت حركات الهجرة الداخلية والخارجية للجزائريين تظهر بصورة كبيرة وخطيرة عن التركيبة الاجتماعية للجزائريين، وذلك راجع إلى الغطرسة والظلم والطغيان الاستعماري ضد السكان الجزائريين، ولقد كانت من أبرز الدول التي لجأ اليها الجزائريون في تلك الفترة هي الايالة التونسية، لكونها قريبة جغرافيا خاصة بالنسبة للمناطق الشرقية للجزائريين.

ولقد شكلت الهجرة الميزابية نحو تونس رافدا مهما بالنسبة للمهاجرين الجزائريين، وأصبحوا يشكون نسبة عددية مهمة من مجموع تعداد المهاجرين، ولقد مارس الميزابيون العديد من النشاطات سواء منها المهنية أو العلمية، وكان لهم العديد من الإسهامات في الحياة الثقافية والعلمية والفكرية وحتى السياسية في مدينة تونس، وسوف نتطرق في هذه المقالة للإسهامات الثقافية والعلمية لمهاجري بني مزاب إلى تونس وكيف كان تأثيرهم في هذا العصب الهام من الحياة اليومية للتونسيين.

أولا:نشاطات البعثات العلمية بتونس: لم تكن البعثات العلمية مرتكزة على الجانب العلمي الذي كان هدفها الأساسي فقط، إنما كانت دار البعثة العلمية عبارة عن مؤسسة ثقافية وعلمية متنوعة، تعددت نشاطاتها

ومهامها طوال فترة وجود الطلبة بتونس، فمارست العديد من النشاطات والاحتفالات التي كان يسودها الطابع العلمي والثقافي والتربوي بشكل أساسي، فكان لهم دور هام في الحياة الثقافية التونسية في تلك الفترة.

1- استقبال البعثات العلمية للشخصيات والزعامات الوطنية والإسلامية:

كان من أنشطة البعثة التي أولى لها المسؤولون العناية الكبيرة، هي عقد لقاءات وجلسات مع الشخصيات العلمية والسياسية الموجودة بتونس، وأيضاً الشخصيات الجزائرية التي كانت تقصد تونس بين الحين والآخر، حيث كان القائمون يسارعون إلى ضيافتها في مقر البعثة لاطلاعها على أنشطتهم، وتقديمها كلمات توجيهية لأبنائهم الشباب. ومن أبرز الشخصيات العلمية أو السياسية التي زارت البعثة نجد:

زيارة عبد الحميد بن باديس: ويروي أحد الطلبة الميزابيين هذا الحدث الهام فيقول: «... حل بتونس علم من أعلام الجزائر يقع استدعاؤه من طرف رؤساء البعثة إلى إحدى دارهما، ولما كانت دار بعثة الشيخ باعلي الحاج صالح فسيحة ويتوسطها صحن[1] وهي ملاصقة لدار أبي اليقظان رحمه الله، وقع فيها استضافة الشيخ باديس بمناسبة زيارته لتونس ليطلع على أبناء وطنه في غربتهم ومهاجرين إلى تونس لتلقي العلوم العصرية باللغتين العربية والفرنسية...، وكان ذلك في صيف 1921م، وكنت ممن شارك في إعداد تلك الحفلة، وكان عمري إذ ذاك ثلاثة عشرة عاما...، وكان ذلك بمحضر الساد باعلي الحاج صالح، الشيخ يوسف بن بكير، الشيخ الثميني محمد، الشيخ أبي اليقظان، الشيخ أبي إسحاق اطفيش، الشيخ الحاج محمد بابانو، الشيخ أحمد بن عيسى قزريط...»[2].

ابتهج الشيخ عبد الحميد بن باديس بهذه الفئة الطلابية التي تحملت عناء الغربة والسفر، طلبا للعلم وأشاد كثيرا بدور الميزابيين في الحياة العلمية والثقافية، ودعاهم للتمسك بهذا الأمر، لأنهم أمل الجزائر ومستقبله الزاهر، وفي هذا كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس مقالا تحت عنوان " نهضة جزائرية بالحاضرة التونسية" بجريدة النجاح الجزائرية ومما جاء فيه: «... حللت تونس فاستدعتني جماعتهم للحضور عندهم في دارهم ليلا، فلما فرغنا من العشاء خرجت إلى صحن الدار شبيبتهم المتعلمة بالمدارس التونسية على الأسلوب الحديث الذي يجمع بين العلوم الدينية والدنيوية واللغة العربية والفرنسية مع حفظ القرآن الكريم، فاصطفوا بنظام، وشنفوا أسماع الحاضرين بالأناشيد الوطنية والمدرسية وتحاوروا بالمناظرات السيفية القلمية، كل ذلك باللهجة الفصيحة والألسن الذلاقة والجأش الثابت فرأينا منهم أهلة توشك أن تكون أقمارا، وغروسا طيبة توشك أن تجنى ثمارا، وكنت أنا إزاء ذلك بين عاملين متناقضين عامل سرور وأمل بمن أرى من بني ملتنا ووطننا من تلك الشبيبة المتنورة بأنوار العلوم، وعامل حزن وأسف على حالة أبنائنا الآخرين الذين منهم أهملهم آباءهم فقتلهم الجهل، وأكلتهم الشوارع، وأهلكتهم المفاسد والمنكرات...»[3].

---

[1]- تقع بنهج المدرسة السليمانية، ولقد كانت هذه الدار تستقبل أعلام الجزائر وأولياء التلاميذ الذين يزورون تونس.

[2]- حمو بن عمر فخار: **إبرهيم بن بابا بوعروة حياته وآثاره**، تق: مصطفى صالح باجو، د.ط، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، 2003م ، ص42.

[3]- محمد ناصر: **مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة**، د.ط، نشر جمعية التراث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1989م، ص29.

عبد العزيز الثعالبي: تعد العلاقة بين الشيخ عبد العزيز الثعالبي والبعثات العلمية الميزابية علاقة وطيدة وقوية جدا، وذلك بحكم الرابطة الوثيقة التي كانت تجمع الزعيم الوطني عبد العزيز الثعالبي برؤساء البعثات العلمية الميزابية خاصة الشيخ صالح بن يحي، والشيخ أبي اليقظان، والشيخ أبي إسحاق اطفيش، والشيخ الثميني، وكانت زياراته لمقرات البعثات الميزابية مستمرة، ويروي الشيخ أبي اليقظان عن ذلك فيقول: «فكان كثير التردد على مقر البعثة، ينجز فيها أبحاثه، ومقالاته، ويحكم خططه واتصالاته، ويطلع على الجرائد ويعقب عليها، ويمضي سحابة يومه بين إخوته وبنيه وأهله وذويه»، هكذا كانت علاقة الثعالبي مع أبناء البعثة الميزابية، واستمرت هذه العلاقة بين الشيخ والبعثة حتى هاجر غاضباً وناقماً عن الأوضاع التي آلت إليها تونس وحزبه، وكان ذلك في عام 1923م، وقبل مغادرته تونس خطب في الطلبة الميزابيين كلهم في دار البعثة خطابا حارا، ضمنه آماله في البعثة لنهضة الجزائر وآلامه ولوعته، فكان خطابا مؤثرا فجر الدموع، وكانت البعثة آخر من ودع الثعالبي وداعا جماعيا[1].

وإن هذا التكوين على يد الزعيم الوطني لتونس ورفقائه في هذه الفترة سمح لرؤساء البعثات الطلابية من نقل هذا الحس الوطني والسياسي إلى طلبتهم، فربوهم على حب الوطن والاستعداد للتضحية في سبيله، والدفاع عن أرضه وحماه، والنضال من أجل دينهم وقيمهم[2].

الشيخ سليمان الباروني: لقد كان الشيخ سليمان الباروني من الأصدقاء المخلصين للشيخ أبي اليقظان، ولقد تعرف عليه أول مرة ببلدة بني يزقن عندما كان في معهد الشيخ اطفيش قطب الأئمة، وكان نجم الشيخ الباروني قد سطع في ميدان العلم والأدب والكفاح، ولما سافر الشيخ أبي اليقظان لتونس التقيا هناك، وتعرف الشيخ أبي اليقظان على جهود الشيخ سليمان الباروني في مجابهة الاستعمار الإيطالي على ليبيا، وصارا صديقين حميمين، ولما تكونت أول بعثة علمية ميزابية إلى تونس –طلبة معهد الصديقية- فرح الشيخ سليمان الباروني كثيرا بهذا الأمر وقدم أثاثا من بيته لصالح البعثة الميزابية، كراسي، وأسرة، وطاولة كبيرة للجلوس، وأصبح على صلة وثيقة بهذه البعثة وبزعيمها أبي اليقظان.

وقد استقر الشيخ سليمان الباروني في فرنسا، ولما زار تونس في شهر أوت 1923م، فزاره وفد من زعماء البعثة الميزابية بالفندق الذي يقيم به، ولقد طال الحديث حول البعثة العلمية الميزابية بتونس، ولقد كان سرّ الشيخ الباروني بالنتائج التي تحققها البعثة، واشتاق لرؤية تلاميذ البعثة، وضربوا موعدا من أجل زيارة الشيخ لمقر البعثة. ولكن سرعان ما علمت السلطات الفرنسية بالأمر فأسرعت بتطويق المكان الذي يقيم به الشيخ الباروني، ومنعت التواصل مع الشيخ، وأمرته بمغادرة البلاد.

وكان شوق تلاميذ البعثة كبيرا لملاقاة الزعيم والمجاهد سليمان الباروني، ولكن الاستعمار منعهم من ذلك، فقام الشيخ أبي اليقظان بالاستخبار عن الساعة التي سوف يغادر فيها الشيخ الباروني البلاد، ثم توجه مع

---

[1]- الحاج موسى بن عمر: **القضايا الوطنية والعربية الإسلامية من منظور أعلام مزاب 1962/1902**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الدكتور: شاوش حباسي، جامعة الجزائر، 2008/2007م ، ص-ص(136-137).

[2]- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: **"آثار النهضة العلمية التونسية في فكر الحركة الإصلاحية بوادي ميزاب خلال القرن العشرين"**، مجلة الحياة، ع:11، أكتوبر 2007م، جمعية التراث، المطبعة العربية، ص219.

جميع تلاميذ البعثة نحو الميناء الذي سوف يركب منه الشيخ الباروني، واصطف الطلبة من المكان الذي يمر عليه الشيخ، فرآه الطلبة ورآهم فحياهم من بعيد وكان المنظر مؤثرا في نفوس الطلبة ونفس الشيخ الباروني[1].

ولقد قال الشيخ أبي اليقظان في هذا الحدث المؤثر شعرا نقتبس منه هذه الأبيات:

هـلالان هلا بالرحاب والقا   وبدران من أفق السماءين إشراقا

هلال به عام جديد تلألأت   مباسمه فوق السمـــاء فترونقــا

ثم يقول:

بنفس "البروني" العظيم الذي رنا   إليه شمال إفريقيا وتشوقـا

تباهت به الخضراء واهتز عطفها   فنافسها الجيران فيه تعشقا[2]

وكتب الشيخ سليمان الباروني قصيدة رائعة في حق الطلبة الميزابيين جاء فيها:

يا شباب العصر يا روح البلاد   يا رجال الغد يا نــور الفؤاد

يا دعــــاة الاتقــاء والاتحـاد   يا جمال القطر لكن بعدمـا

أنتـم للشعـب حصن وسلاح   عندما تنشر أعـلام الكفـاح

أنتــم عنـد اللقاء كبش نطاح   يدفع الأضرار عند ذاك الحمى[3]

العقيد عميروش: ومن بين الزعامات الوطنية والثورية التي زارت مقر البعثة الميزابية أثناء الثورة الجزائرية، نجد الزيارة التي قام بها العقيد عميروش زعيم الولاية الثالثة إبان الثورة التحريرية، وذلك بعد الدعوة التي قدمها المشرفين على البعثة من أجل زيارتهم لهم، وفي هذا الإطار قبل العقيد عميروش الدعوة التي تقدم بها إليه الطلبة الميزابيين، الذين كانوا يقيمون بنهج بن خلدون بالعاصمة التونسية[4]، فكان اللقاء رائعا سواءً من جانب الطلبة أو من جانب عميروش والوفد الذي رافقه[5]، ولقد اهتزت المشاعر وكثرت الأسئلة والاستفسارات حتى ساعات متأخرة من الليل نظرا لشغف طلاب البعثة لمعرفة بكل ما يدور من أحداث تخص بلادهم[6]. ويروي الشيخ يحي أبي اليقظان الذي كان متواجدا في هذه المناسبة تلك اللحظات بكل عاطفة فيقول: «لقد كانت زيارة العقيد عميروش جد هامة، لأنها زادت من قوة عزيمتنا في بلوغ الغايات والأهداف التي جئنا من أجلها ولقد أجج العقيد عميروش فينا عاطفة حب الوطن والتضحية من أجله، ولكن كما صرح لنا العقيد في رد على أحد أسئلة الطلبة، يجب أن نجاهد ونثابر في طلب العلم، لأن جزائر الغد تحتاج إلى إطارات أكفاء في جميع المجالات، وأن الرجال في الجبل يقومون بعملهم وانتم عليكم

---

[1]- محمد علي دبوز: **أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج3، عالم المعرفة، الجزائر، ص-ص(281-283).

[2]- محمد ناصر: **ديوان أبي اليقظان**، ج1، ط1، جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، ص73.

[3]- محمد علي دبوز: **أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج3، ص285.

[4]- لقد كانت هذه من ضمن البعثات العلمية الميزابية البيوضية، والتي كان يقودها الشيخ محمد العساكر.

[5]- لقد كان من ضمن الوفد المرافق للعقيد عميروش، الشيخ عبد الرحمن شيبان عليه رحمة الله.

[6]- شوقي عبد الكريم: **دور العقيد عميروش في الثورة الجزائرية 1954م**، دار هومة، الجزائر، 2003م، ص123.

بعملكم»[1]، هذا وأثنى العقيد عميروش على نظام البعثة وأوصى طلبتها بالتفرغ للعلم والاستعداد لبناء الجزائر الحرة والمستقلّة[2].

زارت البعثات الميزابية بتونس العديد من الشخصيات العلمية والوطنية سواءً الجزائرية أو التونسية أو الإسلامية كالشيخ الفاضل بن عاشور[3]، والشيخ عباس التركي، والدكتور فرحات عباس وغيرهم[4]. كما كان الطلبة أيضاً يقومون بنشاطات ترحيبية كلما قدم إليهم أحد من الأولياء أو الضيوف، حيث يقومون بعد العشاء، بحفل يتلون فيه القصائد النبوية والأناشيد الحماسية والأحاديث النبوية، ويكون في ختامها مناظرة بين السيف والقلم، ليأخذ الضيوف صورة جدية عن المستوى التعليمي الذي بلغه هؤلاء الطلبة، فيكونون بذلك حافزا ومشجعا لأولياء التلاميذ الآخرين على إرسال أبنائهم لمزاولة التعليم ضمن هذه البعثات بتونس[5].

2- البعثة الميزابية تشرف على النشيد الوطني الجزائري "قسما": تزامنا مع اندلاع الثورة التحريرية المباركة في 1954م، انضم العديد من الميزابيين لصفوفها والانخراط ضمن خلاياها، ولقد التحق الشاعر الجزائري الميزابي مفدي زكرياء بالثورة في سنة 1955م، وكان مناضلا في صفوف الحزب بالعاصمة الجزائرية، وكانت داره مقرا لاجتماعات المناضلين، ولعل من أبرز الأعمال التي قام بها مفدي زكرياء في هذه الآونة هو نظمه لنشيد الثورة الجزائرية "قسما بالنازلات الماحقات"، فقد اتصل به بعض مناضلي جبهة التحرير بالعاصمة وطلبوا منه أن يؤلف للثورة نشيدها، وفي ليلة واحدة تفجر هذا النشيد الذي يحمل في طياته تاريخ أفضل جهاد في سبيل العقيدة والوطن، وسافر مفدي زكرياء نحو تونس ليحضر بنفسه تجارب إنشاده من طرف طلاب البعثة الميزابية[6].وبدأت التدريبات حول هذا النشيد بدار البعثة الميزابية بنهج بن خلدون بقيادة رئيس البعثة محمد لعساكر، والملحن التونسي محمد التريكي[7]، ويروي صالح خرفي[8] في هذا الصدد:«... لقد كنا

---

[1]- لقاء شفوي مع الشيخ يحي أبي اليقظان، يوم 31 ديسمبر 2013م، ببيت الشيخ صالح باجو، بالقرارة

[2]- الحاج عيسى بن عمر: المرجع السابق، 136.

[3]- محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور: (ولد:1909/توفي:1970)، أديب وخطيب تونسي، وخريج جامع الزيتونة، ويعد من طلائع النهضة الحديثة التونسية، وتقلد الأستاذية ثم العمادة بالزيتونة، ينظر: قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: المرجع السابق، ص587.، ينظر: محمد الفاضل ابن عاشور: **الحركة الأدبية والفكرية في تونس**، ط3، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983م، ص-ص(10-18).

[4]- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: **معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر 1157هـ/1744م إلى 1382هـ/1962م، ط1، المطبعة العربية، غرداية، 2011م** ، ص587.

[5]- حمو بن عمر فخار: المرجع السابق، ص42.

[6]- محمد ناصر: **مفدي زكرياء**، المرجع السابق، ص18.

[7] محمد التريكي: (ولد: 1899/توفي: 1989)، موسيقار تونسي من مواليد عاصمة تونس، كان أحد أقطاب الحركة الفنية طوال القرن العشرين، كان والده من أساطين شيوخ العيساوية مما دفعه إلى تعلم أصول الموسيقى على قواعد صحيحة على أساتذة اوربيين، عمل كموظف للشؤون المالية لمدة ستة سنوات ولكنه انقطع وانتسب للعمل الفني وانخرط في جمعيات مهتمة بالعمل الموسيقي، حيث أصبح مفتشا عاما لمادة الموسيقى في وزارة التعليم التونسية، وبلغ إنتاجه الموسيقي ما يقارب 2000 قطعة فنية بين غنائية وآلية، ولقد كانت له علاقة ودية مع الشاعر مفدي زكرياء الذي توجه إليه بتلحين قسما". ينظر: الأمين بشيشي، عبد الرحمن بن حميدة: **تاريخ ملحمة نشيد قسما**، د.ط، مؤسسة مفدي زكريا، منشورات الفا، الجزائر، 2008م، ص122.

[8]- صالح خرفي: (ولد:1932/توفي:1998) ولد ببلدة القرارة، التحق بمدرسة التربية والتعليم بباتنة سنة 1938م، ثم عاد إلى القرارة والتحق بمدرسة الحياة، أين استظهر كتاب الله سنة 1946م، ثم أكمل دراسته الثانوية بمعهد الحياة، غادر الجزائر متوجها نحو تونس سنة 1953م، لكي يكمل دراسته في الزيتونة والمدرسة الخلدونية هناك، ولقد كانت له نشاطات ثقافية وعلمية في تونس، ثم تنقل إلى

نتدرب على هذا النشيد في جنح الظلام، وفي القاعة الداخلية لدار البعثة ذات الطراز الأندلسي، بعد أن نوصد الأبواب ونتناوب الحراسة على نهج ابن خلدون، حرصا على سرية النشيد، قبل توجيهه إلى داخل الجزائر...»[1].

وكان ذلك سنة 1956م، وأما عن الطلبة الذين أشرفوا على أداء الصيغة اللحنية للنشيد الوطني فهم:

1 بأحمد بكلي بابه
2 صالح بن إبراهيم باجو
3 صالح خرفي
4 عبد الوهاب بكلي
5 يحي حمدي أبو اليقظان
6 إبراهيم تعموت
7 محمد بن عمر الشيخ أحمد
8 صالح بن عمر سماوي
9 عمر بسيس
10 السعيد لعساكر
11 عيسى لعساكر
12 حمو أيوب
13 يونس حاج عيسى
14 محمد ابن لولو
15 محمد ابن يوسف
16 حمو أولاد داود
17محمد كاسي موسى
18 بكير أبو الصديق
19 محمد لمسن[2]

كما كان للبعثات العلمية الميزابية مشاركات مختلفة في المهرجانات والاحتفالات التي كانت تقام احتفاء بالمناسبات الوطنية أو الدينية، وكان لهم مشاركات مع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين[3] في تونس في الاحتفالات التي ينظمها بمناسبة الثورة الجزائرية ونشاطاتها المختلفة.

ثانيا- إسهامات المهاجرين الميزابيين في الحياة الثقافية والفكرية التونسية. لم تكن إسهامات المهاجرين الميزابيين بتونس مقتصرة على النشاطات الداخلية لطلبة البعثات العلمية فقط، وإنما تعدى ذلك إلى المشاركة والمساهمة في الحياة الفكرية والعلمية والأدبية بتونس، فنجدهم مشاركين في المهرجانات والنشاطات التي تقوم بها تونس أو الجمعيات والمنظمات الجزائرية في تونس، سواء تلك المسابقات أو الاحتفالات أو اللقاءات الإذاعية والصحفية، وأيضا من خلال المساهمة في نشر المقالات والأشعار عبر صفحات الجرائد المتنوعة، وغيرها من النشاطات التي سوف نتطرق إليها. وسوف نركز على أهم إسهامات النخبة الميزابية في المجالات الموالية:

مصر وتحصل منها على شهادة الليسانس من جامعة القاهرة سنة 1960م، ثم تحصل على الماجستير سنة 1966م، والدكتوراه سنة 1970م بنفس الجامعة، ولقد تقلد عدة مناصب علمية وثقافية في الجزائر، وساهم في الحياة الفكرية والعلمية بالمنشورات والمؤلفات التي أنتجها، ينظر: قاسم أحمد الشيخ بالحاج: **الشاعر صالح الخرفي صفحات في مساره الفكري والأدبي**، ط1، نشر جمعية أنغام الحياة الثقافية القرارة، 2014م، ص-ص(13-30).

[1]- الحاج عيسى بن عمر: المرجع السابق، ص137.

[2]- الأمين بشيشي، عبد الرحمن بن حميدة: المرجع السابق، ص123.

[3]- للإطلاع أكثر حول دور الاتحاد ونشاطاته إبان فترة ثورة التحرير، ينظر: السعيد عقيب: **دور الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين خلال ثورة التحرير 1955-1962م**، د.ط، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م.

أ- **في مجال الصحافة:** كانت الصحافة التونسية منبرا مفتوحا، وساحة فكرية وأدبية وسياسية هامة للجزائريين، وخاصة النخبة المثقفة منهم الذين كان لهم الدور البارز على صفحات تلك الجرائد.

وحفلت الصحافة التونسية بالأقلام الجزائرية منذ بدايات القرن العشرين وإلى غاية توقف النشاط الصحفي بسبب بعض القرارات المجحفة سنة 1912م[1]، ثم بدأت مساعي الإفراج عن الصحافة التونسية من خلال نشاطات الزعيم عبد العزيز الثعالبي الذي كان من أهم أهدافه تحرير الصحافة من خلال رفع القيود التي كانت مفروضة عليها منذ سنوات[2].

وقد اشترك الجزائريون بصفة عامة في الحياة التونسية من خلال تحرير المقالات التي كانت تنشر على صفحات الجرائد والدوريات التونسية، منذ مطلع القرن العشرين وإلى غاية استقلال الجزائر 1962م، ومن هذه الجرائد والدوريات نجد: التقدم، المنير، المشير، الزمان، الزيتونة، صبرة، لسان الشعب، الوطن، الأسبوع والوزير، وغيرها الكثير ممن احتضنت على صفحاتها كتابات المثقفين الجزائريين، وكان لها أثر في الوسط الثقافي التونسي والجزائري وحتى المغاربي بصفة عامة[3].

وسوف يقتصر حديثنا هنا على إسهامات الأقلام الميزابية على صفحات الجرائد التونسية، وبالرغم من إسهاماتهم المختلفة والمتنوعة والمتعددة، ولكننا سنركز على نماذج ميزابية شاركت في الميدان الصحفي التونسي بقوة:

أ-1- الشيخ إبراهيم أبو اليقظان: يعد الشيخ أبو اليقظان رائد الصحافة الجزائرية بلام منازع، فلقد كان سباقا في الكتابة الصحفية، وأيضاً في تأسيس الجرائد الوطنية في الجزائر، ويقول الشيخ أبي اليقظان في وصفه لدور الصحافة ما يلي: " فهي الأم المثقفة لأولادها، والمدرسة السيارة المذبة لأبنائها، والمعلم النصوح لتلاميذه، والمرشد الحكيم لمريده، والطبيب الحاذق لمرضاه، والمصلح الكبير لشعبه"[4].

ويقول فيه شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا : «إذا كان لقب شيخ الصحافة جديرا بأحد من أرباب الصحافة بالجزائر، فالشيخ أبو اليقظان يمتاز بهذا اللقب بجدارة واستحقاق، فلقد قطع عشر سنوات كاملة من الكفاح الصحفي المجيد يتحدى إدارة الاستعمار في الجزائر، بصبر وأناة وعزم، لا يعرف التراجع، وذلك في فترة تعد من أصعب الفترات وأقساها في مراحل الكفاح القلمي بالجزائر»[5].

وفي الجدول الموالي جملة من إسهامات الشيخ أبي اليقظان في الصحافة التونسية:

عنوان المقال	اسم الجريدة	سنة النشر	نوعه
الجزائر والإسلام	المنير	1920/08/19	مقال
الجزائر والاتحاد	المنير	1920/09/2	مقال

[1] - خير الدين شترة: **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة**، المرجع السابق، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص503.

[2] - محمد الفاضل ابن عاشور: المصدر السابق، ص135.

[3] - محمد بوطيبي: **دور المثقفين الجزائريين في لحركة الوطنية التونسية مابين 1900-1930**، ط1، دار الهدى، عين مليلة، 2012م ، ص100.

[4] - قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: **معالم النهضة الاصلاحية**، المرجع السابق، ص443.

[5] - مفدي زكرياء: **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، تح: أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكرياء، دار هومة، الجزائر، 2003م، ص165.

الجزائر والعلم	المنير	1920/09/16	مقال
حياتنا بحياة أخلاقنا	المنير	1920/10/14	مقال
مستقبل الأمة	المنير	1921/01/29	مقال
شكوى الجزائر	المنير	1921/02/11	مقال
حياة الأمة بحياة لغتها	المنير	1921/02/25	مقال
شكوى الجزائر	المنير	1921/03/25	مقال
مزاب يستغيث	المنير	1921/6/20	مقال
كتاب إلى الوالي العام	المنير	1921/10/18	مقال
ابن الشيخ سليمان الباروني	الإرادة	1934/02/24	مقال
الصحافة مرقاة الحياة	المنير	1920/07/22	قصيدة
الحياة	المنير	1920/09/23	قصيدة
الدستور	المنير	1921/01/14	قصيدة
تحية الشيخ الرئيس	المنير	1921/06/05	قصيدة
تهنئة الجزائر	المنير	1921/07/22	قصيدة[1]

أ-2- مفدي زكريا: يعتبر مفدي زكريا من أوائل المؤسسين للصحافة الوطنية بالجزائر، التي كانت تحمل مشعل الدفاع عن الوطن وتحث على توحيد الصفوف ولتحريره من قبضة المستعمر، وتنضوي أغلبها تحت لواء "حزب الشعب الجزائر" الذي كان مفدي عضوا فيه[2].

ويعتبر جو البعثة الذي نشأ فيه مفدي زكريا من أهم مكونات شخصيته، الإسلامية والوطنية والعلمية، وهي التي وجهت الحياة هذا التوجيه الأدبي والسياسي، من مشاهداته المستمرة في دار البعثة لزعماء الإصلاح والحركات الوطنية التونسية والجزائرية كعبد العزيز الثعالبي، والباروني، وبن باديس وغيرهم الكثر، ولقد كان أيضاً يقرأ المجلات والصحف الواردة من المشرق العربي ويشترك هو وزميله رمضان حمود[3] في مناقشة محتوياتها[4].وكانت أول خطوة في مجال الصحافة يقوم بها مفدي زكريا هي مبادرته إلى جانب رفيقة رمضا حمود، عندما أسسا جمعية الوفاق الأدبية التي أصدرت صحيفتها في الفترة ما بين 1930/1925م في تونس. وبعد مغادرة مفدي زكريا تونس واستقراره بالجزائر، وكثرة انشغالاته الوطنية والتزاماته العائلية، ظل مراسلا لعدد معتبر من الصحف والمجلات التونسية، بأسماء مستعارة مثل " الفتى الوطني" و " أبو فراس"[5].

---

[1]- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: **أقلام الميزابيين في الصحافة التونسية 1920-1962م**، ط1، نشر جمعية التراث، غرداية، 2006م، ص-ص(36-39).

[2]- مفدي زكرياء: **تاريخ الصحافة العربية**، المصدر السابق، ص14.

[3]- رمضان حمود بن قاسم: (ولد: 1906/ توفي: 1929)، ولد بغرداية، تلقى تعليمه الابتدائي بالمدرستين العربية الحرة والفرنسية الرسمية بمدينة غليزان، ولما بلغ السادسة عشر أرسله والده إلى تونس لينظم إلى صفوف البعثة الميزابية بقيادة الشيخ أبي اليقظان، وكان في جو البعثة يملئ أوقات فراغه القليلة بالتمرن على الكتابة والخطابة والشعر وكان كثير المطالعة في شتى الكتب، ولقد ترك رمضان حمود العديد من الكتابات والمؤلفات. ينظر: مجموعة مؤلفين: **موسوعة أعلام الجزائر 1954/1830م**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م، ص-ص(139-143).

[4]- محمد ناصر: **مفدي زكرياء**، المرجع السابق، ص9.

[5]- مفدي زكرياء: **تاريخ الصحافة العربية**، المصدر السابق، ص15.

قدمت الصحافة التونسية ومسؤوليها لمفدي زكريا في جميع مراحل حياته النضالية والثورية ما لم يجده في غيرها تقديرا وإجلالا وتكريما، والجرائد التونسية تشهد على ذلك كجريدة الزهرة والنهضة وتونس والشباب والفكر والصباح وغيرهم، ويلمس بحق كيف كان يحل من دوائرها الثقافية محلا عظيما وكيف كانت تربطه بأدبائها الكبار من أمثال أبي القاسم الشابي ومحمود بورقيبة، وبيرم التونسي، ومحمد العربي والحبيب شيبوب وغيرهم كثير صداقات حميمة[1].

عنوان المقال	اسم الجريدة	سنة النشر	نوعه
نقد على نقد	الوزير	1925/07/07	مقال
عش مع الخالدين	الفكر	ماي 1961	شعر
إلى الريفيين	لسان الشعب	1956/05/6	شعر
رسالة من بربروس	صبرة	1937	مقال
غني للأرض تساجلك السماء	الإلهام	جانفي 1956	شعر
الشمال الإفريقي يتحد	الوطن	1937/08/15	شعر
صوت الجزائر	الشباب	1937/03/05	شعر
ليلة القدر الكبرى	الصباح	1958/05/14	شعر
من وحي الثورة	الفكر	ديسمبر 1957	شعر
فكرة المغرب العربي الموحد	الفكر	نوفمبر 1960	مقال[2]

جدول يوضح إسهامات الشاعر مفدي زكرياء في الصحافة التونسية

وقد أثرت المشاركة الصحفية للميزابيين في الجرائد الصحفية التونسية[3]، على مسارهم الفكري والعلمي والصحفي أيضاً، فنجد على سبيل المثال الشيخ أبي اليقظان عند رجوعه إلى الجزائر يؤسس جرائد وطنية ذات بعد إصلاحي واجتماعي، ولقد كان عددها ثمانية جرائد متتالية، وهي: وادي ميزاب، ميزاب، المغرب، النور، البستان، النبراس، الأمة، الفرقان[4]، كما نجد مفدي زكريا أيضاً يشارك في تحرير جريدتين وطنيتين سريتين بالجزائر وهما: الوطن والحركة الوطنية، وأيضاً مشاركته الفعالة على صفحات جريدة المجاهد[5].

ب-**في المجال الثقافي والعلمي:** ولأن المهاجرين الميزابيين كانت نسبة الطلبة والنخبة المثقفة فيهم نسبة مرتفعة، فقد كانت مساهماتهم أيضاً في الميدان الثقافي والعلمي بتونس مساهمة مهمة، وكانت لهم مشاركات في الحياة الفكرية التونسية، سواءً بالكتابات أو بالمشاركات في الندوات والمحافل العلمية والثقافية، أو من خلال التواصل الأدبي بينهم وبين التونسيين، فكان الإسهام في الجانبين العلمي والثقافي للميزابيين في تونس متداخلا وذلك راجع لكونه راجع إلى أنها مساهمة طلابية في أغلب الأحيان وسنحاول أن نعطي نماذج لكليهما، سواءً على الصعيد الثقافي أو العلمي.

---

[1]- محمد ناصر: **مفدي زكرياء**، المرجع السابق، ص21.

[2]- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: **"نشاط الميزابيين في الصحافة الوطنية التونسية"**، مجلة الحياة، ع: 09، أكتوبر 2005م، جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، 2005م، ص-ص(250-251).

[3]- هناك العديد من الأسماء الميزابية التي شاركت في الحركة الصحفية التونسية، مثل: صالح خرفي، صالح خباشة، بكير بابهون، محمد لعساكر، صالح فرحات، رمضان حمود، الشيخ الثميني، وغيرهم كثير.

[4]- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: **معالم النهضة الإصلاحية**، المرجع السابق، ص454.

[5]- محمد ناصر: **مفدي زكرياء**، المرجع السابق، ص-ص(18-20).

ب-1- المساهمة في المجال الثقافي: كانت البيئة الثقافية الخصبة التي تعشيها تونس في تلك الفترة، بيئة مساعدة على الإبداع والتألق في هذا الميدان، سواءً في الكتابات الصحفية أو المشاركة في الاحتفالات والندوات الفكرية والثقافية التي كانت تقام في مختلف النوادي الفكرية والأدبية التونسية.

ب-1-أ- الطلبة الميزابيون والمساهمات الأدبية والثقافية: ولهذا كان الطلبة الميزابيون في تونس متابعين للحراك الثقافي التونسي ومساهمين فيه، من خلال كتاباتهم المتنوعة على صفحات الجرائد التونسية، أو المشاركة في المناظرات الأدبية والشعرية التي كانت تقام.فنجد الشاعر مفدي زكريا منذ سنة 1925م، ينشر على صفحات الجرائد التونسية قصيدة لاقت الإعجاب من كل التونسيين بل والمغاربة، نظرا لعمق القصيدة المنشورة وأثرها في نشر الوعي النضالي ووحدة المغرب العربي، وكان عنوان القصيدة " إلى الريفيين" ونشرت عبر جريدة "لسان الشعب" وجريدة " الصواب"، ومن أبيات هذه القصيدة:

بني من كان يهوى الحياة   يهون عليه ركـوب الخطـر

فعـرش السعـادة لا يبتنى   لقوم، سوى فوق هام أخر

وبيـن البـلاد ودستـورها   ضحايا نفوس وسجن أسر

وما الفخر إلا على ضمّر   تلـوح سنابكـها بالشـرر

ولـن يبلـغ العز إلا الذي   على رشف الكـأس صبر[1]

وكان مفدي زكرياء أيضاً من خلال تواجده في تونس، قد كون علاقات متينة مع العديد من الشخصيات الأدبية والثقافية في تونس مثل الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي، الذي وصلته به صداقة حميمية، ساعدت على ربطها بينهما أيام الدراسة بجامع الزيتونة وجلسات السمر، والمطالعة وندوات الشعر، التي جعلت كلاهما يتأثر بالآخر.، ونشر مفدي زكريا أيضاً العديد من القصائد عبر صفحات الجرائد التونسية، مساهما بذلك بقسط كبير في الحياة الأدبية التونسية[2].ومن هؤلاء الشعراء أيضاً الذين ساهموا بشعرهم نجد: الشاعر صالح بن إبراهيم باجو عليه رحمة الله[3]، الذي ترك منتوجا أدبيا قيما في مجال الشعر، وأغلب قصائده قد كان دونها أثناء تواجده بتونس، وألقاها في المحافل التونسية، أو عبر أثير الإذاعة التونسية، ولقد نال أيضاً العديد من الجوائز الأدبية نظير مشاركته المتميزة في ميدان الشعر، ونجد من بين عناوين قصائده التي جمعت في كتاب تحت عنوان " لبيك يا وطني"، وهذه نماذج منها:

عنوان القصيدة	المناسبة التي ألقيت فيها
العيد والثورة	ألقيت بالإذاعة التونسية يوم 30 أفريل 1957

[1]- محمد ناصر: **مفدي زكرياء**، المرجع السابق، ص-ص(83-85).

[2]- للاطلاع أكثر حول مساهمات مفدي زكرياء في الصحافة التونسية، ينظر: الجدول، الصفحة 142.

[3]- الشيخ و الشاعر صالح إبراهيم باجو، كان لنا معه لقاء ببيته بمدينة القرارة يوم 31 ديسمبر 2013م، ولقد كان رغم كبر سنه ومرضه، ذو ذاكرة جيدة، ويتذكر ذكريات أيام تواجده بالبعثة الميزابية بتونس ضمن البعثات البيوضية، وكان من الطلبة النجباء وتحصل على الشهادة الزيتونية, وتحصل على جوائز من الهيئات التونسية، توفي الشيخ صالح باجو يوم 9 أفريل 2015م، بعد مرض ألم به رحمة الله عليه.

العيد والجزائر الدامية	ألقيت بالإذاعة التونسية بمناسبة عيد الأضحى
الذكرى الثانية للثورة الجزائرية العتيدة	كتبت بتونس يوم 1 نوفمبر 1956م
مأساة ساقية سيدي يوسف	ألقيت بالإذاعة التونسية
طلائع الفجر	ألقيت بدار البعثة، في تجمع طلابي متنوع
وحدة المغرب العربي	ألقيت يوم 6 فيفري 1957م، بمناسبة المحاضرة التي ألقاها الشاعر والأديب التو نسي "مصطفى خريّف" حول" أدب القومية العربية في المغرب العربي الكبير ما بين الحربين العالميتين".. بقاعة ليسي كارنو.[1]

وكان العديد من الشعراء الميزابين أيضاً قد شاركوا في الإنتاج الأدبي بتونس على غرار مفدي زكريا وصالح باجو، فنجد أيضاً الشاعر صالح خرفي الذي نشر العديد من القصائد والمسرحيات على صفحات الجرائد التونسية المختلفة، ونذكر منها:

عنوان المقال	نوعه	اسم الجريدة
فتى العروبة	شعر	الندوة
سلاحنا وسلاحهم	شعر	الندوة
عيد ولا عيد	شعر	الصباح
الجنون الذري	شعر	اللغات
أطلس المعجزات	شعر	الفكر
الحرية في الشعر الجزائري، أربعة أجزاء	مقالات	الفكر[2]

فساهم هؤلاء الشعراء وغيرهم من الميزابيين في الحياة الفكرية والأدبية التونسية، وجاعلين في المرتبة الأولى قضيتهم الوطنية الجزائرية، فكانت جل مشاركتهم تحمل هم القضية الجزائرية، والتعريف بها في كل المحافل الأدبية أو الفكرية، أو عبر الجرائد والمجلات والإذاعات من أجل توصيل صوتهم إلى كل مرتبة يستطيعون إدراكها.

ب-1-ب- مجلة الوفاق:ونجد أيضاً أن طلبة البعثة لم تكن مساهماتهم في الكتابات المنشورة عبر صفحات الجرائد التونسية وفقط، فقد أتحفوا الساحة الطلابية التونسية بمجلة يصدرونها، والتي كان يعتني بها ويتكفل بها كل من الطالبين مفدي زكرياء ورمضان حمود، والتي كانت من سنة 1925م إلى غاية 1930م[3].

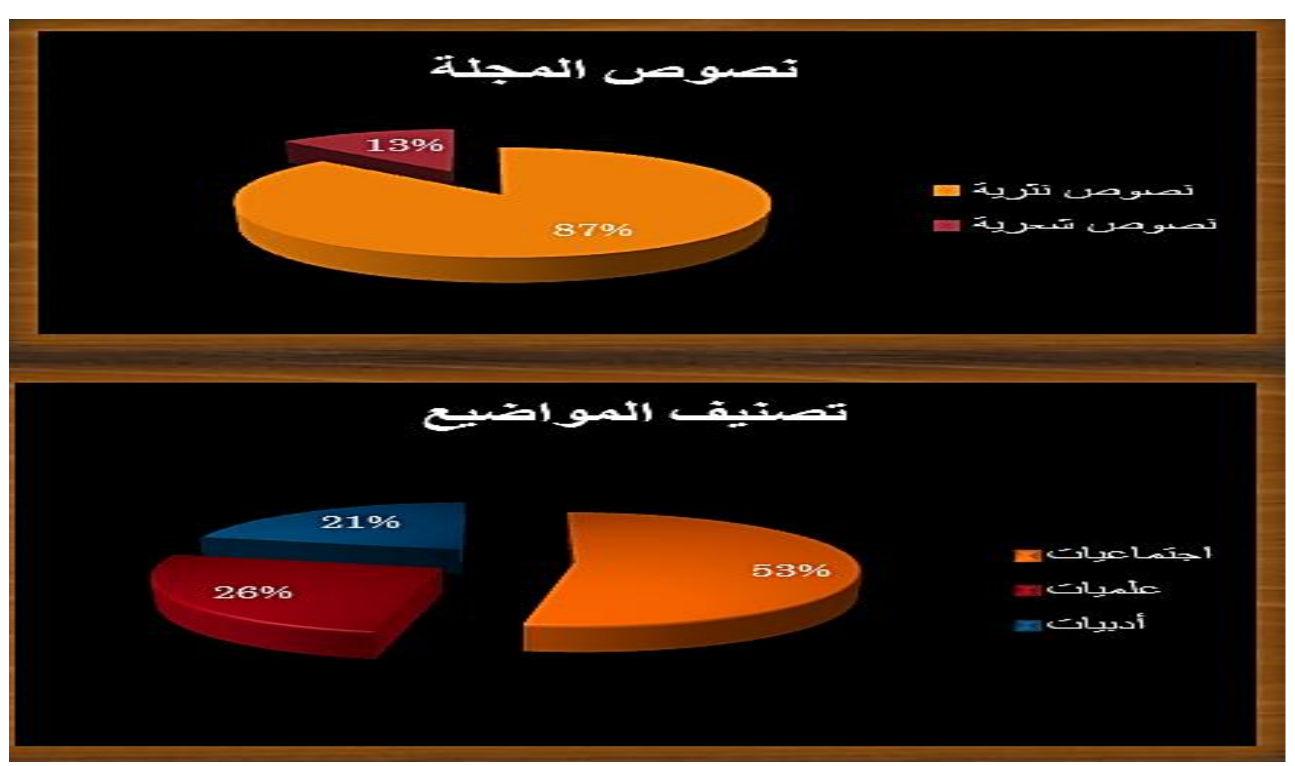
وأغلب مواضيع هذه المجلة تكتب من طرف تلاميذ البعثة الميزابية، وتنوعت محتوياتها بين عالم الاجتماعيات الذي كان يضم أحوال المسلمين والعلم والتعليم والأخلاق وغيرها من المواضيع في هذا الجانب، وعالم العلميات الذي ضم الظواهر الطبيعية والفيزياء والكيمياء والإنجازات العلمية المختلفة، عالم الأدبيات يحتوي على القصائد والأشعار والخواطر والحكم، وعالم المسامرات الذي يضم أسئلة ومسابقات وألغاز وغيرها.

[1]- صالح إبراهيم باجو: **لبيك يا وطني**، ط1، نشر جمعية التراث، غرداية، 2010م. ينظر كله.

[2]- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: **نشاط الميزابيين في الصحافة الوطنية التونسية**، المرجع السابق، ص-ص(251-252).

[3]- مفدي زكرياء: **تاريخ الصحافة العربية**، المصدر السابق، ص14.

والمخطط الموالي يوضح نسبة نوعية نصوص المجلة (نصوص شعرية، نصوص نثرية)، وأيضاً نسبة تصنيف المواضيع.



مخطط يوضح نسبة نوعية النصوص المنشورة، ونسبة أنواع المواضيع المنشورة.[1]

فكان من أبرز كتاب المجلة: مفدي زكريا، رمضان حمود، عيسى بن عبد الله، أحمد بن الحاج يحي، سالم بن يعقوب، ذواق إبراهيم، سليمان الباروني، أبو راس عبد الله، محمد بن بكير، محمد بن يوسف اطفيش، بوزملال سليمان، عبد الله بغباغة، سليمان بوجناح[2].

ب-2- المساهمة في المجال العلمي: لم تختلف الإسهامات العلمية للميزابيين في تونس عن الإسهامات الثقافية، فلقد أحيوا الحياة العلمية التونسية بالعديد من الإنتاجات والنشاطات، ولقد أعتبر الميزابيون مقارنة بالمجموعات الجزائرية الأخرى المهاجرة بتونس، أكثر حيوية وأكثر ثقافة[3].

ب-2-أ- مكتبة الاستقامة ودورها في الحراك العلمي والفكري التونسي:

كان الشيخ محمد بن صالح الثميني والشيخ قاسم بن عيسى والشيخ أبي اليقظان يملكان مكتبة تسمى "مكتبة الاستقامة"، وكانت عبارة عن شركة تجارية لبيع الكتب، وكان لها الفضل الكبير في تزويد المثقفين التونسيين والجزائريين، لما يجد في عالم المطبوعات العربية[1].

---

[1]- عمر بن بالحاج داود: **قراءة لعينة من أعداد الوفاق**، محاضرة غير منشورة، بني يزقن يوم 7 اكتوبر 2011م، ولقد استعمل 26 عينة من المجلة (ع:12/ع:39) باستثناء الأعداد 17.18.20.

[2]- عمر بن بالحاج داود: المرجع السابق.

[3]- مختار هواري: **وضعية الجالية الميزابية بتونس خلال فترة الحماية الفرنسية عليها**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، جامعة الوادي، يومي 10-11 نوفمبر 2013م ، ص7.

وأيضاً إلى جانب المكتبة هناك مطبعة للكتب في حي glaciers، فقامت كل من المكتبة و المطبعة بدور هام في الحركة النهضوية الفكرية والعلمية بتونس والجزائر، من خلال المطبوعات الفكرية والعلمية والأدبية التي كانت تصدرها أو تجلبها من مختلف البلاد العربية. وكانت عبارة عن همزة وصل بين تونس والجزائر، يبعث منها إلى قادة النهضة بميزاب وأبناء الحركة الوطنية بتونس، والمشرق، وما يصدر هناك من مطبوعات فكرية وأدبية[2].

ونجد في وادي ميزاب، أن قادة النهضة الإصلاحية اهتموا بجلب المنتوج الفكري والأدبي إلى واديهم، فوقع التنسيق بينهم وبين رفقائهم في تونس لموافاتهم في هذا المجال، فكان لمعهد الحياة بريد خاص يصله أسبوعيا من تونس يحوي هذه الجرائد والمجلات، وكان قادة الإصلاح وطلبة المعهد ينتظرونه بشغف وحب واشتياق لينهلوا من الجديد[3].

ومن مهام المطبعة والمكتبة أيضاً كان طبع جريدة أبي اليقظان "وادي ميزاب"، التي كانت تحرر في الجزائر وتطبع في تونس، ولكن الشيخ أبي اليقظان انفصل عن هذه الشركة – المكتبة والمطبعة- بعد أن تم مصادرة جريدة وادي ميزاب[4].

ولم تكن المكتبة ناشرة للعلم والمعرفة فقط، فنجدها أيضاً كانت تلعب دورا هاما في الحياة السياسية التونسية، وذلك راجع لدخول مسؤوليها في معترك النضال الوطني التونسي، إذ كانت مجتمعا للأحرار من الوطنيين، وبخاصة أعضاء الحزب الدستوري التونسي[5].

لذلك عندما قام الرئيس الحبيب بورقيبة مؤسس الحزب الدستوري الجديد بشن حملة على خصومه، بعد أن أنتخب رئيسا لجمهورية تونس أمر أعوانه بتتبع خصومه أينما كانوا وحيثما حلوا إلا مكتبة الاستقامة التي كان يملكها الشيخ محمد الثميني قال لهم: «فلا أسمح لأحد منكم بدخولها مهما كان الشخص الذي هو فيها، لأن هذه المكتبة كانت في عهد الحماية مأوى لكل الأحرار»[6]، وظل الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة يتعهد المكتبة بالزيارة كل سنة، اعترافا منه على جهود صاحبها وأياديه البيضاء على تونس في كل الجوانب العلمية والثقافية والنضالية[7].

ب-2-ب- دورة الطلبة الميزابيين في تغيير قرار معهد الزيتونة في الاعتراف بشهادة معهد الحياة[8]:

---

[1]- محمد ناصر: **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**، المرجع السابق، ص180.

[2]- جمعية التراث: المرجع السابق، ج4، ص804.

[3]- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: **معالم النهضة الإصلاحية**، المرجع السابق، ص272.

[4]- محمد ناصر: **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**، ص180.

[5]- جمعية التراث: المرجع السابق، ج4، ص804.

[6]- عيسى قرقب: **الإمام إبراهيم بيوض رائد الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري (1920-1981)**، بحث دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: إبراهيم فخار، جامعة قسنطينة، 1995-1996م ، ص86.

[7]- محمد ناصر: **الشيخ القرادي حياته وآثاره**، ص191.

[8]- معهد الحياة بالقرارة، من أبرز مظاهر ونتائج الحركة الإصلاحية بوادي ميزاب، تأسس على يد جملة من المصلحين والعلماء بمنطقة وادي ميزاب، ولعل من أبرزهم الشيخ إبراهيم بيوض وكان ذلك في يوم 21 ماي 1925 في حفل بهيج أقيم بمنطقة القرارة، ولقد درّس في هذا المعهد كبار العلماء والفقهاء الإباضيين، وخرّج جملة من الطلبة النجباء كانت منهم لهم بعثات علمية إلى تونس. ينظر: سعيد بن بالحاج شريفي: **معهد الحياة نشأته وتطوره**، تح: محمد ناصر، ط2، نشر جمعية الحياة وجمعية التراث، 2009م، ينظر كله.

كان الطلبة الميزابيون على طول الفترة التي قضوها في تونس، وخاصة إذا تحدثنا عن انخراطهم في الدراسة بجامع الزيتونة، منتسبين أحرارا فقط، ولم يكونوا يدرسون بالطريقة النظامية ومسجلين كباقي الطلبة الآخرين، حيث لم يتحصل معظمهم على الشهادات التي كانت تمنح من طرف جامع الزيتونة في تلك الفترة، كشهادة التحصيل أو الأهلية أو العالمية، والسبب في ذلك هو أن الطلبة الميزابيين كانوا لا يتابعون جميع الدروس التي تلقى في جامع الزيتونة، بل كان أغلبهم يذهب إلى هناك لتقويم اللسان ودراسة التاريخ العام وبعض العلوم الشرعية الأخرى على كبار مشايخ الزيتونة، ولقد كانت الشهادات لا تعطى إلا لمن أتم جميع الدروس وواظب عليها وتفوق فيها.

وقد كان الطلبة الميزابيون يختارون بعض الحلقات التي يشرف عليها كبار العلماء والفقهاء من الزيتونة ويحضرونها كطلبة علم مستمعين فقط، ومع هذا فلقد تحصلوا على إجازات من طرف مشايخ الزيتونة في مختلف الفنون والعلوم، فلقد كان الشيخ محمد بن يوسف الحنفي (مفتي الحنفية) يسهر مع تحضير الدروس إلى وقت متأخر من الليل فتقول له زوجته: قم لتنام، فيقول لها: " كيف ينام من يصبح بين أسد ونمر"، ويعني بالأسد الشيخ أبي إسحاق اطفيش وبالنمر الشيخ يوسف بن بكير حمو علي، وغيرهم من الطلبة النجباء الذين لا يسكتون على محاججته كلما ظهر خطأ أو تناقض في كلامه[1].

فنجد على سبيل المثال بعض الإجازات التي تلقاها الشيخ بكير بن محمد أرشوم من طرف بعض مشايخ الزيتونة، ومنها:

إجازة الشيخ: محمد بن عمر الزغواني يوم 29 جوان 1954م، وكانت في علم التفسير، ومما جاء فيها «...سمع مني الشيخ الفاضل المجاز أبوابا كثيرة من كتاب الإيمان من الصحيحين وتفسير سورة يونس وبعضا من تفسير سورة هود من تفسير أنوار التنزيل للقاضي البيضاوي أجزته في الباقي من الكتب الثلاثة إجازة تامة بالعموم متصفة، وبالاستغراق ملتحفة، على الشرط المعتبر عند أهل الأثر في ذلك بتقوى الله العظيم في السر والعلن والظن أنه لا ينساني من دعواته الصالحة في مظان الإجابة...».

إجازة الشيخ: علي التريكي يوم 1 أفريل 1955م، وكانت في علم القراءات، وجاء فيها:«... فعلم القراءات من أفخر العلوم قدرا، وأعلاها ذكرا، وأتمها مثوبة وأجراء، وكان ممن كرع من زلاته وروى من صفاء كماله، الفقيه النبيه النجيب ابننا الروحي الشيخ بكير ابن الأجل محمد أرشوم فقرأ على العبد الفقير حزبا وربعا بقراءة الإمام نافع ابن أبي رؤيم ومضمن ما في كتاب الدرر اللوامع للعام المقرئ الشيخ أبي الحسن سيدي علي الرباطي المعروف بابن بري بشرح الطود الهمام الشيخ سيدي إبراهيم المارغني شيخ القراء والمقرئين بالجامع الأعظم...، فأقول وبالله بلوغ المأمول قد أجزت لابننا المذكور في الإقراء بقراءة الإمام نافع عن طريق أبي نشيط عن قالون...»[2].

لكن الطلبة الميزابيين بعد ذلك قرروا الدخول إلى جامع الزيتونة بصفة رسمية للحصول على الشهادات العلمية التي يقدمها هذا الصرح العلمي وإكمال الدراسات العليا به، وهو ما يرويه الشيخ صالح باجو الذي كان من أوائل الطلبة الميزابيين الذين تحصلوا على شهادة العالمية من جامع الزيتونة فيقول: «... كنا ندرس في

---

[1]- أحمد بن حمو كروم: **يوسف بن بكير حمو علي (1984/1887) حياته وآثاره**، المرجع السابق، ص16.

[2]- محمد بكير محمد أرشوم: **صفحات مشرقة من مسيرة الشيخ بكير بن محمد أرشوم**، ط1، د.د.ن، 2007م، ص-ص(139-145).

جامع الزيتونة في نظام الحلقات، فكنا نختار بعض المشايخ كالزغواني واللقاني والطاهر بن عاشور وغيرهم من العلماء ونجلس للاستماع على دروسهم والاستفادة منها، وبعد ذلك قررنا نحن الطلبة الميزابيين في تقديم طلب إلى مشيخة الزيتونة من أجل فتح امتحان معادلة لشهادة التحصيل وهي تعادل البكالوريا في نظام معهد الحياة الذي تخرج منه هؤلاء الطلبة، وبعد المشاورة التي قام بها مشايخ جامع الزيتونة في امتحان لمعادلة شهادة معهد الحياة، قبلوا الطلب المقدم من طرفنا، واشترطوا علينا شرطا كان صعبا جدا وهو تحضير مقررات الثلاثة سنوات في ظرف شهر واحد، ولقد احترنا في كيفية إعداد وتحضير تلك الدروس الصعبة في مختلف العلوم الشرعية وكان من ضمنا رسالة أبي زيد القيرواني وشرحها و القصيدة العاصمية والتي يفوق عدد أبياتها الألف وغيرها من العلوم في الفقه والحديث والتفسير، وهكذا قررنا نحن الطلبة وكان عددنا (16) طالبا، في رفع التحدي وبدأنا التحضير لهذا الامتحان، وكنا نراجع ونحضر ليلا ونهارا، ثم شاركنا في الامتحان وكان من نصيبنا النجاح جميعا، وهكذا أصبحنا طلبة بصفة رسمية في جامع الزيتونة، وبعد ذلك تحصلنا على شهادة العالمية، كل حسب تخصصه في الأدب أو العلوم الشرعية»[1].

وبالفعل استطاع الطلبة الميزابيون ترك بصمة علمية بجامع الزيتونة، وبعد ظهور الحكومة الجزائرية المؤقتة قامت بترسيم معهد الحياة حيث أصبحت شهادته معترف بها في جامع الزيتونة[2]، وكل هذا بفضل المجهود الطلابي العلمي والفكري في رحاب الجامع وفي تونس.

ومن بين النشاطات العلمية التي قام بها الطلبة الميزابيون في تونس أيضاً، انخراطهم في اتحاد الطلبة الجزائريين بتونس الذي كان تحت إشراف جبهة التحرير الوطني، فأغنوا فيها غناء حسنا، وكانوا من أكبر أسباب نشاطها وجدواها على الثورة، وكان أغلب رؤساء الخلايا لناحية الطلبة في الجبهة منهم، اختيروا لكفاءاتهم العقلية والخلقية، فقاموا بواجبهم أحسن قيام، وكان رئيس ناحية الطلبة في جبهة التحرير هو محمد بن عمر لعساكر رئيس البعثة البيوضية في تونس، واختير لكفاءته وإخلاصه، فقام بشؤون رئاسته أحسن قيام[3].

ومن المهام التي كلف بها الطلبة أيضاً، هي تعليم اللاجئين الموجودين بتونس، وكما يروي الشيح يحي أبي اليقظان، أنه كان من ضمن الطلبة الذين كلفوا بتعليم اللاجئين بتونس، فكانوا يقومون بتعليم الأطفال والمدنيين بصفة عامة في الفترة الصباحية، أما في الفترة المسائية فلقد كانوا يتنقلون إلى مراكز جيش التحرير ويقومون أيضاً بتقديم دروس لصالح أفراد الجيش الوطني[4].

بفضل كل هذه الجهود التي قام بها المهاجرون الميزابيون في تونس، سواءً منهم الطلبة أو الذين كانوا يمارسون النشاطات الاقتصادية والتجارية، تمكنوا من فرض الاحترام والتقدير من كل طوائف المجتمع التونسي، سواءً العامة، أو النخبة، أو الفئة الحاكمة، فلقد كانت إسهاماتهم كما تطرقنا متعددة ومختلفة مست جل الجوانب في الحياة التونسية.

---

[1]- لقاء شفوي مع الشيخ صالح بن إبراهيم باجو، يوم 31 ديسبمر 2013م،على الساعة 10 صباحا، ببيته بالقرارة.

[2]- لقاء مع يحي أبي اليقظان: المصدر السابق.

[3]- محمد علي دبوز: **أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج3، ص276.

[4]- لقاء مع يحي أبي اليقظان: المصدر السابق.

الخاتمة:

- أثرى الميزابيون الساحة الصحفية التونسية بكم هائل من المقالات والدراسات والقصائد، عبر مختلف مراحل تواجدهم هناك، فلقد كانت الصحف التونسية متنفسا ومنبرا فكريا وأدبيا للطلبة والشخصيات الميزابية المتواجدة في تونس.

- كانت دار البعثة الميزابية في تونس، خلية علمية، وساحة فكرية، ومنتدى ثقافي شامل، جمعت بين الإنتاج الإبداعي والفكري من طرف تلاميذ البعثة كمجلة الوفاق التي أصدرها مفدي زكرياء ورمضان حمود، وأيضا من خلال اللقاءات التي كان ينظمها المشرفون على البعثة للطلبة مع كبار العلماء والزعماء كأمثال عبد العزيز الثعالبي وعبد الحميد بن باديس والفاضل بن عاشور والعقيد عميروش وغيرهم

- منذ اندلاع حرب التحرير بالجزائر، انتقل صداها إلى تونس، وكانت حينها ساحة للنشاط والنضال الثوري من خلال المنظمات المدنية والطلابية التي أنشأتها جبهة التحرير، ولم يتوانى الطلبة الميزابيون في الدخول إلى هذه المنظمات بل كانوا ضمن المسؤولين عن العديد من فروعها والمشاركين في ندواتها ومؤتمراتها خاصة الاتحاد العام للطلبة الجزائريين، كما كان الطلبة صوت الثورة النابض من خلال المشاركة في الملتقيات والندوات الثقافية التونسية أو عبر أثير الإذاعة الوطنية التونسية أيضا من خلال إلقاء الخطب والشعر والأناشيد الحماسية.

البنية الإيقاعية في القصيدة المعاصرة

د.بوعيشة بوعمارة
كلية الآداب واللغات
جامعة زيان عاشوربالجلفة

الملخص:

يقترح هذا البحث دراسة البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة من وجهة يراد لها أن تكون جديدة ، إذ إن التشكيل الإيقاعي هو أحد مكونات تجربة شاعر الحداثة ، وهو مظهر من مظاهر تفعيل الرؤيا كوسيط من وسائط الخلق والإبداع ، وهو من أصعب الآليات المتحكمة في النص الشعري، لأنه يقوم على دعامة توازٍ بين المحورين: الصوتي والدلالي، ويعتبر التنويع الإيقاعي من أبرز التقنيات الأسلوبية التي وظفها شاعر الحداثة، سعيًا وراء تحقيق أكبر قدر من الدرامية على مستوى التعبير، واستجابة لتلون حالاته النفسية وتعدد مقصدياته ، فكان الإيقاع الصوتي وإيقاع السرد والحوار وإيقاع البياض وإيقاع الأفكار.

وبقراءة بعض التجارب الشعرية الرائدة نفاجأ لا محالة بالتحولات الإيقاعية الأساسية التي أظهرت أن التفعيلة لم تستنفذ، فهناك أشكال إيقاعية ما تزال أرضها بكرا.

الكلمات المفاتيح : البنية ، الإيقاع ، الموسيقى ، القصيدة ، المعاصرة

Summary

The composition of rhythm is one of the components of the experience of the poet of modernity, which is a manifestation of the activation of Revelation as a mediator of media creativity and innovation, which is the most difficult controlling the poetic text mechanisms, it is based on a pillar of parallelism between the two axes: Voice and semantic, is diversification rhythm of the highlights stylistic techniques employed by the poet of modernity, in pursuit of the greatest dramas on the expression level, in response to discoloration psychiatric cases is the multiplicity of its aims , was the voice of rhythm and the rhythm of the narrative and dialogue and the rhythm of whiteness and the rhythm of ideas.

By reading some of the leading poetic experiments me got surprised inevitably by the basic rhythmic shifts , which showed that the tone has not been completed , there are rhythmic forms are still virgin territory .

التشكيل الإيقاعي الداخلي في القصيدة :

لا تبنى موسيقى الشعر على الوزن والقافية وحسب، فللشعر ألوان من الموسيقى تعرض في حشوه، وتلك الألوان هي التي يدعوها النقاد الإيقاع الداخلي، ويؤكد الشاعر العربي الحديث على مفهوم الإيقاع الداخلي في الشعر، إذ «إن التعبير الشعري الجديد –كما يرى هذا الشاعر- تعبير بمعاني الكلمات وخصائصها الصوتية أو الموسيقية، والشكل الشعري الجديد هو عودة إلى الكلمة العربية – إلى سحرها الأصلي وإيقاعها وغناها الموسيقى والصوتي».[1] والأنظمة الإيقاعية هي تجسيد للإيقاع الداخلي الذي يحدد التموجات النغمية والجرسية في النصوص الشعرية، لأن جمال هذه النصوص «يأتي بنسبة كبيرة من أن وزنها يتفق مع أوزاننا

---

(1) أدونيس، مقدمة للشعر العربي، ص116.

الحيوية، أي إنه يتفق والشهيق والزفير، وضربات القلب، ووقع الأقدام عند السير، والمعجزة الشعرية من وجهة النظر هذه هي الاتحاد بين الروح والجسد أي بين الفيزيولوجيا والتصوف».[1]

ويحدد "أدونيس" معنى الموسيقى الداخلية –المستقلة عن النظم- فيقول: «لاشك أن الشعر في نشأته ذو صلة بالموسيقى، فقد كان تكرر الصور في فواصل منتظمة، وتساوي اللحظة الموسيقية في الأبيات أو تواقتها، يسهل التراسيم الشعرية القديمة، لكن إيقاع الجملة، وعلائق الأصوات والمعاني والصور وطاقة الكلام الايحائية ... هذه كلها موسيقى، وهي موسيقى مستقلة عن موسيقى الشكل المنظوم».[2]لكن "أدونيس" يخلط هنا في اعتبار الموسيقى الداخلية مستقلة عن الموسيقى الخارجية، وذلك أن الإيقاع الداخلي جزء لا يتجزأ من التشكيل الإيقاعي للنص ككل، وربما أن الكثير من نصوصنا القديمة قد انطوت على تعالق وامتزاج مذهلين، بين الموسيقى الجاهزة (البحر/النظم) والموسيقى الداخلية التي يتحدث عنها أدونيس، فالإيقاع الداخلي جزء متميز في العنصر الموسيقي في القصيدة الحديثة، إنه حركة تنمو وتولد دلالة.وهذا ما تؤكده يمنى العيد حين تقول: الإيقاع الداخلي «جزء هام من عنصر الموسيقى، جزء لا يلغي أجزاء أخرى من هذا العنصر، الأجزاء يمكن البحث عنها في أنواع من الموازنات ومن التقطيع، وفي تشكيل يأخذ بعين الاعتبار جرس الحروف ويعتمد التكرار لها وفق أنساق مختلفة، كما يمكن البحث عنها في فنون عدة، تولد النغم وتخلق الموسيقى صوتا نسمعه عند القراء أو توترا معينا نحسُّه وتراه بصيرتنا».[3] إنه إيقاع يقوم على خلق «التناسق بين أجزاء القصيدة في حركة بنائها نحو التكامل، وهذا الانسجام يكون بين الألفاظ من حيث تجانس حروفها، وبين الصور التي يخلقها الشاعر، مما يعطيه تفردا؛ وهذه الألفاظ وهذه الصور تنمو في القصيدة بتكتيك خاص، بحيث تكون متجاوبة مع المعنى الذي يريده الشاعر والتجربة التي يريد الإفصاح عنها».[4]

فهناك إيقاع داخلي وآخر خارجي، وموسيقى داخلية وأخرى خارجية، على أن الموسيقى الخارجية تشمل الإيقاع والوزن معا، التفعيلة والبيت معا، إذ من غير الممكن الفصل بين الإيقاع الداخلي والخارجي للقصيدة، لأن هذين المفهومين من التداخل والتمازج بمكان، بحيث نعجز موضوعيا عن الفصل بينهما، ومن ثمة فإن مصدر الموسيقى في الشعر ليس التفعيلة وأنواع تشكيلتها فقط بل أجزاء أخرى يجري توقيع الموسيقى بها، منها:

- تكرار أصوات ذوات صفات معينة.
- تكرار مقاطع صوتية أو عبارات أو كلمات ما
- هيمنة أوزان صرفية خاصة أو بنى نحوية معينة
- غلبة الجمل الاسمية أو الفعلية
- هيمنة نمط بلاغي معين
- توظيف لافت لعلامات الترقيم

---

[1] جان برتملي، بحث في علم الجمال، تر: أنور عبد العزيز، القاهرة، مصر، 1970، ص287

[2] أدونيس، مقدمة للشعر العربي، ص116

[3] يمنى العيد، في معرفة النص، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط3، 1985، ص105

[4] المرجع نفسه، ص247

➢ الإكثار من أدوات الربط أو خلو النص منها
➢ هيمنة أسلوب معين

وقد أولى المحدثون الإيقاع الداخلي عناية بالغة لأنه يلفت الانتباه من حيث هو إما قصد لذاته، وإما قصد لصلته بالمعاني، ويبنى هذا الإيقاع على جانبين هامين: « اختيار الكلمات وترتيبها، والمواءمة بين الكلمات والمعاني التي تدل عليها»[1]. من هنا دعا المهتمون بدراسة موسيقى الشعر وإيقاعه إلى دراسة الأصوات لا الأوزان مع ربطها بموضوع القصيدة وصورتها الفنية، ويمكن ملاحظة ذلك بسهولة مثلا في المقطع الأخير من قصيدة "حب تحت المطر" للبياتي، حيث يوظف التقفيات الداخلية بكثافة واضحة، ويستثمر ما في الأفعال من حركة غزيرة لتسهم في تعميق الإحساس بالإيقاع وتوتره:

شاحبة كالوردة تحت عمود النور رآها جاءت
قبل الموعد، كانت في معطفها المطريِّ الأزرق
قبَّلها من فمها، سارا، قالت "فلنسرع"، ضحكا
دخلا بارا، طلبا كأسين، اقتربتْ منه، وضعت
يدها في يده، قالت عيناه لها "حبيني"، غرقا
في حلم: فرآها ورأته في أرض أخرى تحرقها
شمس الصحراء، ابتسما عادا من أرض الحلم، أراها
صورته بلباس البدو الرحل قالت: "من أنت"؟
أجاب: "أنا لا أدري" وبكى، كانت صحراء حمراء
تمتدُّ وتمتدُّ إلى ما شاء الله
لتغطي خارطة الأشياء[2]

فأول ما يلفت النظر في هذا المقطع الانتشار الواسع لصوت الهاء (رآها معطفها قبَّلها، يدها، لها، فرآها، تحرقها، أراها) أضف إلى ذلك الهاء المتصلة بالكلمات (منه، يده، عيناه، رأته، صورته ...)

والهاء صوت «حنجري رخو مجهور مرقق، يتم النطق به بتضييق الأوتار الصوتية إلى مرحلة في منتصف الطريق بين الهمس والجهر»[3]، مما ساهم في تعميق ثراء المقطع بهذه الطاقة ،أضف إلى ذلك الثراء الإيقاعي الناتج عن وزن هذه الكلمات (فمها، يدها) (أراها، رآها)، ثم إن كثرة الأفعال المستخدمة (29 فعلا) وتقاربها تمنح المقطع حركة، كما أن أوزانها: جاءت، كانت، قالت ... (على وزن فعلت). ضحكا، دخلا، طلبا، غرقا ... (على وزن فعلا) أثرت المقطع وزادته ترابطا وإيقاعا وانسجامًا.

إن التقطيع الصوتي يتفاعل مع الوزن ليطبع الأداء اللغوي بأداء معين لينبثق من تفاعلهما هذا الإيقاع بوصفه «العنصر الموسيقي الهام الذي يفرق بين توالي المقاطع حين يراد بها أن تكون نظما، ويحدث توازنا

---

(1) محمد عارف حسين وحسن علي محمد، دراسات في النص الشعري، دار الوفاء، الإسكندرية، 2000، ص13.

(2) عبد الوهاب البياتي، الديوان، ص540-541

(3) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1955، ص103.

وتعويضا بين حروف المد والحروف الصحاح، وهو يمتزج بنغمة موسيقية فيها علو أو هبوط يهدف المنشد بها إلى أن ينفعل السامع فتهتزُّ الأجسام تبعا لتأثر الوجدان».[1]

ومن الأمثلة التي نجد فيها التراكم والامتداد والتكرار وحروف المد، مثال للشاعر "صلاح عبد الصبور" في قصيدة "تأملات في زمن جريح" حيث يقول:

كان بلا أهل، بلا صحاب

فلم يشارك صاحبا حين الصبا لهو الصبا

ليحفظ الوداد في الشباب

كان وحيدا نازفا كعابر السحاب

وشائعا كما الذناب

وكنت أعرفه

أراه كلما رسا بي الصباح في بحيرة العذاب

أجمع في الجراب

بضع لقيمات تناثر على شطوطها التراب

ألقى بها الصبيان للدجاج والكلاب[2]

فكثرة حروف المد وأيضا حروف الصاد والباء أكسبت القصيدة ثقلا موسيقيا لأن تجربة الشاعر يغلب عليها الحزن والأسى، وبين سرعة ذاك وثقل هذا يكمن الشعور بقمة الحزن والأسى وكثرة الألم والسأم.

هكذا تحقق القصيدة الحديثة إيقاعها من قيم لا تقع في الوزن المألوف وما يحدثه الشاعر في الوزن من انحرافات .. إنها تحقق هذا الإيقاع في لغة القصيدة ذاتها، في ما تدخره حروف الكلمة الواحدة من ثراء صوتي دال، وفي ما بين كلمات الجملة الواحدة من جوار متفاعل، وفي ترابط هذه الجملة مع غيرها على نسق معين.

وضمن مناخ الحداثة هذا لم تعد اللغة وسيلة، بل أصبحت «هدفا للخلق وتجليا له، وفي هذه اللغة تبلغ الكثافة حدودها القصية، حيث ينهض صوت الكلمة بدور في تجسيد الدلالة، وتغدو الكلمة شكلا صوتيا للمعنى، كما أن صورتها الحسية أو وجودها الفيزيائي يصبح، بما فيه من بعثرة أو اكتظاظ أو استطالة، صورة مرئية لما تريد التعبير عنه»[3]. فاختيار الإيقاع له وظيفة أسلوبية تتجلى في علاقته بموضوع القصيدة ومضمونها ومن هنا كان الإيقاع شيئا واقعا على جميع اللفظ، إذ إن «الشاعر المتمرس والموهوب هو القادر على خلق الكلمات المشحونة أو شحن الكلمات المألوفة بالانفعالات والمشاعر عن طريق استخدام إمكانيات الكلمة بكل طاقاتها، ووصفها في سياق مواتٍ يجعلها –عن طريق التآلف أو التناقض، مع غيرها من الكلمات- تثير جوا موسيقيا وانفعاليا يتسق مع القصيدة».[4]ذلك أن الشعر–مثلما رأى مالارميه- لا يصنع من الأفكار بل من الكلمات، لأن بعضها يعرف من جرسه فالصوت مهم بالنسبة إلى المعنى، والكلمة يصنعها الشاعر

[1] إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص349.

[2] أدونيس، مقدمة للشعر العربي، ص116

[3] علي جعفر العلاق، في حداثة النص الشعري، ص123.

[4] رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر، ص192.

الموهوب في سياق إيقاعي ونفسي ويحولها عن معناها المألوف المبتذل ويمنحها القوة والقدرة على الإيحاء فتصير مكثَّفة مكثِّفة ذات معان وظلال.

إن الكلمة هي أساس القصيدة لأنها تعنى في الشعر غير ما تعنيه في النثر، فهي ذات إيحاءات، «إنها أشبه بما يوحي به إلينا وجه مألوف لدينا عندما يلتفت الرأس نحوه وتلتقي الأعين بشكل غير متوقع، أو ما يوحي به بشكل طبيعي مألوف إذا انعكس على ضياء جانبي».[1]

والكلمة مشحونة بما يعتمل داخل الشاعر من أحاسيس وانفعالات وبذلك تصير عاملا أساسيا في إثراء الإيقاع في القصيدة، ولذلك يرى نزار قباني أن الإيقاع عمل «مرتبط أعمق الارتباط بحرية الشاعر ومهارته ومعرفته بكيمياء اللفظة»[2]، وهذه المعرفة بكيمياء اللفظة وخصائصها الصوتية جعلت الشعر «هندسة حروف وأصوات» وما الشعراء إلا «مهندسون لكل واحدٍ منهم طريقته في بناء القصيدة وتعميرها».[3]

يقول "صلاح عبد الصبور" في ديوان أحلام الفارس القديم:

لو أننا كنا كغصني شجرة
الشمس أرضعت عروقنا معا
والفجر وأنا ندى معا
ثم اصطبغنا خضرة مزدهرة
حين استطلنا فاعتنقنا أذرعا
وفي الربيع نكتسي ثيابنا الملونة
وفي الخريف نخلع الثياب نعري بدنا
ونستحم في الشتا، يدفئنا حنونا[4]

فالشاعر استخدم إمكانيات اللغة مثلما يستخدم اللحن أو الموسيقى للنغم، وموسيقاه كلها كلمات لأنها معين نفسي لا ينضب، والكلمة –عنده- تحقق مع ما يجاورها جوا موسيقيا مميزا، ينقل المشاعر والأحاسيس والانفعالات المختلفة، فهو هنا يتعامل مع الكلمة وبها لما لها من جرس موسيقي، ذلك أن اللغة «أداة زمنية، لأنها لا تعدو أن تكون مجموعة من الأصوات المقطعة إلى مقاطع تمثل تتابعا زمانيا لحركات وسكنات في نظام اصطلح الناس على أن يجعلوا له دلالات بذاتها، وبهذا المعنى تكون اللغة الدالة تشكيلا معينا لمجموعة المقاطع أو الحركات والسكنات من خلال الزمن، أو هي في الحقيقة تشكيل للزمن نفسه، تشكيلا يجعل له دلالة معينة تماما كما أن التصوير للألوان في المكان له دلالة، أو هو تشكيل، للمكان، للمادة الغفل، بحيث تكتسب معنى خاصا».[5]

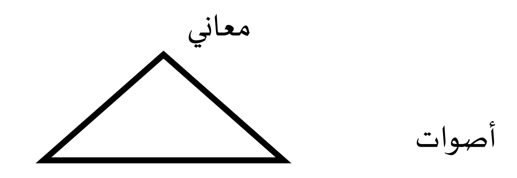
---

[1] مكليش أرشيبالد، الشعر والتجربة، تر: سلمى الخضراء الجيوسي، الهيئة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 1966، ص17.
[2] نزار قباني، الشعر قنديل أخضر، مؤسسة نوفل، لبنان، د ط، د ت ص40.
[3] نزار قباني، الشعر قنديل أخضر ، ص40.
[4] صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ص409.
[5] عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، لبنان، ط4، 1984، ص55.

وما دام الوزن الشعري ينبع في تآلف الكلمات في علاقات صوتية لا تنفصل عن العلاقات الدلالية والنحوية فلابد أن يستمد فاعليته من أداة صياغته ذاتها، أي من اللغة، وليس من مجرد محاكاة فن آخر كالموسيقى.

ويوحد "إليوت" بين موسيقى الألفاظ والمعاني فيقول: «إن القصيدة الموسيقية هي قصيدة يأتلف في بنيتها نمط موسيقى من الأصوات، ونمط موسيقي من المعاني الثانوية للألفاظ في هذه البنية، وأؤكد أن هذين النمطين وحدة لا تتجزأ»[1]، فموسيقى القصيدة هي نتاج تفاعل موسيقى الأصوات والألفاظ والعبارات مع موسيقى المعاني المبثوثة فيها، كل هذا يؤلف وحدة واحدة وموسيقى منسجمة توافق تجربة الشاعر الشعرية والشعورية النفسية.

ويرسم "جوزيف ميشال شريم" علاقة الهندسة الموسيقية بالمضمون على الشكل الآتي:



ثم يقول: «إذا ما اعتمدنا على هذه الترسيمة التي تمثل نوعا ما "دورة مقفلة" نستطيع القول إن الأصوات في نظام اللغة الفونولوجي لا قيمة رمزية لها، بينما هي تثير بعض مشاعر القارئ أو المستمع في فعل كلام محدد، مكتوب أو شفهي، بالاتفاق مع المعنى».[2]

وبذلك فإن اختيار الكلمات نفسيا وموسيقيا وتفجير طاقاتها الإيحائية والدلالية وربطها بأخواتها في تناسب وانسجام زمني يضفي عليها تناسبا إيقاعيا متميزا، ذلك أنه كلما تعددت معاني الكلمات ودلالاتها تعددت سياقاتها وإيقاعاتها، وبما أن اللغة زمنية في طبيعتها -كما قال "د/عز الدين إسماعيل"- فإن التتابع الصوتي يمثل الإطار الموسيقي للنص الشعري، وهو ما أطلق عليه النقاد مصطلح الإيقاع.

وهذا ما يؤكده "أدونيس" حين يقول: «إن الشعر موسيقى، لا يقوم على فكرة محدودة واضحة وإنما يقوم على عناصر تترابط إيقاعيا في ما يشبه الترابط الهندسي، والقصيدة هي إيقاع كلمات، والإيقاع الأصلي: تكرار، وهو إيقاع حر لا غاية له، أي ليس له غرض نفعي معين، وهو يقوم على حركية الكلمات، كمثل الإيقاع الأرابيسكي الذي يقوم على حركية الخطوط، ونظام الإيقاع هنا انثناء وانكسار وتقاطع، وهو حينا آخر تناظر وتبادل أو تماثل، هكذا يسجن العالم مادة، ويتحرر طاقة ودلالة».[3]

أي إن الإيقاع الجديد يكتسي حرية تقوم على حركية الكلمات، فهي تصدر عن تناغم داخلي حركي وليس عن أجزاء شكلية خارجية، وبهذا فإن مفهوم البنية الإيقاعية الداخلية يكتسب معنى شموليا ينطوي على مستويات إيقاعية خفية يمكن الكشف عنها، منها ما له طابع صوتي (إيقاع الحرف والترجيع وإيقاع حركات المد الداخلية المتصلة) ومنها ما له غير الطابع الصوتي والمتصل ببنية اللغة كاللغة الشعرية والصورة والرمز والتراكيب اللغوية والصيغ المختلفة.

---

[1] يوسف حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، ص194.

[2] جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، مجد، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص110.

[3] أدونيس، سياسة الشعر، ص14.

ومن ثمة فالإيقاع هو«الطريقة التي تتوزع بها بعض العناصر المترددة على طول المعطى اللغوي خصوصا منها النبرات والوقفات في المقام الأول ثم الوحدات الصوتية والتركيبة والمعجمية التي يمكن لترددها أن يخلق شعورا بوجود إيقاع»[1] ذي أهمية كبيرة يتولد في حركة موظفة دلاليا ، هكذا يحاول الشاعر المعاصر في سبيل تشكيل إيقاعه الداخلي الإفادة من كل الأدوات المتاحة وأدق الجزئيات من أجل توظيفها واستثمار مكوناتها.

ففي قصيدة "النرفانا" ذات المقاطع الأربعة للشاعر "بلند الحيدري" يتنامى إيقاع داخلي خاص عبر مجموعة من الظواهر التي تفرزها القصيدة بعاملها وأجوائها وفضائها الدلالي:

يا أرض الموتى

موتى

غوري في الموت لحد النتن

لحدّ الجزع

وابتلعي

أمواتك ... ميتا ... ميتا

واقتلعي الصمت

اقتلعي الموت من الرمه

صيري العتمة

في الحزن محاجرنا البيضاء

*

يا أرض موتى

أيتها الهجرة في تيه ليالينا السوداء

صيري

غوري

ابتلعي

اقتلعي

لا تدعي للشره الموقور سوى البغضاء

وغير الصبار

وغير الصحراء

وغير النار المتدلية الأثداء

*

أيتها الهجرة

---

[1] محمد الماكري، الشكل والخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص130.

يا مزق الأشرعة القذرة

يا قلقي المتيبس في شفتي المرة

غوري

اقتلعي

لا تبقى ولا تذري

للدود المستيقظ في الظن

الحالم بالنتن

إلاّ الموت

*

يا أرض الموتى

موتي

لنصير بموتك كل الموت

موت الموت[1]

ففي هذه القصيدة نلاحظ :

- سيطرة أصوات المد بأشكالها المختلفة (رفعا ونصبا وجرا)

- التكرار والترجيعات الصوتية بأشكال مختلفة (تكرار النداء، والأفعال، ولفظ الموت وأداة الاستثناء).

كل هذه الظواهر الأسلوبية ساهمت في تشكيل صورة صوتية متجانسة تؤلف بنية إيقاعية داخلية ميزت تشكيل النص وأثرت الفضاء الدلالي الذي يقدمه هذا التشكيل، والذي يؤسس رمزا أساسيا تتحرك حوله حيوات النص وينبع أساسا من فكرة الموت أو الفناء، هذه الفكرة التي سيطرت على فضاء النص، وهيمنت على الجو العام للقصيدة مما انسجم مع مفردات النص وأساليبه ونسقه ككل.

الإيقاع و اللغة: إن استثمار المستوى الصوتي بوصفه أحد مكونات النص الشعري لدى الشاعر لا يعد أمرا خارجيا على الشعر، إذ إنه يحقق مقاربة ناجحة إذا ما استثمرت في ضوء علاقة الصوت بالدلالة (البحث في بنية صوتية – دلالية) ذلك أن المادة الصوتية في أي لغة من اللغات تكمن فيها إمكانيات تعبيرية هائلة، «فالأصوات وتواقعاتها وألعاب النغم والإيقاع والكثافة والاستمرار والتكرار والتواصل الصامتة، كل هذا يتضمن بمادته طاقة تعبيرية فذة، إلا أنها تظل في طور القوة والكمون ما دامت الدلالة والظلال العاطفية للكلمات مناهضة لها أو غير مكترثة بها، فإذا توافقتمعها انطلقت من عقالها أو انتقلت إلى طور الظهور والفعالية»[2] فلقد كان للظاهرة الصوتية حضور مميز في استقبال الشعر، وهذا أمر طبيعي في جو سادت فيه الشفوية أمدًا طويلا، مما عمق من سلطة الصوت / السماع في تلقي الشعر، وما تؤكده الدراسات في مجال الشعرية العربية وعلاقتها بالشفوية هو ميلاد هذا الشعر إيقاعا في أي نمط مفترض، حتى ارتبط الشعر بالإنشاد.

---

[1] بلند الحيدري، الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص613-615.

[2] صلاح فضل، علم الأسلوب – مبادئه وإجراءاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 1985، ص22

والصوت لا يزال حاضرا يستثير الذاكرة، ويبني أفق انتظارها، ويتدخل بقوة في عملية التلقي، لذلك لعبت الذاكرة الصوتية دورا مهما في استحضار هيئة السماع والتقبل، حين كانت الأذن هي حاسة التذوق العام، وقد صارت الدراسات الصوتية اليوم تحتل مكانة مهمة في القراءات الشعرية سواء تعلق الأمر بأصوات مكتوبة أو أصوات منطوقة، حيث يبحث الشاعر «في اللغة عن الأصوات التي تتفق مع هذا النغم الأصلي، أو تقترب منه، وترتبط الأصوات بكلمات، وتتجمع الكلمات في بواعث أو دوافع (موتيفات) ينتج عنها في نهاية الأمر معنى أو مضمون».[1] ومن ثمة فالأصوات هي البنى الأساسية المشكلة للغة الخطاب، وهي التي تشكل التمايز الدلالي للكمات، وتحدد الفروق بين الدوال والمدلولات، وتساهم في محاصرة المعنى العام للقصيدة.

وتتجلى القيم الصوتية في النص الشعري من خلال أنماط هي:

- موسيقى الحرف.
- موسيقى الكلمة.
- موسيقى النظم والأسلوب.

أ) **موسيقى الحرف:** ويقصد بموسيقى الحرف «النغم الصوتي الذي يحدثه الحرف، وعلاقة هذا النغم بالتيار الشعوري والنفسي في مسار النص الشعري»[2]، إذ إنَّ لكل حرفٍ مخرجا صوتيا، وصفات، ولهذا المخرج وهذه الصفات علاقة شعورية وفنية بدلالة الكلمة.

وتكرار هذه الحروف، وخلال مسافات زمنية قريبة جدا، على مستوى السطر الشعري الواحد من جهة وضمن النص كله من جهة أخرى، ينتج عنه تكثيف صوتي يغني الإيقاع، مما يجعل هذا التكرار المتواتر يبث فينا إحساسا جميلا وغريبا بالانسجام الموجود في النص ففي قول السياب:

في غيمة الرؤيا
يوم بلا ميعاد
جنيكز هل يحيا
جنيكز في بغداد
عين بلا أجفان
تمتد من روحي
شدق بلا إنسان
ينداح في الريح
يعوي أنا إنسان[3]

نلاحظ أن رؤيا الشاعر خاصة، مأساوية تجسد عذاب الإنسان ورعبه وفزعه، ولذلك لجأ إلى موسيقى السريع، التي غلب عليها حرف النون في (جنيكز، عين، أجفان، من، ينداح، أنا، إنسان ...)، لتشكل صورا تعكس حالة الشاعر.وهذا ما يسهم في زيادة طاقة الأصوات التي تؤسس مجتمعة الشكل الإيقاعي للقصيدة

---

[1] عبد الغفار مكاوي، ثورة الشعر الحديث، ثورة الشعر الحديث، ج1، القاهرة، مصر، 1972ص89.

[2] صابر عبد الدائم، موسيقى الشعر العربي، ص28.

[3] بدر شاكر السياب، الديوان، ج1، (أنشودة المطر)، ص429.

لأنها ترسم خطأ إيقاعيا في تشكيل القصيدة ويقوم أساسا على قيم الصوت، وقد كشفت التحليلات الأسلوبية عن «أن إقامة علاقة بين الوصف الصوتي أو اللساني أو الدلالي وطبيعة الخصائص النفسية التي يتمتع بها السياب، إنما تسهم في تجلية بنى أسلوبية استدعتها تلك الخصائص النفسية بشكل لا واعٍ».[1]

ومن أمثلة ذلك شيوع صوت "الراء" في قوافي هذا الشاعر، ففي دراسة أسلوبية قام بها حسن ناظم لأنشودة المطر، لاحظ «أن ثمة ست قصائد يتضاءل فيها تكرار "الراء" على مستوى القافية .. وما تبقى من قصائد (21 قصيدة) إنما تعج بالقافية التي تتخذ الراء رؤيا لها، بل إن ثمة قصيدتين تبلغ فيهما نسبة القوافي المستندة إلى صوت الراء إلى القوافي المتنوعة الأخرى أكثر من النصف، وهما (غارسيا لوركا، وبورسعيد)؛ أما باقي القصائد فإن النسبة قد تبلغ فيها النصف أو ما دون ذلك، بحيث يبقى صوت الراء هو المهيمن على سائر أصوات القصائد».[2]

يقول في غارسيا لوركا:

في قلبه تنور
النار فيه تطعم الجياع
والماء من جحيمه يفور
طوفانه يطهر الأرض من الشرور
ومقلتاه تنسجان من لظي شراع
تجمعان من مغازل المطر
خيوطه، ومن عيون تقدح الشرر
ومن ثدي الأمهات ساعة الرضاع
ومن مدى تسيل منها لذة الثمر
ومن مدى للقابلات تقطع السرر
ومن مدى الغزاة وهي تمضغ الشراع
شراعه النديُّ كالقمر
شراعه القويُّ كالحجر
شراعه السريع مثل لمحة البصر[3]

يتعين من سلسلة القوافي (تنور، يفور، الشرور، المطر، الشرر، الثمر، السرر، القمر، الحجر، البصر)، وكذلك السلسلة الثانية (الجياع، شراع، الرضاع، الشراع)، أنها تمتلك وظيفتين في تشكيل النص: جمالية ومحركة، فكونها جمالية يعني أنها على مستوى التشابه الصوتي تنتهي بنفس الصامت (الراء/العين)، وعلى مستوى التشابه الخطي فهي تندرج ضمن قوافٍ هي جميعها وقفات عروضية في هذه المواقع. إذ يبدأ الشاعر بصوت الراء المنفرد، ثم يكسر القافية بالعين، ويتبعها بسلسلة من الراءات، ويصبح صوت الراء وهو «لثوي

[1] حسن ناظم، البنى الأسلوبية، دراسة في أنشودة المطر للسياب، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص248-249.
[2] المرجع نفسه، ص116-117.
[3] بدر شاكر السياب، الديوان، (أنشودة المطر)، ص333-334.

تكراري مجهور»[1]، صوتا دالا على عمق الأزمة التي كانت تحف بالسياب أو نبضه الشعري، في الوقت الذي يحاول فيه هذا الصوت أن يخفف من وطأتها من خلال ما يتضمنه من خصائص تبعث على الإنطلاق والتجدد والحركية.يقول البياتي:

مدينتي استباحها الغجر
مدينتي أهلكها الضجر
مدينتي، القمر
يخاف من بيوتها المنفوخة
البطون
يخاف من عيون
حاكمها الشرير
الميت الضمير
لكنه يحب في أحيائها الفقيرة
صبية عمياء[2]

ففي تشكيل هذا النص تتطابق المقاطع الصوتية مع الكم الزمني، حيث تفصح عن الزمن المعيشي عن طريق الإدراك الحدسي في انسجام صوتي، يتكرر الصوت الواحد في المساحة المخصصة له في مدة زمنية متجاورة نسبية تعتمد على التقابل والتحويل، وفي الوقت نفسه تتفاعل المقاطع المجهورة المفخمة والمرققة والمقاطع المهموسة المفخمة والمرققة لتوليد الصدمة الانفعالية الدرامية عن طريق الجرس والرنة.وبذلك ترتبط الأصوات اللغوية بالمحاور المعنوية للمتن الشعري، حيث كلما كان تقارب الحروف يكون تقارب في المعنى، إضافة إلى ذلك فإن قيمة الصوت له علاقة بالرتبة في السياق الشعري، حيث كلما وقع خرق في رتبة الجمل تشكل العدول الجمالي في التشكيل الشعري.

ومن الأمثلة التي توافرت فيها هذه الطاقة الإيحائية للصوت –أيضا- قول السياب:

بويب
بويب
أجراس برج ضاع في قرارة البحر
الماء في الجرار، والغروب في الشجر
وتنضح الجرار أجراسا من المطر. [3]

فقد تميز السياب برهافة حسٍ موسيقى، جعلته قادرا على «إدراك الصوت وضبطه في مادة لغوية تحفز فيه القوة الإيحائية، وهو يستشعر الأصوات المختلفة لعناصر الطبيعية فيفرغها بتشكيلاتها من الحروف الموحية

[1] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص104.
[2] عبد الوهاب البياتي، الديوان، ص297.
[3] بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص141.

بجرسها واجتماعها في هيئة مخصوصة ... فجمع من هذه الطاقة الصوتية مادة لا تجدها عند شاعر من شعراء العربية الآخرين، وقد سُمت لغته بالحياة التي تغمر عناصر الطبيعة».[1]

فهو في المقطع (السابق) قد خلق تجانسا صوتيا بين الجيم والراء يؤدي وظيفته في التعبير عن إحساس الشاعر وتعميقه، ففي: جرار، أجراس، برج، شجر إطلاقية في التعبير عمقت إحساس السياب بـ"بويب" التي كررها في مطلع القصيدة.

والملاحظ أن صوت الراء قد شكل نسيج القصيدة التي منها هذا المقطع، إذ انسجم بظلاله التي توحي بالتحسر والألم والأسف مع تجربة القصيدة وبذلك ارتبط بتشكيلها الجمالي ككل.

ب) موسيقى الكلمة والنظم والأسلوب:إنَّ للكلمة إيقاعا مؤثرا في موقعها من النص، وفي دلالتها اللغوية والإيحائية، وذلك مما يسمونه بالحرس اللفظي وله صلة أكيدة بالموسيقى الداخلية في القصيدة» ، كما أن للعبارة نسقا خاصا، وهذا النسق الخاص من التأليف له ضروراته الفنية في صياغة الشعر.

ولقد وردت في الأشكال الشعرية العربية المعاصرة أنماط من الجناس يمكن حصرها في: **جناس المماثلة**: ويقصد به حالة تطابق في كل الصفات أو في أغلبها. ومن أمثلة ذلك قول "محمد السرغيني":

هي **الماء** وهي النقش على **الماء**[2]

جناس ازدواجي: يعتمد أساسا على الصيغة الصرفية، للحفاظ على الوحدة الإيقاعية، مثل قول "أدونيس":[3]

أحلم يا دمشق

بالرعب في ظلال قاسيون

بالزمن الماضي بلا عيون

بالجسد اليابس بالمقابر الخرساء

فالصيغ هي: (زمن، جسد) وزن فعل/ (قاسيون، لاعبون) وزن فاعلون /(ماضي يابس) وزن فاعل، وقد خلقت هذه الأوزان حركة تموجية إيقاعية في هذا المقطع، ويمكن اعتبار أوزان الألفاظ أبنية مركبة على هيئة مخصوصة تتألف على مثالها حروف الكلمة الأصلية والزائدة، ويمكن أن ننظر إليها من جهة أخرى على أنها أوزان موسيقية خاصة، فإن جميع الألفاظ المبنية على هيئة (فاعل) مثلا هي من وزن موسيقى واحدٍ، وكذلك ما كان على وزن (مفعل) أو (مفعول) أو (فعيل) أو (فعول) أو غيرها من الأبنية»

وقد وظف الشعراء الجناس توظيفا جديدا يثرون به الجانب الموسيقي في القصيدة ليصبح بذاته عنصرا إيحائيا بارعا يخلق جوا موسيقيا خاصا في القصيدة، ومن أمثلته قول "السياب":

الأفق غابات من السحب الثقيلة والرعود

....

مبتلة بالماء منطمس بها ألق الوعود[4]

---

[1] إبراهيم السامرائي، لغة الشعر بين جيلين، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص231-232.

[2] محمد السرغيني، ويكون إحراق الأسماء الآتية، ص63

[3] أدونيس، تحولات الصقر، ص255.

[4] بدر شاكر السياب، الديوان، ص62-63

فالتجانس حاصل بين (الرعود والوعود) نتيجة الاختلاف في سمة مميزة هي "الراء" في الرعود و"الواو" في الوعود، وهما غير متقاربين في السياق لكن المتأمل يلحظ التجانس بينهما، وهكذا استطاع الشاعر تشكيل نصه بخلق تعالق بين الألفاظ (الرعود/الوعود) وفق علاقة مجازية مرسلة طبعت مقطعه هذا بالكثافة واختزال الإيقاع وخلق التماسك والتلاحم النظمي للنص الشعري ككل، مما يقوي التركيب ويعمق المعنى ويمتن السياق الدلالي الذي يشتغل على مساحة أوسع تستغرق القصيدة كلها.

ومن أمثلته أيضا قول "أمل دنقل" في قصيدته "صلاة":

تفردت وحدك باليسر، إن اليمين لفي خسر، أما

اليسار ففي العسر، إلاّ الذين يماشون، إلا الذين

يعيشون يحشون بالصحف المشتراة العيون

فيعشون، إلا الذين ينشون، وإلا الذين يوشون

ياقات قمصانهم برباط السكون.[1]

فالتجنيس ملحوظ بين (اليسر وعسر) و(يعيشون، يحشون، يعشون، ينشون، يوشون) مما أضفى نغما موسيقيا خاصا على هذا المقطع.

وتحدد القيم الإيقاعية للفظة المفردة مجموعة من التقنيات «منها ما هو موروث كالترصيع والتجنيس»[2]، ومنها ما هو مستحدث «يعتمد أساسا على التكرار وما ينجم عنه من تشكيلات مختلفة، تقترن بإمكانية غنية ومتعددة».[3] ومن أمثلة الترصيع قول "السياب" :

شراعه الندي كالقمر

شراعه القوي كالحجر

شراعه السريع مثل لمحة البصر.[4]

فالترصيع حاصل بين (الندي والقوي) و(القمر، الحجر، البصر)، من خلال خلق فصل موقّت بين التشكيلين: الصوتي والتفعيلي، مع اعتماد تكرار لفظ شراعه كل مرة، والتوازي بين (الندي، القوي) و(القمر، الحجر، البصر)، وتماثل الصيغ بين هذه الكلمات، فالشاعر شكل نصه بالترصيع المتوازي الناتج عن تماثل المواقع، والمدعوم بالتكرار، ولعل ما يجتمع من خيوط في هذا المقطع الشعري ينسج منه الشراع الذي يستوي لوحة ليس للخيط فيها من قيمة إلا بتعلقه بالخيوط الأخرى، ويعد التجنيس قطبا من أقطاب الفاعلية الأسلوبية والشعرية، إذ يساهم في شحن الأسلوب بطاقة شعرية من خلال تكراره، ويحقق كثافة موسيقية تجعل النفس تميل إلى الإصغاء إليه وتتأثر بمعناه، كما يعمل على تجسيد التفاعل بين الصوت والدلالة.ومن نماذجه أيضا قول "عبد الصبور":

---

[1] أمل دنقل، الديوان، ص07

[2] العسكري (أبو هلال)، كتاب الصناعتين، تحق: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، د ط، د ت، ص321-375.

[3] حسن الغرفي، حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، ص43-44.

[4] بدر شاكر السياب، الديوان، ص334.

الله ما أعظمكم ، وما أرقكم، وما

أنبلكم، وما أشجعكم، وما

أخبركم بالخيل والطعان والضراب والكمائن

والفتح والتعمير والتدمير والتحبير والتسطير

والتفكير والتخريب والتجريب والتدريب والألحان

والأوزان والألوان والبناء والغناء والنساء

والثراء والكراء والعلوم والفنون واللغات

والسمات[1]

فالتجنيس في هذا المقطع أفرز مجموعة من القيم الأسلوبية تتمثل في توازن الصيغ وتكرارها، وتراكم الأصوات وتجانسها.

فصوت الراء تكرر (13 مرة) ، والهمزة (11مرة)، والتاء (11مرة)، والكاف (08مرات)، ثم إن هذه الأصوات تكررت في صيغ متوازنة متجانسة في الصوائت والصوامت هكذا:

التخريب – التجريب – التدريب

التعمير - التدمير – التحبير – التسطير – التفكير

أعظمكم – أشجعكم – أرفكم – أنبلكم – أخبركم

البناء – الفناء - النساء - الشراء – الكراء

الألحان – الأوزان - الألوان .

اللغات – السمات

حتى إن هذا التوافق والانسجام والتوازي ذو قيمة فنية قاومت القافية الختامية، مع الإشارة إلى أنه أدى في الوقت نفسه إلى إدراج بنية المقطع في إطار الإيقاع النثري. ومن الأمثلة المدعمة لذلك أيضا قول "السياب":

ما زال ناقوس أبيك يقلق المساء

بأفجع الرثاء

هياي ... كونغاي، كونغاي

فيفرغ الصغار في الدروب

ويخفق القلوب

وتغلق الدور بيكين وشنغهاي

من رجع كونغاي، كونغاي

فلتحرقني وطفلك الوليد

ليجمع الحديد بالحديد

والفحم والنحاس بالنضار

---

[1] صلاح عبد الصبور، تأملات زمن جريح، ص20-22.

والعالم القديم بالجديد

آلهة الحديد والنحاس والدمار

أبوك رائد المحيط نام في القرار

من مقلتيه لؤلؤ يبيعه التجار[1]

فالألفاظ لها أوزان موسيقية مكررة صبغت النص بإيقاع نغمي جميل نوّع المعاني، إذا حين إنها تتصل بالأفعال أو الأسماء لا تفسد موسيقاها، بل تكوِّن صلة بين الأوزان، أو تتصل بالوزن فتكوِّن معه وزنا جديدا، وتتوزع في أي كلام عربي توزعا لا يفسد الانسجام ولا ينقصه، أو تكون حرفين مثل (قد، لم، لا، لن، من، في، أم)، وهذه تؤلف فاصلة موسيقية صغيرة تدخل في حشو الكلام، وفي تضاعيف أوزان الألفاظ. أو أن تكون ثلاثة أحرف وتكون في هذه الحالة ذات وزن موسيقي كامل مشابه لأوزان الأسماء والأفعال، وذلك مثل (على، إلى) ومثلها ثم وربّ وعند.

وصفوة القول :

إن التشكيل الإيقاعي هو أحد مكونات تجربة شاعر الحداثة ،وهو مظهر من مظاهر تفعيل الرؤيا كوسيط من وسائط الخلق والإبداع ، وهو من أصعب الآليات المتحكمة في النص الشعري، لأنه يقوم على دعامة توازٍ بين المحورين: الصوتي والدلالي، ويعتبر التنويع الإيقاعي من أبرز التقنيات الأسلوبية التي وظفها شاعر الحداثة، سعيًا وراء تحقيق أكبر قدر من الدرامية على مستوى التعبير، واستجابة لتلون حالاته النفسية وتعدد مقصدياته، فالتشكيل الإيقاعي لم يعد مجرد فاعلية تركيبية تنتهي بوقفة يقررها البيت الشعري وإنما أصبح فاعلية سياقية يتم إدراكها على مستويات عدة.

إن النظام الإيقاعي الذي يحكم حركة القصيدة لا يشكل إيقاعيتها بنمط واحد وسياق واحد، بل تتعدد هذه الأنماط والسياقات طبقا للتنوع الأكيد الحاصل في تجارب الشعراء، فما دام لكل قصيدة تجربتها الخاصة التي تفرض نمطا إيقاعيا محددا يتلاءم مع خصوصية هذه التجربة، فإن أنماط الإيقاع تعددت وتنوعت، فكان الإيقاع الصوتي وإيقاع السرد والحوار وإيقاع البياض وإيقاع الأفكار.

فشعراء الحداثة يقرون بضرورة العنصر الموسيقي في الشعر، لكنهم يرون أن لكل شاعر الحرية في إيجاد إيقاعه الخاص وموسيقاه التي تتعذر شكلنتها، ومن هذه الحرية والتميز ينبع الوعي الفني في اختيار التشكيل الإيقاعي الملائم، بوصفه وظيفة فنية موسيقية يتوالد حسب التجارب ليتجسد في إيقاعات ،وبقراءة بعض التجارب الشعرية الرائدة نفاجأ لا محالة بالتحولات الإيقاعية الأساسية التي أظهرت أن التفعيلة لم تستنفذ، فهناك أشكال إيقاعية ما تزال أرضها بكرا.

قائمة المصادر والمراجع :

- إبراهيم السامرائي، لغة الشعر بين جيلين، دار الثقافة، بيروت، لبنان ،دط ، دت .
- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر ،المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط4، 1972.
- أدونيس، سياسة الشعر، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1985
- أدونيس، مقدمة للشعر العربي ، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، 1979.

[1] بدر شاكر السياب، الديوان، ص355

- أمل دنقل، الديوان ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر، 1995.
- بدر شاكر السياب ، الديوان، أنشودة المطر ج1، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1971.
- بلند الحيدري ، الديوان، دار العودة ، بيروت، لبنان، ط2 ، 1980 .
- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1955 .
- جان برتملي، بحث في علم الجمال، تر: أنور عبد العزيز، القاهرة، مصر، 1970.
- جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، مجد، بيروت، لبنان، ط1، 1984 .
- حسن الغرفي، حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، إفريقيا للشرق، المغرب، 2001.
- حسن ناظم، البنى الأسلوبية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002 .
- رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 1998.
- صابر عبد الدائم، موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1993.
- صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993.
- صلاح فضل، علم الأسلوب – مبادئه وإجراءاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 1985 .
- عبد الغفار مكاوي، ثورة الشعر الحديث، ثورة الشعر الحديث، ج1، القاهرة، مصر، 1972 .
- عبد الوهاب البياتي، الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1972.
- عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، لبنان، ط4، 1984، .
- العسكري(أبوهلال)، الصناعتين، تحق: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، لبنان
- علي جعفر العلاق، في حداثة النص الشعري، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2003.
- محمد الماكري، الشكل والخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991 .
- محمد عارف حسين وحسن علي محمد، دراسات في النص الشعري، دار الوفاء، الإسكندرية، 2000 .
- مكليش أرشيبالد، الشعر والتجربة، تر: سلمى الخضراء الجيوسي، الهيئة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 1966
- نزار قباني، الشعر قنديل أخضر، مؤسسة نوفل، بيروت ،لبنان، د ط، د ت
- يمنى العيد، في معرفة النص، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط3، 1985.
- يوسف حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم ،دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1983.

سيمياء الغلاف

رواية "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج نموذجا(*)

د.عبد القادر شريف حسني

قسم اللغة العربية وآدابها – كلية اللغات والآداب

جامعة عبد الرحمن بن خلدون – تيارت / الجزائر

الملخص:أولت الدراسات الحديثة عناية كبيرة لتحليل الخطابات الروائية، وما يلازمها من إشكالات القراءة، والفهم. وفي غمرة هذا الاهتمام ظهرت العناية بالعتبات، كخطابات ذات أبعاد دلالية مهمة، وعلى رأس هذه العتبات ما يحتويه الغلاف؛ إذ يمثل الغلاف قاعدة تواصلية تمكن المتلقي من الانفتاح على الأبعاد الدلالية للنص، التي تغني التركيب العام لهذا النص، بيد أن هذه العتبات لا يمكن لها أن تكتسب أهميتها الدلالية بمعزل عن طبيعة النص الداخلية، وبمنأى عن مغزى المؤلف واختياراته لهذه العتبات التي تحيط بالغلاف؛ هذه اللوحة الفنية التي تتكون بدورها من عدة عتبات تتمثل في عنوان الرواية وأيقونتها، واسم المؤلف، وكلمة الغلاف. .إلخ، كنصوص محاذية تقربنا من مساءلة النص. والهدف من ذلك هو محاولة إنجاز قراءة تحليلية لفهم ما للعتبة من دور في تحديد الدلالة العامة للنص، إذ تقدم لنا رواية "كتاب الأمير" جملة من العتبات التي يمكن أن ننطلق منها في هذه المقاربة.

الكلمات المفتاحيّة:الغلاف، اسم المؤلف، العنوان، الأيقونة، الناشر، كلمة الغلاف، ظهر الكتاب.

Abstract_The new studies has given a big importance to the novelistic letter’s analysis and so to the understanding and reading problems .and during this huge interest they started caring about the thresholds such as the letters that has an imperative semantic dimension, and the most important one is the cover because it represents an interactive base that enable the recipient to recognize the semantic dimensions of the text which enrich the general installation of the text. However this threshold can’t be that important without the inner nature of the text and the author’s aim and the way he chose the “thresholds “that surround the cover , this the artistic panel which is composed from many thresholds in the title of the novel and it’s icon , and the name of the author and the word of the cover … etc like the parallels texts that makes us closer from the principal text, and the goal behind that is trying to accomplish a analytic reading to understand the threshold ‘s role in determining the general significance of the text , as the novel of “the prince’s book” some thresholds which we can use to proceed in this approach

المقدمة:يُجمع أغلب النقاد على أن السيمياء هي ذلك العلم الذي يهتم بدراسة العلامات، وفهم النصوص وتأويلها؛ سواء كانت هذه العلامات لسانية أو غير لسانية؛ أي أنه العلم الذي يهتم بدراسة العلامة كيفما

---

[*] - تدور أحداث رواية "كتاب الأمير" للكاتب الجزائري واسيني الأعرج عن الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة في منتصف القرن التاسع عشر، إذ تتناول وضع الجزائر في هذه المرحلة من تاريخها. وقد صدرت الطبعة الأولى من هذه الرواية عن دار الفضاء الحر سنة 2004، وهي مكونة من554 صفحة من الحجم الصغير، وفي سنة 2005 تمّ اختيارها لتنشر ضمن مشروع "كتاب في جريدة" في إطار المشروع الذي تقدمت به اليونسكو، وفي سنة 2006 تحصل على جائزة المكتبيين الكبرى على روايته هذه، التي تمنح لأكثر الكتب رواجا واهتماما نقديا، كما تحصلت هذه الرواية على جائزة الشيخ زايد للآداب لسنة 2007.

كانت، وبأنماطها المختلفة في حياة المجتمع. وتتناول السيمياء العديد من المجالات؛ منها العلمية، والبصرية، ومختلف أنواع الأيقونات، كما أنها تتقاطع مع العديد من العلوم الأخرى، كعلم التاريخ، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة، وشتى العلوم المعرفية الأخرى، ولاسيما البصرية منها.

ومن المعروف أن قراءة الصور والألوان، قراءة متعددة لا تضبطها قواعد دقيقة، وهي محفوفة بكثير من المزالق؛ والدلالة فيها زئبقية لا يتم القبض عليها بسهولة، بسبب اختلاف المرجعيات، ولكن الرغبة في البحث والتقصي هو ما يدفعنا إلى محاولة الكشف عن أكبر عدد من الدلالات التي تقدمها هذه الخطوط، والألوان والصور الدالة على مضمون المادة الأدبية، وذلك بالنظر إلى التطور الكبير الذي شهده مجال الصورة، وقابلية هذه الصورة للمقاربة السيميولوجية التي اقتحمت هذا المجال محللة إياه، مستخلصة الدلالات الممكنة، ليعلن الغلاف عن سلطته في شد المتلقي، باعتباره -الغلاف- محيطا ثقافيا لا يقل أهمية عما يقدمه النص.

وتستهدف هذه القراءة محاولة النفاذ إلى استكشاف ما يضمره غلاف الرواية، من خلال التركيز على العتبات الخارجية لما لها من أهمية في فهم خصوصية النص، وتحديد مقاصده الدلالية، ولهذا فإن هذه المقاربة تطمح لأن تطابق هذه العتبات مع مضمون النص بهدف إضاءة العلاقة القائمة بين الغلاف والنص.

كما أن التساؤل حول طبيعة الغلاف من حيث كونه لغة لم يكن مقتصرا على العنوان واسم المؤلف بل تعداهما إلى التركيز وبشكل كبير على الأيقونة، وهل تشكل هذه الأيقونة الصورية لغة تشبه اللغة الكلاميّة؟ باعتبارها تعبر عن الإنسان بشيء من الترميز، وإذا كان الغلاف يجمع بين اللغة والصورة، فهل تتساوى تعبيرية الصورة مع تعبيرية الكلمة؟ ولذلك فإننا سنقترح على القارئ جملة من التساؤلات التي من شأنها أن تفتح مجال البحث، والتحري في دلالة ما يحتويه الغلاف. وتأسيسا على هذه الفرضية، يمكن أن نتساءل عن دور العتبات في إنتاج الدلالة؟ وهل للغلاف دور في ذلك؟ أم أنه مجرد شكل؟ وهل هو من تصميم المؤلف؟ أم أنه من صنع الناشر؟ أم أنهما يشتركان في ذلك؟ وما هو الجديد الذي يقدمه الغلاف حينما يشتغل على الأعمال الروائية؟ وهل نجحت عتبات الغلاف في مباغتة قارئها على كل المستويات اللغوية؟ أم أنها مجرد تقنيات توظف على سطح الغلاف؟ وهل يشكل العنوان جملة في النص؟ أم أنه منفصل عن النص؟ وهل تشترك كل هذه العتبات لتقدم ما يطلبه المتلقي؟ أم أن القراءة مجرد عملية استهلاكية لا تستدعي التأمل فيها؟ وهل الأيقونة مقيدة بقصدية الأداء؟ أم أنها متحررة من هذه القصدية؟ وهل المتلقي مقيد بهذه القصدية؟ أم أنه حرّ في كشف دلالاتها؟وانطلاقا من هذه التساؤلات نفتح المجال لهذه المقاربة لتقدم لنا ما من شأنه أن ينير دربنا، ويكشف عن العديد من الفرضيات التي بإمكانها أن تبيّن جانبا كبيرا من القضايا التي يقدمها الكاتب في إنتاجه لنصه هذا، ذلك أن هذه العتبات الموجودة على غلاف الرواية تمكن المتلقي من كشف جملة من الاحتمالات الدلالية، التي تفتح أمامه عددا من الاستنتاجات، انطلاقا من العنوان وصولا إلى كل العتبات النصية التي تشكل الرواية.

عتبة منهجية:إن الإقبال على أي مقاربة لابد لها من خطة مدروسة، من شأنها أن تساعد على التحليل والدراسة، وبالتالي فكل هذه العمليات تجعل من النص بناء، لا يمكننا الدخول إلى فضاءاته دون الاعتماد على عتباته، "ومن لا ينتبه إلى طبيعة ونوعية العتبات يتعثر بها، ومن لا يحسن التمييز بينها، من حيث أنواعها وطبائعها ووظائفها، يخطئ "أبواب" النص، فيبقى خارجه، أو حتى عندما يدخل إليه، يبقى خارج فضاء

النص، لأن ما انتهى إليه لا يسلم إليه، لأنه ليس الفضاء الذي يقصد"([1])، وهو ما يستدعي امتلاك جملة من الأدوات المعرفية التي تساعد على دخول النص، وكشف دلالاته. وبالتالي، فمقاربتنا هذه تركز على غلاف الرواية بما يحتويه من عناصر، وهذه العناصر تدخل تحت ما يسمى بـ "المناصات([2]) ذات التمظهرات المادية" والتي تركز على اختيارات الكاتب الطباعية، والرقمية، من مثل أشكال الخطوط، ونوعية الورق، والألوان، وهناك كذلك "مناصات ذات تمظهرات أيقونية" والتي تتمثل في تصميم الغلاف، الرسومات، الصور وأشكال هندسية كيفما كان نوعها، كما أن هناك نوع من "المناصات ذات التمظهرات الفعلية"، ويدخل فيها سن المؤلف، وجنسه، والشهادات التي أحرزها([3]). وهو ما سنشير إليه من خلال عتبة اسم الكاتب. وتتمثل المناصات في جملة من العتبات التي من خلالها ندخل النص، ولكننا لا نركز إلا على التي تحيط بالنص من الخارج، وخاصة تلك التي يحتويها فضاء الغلاف، من مثل اسم الكاتب، العنوان الرئيسي([4])، العنوان الفرعي، الأيقونة، الإشهار، دار النشر، ظهر الكتاب، كلمة الغلاف...إلخ، ودور هذه العتبات في تحديد النص، وإنارة الطريق أمام المتلقي، وعليه يمكن لنا أن نبدأ من التالي:

الغلاف: للغلاف أقسام تختلف باختلاف جنس العمل.

أقسام الغلاف: حدد عبد الحق بلعابد أقسام الغلاف من خلال دراسته لكتاب "جيرار جينيت"، كالتالي:

1- **صفحة الغلاف الأولى**: وتضم اسم المؤلف الحقيقي أو المستعار، بالإضافة إلى عنوان أو عناوين المؤَلف، وجنس الكتاب، واسم المترجم والمحقق، والناشر، بالإضافة إلى التصدير، والإهداء.

2- **الصفحة الثانية والثالثة للغلاف**: وتسمى كل منهما بالصفحة الداخلية، وفي الغالب الأعم أنهما صامتتين.

3- **الصفحة الرابعة**: ويمكن أن تحتوي التذكير بالكتاب عامة، كاسم المؤلف، والعنوان، وسنة الطبع، ورقم الطبعة، وكلمة الناشر...إلخ.([5])

تصميم الغلاف: على المصمم أن يعرف طبيعة المتلقين، وأن يدرك كيفية تأثير الصور والألوان، وحتى الكلمات في إقناعهم من خلال ما يتم تقديمه من مظاهر جذابة في تنظيم الغلاف، ذلك أن "التصميم في

---

[1] - عبد الحق بلعابد، عتبات "جيرار جينيت من النص إلى المناص"، تقديم: سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، لبنان، ط1، 2008، ص: 16.

[2] - المناص هو جملة العتبات التي ندخل من خلالها إلى النص لنتحاور مع المؤلف الحقيقي أو المتخيل. ينظر عبد الحق بلعابد، المرجع نفسه، ص: 44.

[3] - ينظر عبد الحق بلعابد، المرجع نفسه، ص: 53.

[4] - يستعمل بعض الكتاب "الرئيسي" وينكر الكثير ذلك، فيقولون "رئيس"، ومن هذا المنطلق يمكن لنا أن نقدم قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، في إجازة "رئيسي"؛ إذ ذهب علماء اللغة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى أن استعمال كلمة "رئيسي" في الاستعمالات الحديثة صحيح، وأن الوصف رئيس غير الوصف برئيسي منسوبا، إلا أن طرق التعبير عن المعاني مشروعة، وأن النسب إلى الأسماء والمصادر لا حصر له، وقد يجيء من الفعل والضمير والأداة والحرف. وهناك من يرى أن كلمة (رئيس) صفة، وأنت إذا أردت الوصف قلت: هذا الشيء كبير، أو صغير ولم تقل كبيري ولا صغيري، فكذلك تقول: رئيس لا رئيسي. وعلى أساس من ذلك كله يقترح المجمع القرار التالي: **"يقرر المجمع صحة "رئيسي" في النسبة إلى رئيس وصفا للأشخاص والأشياء والظواهر والعناصر والاتجاهات والأفكار وما إليها من ذوات الأهمية الخاصة في بابها أو التميز على أشباهها أو التأثير في سواها"**. ينظر محمد شوقي أمين، مصطفى حجازي، كتاب الألفاظ والأساليب، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، 1976، ص: 32.

[5] - ينظر عبد الحق بلعابد، عتبات، المرجع السابق، صص: 46، 47.

اللوحة هو الصيغة البصرية لها، أو هو التنظيم الخاص لخطوطها، وأشكالها، وألوانها، وغير ذلك من المكونات في نمط تعبيري خاص، إنه ذلك التنظيم الشكلي الذي يعطي للوحة اكتمالها وحضورها الخاص، والذي يعطي بدوره إحساسا بصريا خاصا بالمكان والكتلة والحركة والضوء"([1])، وتقسم الأغلفة بشكل عام إلى أربعة:

1- **الغلاف التعبيري:** ويختلف هذا النوع من حيث الإخراج والتنفيذ بالرسم أو الفوتوغراف، أو مزجهما من خلال ما يسمى بالكولاج.

2- **الغلاف الفوتوغرافي البسيط:** وهو الذي يقدم الظواهر المرئية، ويميل إلى الواقع.

3- **الغلاف التكويني الفني:** ويعتمد على الأشكال الهندسية مع إضافة بعض التشكيلات الخطية ويركز هذا النوع على الناحية الجمالية.

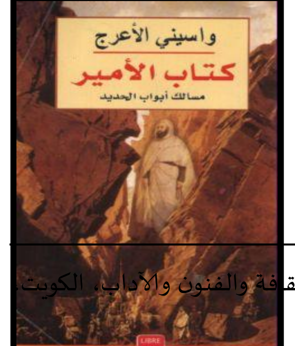
4- **الغلاف المرسوم:** ويعتمد على الرسام، ويكون إما مدخلا لرواية أو قصة، أو سيناريو قدمه الرسام حسب أفقه...إلخ([2])، وهو الذي سننطلق منه.ويعتمد تصميم الغلاف على وظائف جمالية متنوعة وفق ما يخدم النص ويعكسه من الداخل، مما يجعل المصمم أو الرسام مدركاً لما يقدم، ذلك أن "التنظيمات الجمالية في الفن توحد العناصر التي يستعملها المصمم في بناء متداخل ومتماسك يساعد على تحقيق الوحدة التصميمية"([3]) للغلاف، حتى يخرج في صورته النهائية، وبالتالي فإن الأسس العامة التي تحكم الأعمال التصميمية هي العلاقة بين بعدها الجمالي والفني من جهة، ووظيفتها من جهة أخرى، وتعتمد هذه العلاقة على قدرة المصمم في ترتيب وتنظيم العلاقة بين عناصر الغلاف، إذ ينطلق المصمم في هندسة لوحته من مضمون العمل، ذلك أن هناك علاقة وطيدة بين كاتب النص ورسام اللوحة "فكلاهما يخيل الأشياء إلى المتلقي، ويقدمها إليه تقديما محسوسا، حتى لو كان يحاكي أفكاراً مجردة وانفعالات نفسية، إذ يظل الرسام يتوسل بالمنظور والمشهد المباشر"([4])، ويتوسل الروائي بلغة تثير الانفعال، وتدغدغ المتلقين.

كما يعتمد مصمم الغلاف على جملة من العناصر في عمله هذا، يمكن أن نحدد منها التالي:

1- تحقيق عنصر الجاذبية وشد الانتباه من خلال توزيع العناصر، كالعنوان، واسم المؤلف، والرسوم، والألوان، ونوعية الخط...إلخ.

2- تطبيق الأسس التي تتناسب مع الرواية، ومع رؤية صاحبها.

3- توظيف المعالجات الفنية التي تتوافق مع طبيعة العمل.([5])



أما رواية "كتاب الأمير"، فإن المصمم فيها قد قسم واجهة الغلاف إلى جملة من الفضاءات الصغيرة المتعددة الألوان، التي شكلت العناصر البنيوية كحيز فضائي حامل لهذه العناصر يسيطر عليها اللون البني، ذي الدلالة النارية، واللون الأصفر

---

[1] - ينظر شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي "دراسة في سيكولوجية التذوق الفني"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم: 267، مارس، 2001، ص: 261.

[2] - ينظر سحر علي سرحان، فاعلية البنية التصميمية لأغلفة مجلات الأطفال، مجلة الأكاديمي، العدد54، 2010، ص: 90.

[3] - المرجع نفسه، ص: 91.

[4] - جابر عصفور، في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط3، 1993، ص: 287.

[5] - ينظر سحر علي سرحان، فاعلية البنية التصميمية لأغلفة مجلات الأطفال، المرجع السابق، ص: 93.

من خلال الإطار البني المستطيل في أعلى الصفحة ذي الأرضية الصفراء الذي يرتبط هو الآخر بالألوان الدافئة، ويرمز إلى الثروة والمجد والإرادة([1])، إذ نجد أن هذا الفضاء الأصفر يحتوي العنوان الرئيسي باللون الأحمر، والعنوان الفرعي باللون الأسود، وأعلاهما اسم المؤلف باللون الأسود، معتمدا في ذلك خط النسخ؛ هذا الخط الذي نال عناية كبيرة في العصور العباسية، وهو الذي كتبت به المصاحف في العصور الإسلامية الوسطى، وغدا بعد ذلك التذوق المفضل، كما أنه يساعد الكاتب على السير بقلمه بسرعة([2])، وسمي بالنسخ، لأن الكتاب كانوا ينسخون به المصاحف، ويكتبون به الكتب والمؤلفات، وقد سمي كذلك بـ"البديع".([3]) وقد جاء حجم الرواية وفق الأبعاد التالية: (18×12 سم)، وهي لوحة فنية متنوعة وظف من خلالها العنوان في الجزء الأعلى من الغلاف بخط واضح ذي قيمة لونية عالية لها علاقة وطيدة بمضمون العمل، وسنأتي إلى الاجتهاد في تقديم دلالات الألوان الموظفة على غلاف الرواية حسب ترتيب العتبات المطبق عليه.

وقد انطلق الكاتب في كتابة نصه هذا من المادة التاريخية التي أسست لهذا العمل، وبالرغم من اعتراف الكاتب بهذه النقطة، فيمكن لنا أن نحدد عناصر الاعتماد على التاريخ، انطلاقا من مرتكزين:

1- أحدهما الصورة المتخيلة للأمير عبد القادر، مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة.

2- والثاني من خلال العنوان "كتاب الأمير"؛ فكتاب هنا يلمح بأن النص نص يستمد مادته من التاريخ، وأن الخيال فيه يرتبط بما يختلج في نفوس شخصياته الواقعية. كما أن صورة الأمير هنا يمكن أن نعتبرها مؤشرة على العنوان، لأن العنوان في نظري، هو الأيقونة لمن يعرف صورة الأمير، أما بالنسبة للذي لا يعرفها فواجهة الغلاف كلها أيقونة بالنسبة له، لأننا لو قلنا "رواية الأمير" دون أن نوظف كلمة "كتاب" ودون تقديم الصورة، فالعنوان هنا يبدو غامضا دون قراءة النص. والمتلقي الذي يعرف صورة الأمير، يعرف مباشرة أن المقصود، هو "الأمير عبد القادر" لتكون بذلك صورته مؤشرة([4]) على العنوان، والمعروف أن واجهة الغلاف بما تحتويه تقدم لنا جملة من الدلالات التي تتعدد بتعدد القراءات، فقد يخرج القارئ المتعمق بجملة من الإيحاءات والمعاني والرموز التي لا يخرج بها غيره، في حين لا يخرج القارئ المستهلك إلا بقشرة العمل، فلا يلتقط إلا السطحي، الذي هو أهون جزء من هذه اللوحة، وبالتالي تتعدد عطاءات الغلاف الدلالية بتعدد مستويات القراء، وهو ما سنحاول إثباته، من خلال العتبات التالية:

1/ اسم المؤلف: ويتعلق الأمر بالكاتب، وينخرط في هذا المناص جملة من العناصر، منها اسم الكاتب، العنوان الرئيسي، العنوان الفرعي...إلخ([5])، وهي كلها تندرج تحت عنوان "النص المحيط التأليفي peritexte

---

[1] - ينظر عفيف بهنسي، جمالية الفن العربي، إشراف: أحمد مشاري العدواني، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، فبراير 1997، رقم: 14، ص: 167.

[2] - يحي وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1994، ص: 142.

[3] - ينظر محمد الطاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط، تاريخ الخط العربي وأدابه، المطبعة التجارية الحديثة، السكاكين، ط1، 1939، ص: 95.

[4] - المؤشر: هو "علامة ظاهرة غالباً ما تكون طبيعية، وتدرك إدراكاً حسياً مباشراً تخبرنا بأن شيئاً متعلقاً بظاهرة أخرى لا يمكن إدراكها إدراكاً حسياً مباشراً، مثل اللون القاتم للسماء علامة (Signe) أو مؤشر (Indice) لعاصفة وشيكة الوقوع" ينظر عبدالجليل مرتاض، دراسة سيميائية ودلالية في الرواية والتراث، منشورات ثالة، الجزائر، دط، 2005، ص: 35.

[5] - ينظر عبد الحق بلعابد، عتبات، المرجع السابق، ص: 48.

"auctorial"([1])، باعتبار أن هذه العتبات من اختصاص الكاتب، ومرتبطة باسمه، "ولعل شمولية هذا التقدير الفرضي تنطلق من خصوصية المقاصد التي يستوجها الحديث عن مفهوم المؤلف في علائقه مع طبيعة النوع الأدبي الذي يبدع في إطاره"([2])، ومن خلال اسم الكاتب "واسيني الأعرج"، يستحضر المتلقي بعض المفاتيح التي قد تساعده على فهم النص من منطلق أن هذا الكاتب يكتب في جنس بعينه، وفي نوع بعينه، وهو ما يساعد على فهم مختلف الدلالات التي يراهن عليها الكاتب، إذ نجد اسم المؤلف في الإطار نفسه الذي يقدم فيه العنوان، ولكن الاختلاف يكمن في لون الخط المقدم. كما "يتموضع اسم الكاتب في صفحة الغلاف بخط بارز وغليظ للدلالة على هذه الملكية والإشهار لهذا الكاتب"([3])، وهناك بعض الحالات التي لا يظهر فيها اسمه الحقيقي، كأن يظهر باسم مستعار، مثل الكاتب الجزائري "ياسمينة خضرة". أما في روايتنا هذه فاسم صاحبها هو الاسم الحقيقي له. كما نجد أن لاسم الكاتب وظائف متعدد، يمكن أن نذكر منها:

1- **وظيفة التسمية**: ومن خلالها نحدد هوية الكاتب.
2- **وظيفة الملكية**: وهي أن اسم الكاتب هو الذي يحدد ملكية هذا العمل.
3- **وظيفة إشهارية**: وجود اسم الكاتب على الواجهة يعد إشهارا لعمله هذا.([4])

أما كاتبنا واسيني الأعرج، فهو من مواليد 1954 بضيعة سيدي بوجنان، ولاية تلمسان. جامعي وروائي. يشغل اليوم منصب أستاذ كرسي بجامعتي الجزائر المركزية، وجامعة السوربون بباريس. يعتبر أحد أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي، على خلاف الجيل التأسيسي الذي سبقه، تنتمي أعمال واسيني الروائية إلى المدرسة الجديدة التي لا تستقر على شكل واحد بل تبحث دائما عن سبلها التعبيرية في العمل الجاد على اللغة وهز يقينياتها. تحصل على العديد من الجوائز. ترجمت أعماله إلى العديد من اللغات، منها: الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، السويدية، الإنجليزية، الإسبانية ([5]). إذ يعتبر اسم واسيني الأعرج بالنسبة لمؤلفاته من المفاتيح المهمة التي تساعد المتلقي على فهم جزء كبير مما سيقبل على قراءته أو التطبيق عليه كباحث.

2/ العنوان.. الدلالة والوظيفة: الحديث عن العنوان لا يحل الإشكال الذي يطرحه النص، ولا يفسر كل النص، وإنما هناك عتبات أخرى من شأنها أن تنير الطريق أكثر من العنوان، وهو ما نلاحظه فعلا في رواية "كتاب الأمير"، ومع ذلك يبقى للعنوان دور كبير في تحديد القصدية، باعتباره الباب الرئيسي الذي سنلج من خلاله النص، ولكنه ليس من الأبواب السهلة الفتح، بل ينبغي لمن أراد دخول هذا النص أن يمتلك جملة من الأدوات الإجرائية التي تمكنه من حل شفرات العنوان، وخاصة أن هذا العنوان يحمل لونا مميزا، قصد من ورائه الكاتب تبليغ رسالة قد تكون سياسية، وقد تكون تجارية، وهي في الأخير ليست رسالة اعتباطية([6])، ولا

---

[1] - ينظر المرجع نفسه، ص: 49.
[2] - عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص "البنية والدلالة"، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996، ص: 54.
[3] - عبد الحق بلعابد، عتبات، المرجع السابق، ص: 64.
[4] - ينظر عبد الحق بلعابد، عتبات، المرجع نفسه، صص: 64، 65.
[5] - ينظر واسيني الأعرج، كتاب الأمير، الفضاء الحر، الجزائر، ط1، 2004، ص: 03.
[6] - معنى الاعتباطية ألا وجود لعلاقة بين الدال والمدلول، وإنما سميت الأشياء والمعاني تواضعا واتفاقا، وهي بخلاف القصدية التي تعني أن اللغة -جزئيا أو كليا- يمكن أن تفسر أو تبرر بالنظام الطبيعي للأشياء أو الأفكار.ينظر محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 1992، ص: 63.

وظفت هكذا عفو الخاطر، ولكن الذي يقرأ تاريخ الجزائر يستطيع الوصول إلى جملة من الاحتمالات التي من شأنها أن تفتح أمامه الطريق، فقراءة النص مهما كان نوعه يتطلب من المتلقي التسلح بثقافة واسعة في شتى المجالات، هذه الثقافة التي تمكنه في الأخير من تحديد المغزى، وخاصة في الروايات التي تستند إلى المادة التاريخية، حتى وإن كان النص حمال أوجه.

تموضع العنوان: يمكن أن نحدد الأماكن التي يتموضع فيها العنوان، من خلال التالي:

1- الصفحة الأولى للغلاف.

2- ظهر الغلاف.

3- صفحة العنوان.

4- الصفحة المزيفة للعنوان: وهي تلك الصفحة البيضاء التي تمثل العنوان، وقد لا تكون في بعض الكتب([1])، فالعنوان عقد نثري "بين الكاتب والكتابة من جهة، وعقد قرائي بينه وبين جمهوره وقرائه من جهة، وعقد تجاري إشهاري بينه وبين الناشر من جهة أخرى، لهذا يمكن للناشر التدخل في اختيار العنوان بمقتضى هذا التعاقد، إذا ما وجد هذا العنوان غير جذاب للقراء وللمبيعات"([2])، وقد يلجأ الكاتب إلى نشر روايته بعنوان، وفي طبعة أخرى يغير العنوان، مثلما نجد ذلك عند واسيني الأعرج في رواية "وقع الأحذية الخشنة" ثم تغير العنوان إلى "طوق الياسمين"، ويلجأ الكاتب إلى هذه الطرق لأسباب منها:

- تغير رؤيته.
- لأسباب تجارية، من خلال الاتفاق بين الناشر والكاتب، لشد المتلقين بعنوان جديد، إلا أن هذا التغيير للعنوان قد يدفع الكاتب إلى التغيير في المضمون، ونجده في بعض الحالات مثلا يذكر العناوين الفرعية في طبعات ولا يذكرها في أخرى.

وظائف العنوان:

الوظيفة التعيينية f.désignation: وتسمى كذلك وظيفة التسمية، كما قد نستعمل هنا مصطلح "التعنين([3])" بدل تعيين، لأنه يدل كذلك على العنوان، إذ لابد للكاتب من اختيار عنوان لكتابه ليتداوله القراء([4])، إذ يخاطب متلقيه بصريا وإشهاريا، فيتلقونه لينقلونه بدورهم إلى الآخرين، وبهذا فهم يسهمون في دورته التواصلية والتداولية.([5]) ولربط العنوان بموضعه لابد لنا من تحليل النص، وفق التحليل الدلالي الفردي، أو التحليل التأويلي للنص([6])، ويكون هذا في الحالات التي تكون فيها العناوين مخادعة، من مثل العناوين السريالية. أما العناوين الأدبية فالأمر أسهل، مثل رواية "كتاب الأمير"، والسهولة هنا لا تكمن في كيفية

---

[1] - ينظر عبد الحق بلعابد، عتبات، المرجع السابق، ص: 70.

[2] - المرجع نفسه، ص: 71.

[3] - الوظيفة التعنينية f. De désignation: وهي عند "غريفل" تسمى الوظيفة الاستدعائية f.Appellative، وعند "غولدنشتاين" الوظيفة التمييزية f. Distinctive، وعند: ميتيرون" الوظيفة التسموية f. denominative، وعند "كانتورورويكس" تسمى الوظيفة المرجعية f. Referencielle. ينظر عبد الحق بلعابد، عتبات، المرجع نفسه، ص: 86.

[4] - ينظر المرجع نفسه، ص: 78.

[5] - ينظر المرجع نفسه، ص: 73.

[6] - ينظر المرجع نفسه، ص: 79.

القبض على المضامين، ولكن لأن كل العتبات تشير إلى أن المقصود من خلال هذا النص هو "الأمير عبد القادر"، أما ما هو داخل النص فهذا شيء آخر، لابد وأنه يستدعى التركيز، وربط الأحداث ببعضها البعض. وهي ليست إشارة إلى أن عناوين واسيني الأعرج كلها سهلة المنال، فأغلبها يتطلب بذل الجهد، وخاصة أنه من كتاب الرواية الجديدة التي تسعى دوما إلى التملص من يد قارئها.

وقد جاء العنوان الفرعي "مسالك أبواب الحديد" ليلعب دور الموجه، والمفسر للقراء؛ إذ يعمل العنوان الفرعي على التقليل من الاحتمالات التأويلية، من خلال الإشارة إلى الفترة الصعبة من حياة الأمير، ومن تاريخ الجزائر ككل، وهي فترة سقوط الزمالة من جهة، ودخوله السجن من جهة أخرى. كما نجد أن هذا العنوان يشترك مع الألوان النارية الموظفة على صفحة الغلاف، للتفاعل هذه الألوان مع الخطوط المتماوجة، وكأنك أمام سيمفونية لونية تسمع بالعين، تتفاجأ في كل قراءة بأنغامها اللاهية أو الشاحبة، وإيقاعاتها القاتمة وحتى الفاتحة([1])، وسنأتي إلى التركيز على الألوان حسب التوظيف.

الوظيفة الوصفية([2]) f. Descriptive وتسمى هذه الوظيفة كذلك بالوظيفة الإيحائية Connotation، فكلاهما يهتم بوصف النص، وهذه القيمة الإيحائية تضاف إلى قيمة النص أو وظيفته التعيينية([3])، وقد تنطبق إلى -حد ما- مع الوظائف التي تقدمها الأيقونة، وهي التي من خلالها يقول العنوان شيئاً عن النص، فرواية الأمير نجد فيها أن العنوان الرئيسي يلمح ولا يصرح. أما العنوان الفرعي فيوضح شيئا من العنوان الرئيسي، لتأتي الأيقونة كذلك مفسرة، وتنتقل من أيقونيتها إلى أن تكون مؤشرة على العنوان محددة له.

كما ترتبط الوظيفة الإيحائية أشد الارتباط بالوظيفة الوصفية، إذ لها طريقة في الوجود، فلابد للعنوان من أن يقدم بعض الإيحاءات، وإن لم يقصدها المؤلف، إلا أن القارئ لا يثق في الكاتب، ولذلك فهو مطالب بأن يضع على طاولته الذهنية كل الاحتمالات التي ترد إلى ذهنه، فهي ليست دائما قصدية، ومع ذلك فوجودها من عدمه يتوقف على نوعية المتلقي.

اللون، قضية أخرى لابد من الوقوف عندها، واللون الذي اعتمده الكاتب في تقديم عنوانه، أمر متعمد لم يأتي هكذا، فنجد أنه كتب العنوان باللون الأحمر بخط النسخ، وبالبنط العريض، ليكون بارزا، بل هو أبرز من اسم المؤلف، وحتى من العنوان الفرعي، وهي رغبة منه في شد الأنظار؛ ولهذا اللون الكثير من الدلالات التي تختلف باختلاف الأجناس وحتى باختلاف موقعه في ثقافاتنا، فبالإضافة إلى أنه يشير إلى الموت من خلال الدم؛ فالدم كذلك قد يشير إلى الحياة من خلال الرموز التي تعتمدها المستشفيات في دفع الناس إلى التبرع بالدم، بالإضافة إلى أنه يرتبط كذلك بالسعادة والفرح، وهو رمز الأتراك والسلاجقة، ويرتبط في حالات أخرى بالجمال من خلال أحمر الشفاه، ومن خلال لون الخدين...إلخ، فقد أراد الكاتب من وراء ذلك إطلاق دلالات

---

[1] - ينظر عبد الغفار مكاوي، قصيدة وصورة "الشعر والتصوير عبر العصور، سلسلة الكتب الثقافية التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة 119، الكويت، 1987، ص: 47.

[2] - كثرت التسميات حول هذه الوظيفة، فـ "غولدنشتاين" يسميها الوظيفة التلخيصية f. Abreviative، وعند "مهاليه" تسمى الوظيفة الدلالية، وتسمى الوظيفة اللغوية الواصفة /f. metalinguistique ينظر عبد الحق بلعابد، عتبات، المرجع السابق، ص: 87.

[3] - ينظر المرجع نفسه، صص: 82، 83.

معنوية على الحياة الحرة والثورة المنتظرة([1])، فقد وجه لون العنوان إلى الحمرة، مع العلم أن هذا اللون كان من رموز جيش الأمير، إلا أنه كان سببا من أسباب سقوط الزمالة، لأن "الدوق دومال" قد أمر 2000 من جنوده بارتداء الألبسة الحمراء، التي كانت ترمز إلى ألبسة خيالة الأمير([2]). واللون الأحمر هنا جاء ليدل على العنف والقتل والفتك([3])،مع أنه يدل على الكثير من الدلالات الفارقة، مثلما أشرنا سابقا، والشيء الذي دفعنا إلى ربطه بالعنف هو الاحتلال الفرنسي للجزائر.

كما نجد ارتباط اللون الأحمر باللون الأسود الذي يشير هو الآخر إلى الظلم والظلام، وهو لون العنوان الفرعي، رامزا بدوره إلى لون المقاومة، والعنف والهدم، وارتبط هذا اللون براية "جنكيز خان" الذي عمل على إبادة العنصر البشري، كما ارتبط بالعباسيين المناهضين للأمويين([4])، ودلالته هنا ترتبط بأبواب الحديد، هذا الأبواب التي تشير إلى تقييد الحرية وإلى السجن، وإلى الظلم، وكلها دلالات تختلف باختلاف التوظيف.

الوظيفة الإغرائية f.Séductive: الإغراء مهمة أخرى تخدم الكتاب، سواء من خلال العنوان الجذاب، أو من خلال الإيقونة أو حتى من خلال الألوان الموظفة، إلا أن أهم هذه العناصر التي تشد القارئ هي العنوان، وبالتالي فهذه الوظيفة هي المعول عليها في توزيع الكتاب، وبيعه، كما ترتبط بالناحية الجمالية لهذا الكتاب، "وهذا الجمال ليس القيمة الوحيدة للعنوان، فهو ذو قيمتين؛ قيمة جمالية تنشرط بوظيفته الشعرية التي يبثها فيه الكاتب، وقيمة تجارية سلعية تنشطها الطاقة الإغرائية التي تدفع بفضول القراء للكشف عن غموضه وغرابته"([5])، وهو ما يفسر نجاح بعض دور النشر في توزيع منتجاتهم، وهو نفسه ما يدفع بعض الكتاب إلى اعتماد بعض الدور دون غيرها، وبالتالي فنجاح الكتاب تشترك فيه جملة من العناصر والظروف التي تخدمه، من بينها هذه العتبات المتمثلة في صاحب الكتاب، وعنوان الكتاب، والأيقونة، والألوان المعتمدة...إلخ، وحتى تلك النصوص التفسيرية التي تأتي في الجهة الثانية من الكتاب، وكل هذه العناصر ترتبط بغلاف الكتاب، وهو السبب الذي دفعنا إلى التركيز على دلالة الغلاف.

نجد الإغراء كذلك في اللون الأحمر الذي يعمل على شد انتباه القراء. ومنه "فحضور هذه الوظيفة يمكنها أن تظهر إيجابيتها أو سلبيتها أو حتى عدميتها بحسب مستقبلها الذين لا تتطابق قناعاتهم وأفكارهم دائما مع أفكار (المرسِل / المعنوِن) الذي يريد المرسَل إليه (المعنوَن له) حملهم عليه"([6])، إذ يعتمد مصمم الغلاف على توظيف كل ما من شأنه أن يغري هذا المتلقي، وأول سلاح يعتمده المصمم هو، الألوان. فاختيار اللون المناسب الذي يُكتب به العنوان أمر مهم، إذ "يعد العنوان من أهم العتبات الدلالية التي توجه القارئ إلى استكناه مضامين النصوص وتفكيك شفراتها واستقراء محمولاتها الدلالية، بما يعطيه من انطباع أولي من المحتوى، وبما يمارسه من غواية وإغراء للمتلقي، فهو أول مثير سيميائي في النص من حيث إنه يتمركز في

---

[1] - ينظر عبد الغفار مكاوي، قصيدة وصورة "الشعر والتصوير عبر العصور، المرجع السابق، ص: 47.

[2] - ينظر حمام محمد زهير، محطات مضيئة في حياة الأمير عبد القادر، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، ص: 103.

[3] - ينظر محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص" المرجع السابق، ص: 252.

[4] - ينظر عفيف بهنسي، جمالية الفن العربي، المرجع السابق، ص: 167.

[5] - عبد الحق بلعابد، عتبات، المرجع السابق، ص: 85.

[6] - المرجع نفسه، ص: 88.

أعلاه، ويبث خيوطه وإشعاعاته فيه"([1])، إذ تمارس العناوين سلطتها على المتلقين. "ومادام العنوان عتبة من عتبات النص فهو ممتلك لبنية ولدلالة لا تنفصل عن خصوصية العمل الأدبي، ولذلك فحينما يتم اعتبار النص مجموعة من العناصر المنظمة"([2])، فالعنوان من جملة هذه العناصر، وهو الذي يقودها نحو تحديد الهدف المراد، من قبل المتلقي، وهذا لا يعني أن العنوان دائما يعطي دلالته، وإنما بعض العناوين التي لا تخادع متلقيها.

3/ الأيقونة:إذا كان المتلقي هو قصد المؤلف حين يبدأ في الكتابة، فمعنى ذلك أن النص يقوم على جملة من العناصر التي من شأنها أن تغري المتلقي لاقتناء هذا العمل، وعلى رأس هذه العناصر لوحة الغلاف باعتبارها علامة ذات دلالة معينة ترتبط بالمتن وبشكل كبير.

ومن هذا المنطلق اهتم جل المؤلفين -وخاصة كتاب الرواية منهم- على اعتماد مصممين لتصميم أغلفتهم بما يخدم أعمالهم الروائية، ليس من الناحية التجارية فقط، بل حتى لمساعدة المتلقي على فك الشيفرات والوصول إلى عدد من الدلالات التي من شأنها أن تزيل الغموض، وتفتح المجال أمام القراء والباحثين، لتصبح صورة الغلاف نصا له جملة من المعاني والدلالات.

المتأمل لهذه اللوحة يجد الكثير من الأسئلة التي تطرح من خلال الألوان، ويجد الإجابة عليها داخل النص، ولهذا فهو مجبر على البحث داخل ثنايا هذا الكتاب للوصول إلى ما أراد المؤلف أن يقدمه، وهذه الأسئلة التي يقدمها الغلاف لا تقر بمضمونها إلا لمن يمتلك الأدوات الإجرائية لتفكيك النصوص، باعتبار هذه النصوص هي التي تستفز القارئ الباحث، فهي آلية لا توجد عند القارئ العادي، ولابد أن الاشتغال على الغلاف أو قرأته، مهمة من يهتم بقضايا التأويل، ولهذا "أصبح السيميولوجي مشبوها، مشبوه كالمحلل النفساني يريد تفسير وفهم كل شيء غير قابل للوصف: موهبة، ملكة، المدلولات الجمالية والأيديولوجية السائدة المسيطرة بين الفنانين والنقاد؛ هي أشياء مشكوك فيها في عين السيميولوجي الذي يتحدث عن الدوال في علاقتها بدلالات العمل الفني: بالنسبة للبعض السيميولوجيا وفقت بين الفنان وناقد فن النموذج القديم"([3])، وفقت من خلال ذلك التمازج اللغوي بين لغة الكاتب، ولغة الفنان ولغة الناقد.

كما أن اختيار الكاتب لهذا الغلاف، لم يكن اعتباطيا، وإنما كان من وراء ذلك دلالة قوية استطاعت أن تمارس سلطتها على النص، وعلى قارئه، فلو اختزلنا العنوان واكتفينا بالصورة كمؤشر على الأمير عبد القادر لاستطعنا أن نحدد المضمون بنسبة كبيرة، ولو على الأقل كنا ندرك أن هذا الكتاب يتكلم عن هذه الشخصية التاريخية، ولكننا باعتماد عنوان الكتاب دون الصورة فإن ذلك قد يأخذنا بعيدا إذا لم نقرأ الرواية، لأن كلمة "الأمير" غير كافية بأن تشير إلى الأمير عبد القادر، إذ إنها تحمل دلالات كثيرة، وأنها قد تشير إلى كل من يحمل صفة الإمارة، وقد تكون إشارة إلى شخصية خيالية، ولهذا جاءت صورة الأمير كجزء من الأيقونة المفسرة للعنوان. ولكن لماذا لم يلجأ الكاتب إلى تسمية عبد القادر باسمه العلم، واكتفى بالوصف

---

[1] - عصام حفظ الله واصل، التناص التراثي "في الشعر العربي المعاصر"، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص: 37.

[2] - عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص "البنية والدلالة"، المرجع السابق، ص: 17.

[3] - برنار توسان، ما هي السيميولوجيا، المرجع السابق، ص: 69.

المحدد "الأمير"؟ لأن هناك الكثير ممن يسمى بهذا الاسم، وعليه جاء الوصف هنا مميزا لصاحبه([1])، ومع هذا لم يكتف الكاتب بالإشارة إلى الصفة، وإنما أشار إلى اسم العلم من خلال الصورة، وصرح باسمه من خلال كلمة الغلاف.

أما اعتماده على الصفة في العنوان بدل اسم العلم، فذلك لأن "إدراك مرجعية المضافات تحتاج إلى معرفة فوق لغوية تسمح بعزل الاسم المقصود الذي يدل عليه الوصف المحدد، فالوصف المحدد، إذن، أخصب وأدق، وأوضح دلالة من اسم العلم الذي يمتاز بغموضه وصلابته"([2])، وخاصة إذا كان اعتماد هذا الوصف يبرهن على قوة وصلابة الشخصية المشار إليها، بدل الاسم الذي يدل على أي شخص من العامة.

وتنهض هذه الأيقونة بوظيفة توجيهية تشكل جزءا هاما من فضاء الغلاف، هذا الفضاء الذي يقدم امتدادات دلالية ضمن محتوى النص، كما أن اختيار هذه الرواية بالذات كان بدافع موضوعي بالدرجة الأولى، وهو الرغبة في الوصول إلى أن هذا الفضاء الخارجي الذي يتمثل في الغلاف، جاء مفسرا لمضمون النص، مختزِلا لحجم الرواية، يشير إلى فترة ليست بالقصيرة من حياة الأمير عبد القادر، والصورة المرسومة -هنا- ليست عنصرا إخراجيا فحسب بل هي مادة سيميائية حية لها قيمة جمالية وثقافية كبيرة، وقد تفوق المادة المكتوبة في تأثيرها نظرا لما تحتويه من معان ودلالات([3])، قد تكون واضحة ومباشرة، وقد تكون غامضة وملتبسة.

كما نجد أن الأيقونة قد جاءت مفسرة لعنوانها، إذ قدمت ما لم يقدمه العنوان، فإذا أراد الكاتب أن يخادع المتلقي ليحافظ على نصه حيا، فإن رسام الأيقونة أراد أن يقدم جملة من المفاتيح التي من شأنها أن تحدد المضمون، لأن هذه الأيقونة تمثل مستوى من مستويات التواصل بين المبدع ومتلقيه، على اختلاف أجناسهم، ذلك أن الصورة أبلغ من النص، باعتبار الصورة تخاطب المتلقين على اختلاف لغاتهم، بالألوان، فالرسم لغة العالم، في حين يخاطب النص متلقيه عن طريق الحروف والكلمات، وشتان بين الحرف واللون، فهذا الأخير أبلغ من الأول، الذي يوجه إلى فئة معينة إذا لم يترجم. كما أن كلا من الروائي والرسام "بطريقته الحسنة في التقديم، ونجاحه في صياغة مادته؛ يمكن أن يحدث تأثيراً خاصاً في نفوس المتلقين، ويمكن أن يوقع المحكيات في أوهامهم وحواسهم بطريقة تجعلهم ينفعلون أشد الانفعال بل إن براعته في إيقاع المحكيات وصياغتها تجعلهم يلتذون بالقبيح، ويرون فيه جمالا لم يكن قائما من قبل"([4])، وهو ما نسميه بجماليات القبح. ومن شأن لوحة الغلاف أن ترتقي بالعمل إلى مصاف العالمية، كما قد تحط من قيمته، حتى ولو كان مضمون هذا العمل ممتازاً، باعتبارها تلخص العمل في نظرة واحدة، ذلك أن "الصورة المعتمدة على المنظور البصري محددة بلحظة زمنية واحدة، وهذه اللحظة سريعة جدا لأنها أشبه باللقطة الفوتوغرافية"([5])، إذ تعمل هذه الصورة الملتقطة على استفزاز المتلقين من خلال ألوانها لتتآزر هذه اللوحة مع باقي العتبات، وتقدم فكرة مركبة للمتلقي.

---

[1] - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المرجع السابق، ص: 230.

[2] - المرجع نفسه، ص: 266.

[3] - ينظر سحر علي سرحان، فاعلية البنية التصميمية لأغلفة مجلات الأطفال، المرجع السابق، ص: 99.

[4] - جابر عصفور، في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المرجع السابق، ص: 287.

[5] - عفيف بهنسي، جمالية الفن العربي، المرجع السابق، ص: 40.

فصورة الغلاف مرآة نرى من خلالها المضمون، أو جزء من هذا المضمون، وقد نرى فيها أكثر مما يقدمه هذا المضمون، وهو فعلا ما نراه في رواية "كتاب الأمير"؛ فصورة الأمير عبد القادر لوحدها في هذه اللوحة، تقدم تاريخا حافلا بالبطولات على مدار سنوات، لا يمكن ضبطه على صفحات هذا الكتاب، فاسم العلم -مثلا- وإن اختص بشخص بعينه مثل الأمير عبد القادر فإنه قد يدل على أشخاص آخرين، اتصفوا بصفاته، كما قد يرمز إلى المقاومة الشعبية في فترة من الفترات، حتى وإن أعلن الكاتب ذلك من خلال كلمة الغلاف، كما يلقي "بالمتلقي في مجاله الخاص، بناء على الترسبات الوافدة عليه من حقب مديدة بواسطة الإخباريين والقصاص وأهل التاريخ شفويا وكتابيا"([1]) وبمختلف الصيغ.

إن الصورة البارزة على الغلاف، هي صورة الأمير عبد القادر، ببشرة بيضاء، ولحية سوداء، ولباس أبيض، "ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة، لقرب ما بينه وبين الأصفر وبعد ما بينه وبين الأسود"([2]) وفي هذا المعنى قال أحد الشعراء:

فالوجه مثل الصبح مبيضٌ   والفـــرع مثل الليل مسودٌ

ضدان لما استجمعا حَسُنا   والضدُ يُظهر حسنه الضدُ([3])

ويرمز اللون الأبيض -من خلال نصنا هذا- إلى السلام والنقاوة والنور، ويرتبط بلون الملابس الدينية، وراية الإسلام، وهو ما تؤكده كلمة الغلاف: "رواية الأمير، فوق كل هذا، درس في حوار الحضارات ومحاورة كبيرة بين المسيحية والإسلام، بين الأمير من جهة ومونسينيور ديبوش ونابليون الثالث من جهة ثانية، التي تفضي إلى إعادة تشكيل وعي كل الذين انغمسوا في حروب القرن التاسع عشر.([4])

كما نجد أسفل الصورة وجود أشكال بشرية صغيرة تمثلت في الجيش الفرنسي رفقة القومية، وهم يتوجهون عبر مسلك ضيق نحو الأمير عبد القادر، مدججين بالأسلحة، يحملون العلم الفرنسي، وراية أخرى تجمع بين اللون الأحمر والبني؛ وللراية -هنا- دلالة واسعة إذ "يحملها القائد الرئيسي المباشر للمعركة أو مساعده. ويعهد بحمل الراية إلى من عرف بالشجاعة وروح التضحية وهو قبل المعركة يرشد الجيش إلى المسالك، وفي الحرب يضمن التفاف الجيش حوله. والعادة أن الطرف المعادي يوجه طعناته إلى حامل الراية قبل غيره حتى يثبط من عزيمة الجيش ويعمل بذلك على اختلال صفوفه"([5]) لأن ذلك يهز قدرة الجيش، ويحدث زعزعة في النفوس، وإحباط في المعنويات، وما نلاحظه هنا هو أن حامل الراية يتموضع وسط الجيش الفرنسي بما فيه من أتباع خونة، وهم ملتفين حوله. أما العلم الفرنسي فنجده خلف الراية لا يظهر بشكل واضح. ونجد حصانا أشهب اللون، إذ يرتبط الحصان الأشهب بمراكب الملوك، فلابد وأن هذا الذي يمتطي الحصان من القادة. ومع أن دلالة الحصان دلالة خير، إلا أن الصورة لا تبشر بالخير من خلال تتبع الجيش الفرنسي لآثار

[1] - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المرجع السابق، ص: 207.

[2] - بن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، لبنان، 1982، ص: 64

[3] - المرجع نفسه، ص: 64.

[4] - ينظر غلاف الرواية.

[5] - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في عصر الراشدين، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1985، ص: 266.

الأمير عبد القادر. ودلالة الخيول في الأصل هي النصرة على العدو والتغلب عليه، لكنها هنا عكس ذلك، وربما أراد من خلالها مصمم الغلاف الإشارة إلى سقوط الزمالة في منطقة "عين طاقين".

كما نلاحظ الجيش الفرنسي، يطوق المكان، فهذا التطويق سيؤدّي بعد ذلك إلى الاقتتال، وبالتالي الدم؛ وحمرة الدم هذه نجد الإشارة إليها في العنوان الرئيسي، في حين نجد العنوان الفرعي باللون الأسود، فـ"الأحمر والأسود كلاهما يدل على حالة غير سارة"([1])، وهو فعلا ما وقع بعد الوصول إلى عين طاقين مقر الزمالة أين وقع الاقتتال، ما أدى إلى سقوط حوالي 300 قتيل من أتباع الأمير، وأسر حوالي 3000 بين رجال ونساء، وفي الجهة المعادية سقوط 9 قتلى من الجيش الفرنسي، وكان ذلك في 16 ماي 1843م.([2])

ونجد أن لوحة الغلاف تحاور المتلقين من خلال اللون البني، الذي يميل إلى الأسود لخلق الإيحاء بالمكان غير المتناهي من خلال الإشارة إلى لون التراب؛ هذا التراب الذي هو في متناول الجميع، تقع عليه حواسهم، ولا يختلف أحد في طبيعته، وفي تركيبته، فهو مصدر تشكيل الوجود وولادته وهو الذي تمارس عليه الحياة، ومسرح مسيرنا في هذه الحياة بلينها وعنفها، وهو في الوقت نفسه يحمل موت الوجود، إنه يمثل البداية -بالنسبة للبشر- ويمثل النهاية، يمثل العزة والذل([3])، وهو هنا يحتل موقعه من اللوحة إذ يسيطر لونه على نسبة كبيرة من فضاء الواجهة، ويعتبر اللون البني من الألوان المركبة، إذ لا تستطيع العين تحليل اللون المركب إلى ألوانه البسيطة([4])، فهو من خلال تركيبته هذه يشير إلى الوجود والفناء، وهي إشارة صريحة لهذا الوطن ولعزته.

وهذا التركيز على القيمة اللونية، أو النغمة اللونية، هو تركيز على الضوء من خلال اللون الأبيض وعلى العتمة من خلال البني الذي يميل إلى السواد في مناطق معينة من اللوحة، وهو ما يميز المنظور الجوي، أو الهوائي، إذ يعتمد هذا المنظور على علاقات الضوء بالأشياء، والقيمة الخاصة بموضوعات وكتل متنوعة داخل الحيز الكلي للوحة، ومن المهم أن نلاحظ خلال تلقينا للعمل الفني أكثر النقاط إضاءة، وأكثرها عتمة، ثم نتقدم منهما إلى غيرهما من جوانب هذا العمل، وهذه المناطق المضيئة، والمعتمة قد ترتبط بذروة العمل، وهذه الذروة لا تكون بالضرورة موجودة دائما بالقرب منك أو في أمامية اللوحة([5])، وهو ما يظهر من خلال صورة الأمير، التي جاءت مقابلة للنور الذي جاء كفاصل بين المسالك مشيرا إلى الفرق بين الضوء والظلام، وبين العلم والجهل، وبين الحرية والعبودية، فنجد صورة الأمير أكثر بروزا، رامزة للحرية، رافضة للظلم والعدوان.

وتعتمد تقنية الألوان على اجتذاب النظر لدى المتلقين من خلال استخدام العامل اللوني لاكتساب جمالية هذه اللوحة، إذ "يتيح استخدام التدرج اللوني للمتلقي راحة بصرية ينتج عنها تتابع بصري وشد ذو ثقل متوازن يساعد على تتابع العناصر داخل الفضاء المصمم وهو نظام قائم على قانون الجذب والجمالية ويرسخ

[1] - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المرجع السابق، ص: 314.

[2] - ينظر حمام محمد زهير، محطات مضيئة في حياة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص: 103.

[3] - ينظر مصطفى السعدني، التصوير الفني في شعر محمد حسن إسماعيل، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، دت، ص: 140.

[4] - حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعناها "دراسة"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سورية، 1998، ص: 136.

[5] - ينظر شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي، المرجع السابق، صص: 268، 269.

فاعلية التنظيم"([1])، التي من شأنها أن تقدم لوحة متناسقة الألوان امتزجت بالكلمات إلى الحد الذي أوشكت معه أن تكون هذه الكلمات صورا، والألوان كلمات.

وبعد الإشارة إلى دلالة الألوان الموظفة، يمكن الخروج إلى الدلالة العامة من خلال هذه الفسيفساء، إذ نجد أن حظ الأسد كان للألوان النارية، أو كما يسميها البعض الآخر بالألوان الدافئة، إلا لباس الأمير عبد القادر الذي كان أبيض اللون، ومن خلال تركيب الصورة، نجد أن الجيش الفرنسي يحاصر المكان في محاولة منه للمرور عبر هذا المسالك الضيقة، إذ تبدو هذه الصورة مكتظة غامضة، "متداخلة، لكن تنمية إحدى جزئياتها يعطل من دينامية التفاعل، وقدرته على إحداث الأثر المركز. والصورة في هذه الحالة، تكون تهويمية لا يقصد بها إلا الإيحاء"([2])، فالكشف عن الأحجام بشكل جيد يكون عن طريق مصدر الضوء الذي يعكس عليها؛ هذا الضوء الذي نجده مسلطا على الأمير من الجهة الخلفية، إلا أن أقوى هذه الأضواء هو الضوء المباشر ولكنه غير موجود في هذه اللوحة، كما قد تتلقى الكتل والسطوح المختلفة ضوءا من مصدر غير مباشر([3]) مثلما هو موجود في هذه الصورة، إذ نجد أن السطح الأمامي أكثر عتمة من الجهة الخلفية. في حين تبدو صورة الأمير بارزة، أكثر من الشخصيات الموجودة على غلاف الرواية، وهي إشارة إلى الشخصية الرئيسية، والمقصودة من خلال العنوان، إذ نجد أن الرسام قد اعتمد ما يسمى بـ"المنظور المعكوس"، وهو عكس المنظور الخطي([4])، "حيث يبدو البعيد كبيرا (...) والقريب صغيرا، ويتم هذا من أجل أغراض رمزية في المقام الأول، كأن توضع شخصية سياسية أو دينية في خلفية اللوحة بشكل بارز أكبر وأعلى، بينما يوضع الأتباع في الأمامية بشكل أصغر وأقل بروزا"([5]) وهو ما يتضح فعلا من خلال أيقونتنا هذه، إذ الهدف من ذلك هو إبراز شخصية الأمير على أساس أنها المقصودة. لتتكاتف هذه العناصر وتتآزر لتقدم شيئاً من الدلالات الثاوية داخل هذا العمل، وفق التصريح تارة، والتلميح أخرى.

وهنا أشير إلى أن قيمة اللوحة لوحدها ليس لها معنى دون ربطها بالعنوان والمتن، إذ لا تؤدي دلالتها إلا من خلال تكاتف كل العناصر للوصول إلى إجابات للأسئلة التي تطرحها هذه اللوحة باعتبارها العتبة التي من خلالها ندخل النص، "ويزداد الأمر تحديدا عندما تأخذ هذه الأشكال الجوهرية ألوانا مختلفة، عندها تضيف هذه الألوان إلى هذه الأشكال معان جديدة أو تأويلات جديدة لتجعل من هذا النسيج التصويري تحفة فنية، كل خط فيها نغم وكل لون فيها لحن. وتتحاور الأنغام وتتناغم الألحان في حركة منتظمة"([6]) لا يفهمها إلا من فهم التأويل واشتغل عليه.

4/ المؤشر الجنسي: يعد المؤشر الجنسيindication générique ملحقاً بالعنوان([7]) إلا أننا في رواية "كتاب الأمير" لا نجده في وجهة الكتاب، بل نجده في الصفحة الرابعة للغلاف، بأن هذا العمل هو من جنس الرواية، كما نجد

---

[1] - سحر علي سرحان، فاعلية البنية التصميمية لأغلفة مجلات الأطفال، المرجع السابق، ص: 108.

[2] - مصطفى السعدني، التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل، المرجع السابق، ص: 115.

[3] - شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي، المرجع السابق، ص: 268.

[4] - المنظور الخطي: وفيه يبدو البعيد صغيرا، والقريب كبيرا. ينظر المرجع نفسه، ص: 269.

[5] - المرجع نفسه، ص: 268.

[6] - ينظر عفيف بهنسي، جمالية الفن العربي، المرجع السابق، ص: 86.

[7] - عبد الحق بلعابد، عتبات، المرجع السابق، ص: 89.

ذلك في فضاء واحد مع كلمة الغلاف من خلال تصريح المؤلف بأن "كتاب الأمير" أول رواية عن الأمير عبد القادر. وهو من خلال هذا يريد أن يوجهنا إلى أن العمل المقدم من جنس الرواية، وبهذا يكون هذا التجنيس "نظاما رسميا يعبر عن مقصدية كل من الكاتب والناشر لما يريدان نسبته للنص، في هذه الحالة لا يستطيع القارئ تجاهل أو إهمال هذه النسبة، وإن لم يستطع تصديقها أو إقرارها، فهي باقية كموجه قرائي لهذا العمل"([1])، وهي معلومة في الأخير تفيد جمهور القراء، وللمؤشر الجنسي وظائف يؤدّيها، من أهمها: إخبار القارئ وإعلامه([2])، بأن هذا العمل ليس عملا تاريخيا بقدر ما يستمد مادته من التاريخ، وهذا أمر مهم بالنسبة للمتلقي.

5/ الناشر: للناشر دور كبير في صناعة الكتاب، وطباعته، إذ سيحرص على شهرة الكتاب من خلال الغلاف، والشهرة هنا ستكون بدرجة كبيرة من جانبها المادي التجاري، وخاصة فيما يتعلق بالغلاف، ونوع الخط، واسم المؤلف الذي سيتعامل معه، وشهرة الكاتب هي التي تعكس عنوان المؤَلف، وهو ما يدخل ضمن ما يسمى بـ"النص المحيط النشري"([3]) الذي يضم (الغلاف، صفحة العنوان، الجلادة jaquettes، كلمة الناشر).

وتعمل هذه الوظيفة على إغراء المتلقي، وهو ما نجده فعلا في هذه الرواية، من خلال الخانة الحمراء في أسفل واجهة الغلاف التي تحمل عبارة LIBRE poche أي سلسلة الجيب، وهي علامة إشهارية لجذب المتلقين بأن هذا العمل صغير الحجم ويمكن أن يحمل في الجيب، ولا يقلق صاحبه.

6/ كلمة الغلاف:إن المتلقي لهذا النص ينطلق من الصيغة النصية الخارجية (الغلاف)، إلى الصيغة النصية الداخلية (السرد) إذ لا مجال للتفريق بين الصيغتين، ومن البديهي أن المتلقي قد "قرأ كلمة الغلاف قبل أن يقرأ نص الرواية، ويمكن القول أن لوضعية المتلقي هاته أهمية جوهرية في اختيار وإعادة اختيار علامات الترقين والتي على أساسها تحدد خصوصية قصدية التوظيف"([4])، ليتحول قارئ كلمة الغلاف من قارئ غير مشارك إلى قارئ مشارك.

وكلمة الغلاف هي الأخرى عتبة يمكن أن ندخل من خلالها النص، إذ "يرتبط وضعها بتقديم الرواية وتقريب عالمها الحكائي من القارئ المحتمل"([5])، وتمثل هذه العتبة خاصية التكثيف في تقديم الأخبار، لاعتمادها على طرق خاصة في تأطير خطاب الرواية وتقديمه، إذ نجدها في رواية "كتاب الأمير" تسعى إلى تقديم ما اجتهد فيه الكاتب من خلال تقديم رؤيته لآهات الناس في فترة زمنية من تاريخ الجزائر، حيث جاءت هذه الكلمة لتبين أن هذا النص لا يقدم أحداثه التاريخية، ولا يتقصى التاريخ، بقدر ما يسعى إلى كشف ما لم يقدمه هذا التاريخ "ومما لا شك فيه أن مثل هذه الاعتبارات تثير عدة مستويات مرتبطة بخصوصية هذا المصاحب النصي والأوضاع المؤطرة لمجاله التلفظي"، وهو المجال الذي يمكن أن نكتشفه من خلال تتبع نص الرواية.

---

[1] - المرجع نفسه، ص: 89.

[2] - ينظر المرجع نفسه، ص: 90.

[3] - ينظر المرجع نفسه، ص: 46.

[4] - عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص "البنية والدلالة"، المرجع السابق، ص: 25.

[5] - المرجع نفسه، ص: 23.

كما تعتمد كلمة الغلاف على استمداد ما تقدمه من داخل النص إلى خارجه حيث توضح لنا ما تسعى إليه الرواية، إذ تؤكد أن هذه الرواية عبارة عن مغامرة " تستحق الاهتمام لأنها تلغي الحافات، حافة التاريخ وحافة المتخيل. فهي لا تقول التاريخ لأنه ليس هاجسا، ولا تتقصى الأحداث والوقائع لاختبارها، فليس ذلك من مهامها الأساسية. تستند فقط إلى المادة التاريخية وتدفع بها إلى قول ما لم يستطع التاريخ قوله، وهو: الاستماع إلى أنين الناس وأفراحهم وانكساراتهم...

7/ **ظهر الكتاب**: ويدرج على مساحته العنوان واسم الكاتب، كما قد تدرج إشارات أخرى من مثل الأرقام التسلسلية، ورموز الإشهار...إلخ باعتباره من الأماكن المناسبة للبحث عن الكتاب، وخاصة عندما يُرف على رفوف المكتبات، ذلك أنه المكان الأكثر رؤية عند البحث عنه، والأسهل عند الترتيب.

خاتمة: إن ما يثير الباحث في "كتاب الأمير" هو إحساسه الدائم والمستمر بعمق الدلالة، من خلال ما يقدمه غلاف الكتاب من رموز ودلالات، وليس التركيز على غلاف الكتاب -هنا- لكشف جوانب النقص في النص، بل من أجل تعميق البحث في تلك المسألة بالذات لتحضي هي الأخرى بدراسة مستقلة.

وبالرغم مما توصل إليه البحث، فنجاح العمل لا يكتمل إلا بالعودة إلى نفض الغبار المتراكب والمتراكم على هذه العتبات، من خلال كشف ما تضمره، وخاصة لوحة الغلاف باعتبارها تستدعي بذل كبير الجهد لكشف مستورها، وإبراز علاقتها بمضمون النص، وحتى لا تبقى هذه العناصر مجرد رسومات لا تستدعي التأمل فيها، لأنها لا توضع هكذا اعتباطا، وإنما توظف قصدا، ذلك أن إنتاج مثل هذه النصوص المحاذية يهدف إلى تطوير أفق انتظار القارئ، وبعثه على اقتناء العمل، سواء أكان ذلك للمتعة أو للبحث والتكوين.

تقنية الألوان؛ هي الأخرى باتت توظف اليوم بشكل ملفت، ليس فقط في الأعمال الأدبية، بل وفي حياتنا اليومية، ويتوقف ذلك على تطور ذهنيات البشر اليوم، حسب التطور التكنولوجي الذي ألزمنا مسايرته.

وفي الأخير وصل البحث إلى نقطة بداية ثانية من شأنها أن تفتح المجال لبحوث أخرى، إذ أفضى البحث إلى أن هناك علاقة وطيدة بين مبدع النص ومتلقيه من جهة، وبين مبدعه وناقده من جهة ثانية، من خلال غلاف الكتاب، وليس هناك أي إشكال إذا سرنا على هذا التأويل، فهو في الأخير قراءة من القراءات التي تستدعي الانطلاق منها في الدراسة والتحليل.وفي الأخير نسأل الله التوفيق والسداد.

المراجع:

1- إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في عصر الراشدين، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1985.

2- أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة "المنطق السيميائي وجبر العلامات"، الدار البيضاء، المغرب، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الجزائر، لبنان، ط1، 2005.

3- برنار توسان، ما هي السيميولوجيا، ترجمة: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2000.

4- جابر عصفور، في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط3، 1993.

5- حمام محمد زهير، محطات مضيئة في حياة الأمير عبد القادر، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت.

6- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعناها "دراسة"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سورية، 1998.

7- يحي وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1994.

8- محمد الطاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط، تاريخ الخط العربي وأدابه، المطبعة التجارية الحديثة، السكاكين، ط1، 1939.

9- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 1992.

10- محمد شوقي أمين، مصطفى حجازي، كتاب الألفاظ والأساليب، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، 1976.

11- مصطفى السعدني، التصوير الفني في شعر محمد حسن إسماعيل، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، دت.

12- سحر علي سرحان، فاعلية البنية التصميمية لأغلفة مجلات الأطفال، مجلة الأكاديمي، العدد54، 2010.

13- بن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، لبنان، 1982.

14- عبد الجليل مرتاض، دراسة سيميائية ودلالية في الرواية والتراث، منشورات ثالة، الجزائر، دط، 2005.

15- عبد الحق بلعابد، عتبات "جيرار جينيت من النص إلى المناص"، تقديم: سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، لبنان، ط1، 2008.

16- عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص "البنية والدلالة"، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996.

17- عبد القادر شريف حسني، جماليات الفضاء في روايات واسيني الأعرج، أطروحة دكتوراه، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2012.

18- عبد الغفار مكاوي، قصيدة وصورة "الشعر والتصوير عبر العصور، سلسلة الكتب الثقافية التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة رقم: 119، الكويت، 1987.

19- عفيف بهنسي، جمالية الفن العربي، إشراف: أحمد مشاري العدواني، سلسلة عالم المعرفة، رقم: 167، الكويت، فبراير 1997.

20- عصام حفظ الله واصل، التناص التراثي "في الشعر العربي المعاصر"، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011.

21- شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي "دراسة في سيكولوجية التذوق الفني"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم: 267، مارس، 2001.

دراسة تحليلية ونقدية لبيئة العمل النفسية الاجتماعية وفق نموذج DLS لـ Karasek

أ.عبد الباقي بن بوقرين - د. محمد بوفاتح
قسم علم النفس
جامعة عمار ثليجي بالأغواط

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف ببيئة العمل النفسية والاجتماعية في المنظمات وتبين أهميتها كمصدر من مصادر الخطر على التوازن النفسي والاجتماعي للعامل. ومن خلال الدراسة فقد تم الإشارة إلى عدة مواضيع متعلقة ببيئة العمل وفقا لنموذج العوامل النفسية والاجتماعية لـ Karasek (1979) المعروف في الأوساط البحثية لنموذج DLS (المطالب النفسية-الموقف القراري، السند الاجتماعي). ينتج عن تقاطع هذه العوامل مصفوفة من الحالات النفسية التي يكون عليها العامل وتصنف الحالة الأخطر على الصحة النفسية للعامل بالحالة التي تكون فيها المطالب النفسية مرتفعة والموقف القراري والسند الاجتماعي ضعيفان. سيتطرق المقال بالتحليل والنقد إلى بعض الدراسات في بيئات غربية.

الكلمات المفتاحية: بيئة العمل، العوامل النفسية الاجتماعية لبيئة العمل، نموذج DLS لـ Karasek، الصحة النفسية.

Abstract

This study aims to identify the psychological and social environment at work, and showing their importance as a source of risk to the psychological and social worker's balance. Through the study, it has been noted on several topics related to the work environment, according to the model of psychological and social factors of Karasek(1979) known in the research community by DLS job strain model or JCQ(job content questionnaire). The intersection of these factors producesa matrix of psychological cases where the mental health of the worker is classified. thus the dangerous situation on thismatrix isthe one which there are high psychological demands and low decision attitude and low social support atwork. The article also analyzes some studies in some industrial countries.

Keywords: the environment of work, job strain model (Karasek, 1979), psychological and social factors, mental health.

مقدمة

يتمتّع الموظفون العاملون في مؤسسات تتوفر فيها بيئة عمل سليمة بالنّشاط والصحة النفسية وكثرة العطاء وزيادة الحافز لديهم، وعندما يكون العمل مناسبا لقدرات العامل وأهدافه وحدود إمكاناته، تكون مخاطر العمل وبيئته تحت السيطرة الكاملة. يلعب العمل غالبا دورا إيجابيا في تأمين الصحة البدنية والنفسية للعامل وتنمية قدراته البدنية ويكون الوصول إلي الأهداف المنشودة للعمل مصدرا هاما للرضا واحترام الذات؛ "لقد توصلت بعض الدراسات التي أجريت حول أثر البطالة على شخصية الأفراد إلى أن العمل يشكل مزاج الأشخاص، فهو يسمح بربط علاقات اجتماعية خارج المحيط العائلي، وينمي لدى الأفراد الرغبة في الوصول إلى هدف مشترك، وهذا ما يفسر صعوبات التي يعاني منها البطالون مثل الشعور بالذنب والإقصاء، وتدني مستوى تقدير الذات" (نعموني، 2014، ص. 16). لكن في بعض الأحيان تكون بيئة العمل مصدرا

للعديد من المخاطر، منها الفيزيائية والنفسية والاجتماعية، والتي عندما تتجاوز الحدود الآمنة تكون مصدرا هاما لتأثيرات سلبية على الحالة الصحية للعامل بدنيا ونفسيا وتكون سببا في الإصابة بالأمراض المهنية وإصابات العمل. البيئة المثالية لأي عمل تتوافر بها عدة عوامل منها: إشاعة الطمأنينة والانتماء لمكان العمل بين العاملين والمناخ الملائم لطبيعة النشاط؛ اعتبارها عاملاً مهماً في تحقيق الطموحات والأهداف وإشباع الحاجات النفسية والاجتماعية، خاصة إذا كانت هذه البيئة واضحة المعالم والحدود بحيث يدرك فيها الفرد دوره بالتحديد. توفر أدوات النجاح في تأدية المهام، والاهتمام بالتدريب وتشجيع روح التعاون بين العاملين والتأكيد على روح الفريق ووحدة الهدف وأهمية كل الأدوار مهما صغُرت. كما يعتبر من بين أهم عوامل البيئة المناسبة هو شعور الجميع بالفخر بالعمل في المنظمة وكذا تثمين الجهود.

في هذا السياق، طور الباحث Robert Karasek (1978) نموذجا يجمع بين هذه العوامل النفسية والاجتماعية في بيئة العمل. تشكل هذه العوامل مصفوفة من محورين مكونة من العوامل الضاغطة في العمل وهي المتطلبات النفسية والعوامل المساعدة على تأدية المهام والقيام بالأدوار وتحمل المسؤوليات بالاقتدار وأطلق عليها الموقف القراري. عند الانتهاء من رسم هذه المصفوفة، تنتج أربع وضعيات مختلفة بحسب مقدار كل عامل من العاملين المذكورين أعلاه بحيث يصبح العامل في وضعية إجهاد وظيفي إذا كانت متطلبات العمل مرتفعة وفي نفس الوقت الموقف القراري منخفض ووسائل مواجهة هذه الضغوط متدنية. لقد ركز Karasek على هذه الوضعية كونها الوضعية التي تؤثّر بشكل واضح على الصحة النفسية للعامل. سيأتي تفصيل الوضعيات الثلاث المتبقية في متن هذه الورقة البحثية.

مفهوم البيئة: إن كلمة البيئة Environment مشتقة أساساً من كلمة environs أي كل ما هو محيط بالكرة الأرضية. وكلمة بيئة في الأصل كانت تعني العناصر الطبيعية مثل الشمس والقمر والهواء والجمال والصحراء والغابات، وقد تطور هذا المفهوم ولم يعد يقصر على العلوم الطبيعية بل شمل معظم العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية والإدارية.وقد يكون من الأفضل أولا أن نذكر كلمة البيئة ككلمة مجردة، وتحديد أي نوع من البيئة هو المقصود، حيث أن العلوم حالياً اهتمت بتعريف كلمة البيئة من وجهة نظر كل علم منها. وبالنسبة لعلم الإدارة فقد اهتم بالبيئة لأسباب أهمها لا توجد منشأة تعمل في الفراغ، كما أنها لا بد وأن تتعامل مع غيرها من المنظمات والمؤسسات (حجاب، 2007، ص. 91). كما تتجلى أهميتها في التأثير البالغ على جودة وكمية الإنتاج، حيث أن جودة بيئة العمل تؤثّر على أداء العامل، كما أنها تؤثّر على صحة العامل النفسية والجسدية.

-بيئة العمل قسّم العلماء والباحثين في مجال الإدارة بيئة العمل في المنظمات والمؤسسات إلى أنواع مختلفة، وتحديد أنواعها يساعد على دراستها وتحليل عناصرها، كما يساعد على توضيح العلاقة القائمة بين كل بيئة وأخرى، وتعرف البيئة على أنها: مجموعة الظروف التي تعمل المنظمة في ظلها، وتنقسم إلى بيئة داخلية وأخرى خارجية:

1- بيئة العمل الخارجية: إن وجود حدود لكل منظمة يعني أن هنالك شيئاً –بيئة- خارج المنظمة. ونعني بالبيئة الخارجية تلك الأبعاد المختلفة والمحيط بالتنظيم أو المؤسسة والتي يمكن لها أن تؤثّر على أنشطتها، وهذه العناصر ليس بالضرورة أن ترتبط بطريقة مباشرة بعناصر في المنظمة. ولقد عرف روبنز Robbins(1990) البيئة الخارجية بأنها "جميع العوامل والمتغيرات الواقعة خارج حدود المنظمة" . أما روبرت مايلزRobertMiles فقد عرف البيئة الخارجية على النحو الآتي "خذ الكون واطرح منه النظام الفرعي الذي يمثل المنظمة، فيكون الباقي هو البيئة الخارجية للمنظمة". كما عرف هاوليHawley لبيئة الخارجية بأنها "جميع الظواهر خارج المنظمة وتؤثّر أو لديها إمكانية التأثير على المنظمة" (حريم، 2010، ص. 46).

فالبيئة الخارجية تمثل كل الظروف المحيط بالمؤسسة مثل البيئة الطبيعية، والبيئة الاقتصادية، والبيئة الاجتماعية والثقافية، وتكون مؤثرة في المنظمة أو لها قدرة على التأثير فيها.

1-1.تصنف البيئة الخارجية: ومن التصنيفات الأكثر شيوعاً هو تصنيف البيئة الخارجية للمنظمة إلى نوعين/ مستويين هما:

أ. **البيئة العامة:** نعني بالبيئة العامة تلك التي تتكون من الأبعاد المختلفة والمحيطة بالتنظيم أو المؤسسة والتي يمكن لها أن تؤثّر على أنشطته (ها)، وهذه العناصر ليس بالضرورة أن ترتبط بطريقة مباشرة بعناصر في المنظمة ومن أمثلة عن هذا النوع من البيئة (البيئة الطبيعية كالطبيعة ومناخها، البيئة الاقتصادية كالنظام الاقتصادي، البيئة التكنولوجية كالمعرفة والتقدم، البيئة الاجتماعية كالأدوار الاجتماعية والطبقات الاجتماعية، البيئة الثقافية كالعادات والتقاليد، ....). نستخلص من هذا أن البيئة العامة هي الإطار العام الذي تعمل فيه جميع المنظمات والمؤسسات سواءً الصناعية الإنتاجية والخدمية حيث يقع تأثير هذه البيئة على كافة المنظمات والمؤسسات (بن رحمون، 2014، ص. 33).

ب. **بيئة النشاط:** ويطلق عليها أحياناً البيئة المهمة، وتشمل تلك المتغيرات والعوامل والقوى البيئية ذات الصلة المباشرة بتحديد أهداف المنظمة وتحقيقها، وهذه البيئة هي الأكثر أهمية بالنسبة للمديرين، لكونها تشمل على الظروف والعوامل التي يمكن أن تؤثّر ايجابياً أو سلبياً على فاعلية المنظمة ونموها. وتشمل بيئة النشاط على مكونات الآتية:

- ✓ المنتفعين.
- ✓ المنافسين.
- ✓ الموردين.
- ✓ الجهات الحكومية.
- ✓ الاتحادات العمالية.
- ✓ الجمعيات/ الاتحادات العمالية.
- ✓ جماعات الضغط العامة.

هذا ويصعب في حالات كثيرة وضع حدود فاصلة بين البيئة العامة وبيئة النشاط/ المهمة، نظراً للتداخل والتأثير المتبادل بينهما. ويرجع ذلك إلى ديناميكية مكونات كل من البيئتين، فضلاً عن القدرات الذاتية للمنظمة (حريم، 2010، ص. 49)

2- بيئة العمل الداخلية: يعرف بومخلوف بيئة العمل الداخلية بأنها "عبارة عن الأفراد والجماعات والتقنيات والتشريعات والنظم التي تعمل داخل المنظمة وتعمل المنظمة بموجبها. ويعرفها الظاهري بأنها "الانطباع العام المتكون لدى أعضاء المؤسسة والمنتمين لها،وهي متغيرات عديدة كأسلوب معاملة المديرين لمرؤوسيهم، وفلسفة الإدارة العليا وجو العمل وظروف ونوعية الأهداف الذي ينبغي على المؤسسة تحقيقها"، ويعرفها الشنواني في سياق أخر بأنها "كل ما يحط بالفرد في عمله، ويؤثر في سلوكه وأدائه، وفي ميوله تجاه عمله والمجموعة التي يعمل معها والإدارة التي يتبعها والمشروع الذي ينتمي إليه" (بن رحمون، 2014، ص. 34-35). وهي تتمثل في المستوى الحضاري والثقافي والقيمي والذي يعكس أسلوب الإدارة في تحديد نشاط الأفراد العاملين وسلوكاتهم، فالمديرون يغرسون هذه الثقافة في موظفيهم، وتستمد المنظمة ثقافتها من البيئة الاجتماعية التي تعيش فيها، وتحدد المعايير الحضارية مدى فاعلية المنظمة ومستوى نجاحها (تاوريريت، 2009، ص. 208).وتشير البيئة الداخلية إلى تلك العناصر الموجودة داخل حدود المنظمة، هذا وتتعدد العناصر الداخلية وعلى سبيل المثال نذكر منها ما يلي:العمر والحجم ودورة حياة المنظمة – التكنولوجيا – الاستراتيجية – اتخاذ القرار – الموارد البشرية – المديرون – أنظمة العمل – القواعد والإجراءات – ثقافة المنظمة – التماسك التنظيمي أو الصراع –جماعات العمل – القيادة (ماهر، 2007، ص. 518)، وفي نفس السياق يذكر حريم أن البيئة الداخلية هي البيئة الجزئية، وتضم: رسالة المنظمة وأهدافها وثقافتها، والعاملين فيها، والموارد، والسياسات والتقنيات والإجراءات، وعملية الإنتاج، والمنتجات/الخدمات (حريم،2006، ص. 47).

2-1.عناصر بيئة العمل الداخلية:تتكون البيئة الداخلية للمنظمة من عناصر، وهذه الأخيرة لا توجد منفصلة عن بعضها البعض، وإنما مترابطة كما أنه لا يهيمن عنصر واحد على بقية العناصر، فالمنظمة (المؤسسة) أولاً وقبل كل شيء نظام/نسق يتكون من عناصر كل منها يؤثر في الأخر ويتأثر به ويجب الاهتمام بها جميعاً لفهم المنظمة.فحسب فليه وعبد المجيد فإن بيئة العمل الداخلية تشمل العناصر الآتية:

أ. البيئة الفنية أو التقنية: أو التكنولوجية التي تعتمد عليها المنظمة وهي: طرق وأساليب العمل والآلات والمعدات والأجهزة المستخدمة.

ب. التنظيم الرسمي: ويقصد به الهيكل والوظيفة، ويشمل كل من (قانون العمل ولوائحه، تعليمات تحكم علاقات العاملين، قنوات الاتصال، التقييم، السلطة والمسؤوليات والأدوار ونوعية العمل، الخطط والأهداف).

ت. الإدارة: وهي جزء لا يتجزأ من التنظيم الرسمي، وهي التي ترسم الخطط والأهداف وما تتضمنه من عمليات التخطيط والتنظيم والتنفيذ والتوجيه والرقابة ونوع القيادة وتقييم الأداء....

ث. التنظيم غير الرسمي: وهو عبارة عن شبكة العلاقات الاجتماعية والنفسية والثقافية التي تنشأ بين الأفراد العاملين في المنظمة (فليه وعبد المجيد، 2009، ص. 93).

بالنسبة **لأحمد سيد مصطفى** يرى أن عناصر بيئة العمل الداخلية هي:

- الموارد البشرية من مديرين ومرؤوسين وعلاقاتهم التبادلية، ومدى ولائهم والتزامهم ودوافعهم.
- النظم والسياسات الإدارية.
- التجهيزات المستخدمة (مدى كفاءتها وفعالياتها).

- الموارد المالية والفنية والمستوى التكنولوجيا.
- طبيعة العمل وتصميمه.
- الظروف المادية للعمل (الإضاءة والتهوية والنظافة...).
- الظروف المعنوية التي تؤثّر في الإنتاجية الإدارات والعاملين (بن رحمون، 2014، ص.38).

أما بنسبة **لماهر** يشير إلى عناصر بيئة العمل الداخلية من خلال العناصر الآتية:

-العمر والحجم ودورة حياة المنظمة. -التكنولوجيا والتجهيزات ومستوى كفاءتها وكفايتها.

-الاستراتيجية. -اتخاذ القرار.

-الموارد البشرية. -المديرون.

-أنظمة العمل. -القواعد والإجراءات.

-ثقافة المنظمة. -التماسك التنظيمي أو الصراع.

-جماعات العمل. -القيادة والسلطة (ماهر،2007، ص. 518)

أما حسب **الشماع وحمود** فإن مكونات التنظيم يتلخص في ثلاث عناصر هي:

- الفرد. - الجماعة الصغيرة (التنظيم غير الرسمي).

-الهيكل التنظيمي (الشماع وحمود، 2007، ص. 113).

فالتقسيمات السالفة الذكر وإن كانت مختلفة من حيث التصنيف، فمنهم من يجمع بين عمليات المنظمة والمكونات الرئيسية ومنهم من يفصل بينهم، إلا أنها تبقى متقاربة وتركز في مجملها على الظروف المادية المحيط بأعضاء المؤسسة والظروف المعنوية التي تفرضها عناصر العمل مثل طبيعة العمل والعلاقات الإنسانية وسياسات العمل والإجراءات المطبقة وغيرها.

2-2.تصنف البيئة الداخلية:ومن جهة أخرى هناك تصنيف آخر للعوامل السابقة في بيئة العمل لـ Armstrong(2006) ويذكر "بأنها تتكون من شقين، هما:

أ. **بيئة العمل المادية:**وتشمل الظروف المناخية السائدة في مكان العمل داخل المنظمة، كالتهوية والإضاءة، وضغط العمل، ومساحات العمل، وعدد ساعات العمل، وفترات الراحة ...الخ هذه الظروف ذات انعكاس وتأثير في سلامة وصحة الموارد البشرية في العمل وفاعلية أدائها.

ب. بيئة العمل النفسية والاجتماعية:

وتشتمل على المناخ الاجتماعي العام وطبيعته، والروابط الاجتماعية، والعلاقات الشمولية السائدة بين الموارد البشرية في مكان العمل، والصراعات التنظيمية الموجودة بين العاملين، فهذه الجوانب لها انعكاس كبير على الناحية النفسية لدى كل من يعمل في المنظمة، ويمكن تحديد نطاق هذه الجوانب بالعلاقات بين المرؤوسين بعضهم ببعض، وعلاقات بين الرؤساء بمرؤوسيهم وعلاقات المجلس إدارة المنظمة بعضهم ببعض. (المشوط، 2011، ص.15-16). إن الإجهاد الوظيفي ينتج ليس فقط من مظهر واحد لبيئة العمل، ولكن من تجمع آثار متطلبات العمل وحرية صناعة القرار المتاحة الذي يواجه هذه المتطلبات. هذان المظهران لبيئة العمل يمثلان وضعية وظيفية هي التي تحدد الحالة النفسية التي يكون عليها العامل، فمتطلبات الزائدة في العمل، والصراعات أو الضغوطات هي التي تموقع العامل في وضعية محفزة أو وضعية مولدة للحركة والطاقة أو

الضغط، ويعتبر الموقف القراري (حرية صنع القرار، والاستفادة من الخبرات الشخصية) للفرد بمثابة العامل الذي يعدل أو يحول الضغط (الطاقة الكامنة) إلى طاقة عملية، بمعنى نموذج لإدارة الضغوط والإجهاد المتعلق ببيئة العمل. إذا لم يقم الفرد بأي فعل، أو إذا تصرف الفرد على أساس أنه لا يمتلك ما يكفي من الموقف القراري، ستصبح هذه الطاقة الكامنة بمثابة الإجهاد النفسي الداخلي (Karasek, 1978, p. 287).

-نموذجDLS لـ Karasek(1979) لبيئة العمل:أغلب الدراسات التي بحثت الصحة النفسية والعوامل التي تؤثّر فيها في بيئة العمل، تفضل استخدام نموذجين معروفين هما نموذج DLS لـ Karasek (1979) المعتمد على المتطلب النفسي-الموقف القراري-السند أو الدعم. أما النموذج الثاني DER فهو لـ Seigrist(1996) المعتمد على عدم التوازن-الجهد-الاعتراف (Ndjaboué et al., 2012, p. 23 ; Bourbonnais et al., 2004, p. 28).طُور نموذج إدارة الضغوط والإجهاد الوظيفي DLS وتم اختباره في مسح حديث لبيانات في كل من السويد والولايات المتحدة الأمريكية. يتنبأ هذه النموذج بالإجهاد الوظيفي الناتج عن التفاعل ما بين متطلبات الوظيفية والموقف القراري، يأتي هذا النموذج ليوضح بعض النتائج المتناقضة المعتمد على آثار عوامل بيئة العمل المتفرقة على العاملين. والنتيجة الأساسية لهذا البحث هي أن انخفاض الموقف القراري وارتفاع المتطلبات الوظيفية يعتبر العامل المؤثر على ارتفاع الإجهاد الوظيفي، كما يعتبر هذا المزيج أي انخفاض الموقف القراري وارتفاع المتطلبات الوظيفية سبباً في انخفاض الرضا الوظيفي، زيادة على ذلك تعتبر أهم نتيجة لهذه الدراسة هي إعادة تصميم الوظيفة وعملياتها من أجل رفع الموقف القراري لفئات كثيرة من المهن والأعمال لخفض الإجهاد الوظيفي دون التأثير على المتطلبات الوظيفة الذي من الممكن أن تخفض من مستويات الفاعلية التنظيمية (Karasek, 285 .1978, p). يدعى النموذج DLS نموذج Job strain model ويحتوي على مركبتين هما: المتطلب النفسي والموقف القراري. يتناول المتطلب النفسي عبء العمل والمتطلبات الذهنية وقيود الزمن؛ بينما يتناول الموقف القراري جزئيين هما تطور الكفاءات وسلطة اتخاذ القرار. ينطلق هذا النموذج من افتراض أنّ:المتطلب النفسي المرتفع والموقف القراري الضعيف هو الذي يشكل عامل خطر على الصحة النفسية للعامل. بينما يشكل الدعم ممثلا في المساعدة التي يقدمها الزملاء والرؤساء والتعاون في مكان العمل المركبة الثالثة لهذا النموذج والتي أدخلها .Johnson et al (1989). يقيس هذا النموذج خصائص بيئة العمل مثل بيئة تنظيم العمل، وعليه يكون هذا النموذج هو الأمثل لقياس المظاهر المتغيرة والثابتة في بيئة العمل والأفراد (Ndjaboué et al., 2012, p. 24).

مقياس بيئة العمل karasek (1979): مقياس بينة العمل karasek (1979) يدعى النموذج DLS نموذج Job strain model، ويركز نموذج Karasek على قياس الإجهاد في العمل. وقد صمم من قبل عالم الاجتماع وعالم النفس الأمريكي روبرت كرازاك Karasek في عام 1979،"ويحتوي على بعدين هما: المطالب النفسية والموقف القراري. يتناول المطالب النفسية، عبء العمل، والمتطلبات الذهنية، وقيود الزمن؛ بينما يتناول الموقف القراري جزئين هما تطور الكفاءات وسلطة اتخاذ القرار". ينطلق هذا النموذج من افتراض أنّ المطالب النفسية المرتفعة والموقف القراري الضعيف هو الذي يشكل عامل خطر على الصحة النفسية للعامل. بينما يشكل الدعم ممثلا في المساعدة التي يقدمها الزملاء والرؤساء والتعاون في مكان العمل المركبة الثالثة لهذا النموذج والتي أدخلها .Johnson et al (1989) لتخفف من حدة الخطورة، يقيس هذا النموذج خصائص بيئة العمل مثل بيئة تنظيم العمل وعليه يكون هذا النموذج هو الأمثل لقياس المظاهر المتغيرة والثابتة في بيئة العمل

والأفراد(Ndjaboué et al., 2012, p. 24). أصبح مقياس Karasek الأداة الرئيسية لتقييم العوامل النفسية والاجتماعية في العمل.

-أبعاد المقياس:

1-الموقف القراري La Latitude décisionnelle

فإنه يأخذ في الاعتبار كلا من الاستقلالية في اتخاذ القرار والاستفادة من الخبرات

أ. **-الاستقلالية في اتخاذ القرار**:L'autonomie décisionnelle

هي القدرة على اختيار طريقتهم في العمل، والمشاركة في اتخاذ القرارات المتعلقة بهم.

ب. الاستفادة من الخبرات L'utilisation des compétences

هي القدرة على استخدام مهاراتهم الخاصة وتطوير مهارات جديدة.

2-المطالب النفسية La demande psychologique

هي الأعباء النفسية المرتبطة بأداء المهمة، وكمية وتعقيد المهام، والمهام غير المتوقعة، وضيق الوقت، والمطالب المتناقضة.

- إذا كانت نتيجة المطالب النفسية مرتفعة ويسجل الموقف القراري نتيجة منخفضة، الفرد هو في "ضغط"، وبالتالي يعتبر في حالة من الإجهاد الوظيفي في إطار الدراسة.
- إذا كان الفرد لديه المطالب النفسية منخفضة والاستقلالية للقيام بعمله فهو في حالة استرخاء.
- الفرد النشط، لديه المطالب النفسية عالية ولكن أيضا الاستقلالية عالية.
- وفي المقابل الفرد السلبي، لديه كل من المطالب النفسية المنخفضة والاستقلالية المنخفضة.

ونوضح ذلك في والجدول الآتي:

الجدول رقم:(01)يبين نموذج تقاطع بين بعد الموقف القراري وبعد المطالب النفسية

		المطلب النفسي	
		منخفض	مرتفع
الموقف القراري	مرتفع	عمل مريح	عمل نشط
	منخفض	عمل خامل	عمل مجهد

المصدر: من إعداد الباحثين

3 - الدعم الاجتماعي Le Soutien social:

هو الدعم والاعتراف من الزملاء والرؤساء

أ. **الدعم الاجتماعي من الرؤساء** Soutien social de la part de la hiérarchie وينقسم دعم من الرؤساء إلى:

- دعم مهني.
- دعم عاطفي.

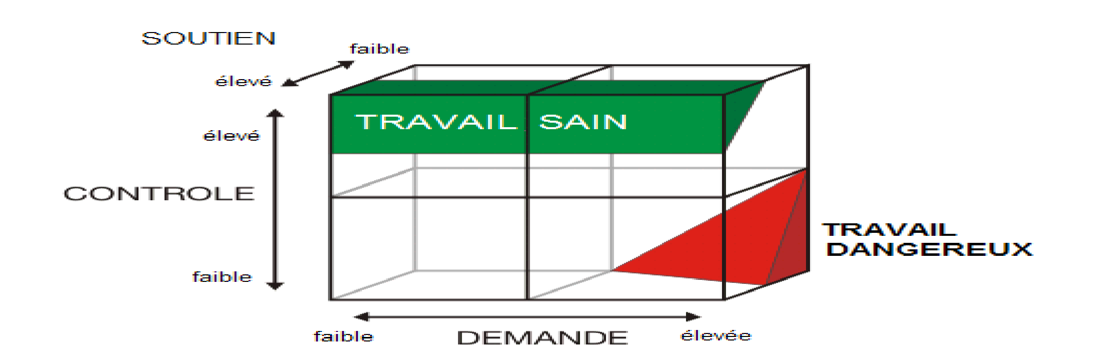
ب. **الدعم الاجتماعي من الزملاء** Soutien social de la part des collègues وينقسم دعم من الزملاء إلى:

- دعم مهني.
- دعم عاطفي.

الدعم الاجتماعي هو مجموع: الدعم الاجتماعي من الرؤساء والدعم الاجتماعي من الزملاء.

بيئة العمل خطرة على الصحة النفسية هي مزيج من ضغط الوظيفي(الموقف القراري المنخفض والمطالب النفسية المرتفعة) مع الدعم الاجتماعي المنخفض.

ونوضح ذلك في الشكل الآتي:



شكل رقم :(01)يمثل المزيج بين الموقف القراري والمطالب النفسية والدعم الاجتماعي

المصدر: http://fr.wikipedia.org/wiki/Mod%C3%A8le_de_Karasek

أ. نتائج بعض الدراسات التي استخدمت نموذج DLS لـ Karasek (1979، 1985)

1. **دراسة Bourbonnais, R.et al.**(1997) بعنوان "تأثير المحيط النفسي الاجتماعي في العمل على الصحة النفسية للممرضات في المراكز الاستشفائية بمقاطعة الكيبك الكندية"

تحاول هذه الدراسة الوقوف على العلاقة بين خصائص البيئة النفسية الاجتماعية والصحة النفسية لعينة من الممرضات في ستة مستشفيات بمقاطعة الكيبك في كندا. تمت الدراسة على مرحلتين باستعمال استبيان تضمن في أبعاده لقياس الصحة النفسية ثلاث أبعاد هي: الضيق النفسي(IDPESQ)، والاحتراق النفسي لماسلاش، وتناول الأدوية النفسية. خصص حيز في الدراسة يتناول البيئة النفسية الاجتماعية **مقياس بيئة العمل (Karasek)**.وارتباطها بمعدلات الغياب المرضية الملاحظة في مدة 20 شهرا.

في المرحلة الأولى، كانت نتائج هذه الدراسة على النحو الآتي: 28.3%من الممرضات يعانين من ارتفاع الضيق النفسي، 35% منهن لم تظهر لديهن أي علامات الاحتراق النفسي، بينما البقية أظهرن استجابة قوية لكل أو لأحد أبعاد الاحتراق النفسي. أما بعد تناول الأدوية النفسية فقد أجابت نسبة 4.4% منهن أنهن تناولن الأدوية في اليومين السابقين قبل الإجابة عن الاستبيان؛ بينما تناولت هاته الأدوية نسبة 9.6% من المستجوبات قبل شهر من الدراسة. لكن في نفس الوقت تبين أنّه لا علاقة ذات دلالة إحصائية بين تناول الأدوية النفسية والمطالب النفسية المرتفعة والموقف القراراي الضعيف.

في المرحلة الثانية، تبين من خلال تحليلها أنّ هناك ارتفع طفيف في تأثير بيئة النفسية الاجتماعية للعمل بأبعادها الثلاث على الصحة النفسية. تبين كذلك أنّ السند الاجتماعي والضيق النفسي مرتبطان لكن السند الاجتماعي لا يغير من العلاقة بين ضغوط العمل والاضطرابات النفسية؛ كما تؤثّر الضغوط على ارتفاع معدلات التغيب القصيرة، بينما لا تؤثّر في المعدلات الطويلة.كانت النتائج على النحو الآتي:

نتائج البحث تدعم العلاقة بين الاحتراق النفسي والضغوطات النفسية والإجهاد النفسي بين الممرضات حتى بعد الأخذ في الاعتبار العوامل التي يحتمل تدخلها. ويرتبط الدعم الاجتماعي في العمل مع الضغوطات

النفسية والإجهاد النفسي، لكنه لا يغير من العلاقة بين الإنهاك الوظيفي وهذه الاضطرابات النفسية بين الممرضات في المستشفى في كيبيك. يرتبط ضغط العمل مع حالات الغياب المرضية على المدى القصير ولكن لا يرتبط مع الإصابة المبررة بشهادة غياب مرضية أو استخدام الأدوية النفسية. وأكد التحليل الكيفي لهذه الدراسة وجود مطالب نفسية غير محققة، وهي عدم المشاركة في القرارات التي تؤثّر في العمل وكيفية انجاز المهام. فضلا عن ذلك، ضعف الدعم الاجتماعي، لاسيما أنّ هذه العناصر تسهم بشكل كبير في تحسين الحالة النفسية حسب شهادات الممرضات المستجوبات.

تم التوصل كذلك إلى أنّ بيئة العمل النفسية والاجتماعية تؤثّر على الصحة النفسية ودعمت التعليقات والاقتراحات التي ضمنتها الممرضات في استبيانات تحسين ظروف العمل. كما أوصين أيضا بضرورة التفكير بتدخلات لتغيير الجوانب المسببة للأمراض في العمل في وحدات الرعاية الصحية في المستشفيات.

2. **دراسة .Karasek et al (1998)**بعدما تناول الباحثون في الجزء الأول من الدراسة تقديم التأصيل النظري لمقياس JCQ المطور من قبل Karasek (1985) واعطاء صورة عن ماهية الدراسات التي تناولته وتناولت أبعاده وأجزاءه. تناول الجزء الثاني من الدراسة عقد مقارنات بين بعض التطبيقات للمقياس مطبقة في العديد من الدول الصناعية الكبرى استهدفت بالأساس صلاحية النموذج للنساء والرجال على ستة عينات (10288 رجالا و6313 نساء) في أربع دول صناعية كبرى هي الولايات المتحدة، كندا، هولندا واليابان. تم في هذا الجزء مقارنة العديد من الارتباطات والانحرافات ومعاملات ثبات مقاييس الدراسة. في الجزء الثالث من الدراسة تم مراجعة الفروقات الموجودة بين المهن المختلفة والاختلافات الموجودة بين العينات المدروسة وبعض القضايا الخاصة بالمقياس، وتم كذلك دراسة بعض التطبيقات والتوصيات المتعلقة بتقييم النواحي النفسية والاجتماعية للوظائف.بعض هذه النتائج التي أسفرت عنها الدراسة تتلخص في كون المتوسّطات لمعظم أبعاد المقياس المطبق كانت متقاربة عبر كل الدول المشاركة في المسح. كما لوحظ كذلك وجود فروقات صغيرة فيما يخص الموقف القراري كما لوحظ أن العينات سجلت درجات عالية على هذا المقياس فيما يخص هذا البعد خصوصا في عينة القطاع الصحي التابعة لكندا. بينما كانت درجة البعد المتعلق باستقلالية القرار كمقياس ثانوي من الموقف القراري أقل بالنسبة للعينة الأمريكية وهذا بعد المقارنة بين عينة تم دراستها سنة 1990 وعينة تم دراستها سنة 1994 لكلا الجنسين. بينما كانت هذه الدرجة هي الأقل على الاطلاق بالنسبة للعينة اليابانية والعينة الهولندية. بينما سجلت العينة الأمريكية لكلا الجنسين درجات عالية على مقياس المطالب النفسية والاجتماعية. لكن واحدة من بين أكثر النتائج وضوحا هي الفروق الجوهرية الموجودة بين الجنسين بخصوص بعد الاستقلالية في اتخاذ القرار والاستفادة من الخبرات (الاستفادة من المهارات وتطوير مهارات جديدة) لصالح الرجال على حساب النساء؛ ولكن هذه الفروق كانت أقل وضوحا بالنسبة لعينة القطاع الصحي للعينة الكندية. كما تم دراسة ارتباط مختلف أبعاد المقياس مع العمر والمستوى التعليمي ووجد بأنّ هناك ارتباط قوي سلبي بين المستوى التعليمي والموقف القراري وقد يفسر هذا حسب الباحثين بالاختلاف الموجود في المستويات التعليمية التي يغلب عليها المستوى المنخفض عند كبار السن لدى الجنسين. بينما لوحظ ارتباط قوي بين العمر والمطالب النفسية والاجتماعية لدى فئة النساء في

العينة اليابانية. بينما لوحظ ارتباط موجب قوي بين الموقف القراري مع المستوى التعليمي لدى معظم أفراد العينات الأخرى باستثناء العينة اليابانية.

3. **ملخص دراسة Kawakami&Fujigaki(1996)** في إطار دراسة فحص صلاحية وثبات مقاييس مختارة من إصدار مقياس محتوى الوظيفة (JCQ) لـ Karasek (1985). تم القيام بمسح على عينة من 1126 موظفا في شركة يابانية لصناعة أجهزة الحواسيب، واستخدم مقياسا من 31 عبارة مأخوذة من مقياس JCQ. تم فحص 10 عوامل متعلقة بالمطالب النفسية والفيزيائية للعمل على جزء من العينة بلغ 603 من الذكور و84 من الاناث. تراوحت معاملات ثبات 9 عوامل والتي تضمنت اثنان أو أكثر من العبارات ما بين 0.66 حتى 0.9 للذكور ومن 0.64 حتى 0.88 للإناث. أما التحليل العاملي لكل عامل فقد أشار إلى أنّ العامل الأول قد فسر 50 في المائة من التغيرات في سلطة القرار ودعم الرئيس ودعم الزملاء والمجهود البدني عند الرجال والنساء والمطالب النفسية والاجتماعية عند النساء. أما الاستفادة من الخبرات واستقلالية القرار والموقف القراري فقد تم الحصول على ارتباطات موجبة وذات دلالة إحصائية مع كل من العمر ومع سنوات الخدمة وسنوات الخبرة عند الرجال. أما استقلالية القرار فقد ارتبطت ايجابيا وبدلالة إحصائية مع العمر وسنوات الخبرة عند النساء. بينما ارتبطت إيجابيا وعند مستوى دال إحصائيا مع كل عوامل المطالب النفسية والاجتماعية والجهد البدني ومع التوقيت الإضافي للعمل. بينما استعمال الخبرات واستقلالية القرار والموقف القراري والمطالب النفسية والاجتماعية والجهد البدني فقد سجلت هذه العوامل درجات دنيا لدى فئة المشتغلين على تجهيزات الحاسوب؛ بينما كانت الدرجات دنيا عندما تعلق الأمر بعامل الجهد البدني عند فئة التقنيين ومهندسي البرمجيات. خلاصة الدراسة هي أنّ العوامل المستعملة في مقياس JCQ كانت ثابتة وصالحة لقياس وتقييم العوامل الضاغطة في الوظيفة لدى موظفي شركة الكومبيوتر اليابانية محل الدراسة.

اقتراحات: لا يمكننا الخروج على الاقتراحات التي صاغها Karasek (1978) لمعالجة وضعية الإجهاد الوظيفي والحفاظ على الصحة النفسية للعامل وهي :

1/- إعادة تصميم الوظائف بطريقة تسمح بإعطاء هامش واسع في عملية صناعة القرار واتخاذه في مقابل عملية تحجيم المسؤوليات التي تتطلب تركيزا وجهودا نفسية كبيرة. في إعادة التصميم سيكون مدخل الإثراء الوظيفي أحد مرتكزات إعادة التصميم بحيث يسمح للعامل من التخلص من المهام الروتينية والبحث عن المهام التي تتطلب التحدي والتركيز الذهني.

2/- كما يستلزم هذا المدخل كذلك إعطاء المزيد من المسؤوليات والأدوار العمودية التي تتواجد في مستويات وظيفية وهرمية أعلى من تلك التي يتمتع بها العامل في وضعيته المهنية المعتاد عليها.

3/- يتعين على المنظمة تزويد العامل بالمهارات والكفاءات المطلوبة من خلال التدريب والتطوير لمواجهة تحديات المسؤوليات والأدوار الجديدة.

4/- يستلزم مضاعفة الجهود لخلق مناخ تنظيمي تعاوني وتشاركي يضمن فضاء من اتخاذ قرارات جماعية يشارك العامل في صناعتها عندما يتعلق الأمر بتنظيم عمله والقيام بأدواره ومهامه وتحديد أهدافه.

المراجع

1. نعموني، مراد (2014)، **مدخل إلى علم نفس العمل والتنظيم**،ط1، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع.

2. تاوريريت، نودين بشير(2009)، **الفعالية التنظيمية بين النظرية والتطبيق**، ط1، إربد: عالم الكتاب الجديد.
3. ماهر، أحمد (2007)، **التنظيم**، الإسكندرية: الدار الجامعية.
4. حريم، حسين (2010)، **إدارة المنظمات: منظور كلي**، ط1،عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع.
5. حريم، حسين محمود (2006)، **تصمم المنظمة**، ط3، عمان: دار حامد للنشر والتوزيع.
6. فليه، فاروق عبده ،وعبد المجيد، السيد محمد (2009)، **السلوك التنظيمي**، ط2، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
7. حجاب، محمد منير (2007)، **العلاقات العامة في المؤسسات الحديثة**، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.
8. الشماع، خليل حسين وحمود، خضير كاظم (2007)، **نظرية المنظمة**، ط3، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
9. مشوط، محمد سعد الفهد (2011)، **أثر بيئة العمل على الإبداع الإداري**، رسالة ماجستير غير منشورة، الكويت: قسم إدارة الأعمال جامعة شرق الأوسط.

10.بن رحمون، سهام (2014)، **بيئة العمل الداخلية وأثرها على الأداء الوظيفي**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجزائر، جامعة بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية.

11. Bourbonnais, R.et al.(1997). **« Impact de l'environnement psychosocial de travail sur la santé mentale des infirmières en centres hospitaliers au Québec »**, Université Laval.
12. Ndjaboué, R. Vézina,M.,Brisson,C.(2012).**« Effets des facteurs psychosociaux au travail sur la santé mentale»,** *Travail et Emploi*, n° 129, p. 23-34
13. Bourbonnais,R.et al. (2004).« **L'environnement psychosocial du travail et la santé mentale en soins de longue durée, évolution des contraintes et des problèmes de santé entre 2001 et 2003**», Université Laval.
14. Karasek, R (1979), **Job demand, Job decision latitude, and mental strain: Implications for job redesign**, *Administrative Science Quarterly*, 24 (2), pp. 285-308.
15. Karasek, **R.**, Brisson, Q., Kawakami, N., Houtman, I., Bongers, P., Amick, B. (1998). **"The Job Content Questionnaire (JCQ): An Instrument for Internationally Comparative Assessments of Psychosocial Job Characteristics"**, *Journal of Occupational Health Psychology*, Vol. 3, No. 4, pp. 322-355
16. Kawakami, N. &Fujigaki, Y. (1996). **Reliability and Validity of the Japanese Version of Job Content Questionnaire: Replication and Extension in Computer Company Employees"**, *Industrial Health*, 34, 295-306

المساندة الاجتماعية وعلاقتها بالرضا عن الحياة لدى التلاميذ الراسبين في شهادة البكالوريا

–دراسة ميدانية في ولاية تيزي وزو–

أ.بلاّل نجمة، جامعة تيزي وزو

أ.مرباح احمد تقي الدين، جامعة الأغواط

ملخص :

هدفت الدراسة الحالية إلى محاولة الكشف عن طبيعة العلاقة بين المساندة الاجتماعية والرضا عن الحياة لدى التلاميذ الراسبين في شهادة البكالوريا، ولتحقيق ذلك اعتمدنا على المنهج الوصفي؛ حيث بلغت عينة الدراسة (90) تلميذا وتلميذة من الراسبين يدرسون في ثانويات تيزي وزو. ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها وجود علاقة ارتباطية موجبة بين المساندة الاجتماعية والرضا عن الحياة لدى التلاميذ الراسبين في شهادة البكالوريا. وعدم وجود فروق دالة إحصائيا في متغير المساندة الاجتماعية بين الذكور والإناث. ووجود فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في متغير الرضا عن الحياة لصالح الإناث.

الكلمات المفتاحية : المساندة الاجتماعية-الرضا عن الحياة-التلاميذ الراسبون في شهادة البكالوريا

Abstract : This research aimed to study the relationship between social support and life satisfaction among third year high school students' who failed in the baccalaureate exam. The sample of study was consisted of (90) students studying in high school at Tizi Ouzou. After analyzing the data, the results revealed that there is a statistically significant correlation between social support and life satisfaction among students. Also; there are statistically significant differences between males and females in life satisfaction in favor of females. And there are no statistically significant differences in social support between males and females.

Keywords: social support- life satisfaction – students who failed in baccalaureate exam.

مقدمة:

يعيش الإنسان خلال حياته مراحل عديدة صعبة تُولد فيه نوعا من القلق، وهذه الحالة الانفعالية تُشعره بعدم الراحة والاستقرار. ومن بين المواقف نجد تلك التي يكون فيها الفرد أمام رسوب دراسي، وذلك كالإخفاق في شهادة الباكالوريا الذي كثيرا ما يجعل التّلميذ محبطا ويشعر بالتوتر والخوف والفشل، إذ يعتبر ذلك الرّسوب مصدر تهديد لحياته المستقبلية. وخلال هذه الفترة التي يعيشها التلميذ يحتاج الى دعم اجتماعي كافي من المحيطين به، كالأسرة، الأصدقاء والطاقم المدرسي ليساعده على اجتياز هذا الإخفاق في ظروف حسنة. وبوجود من يسانده ويدعمه في هذه الفترة الحرجة، يستعيد قوته من جديد ويستفيد من مزايا عديدة، أهمّها الرضا عن الحياة وما قُدر له، وتقبّل ذلك الموقف والسعي لاجتيازه بطريقة سليمة بتقبل سلوكه واعتباره نقطة انطلاق جديدة وليس فشلا مثبطا للعزيمة.

1- الإشكالية: الإنسان هو ذلك المخلوق الذي لا يمكنه أن يعيش بمعزل عن غيره من البشر فهو يحتاج إلى مساندة اجتماعية من اجل إشباع حاجاته وحاجات غيره، ويعتبر توبيور 1994(tobior) أن إمكانية الحصول على مساندة اجتماعية، يكون في البيئة الاجتماعية للفرد خلال أوقات الضيق من خلال شبكة علاقاته

الاجتماعية التي تضم كل الأشخاص الذين لهم اتصال اجتماعي منظم بشكل أو بآخر مع الفرد، وتضم شبكة العلاقات الاجتماعية في الغالب، الأسرة، الأصدقاء وزملاء العمل وغيرهم...(فايد، ح. 2006)

أما هوبس فيعتبر السند الاجتماعي معدل مهم ومعقد يشمل مجموع العلاقات الشخصية للفرد، يقدم له روابط عاطفية إيجابية ومساعدة مالية (أداة، مال) وكذلك مساعدة معلوماتية التي تخص الموقف الضاغط.

أما فيما يخص أهمية المساندة الاجتماعية للفرد فيشير برهام 1983 إلى أن هذا الأخير يقوم بمهمة حماية الشخص لذاته وزيادة الإحساس بفعالياته، بل أن احتمالات إصابة الفرد بالاضطرابات النفسية والعقلية تقل عندما يدرك الشخص أنه يتلقى السند الاجتماعي من شبكة العلاقات الاجتماعية المحيطة به. **(غانم، م. 2007)**. على العموم يظهر أنه هناك اتفاقا عند أغلب الباحثين في دراساتهم فيما يخص الدور الإيجابي للسند الاجتماعي في تخفيف الضغوط الحياتية ومن بين هذه الدراسات نجد:

دراسة بايرس 1991 حول المساندة الاجتماعية لدى طلاب وطالبات الجامعة إذ أسفرت النتائج عن وجود علاقة ارتباطية عكسية بين الشعور بالوحدة النفسية والمساندة الاجتماعية من العائلة(الأب الأم والصديق) كما أظهرت النتائج أيضا أن المساندة الاجتماعية التي يتلقاها الأفراد من الصديق أقوى بكثير من المساندة التي يتلقاها من أفراد العائلة. وكذلك قامت أمينة محمد مختار 1994 بدراسة موضوع "العلاقة بين المساندة الاجتماعية والعصابية لدى المراهقين" وأظهرت النتائج أن المراهقين الذين لا يدركون المساندة الاجتماعية كانوا أكثر عصابية، وعدم وجود فروق بين الجنسين في كل من العصابية ودرجة إدراك المساندة الاجتماعية.

وأجرى كوكفمان دونا دراسة حول علاقة الرضا عن الحياة بالمساندة الاجتماعية والضغوط والثقة بالنفس لدى طلبة الجامعة وتكونت العينة من 94 طالبا وأشارت إلى أن الطلبة الذين تحصلوا على درجات مرتفعة في مقياس المساندة الاجتماعية كانوا يتمتعون بقوة الشخصية والثقة بالنفس وكانوا قادرين على مواجهة الضغوط وذوي مستوى عال من الرضا عن الحياة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن متغير المساندة الاجتماعية هو أحد متغيرات علم النفس الإيجابي الذي يهتم بالظواهر الإيجابية من شخصية الإنسان ومن بين المتغيرات التي تنتمي أيضا الى مجال علم النفس الإيجابي؛ نجد متغير الرضا عن الحياة الذي تعتبر مؤشرا على اتزان شخصية الفرد وتوافقه النفسي والانفعالي وذلك لما له من أهمية وتأثير في قدرات الفرد الذاتية وغيرها. فالفرد يتقبل ذاته وأسلوب الحياة التي يحياها في المجال الحيوي المحيط به ويكون متكيفا مع المشكلات التي تواجهه والتي في تؤثّر على سعادته كما يكون قانعا بحياته وما فيها. والإحساس بالرضا مطلب أساسي لدى الفرد ويعتبر المهمة الرئيسية التي يهدف الإنسان إلى تحقيقها.

ويظهر متغير الرضا عن الحياة في العديد من الدراسات كدراسة: بيليشير 1998 الذي بحث عن أثر الأحداث اليومية على الرضا عن الحياة لدى الطلبة الجامعين قد وأظهرت النتائج أن عدم وجود الرضا عن الحياة عند الطلاب قد ارتبط بالاكتئاب والغضب والتوتر ،كما أسفرت النتائج أيضا، على أنه يمكن التنبؤ بمدى الرضا عن الحياة لدى الأفراد من خلال الأحداث اليومية.

ومن خلال عرض ما سبق تتبين أهمية ربط متغير السند الاجتماعي بمتغير الرضا عن الحياة كونهما متغيران إيجابيان يعكسان سعادة الفرد وتوازنه النفسي والاجتماعي. حيث سنقوم بدورنا بتسليط الضوء على متغير

المساندة الاجتماعية وعلاقة بالرضا عن الحياة لدى التلاميذ الراسبين في شهادة البكالوريا، ومن هنا نطرح التساؤلات التالية:

- هل توجد علاقة دالة إحصائيا بين المساندة الاجتماعية والرضا عن الحياة لدى التلاميذ الراسبين في شهادة البكالوريا؟
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في متغير المساندة الاجتماعية؟
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في متغير الرضا عن الحياة؟

2- الفرضيات: تكمن فرضيات دراستنا فيما يلي:

1-توجد علاقة دالة إحصائيا بين المساندة الاجتماعية والرضا عن الحياة لدى التلاميذ الراسبين في شهادة البكالوريا.

2-توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في متغير المساندة الاجتماعية.

3-توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في متغير الرضا عن الحياة.

3- مفهوم المساندة الاجتماعية: يعرفها كابلان(caplan) بأنها النظام الذي يتضمن مجموعة من الروابط والتفاعلات الاجتماعية مع الآخرين تتسم بأنها طويلة المدى ويمكن الاعتماد عليها والثقة بها وقت إحساس الفرد بالحاجة إليها لتمده بالسند العاطفي. **(caplan,1981,p413)**

ويعرفها جونسن أسرسون بأنها العلاقات القائمة بين الفرد وآخرين التي يدركها على أنها يمكن أن تعاضده عندما يحتاج إليها وللمساندة الاجتماعية أثر ملطف على ضغوط الحياة .**(Johnson. A. 1979,p159)**

ويعرفها كوب(cobb) بأنها اعتقاد الفرد بأنه مقبول وذو قيمة من قبل الآخرين هذا الاعتقاد يأتي من كون الفرد عضوا في جماعة معينة ينتمي إليها. **(عبد الرزاق، ع ، 1998، ص46)**

ومنه يمكننا القول أن المساندة الاجتماعية تكمن في الدعم الذي يقدمه كل فرد للآخر قصد مساعدته للتكيف مع الظروف الحياتية التي يعيشها.

4- أهمية المساندة الاجتماعية: تظهر أهمية المساندة الاجتماعية من خلال تأثيره الإيجابي على صحة الفرد الجسدية والنفسية حيث يشير برهام(1983) إلى أن السند الاجتماعي يقوم بمهمة حماية الشخص لذاته وزيادة الإحساس بفعاليته، بل أن الاحتمالات إصابة الفرد بالاضطرابات النفسية والعقلية تقل عندما يدرك الشخص أنه يتلقى السند الاجتماعي من شبكة العلاقات الاجتماعية المحيطة به. **(غانم، م، 2007، ص180)**

ويرى كل من ساراسون وساراسون(1986) أن المساندة الاجتماعية تؤثّر بشكل إيجابي في خفض الضغوط، فبمجرد إدراك الفرد أنه يستطيع الركون إلى شخص ما للمساعدة، فإن هذا من شأنه أن يخفض من الضغوط الواقعة عليه.(**فايد، ف، 2006، ص212)**

وفي هذا الصدد تبين دراسة طبية وبائية قام بها هوبس، لونديس، وأندرسون 1988، أن للمساندة فوائد وقائية إنمائية على الصحة وسلامة العقل والجسم. **(يخلف، ع، 2001، ص141).**

ويرى كوين وداوني 1991، أن السند الاجتماعي من الآخرين الموثوق فيهم له أهمية عظمى في مواجهة أحداث الحياة الهامة، وأن السند الاجتماعي يمكن أن يخفف أو يستبعد عواقب هذه الأحداث على الصحة.

أما شعبان جاب الله(1993) يرى أن السند الاجتماعي الذي يتلقاه الفرد من الآخرين سواء في الأسرة أو خارجها يعد عاملا في صحته النفسية ومن ثم يمكن التنبؤ بأنه في ظل غياب السند أو انخفاضه يمكن أن ينشط الآثار السلبية التي يتعرض لها الفرد مما يؤدّي اختلال الصحة النفسية لديه. **(يخلف، ع، 2001، ص241-242)**

5- النظريات المفسرة للمساندة الاجتماعية: تعددت واختلفت النظريات المفسرة للمساندة الاجتماعية ومنها:

أ- نظرية المقاربة الاجتماعية: تؤكد هذه النظرية أن الأفراد عند تعرضهم للأحداث الضاغطة وشعورهم بالحاجة للمساندة، فإنهم يسعون للاندماج وطلب المساندة من الآخرين الذين يفضلونهم أو يتساوون معهم أو الذين مروا بنفس الخبرات الضاغطة، حيث يقدم لهم هذا النمط من الاندماج معلومات ضرورية، تعمل على تحسن مواقفهم في التعامل مع تلك الأحداث الضاغطة، أي الحاجة هنا أو المساندة تطلب من أفراد بعينهم دون غيرهم. **(الهملان، أ، 2008، ص 54)**

ب- نظرية التبادل الاجتماعي: ينظر إلى العلاقات من خلال نظرية التكافؤ التي تعتبر من أهم النظريات التبادل الاجتماعي على أنها تتكون من تبادل المصالح والفوائد، أي أن الأفراد المشتركين في علاقة تبادل يفترضون أن تقديم فائدة أو منفعة يرتبط بإعادة تقديم منفعة في المقابل وأي خلل في هذا التبادل المتوقع يؤدّي إلى ردود فعل وجدانية سلبية، ومن بين العوامل الهامة التي تؤثّر على أهمية تلك الاعتبارات نوعية العلاقة كعلاقات العمل(علاقة ملزمة) وكذلك العلاقات الودية علاقات الأصدقاء. **(الصبان، ع، 2003، ص31)**

6- مفهوم الرضا عن الحياة: يعرفه مايكل ارجايل 1993 على أنه نوع من التقدير الهادئ والمتأمل لمدى حسن سير الأمور سواء الأن أو في الماضي وهو تقدير عقلي لنوعية الحياة التي يعيشها الفرد ككل أو حكم بالرضا عن الحياة. **(أرجايل، م 1993، ص14).**

كما عرف علي الديب 1994 الرضا عن الحياة بأنه تقبل الفرد لذاته ولأسلوب الحياة التي يحياها في المجال الحيوي المحيط به ويبدو أن الرضا يظهر في القيام بمرضاة الله وتوافق الشخص مع ذاته وأسرته وسعادته في العمل وتقبله لأصدقائه وزملائه، كما يتضمن تقبل الإنجازات الماضية والتفاؤل بالمستقبل والسيطرة على البيئة والقدرة على تحقيق الأهداف. **(الديب، ع، 1994، ص45)**

ويعرف العربي الرضا عن الحياة حالة داخلية في الفرد تظهر في سلوكه واستجابته وتشير إلى تقبله الماضية والحاضرة وتفاؤله بمستقبل حياته وتقبله لبيئته المدركة وتفاعله مع جوانبها. **(سليمان، ع، 2003، ص12).**

7- النظريات المفسرة للرضا عن الحياة:

لقد تعددت النظريات التي فسرت الرضا عن الحياة وفيما يلي سنتناول أهم هذه النظريات

أ- نظرية التكيف والتعود: تتلخص هذه النظرية في فرضية أن الأفراد يتصرفون بشكل مختلف اتجاه الأحداث الجديدة التي تمر عليهم في حياتهم وذلك اعتمادا على نمط شخصياتهم وردود أفعالهم وأهدافهم في الحياة، ولكن نتيجة التعود والتأقلم مع الأحداث ومع مرور الوقت فإنهم يعودون إلى النقطة الأساسية التي كانوا عليها قبل وقوع الأحداث، كما أن الأفراد المختلفون يتكيفون بنفس الطريقة، أو بشكل مطلق مع الأحداث والضغوط المحيطة بهم. **(شاقورة، ي، 2012، ص33)**

ب- نظرية القيم والمعاني والأهداف: يشعر الأفراد بالرضا عندما يحققون أهدافهم ويختلف الشعور بالرضا باختلاف أهداف الأفراد ودرجة أهمية تلك الأهداف بالنسبة لهم حسب القيم السائدة في البيئة التي يعيشون فيها، وتبين دراسة أويش وآخرون1999 أن الأفراد يدركون حقيقة أهدافهم وطموحاتهم وأهميتها بالنسبة لهم وينجحون في تحقيقها ويتمتعون بدرجة أعلى من الرضا عن الحياة مقارنة بأولئك الذين يدركون حقيقة أهدافهم وطموحاتهم وأهميتها بالنسبة لهم وينجحون في تحقيقها ويتمتعون بدرجة أعلى من الرضا عن الحياة مقارنة بأولئك الذين لا يدركون حقيقة أهدافهم أو الذين تتعارض أهدافهم، مما يؤدّي إلى الفشل في تحقيقها والشعور بعدم الرضا، ويعتمد تحقيق الأهداف باختلاف المراحل العمرية للأفراد وأولوية هذه الأهداف. **(شاقورة، ي، 2012، ص33).**

ج- نظرية التقييم الجوهري للذات: يرى جيدقو(1997) أن التقييم الجزئي لكل الجوانب الخاصة بأي مجال من مجالات الحياة، هو الذي ينتج الشعور النهائي بالرضا عن ذلك المجال الخاص في الحياة مثل العمل أو الأسرة ومن ثم يتسبب في الشعور العام بالرضا عن الحياة، وقد أثبتت الدراسات أن الرضا عن المجالات هامة في الحياة مثل الأسرة أو العمل والصحة تفسر حوالي خمسين بالمئة من التباين في الرضا العام عن الحياة، أما الخمسون بالمئة الباقية فتفسرها الفروق الفردية والأخطاء التجريبية، ويعرف جيدقو التقييم الجوهري للذات على أنه مجموع الاستنتاجات الأساسية التي تصل إليها الأفراد عن ذواتهم وقدراتهم حيث حدد أربعة محكات معيارية لتحديد العوامل الممثلة للتقييم الجوهري للذات وهي:

- مرجعية الذات.
- السمات السطحية.
- اتساع الرؤية وشمول المنظور.
- بؤرة التقييم وهو ما يمكن موازنته بعملية الغزو. **(شاقورة، ي، 2012، ص34)**

8- مفهوم الرسوب المدرسي: يعرف على أنه مشكلة تربوية قد يقع فيها المتعلم خلال المراحل الدراسية المختلفة وهي ظاهرة سلبية يتعرض لها حل المجتمعات المتقدمة والمختلفة منها، ما جعل العديد من المربين يهتمون بالظاهرة ويعملون على الحد منها ولا يمكن اعتبار مفهوم الرسوب المدرسي بسيطا بل هو غير واضح وصعب التحديد**(Avanzini,1967,p21).**

9- آثار الرسوب المدرسي:

أ- آثار الرسوب المدرسي على المتعلم: البقاء في مستوى دراسي وإعادة السنة بدفع المتعلم إلى الشعور بالنقص والإحباط النفسي الذي قد يؤدّي إلى مغادرة مقاعد الدراسة نهائيا كما يمكن أيضا أن يؤدّي إلى عدم قدرة المتعلم على متابعة دروسه والميل والانطواء والانعزال خاصة إذا كان أكبر سنا من زملائه في القسم كما ينتاب المتعلم عدم الشعور بالرضا وعدم الثقة بالنفس الذي قد يصل إلى كره الدراسة.

ب- آثار الرسوب المدرسي على المعلم: بما أن لطرق التدريس ووسائل العقاب المختلفة دور في تفشي ظاهرة الرسوب المدرسي فالمعلم يتأثر أيضا لأنه يعكس سلبا صورة العلم وسمعته المهنية بالإضافة إلى مواجهة

التأنيب من طرف الإدارة والمجتمع بعدم إتمامه لواجبه على أحسن صوره ورسوب التعلم هو في نفس الوقت رسوب التعليم المعطى له ورسو المعلم. **(Avanzini,1967,p12)**

ج- آثار الرسوب المدرسي على الأسرة: إن الأسرة التي تأمل من وراء جهودها وتضحياتها جني ثمار النجاح من أبنائها قد تخيب أمالها إذا رسبوا دراسيا خاصة إذا كانت الأسرة قد حرمت من التعليم فإنها تستعمل ما بوسعها لإنجاح ابنائها. **(العربي،ن وبوحوالي، ت، 1998، ص594).**

10- منهج الدراسة: اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي الذي يُعرف على أنّه دراسة الواقع ويهتم بوصفها وصفا دقيقا، ويعبّر عنها تعبيرا كميّا، فالتّعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها، أمّا التعبير الكمي فيقدّم لنا وصفا رقميا يُوضّح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجة ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى. **(عريفج، س. 1999)**

11- عينة الدراسة: تمّ اختيار العينة بطريقة "قصدية" نظرا لتوفّر بعض الخصائص في أولئك الأفراد دون غيرهم، ويتمّ اللّجوء لهذا النّوع من العينات من حالة توافر البيانات اللازمة للدراسة لدى فئة محدّدة من مجتمع الدراسة الأصلي **(أبو نصار، م. 1999)** وقد اقتصرنا فقط على التلاميذ الراسبين في شهادة الباكالوريا. إذ اخترنا عينة مكوّنة من تسعين (90) تلميذا راسبا في شهادة الباكالوريا، يدرسون في الثانويات ضمن الشعبة الأدبية أو الشعبة العلمية.

* **خصائص العينة:** شملت عينة الدّراسة على الخصائص التالية:

– الجنس:

جدول رقم (01) يبيّن توزيع العينة حسب الجنس:

الجنس	التكرارات	النسبة المئوية
ذكور	30	%33.30
إناث	60	%66.70
المجموع	90	%100

تبيّن من خلال الجدول رقم (01) أنّ نسبة الذكور (%33.30) أقلّ نسبة مقارنة بالإناث (%66.70).

– التّخصّص:

جدول رقم (02) يبيّن توزيع العينة حسب التّخصّص:

التّخصّص	التّكرار	النّسب المئوية
علوم	52.8	%57.8
آداب	38	%42.2
المجموع	90	%100

يتبيّن من خلال الجدول رقم (02) ان نسبة العلميين (%57.8) أكثر من نسبة الأدبيين (%42.2)

– السّن:

جدول رقم (03) يبيّن توزيع العيّنة حسب السّن:

السن	التكرارات	النسب المئوية
18	2	%1.8
19	28	%25.2
20	14	%21.6
21	19	%17.1

22	15	%13.5
23	12	%10.8
المجموع	90	%100

يتبيّن من خلال الجدول أنّ التلاميذ البالغين من العمر 19 سنة يمثلون اغلب افراد عينتنا حيث تتراوح نسبتهم 25.2% في حين اقل نسبة من التلاميذ الراسبين في العينة يبلغ سنهم 23 سنة؛ إذ إنّ نسبتهم 10.8%.

12- أدوات الدّراسة: من أجل جمع البيانات من الميدان يتوجب توفير واستخدام أدوات معيّنة، والأدوات التي استخدمناها في بحثنا تتمثّل في: مقياس المساندة الاجتماعية والرضا عن الحياة.

أ- مقياس المساندة الاجتماعية: أعد هذه القائمة السيّد إبراهيم السمادوني 1997، تتكوّن القائمة من ثلاثين (30) بندا، موزّعة على بعدين هما: بعد الأسرة ويضم (15) بندا، بعد الأصدقاء ويضم (15) بندا. **(الربيعة، ف. 1997)** يطبق هذا المقياس بصفة فردية أو جماعية؛ حيث يُطلب من المفحوص أن يحدّد تطابق كلّ بند مع ما يقوم به ويشعر به في الواقع، وذلك بوضع علامة (x) أمام الاختيار الذي يتوافق مع عالته، مع العلم أنّه لا وجود لإجابة صحيحة أو خاطئة. يتم تنقيط المقياس وفق سلم متدرج من (0) إلى (03) وذلك بجمع البنود؛ حيث تُعطى الاختيارات الدرجات التالية: لا: (0) درجة، قليلا: درجة واحدة (01). متوسّط: درجتان (02). كثيرا: ثلاث درجات (03). وتفسر الدرجة الكلية على المقياس على النّحو التالي: من 0 الى 15 درجة المساندة اجتماعية منخفضة. من 16 الى 30 درجة المساندة الاجتماعية عالية.

- الخصائص السيكومترية لمقياس المساندة الاجتماعية:* بالنسبة للصدق ثمّ حساب معاملات الارتباط بين كلّ بند والدرجة الكلية على (150) طالب وطالبة وتراوحت معاملات الارتباط بين 0.26 و 0.70 وكلّ معاملات الارتباط دالة إحصائية عند مستوى الدالة 0.01. أمّا الثبات فتمّ حسابه بطريقة تطبيق وإعادة التطبيق بعد ثلاثة أسابيع على (179) طالب وطالبة من جامعة طنطا بمصر، فتراوحت معاملات الثبات بين 0.87 و0.88 وحسب الثبات كذلك بطريقة التجزئة النصفية وطريقة ألفا على (150) طالب وطالبة فجاء معامل الثبات بعد التصحيح بمعادلة سيرمان/ براون يساوي 0.92، بينما جاء معامل ألفا يساوي 0.89 .**(الربيعة، ف. 1997)** اما بالنسبة للدراسة الحالية تم حساب الخصائص السيكومترية على عينة من تلاميذ الثانوي، ويراوح معامل الثبات بطريقة الفاكرونباخ 0.89 والتجزئة النصفية يساوي 0.61. وتم حساب صدق الاختبار بحساب الصدق الظاهري للمقياس من خلال عرضه على مجموعة من الأساتذة المحكمين عددهم (07) من تخصّص علم النّفس وعلوم التّربية. وعن طريق الصدق التميizzi للاختبار ككل وبلغت قيمة (ت) 6.40وهي دالة عند مستوى الدلالة 0.01 وهذا يعني درجة عالية من الصدق.

ب- مقياس الرضا عن الحياة: أعدّ هذه القائمة مجدي محمّد الدسوقي 1998ونشرها ضمن بحث له حول أبعاد الرضا عن الحياة وعلاقتها بعدد من المتغيرات النفسية لدى عينة من الراشدين صغار السن وتتكون من 30 بندا تقيس أبعاد الرضا عن الحياة، يُجاب عنها بأسلوب تقريري وتُصحح إجابات المفحوصين ضمن أربعة بدائل وهي: لا. تنال درجة صفرية، قليلا. وتنال درجة واحدة، متوسّط. وتنال درجتين وكثيرا. تنال ثلاث درجات **(الدسوقي، م. 1998)**

يطبق هذا المقياس بصفة فردية أو جماعية؛ حيث يُطلب من المفحوص أن يحدّد مدى تطابق كلّ سؤال مع ما ينطبق عليه، وذلك بوضع علامة (x) أمام الاختيار المناسب، مع العلم أنّه لا توجد إجابة صحيحة أو

خاطئة. ويتم تنقيط المقياس وفق سلم التدرج من صفر (0) إلى ثلاثة (03)؛ حيث توجد أربعة اختيارات أمام كلّ بند وهي (لا. قليلا، متوسّط، كثيرا) وتحصل العبارات الإجابة على الدرجات التالية: لا: (0) درجة، قليلا: درجة واحدة (01). متوسّط: درجتان (02). كثيرا: ثلاث درجات (03). وتفسر الدرجة الكلية على المقياس على النّحو التالي: من 0 الى 15 درجة الرضا عن الحياة منخفضة. من 16 الى 30 درجة الرضا عن الحياة عالية.

- الخصائص السيكولوجية لمقياس الرضا عن الحياة

- الصدق ثمّ حساب الارتباطات بين كلّ بند والدرجة الكلية على الاستبيان على عينة من طلاب وطالبات الجامعة، وتراوحت معاملات الارتباط ما بين 0.34 و0.73، وكلّ معاملات الارتباط دالة إحصائية عند مستوى الدلالة.01، وتمّ حساب الصدق المرتبط بالمحك (تقدير ذاتي) فجاءت معاملات الصدق تتراوح ما بين 0.58 و0.78. اما الثبات تمّ حسابه بطريقة تطبيق وإعادة التطبيق بعد أسبوع فقد جاءت معاملات الثبات على ثلاث (03) عينات كما يلي: 0.86، 0.89، 0.91 وجاء معاملات ألفا تتراوح بين 0.71 و0.86 **(عبد الخالق، أ. 2008).** اما بالنسبة للدراسة الحالية فبلغ معامل الثبات بطريقة الفاكرونباخ 0.91 والتجزئة النصفية يساوي 0.79. وتم حساب صدق الاختبار بحساب الصدق الظاهري للمقياس من خلال عرضه على مجموعة من الأساتذة المحكمين عددهم (07) من تخصّص علم النّفس وعلوم التّربية. وعن طريق الصدق التميزي للاختبار ككل وبلغة قيمة (ت) 7.32وهي دالة عند مستوى الدلالة 0.01 وهذا يعني درجة عالية من الصدق.

13- الإجراءات التطبيقية: بعد تحديد عينة بحثنا قمنا بإجراء الدراسة بثلاث ثانويات حيث اطلعنا على جداول التوقيت لمعرفة أوقات دراسة أفراد العينة، وتوجهنا إلى أقسام الدراسة وقمنا بالسؤال عنهم حتى توصلنا إليهم فردا فردا، وقمنا بإعطائهم المقياسين، وشرحنا لهم التعليمات والهدف من البحث، وطلبنا منهم الإجابة في أقرب وقت ممكن، بعدها عدنا إليهم في وقت لاحق لاسترجاع المقياسين الموزّعة عليهم.

14- عرض ومناقشة النتائج:

- عرض ومناقشة نتائج الفرضية الأولى:

جدول رقم(4) نتائج اختبار برسون للعلاقة بين المساندة والرضا عن الحياة لدى التلاميذ الراسبين في شهادة البكالوريا.

المتغيرات	العينة	معامل ر	قيمة الدلالة المحسوبة	مستوى الدلالة	الدلالة
-المساندة الاجتماعية -الرضا عن الحياة	90	0.634	0.000	0.01	دالة إحصائيا

يتبين من الجدول أعلاه أن قيمة "ر" (0.634) وهي دالة إحصائيا لان قيمة الدلالة المحسوبة (0.000) وهي اصغر من مستوي الدلالة المعتمدة لدينا (α=0.01) وعليه توجد علاقة دالة إحصائيا وموجبة بين المساندة الاجتماعية و الرضا عن الحياة لدى التلاميذ الراسبين في شهادة البكالوريا.

تبين من خلال نتائج الفرضية الأولى، أنه توجد علاقة ارتباط دالة إحصائيا بين المساندة الاجتماعية والرضا عن الحياة لدى التلاميذ الراسبين في شهادة البكالوريا، لأن قيمة معامل الارتباط برسون دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (γ=0.01) وبهذا يمكن القول أن الفرضية الأولى تحققت.

يمكن تفسير هذه النتيجة في ظل ما أشارت إليه نظريات المساندة الاجتماعية، حيث ذهب العلماء إلى أن السند الاجتماعي يعمل على منح الأفراد القوة لمواجهة التحديات والدعم المعنوي اللازم للشعور بالتوازن النفسي والانفعالي، وهذا ما ينعكس بلا شك على رضا الفرد عن ذاته وعن حياته، فالتلميذ الراسب في شهادة البكالوريا يشعر بمشاعر كثيرة كالإحباط، والحزن، وخيبة الأمل خاصة إذا فكر أنه خيب آمال أهله وعائلته، فيزداد الضغط عليه ويشعر بعدم قيمته وعجزه عن إسعاد نفسه وغيره، فإذا تلقى التشجيع والمواساة والدعم من عائلته وأصدقائه وأقربائه انقلبت تلك المشاعر السلبية إلى شعلة متقدة من الطموح والعزم على محاولة الكرة لإثبات الذات، وارتفعت بذلك دافعيته نحو الإنجاز لتحقيق طموحاته وأهدافه، كما أن المساندة الاجتماعية من شأنها التخفيف من الضغط الذي يشعر به، وهذا ما يجعله يتقبل الواقع ويتجاوز محنة الرسوب في شهادة البكالوريا بشكل أفضل، فيسترجع نشاطه وهمته شيئا فشيئا، وهذا ما ينعكس على رضاه عن الواقع أولا، ثم رضاه عن ذاته وعن حياته، وهذا ما يفسر العلاقة الموجبة بين كل من المساندة الاجتماعية والرضا عن الحياة، فالسند الاجتماعي عامل من عوامل زيادة مشاعر الرضا عن الحياة لدى الأفراد. وتتفق مع نتائج دراستنا نتائج دراسة الباحث (حداد 1995) الذي توصل إلى وجود علاقة ارتباط دالة إحصائيا بين المساندة الاجتماعية والرضا عن الحياة لدى عينة تتكون من (157) طالب وطالبة، وهي نفس النتيجة التي توصلت إليها دراسة ساراسون (1986) ودراسة(جاب الله وهريدي، 2001) إلى جانب دراسة(الهلول ومحيسن، 2013) .

- عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثانية:

جدول رقم (05): نتائج اختبار"ت" للفروق بين التلاميذ الراسبين في شهادة البكالوريا في متغير المساندة الاجتماعية حسب الجنس (ذكور- إناث)

المتغير	العينة	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	قيمة الدلالة المحسوبة	مستوى الدلالة	الدلالة
المساندة الإجتماعية	ذكور 30	53.77	13.305	-1.567	0.119	0.05	غير دالة إحصائيا
	إناث 60	58.85	14.938				

يتبين من الجدول أعلاه أن قيمة "ت" (1.567-) وهي غير دالة إحصائيا، لأن قيمة الدلالة المحسوبة (0.119) وهي أكبر من مستوى الدلالة المعتمد لدينا (0.05 =ɤ) وعليه لا توجد فروق دالة إحصائيا بين التلاميذ الراسبين في شهادة البكالوريا (ذكور- إناث) في متغير المساندة الاجتماعية.

يتضح من الجدول أعلاه أنه لا توجد فروق في متغير المساندة الاجتماعية بين الذكور والإناث عند مستوى الدلالة (0.05 =ɤ) وهذا لأن المساندة الاجتماعية عند التلاميذ الراسبين في شهادة البكالوريا لا تختلف باختلاف الجنس (ذكور- إناث). أي أن التلاميذ سواء كانوا ذكورا أم إناثا فإنهم متساوون في المساندة الاجتماعية، ويمكن إرجاع ذلك إلى كون الأولياء يساندون الجنسين على حد السواء في كل أمورهم، ولأن الأولياء لا يميزون بينهم حيث يمنحون نفس التربية والعناية لأبنائهم عند مواجهة مشكلة ما، ويتعاطف الأولياء والأصدقاء مع زملائهم بغض النظر عن كونهم ذكورا أو إناثا، فرسوب التلاميذ في الدراسة خاصة في شهادة البكالوريا مشكلة يتعاطف معها الجميع حيث يعمل المحيطون بهم من زملاء وأقرباء على تشجيعهم

لإعادة السنة، وهذا ما يفسر عدم وجود فروق بين الجنسين في متغير المساندة الاجتماعية لأن الكل يحاول مساندة الراسب دراسيا وحثه لإعادة المحاولة والاجتهاد نظرا لأهمية الدراسة في مجتمعنا. وهناك بعض الدراسات التي توصلت إلى عدم وجود فروق بين الجنسين في متغير المساندة الاجتماعية كدراسة (حنان سليمان، 2009).

- عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثالثة:

جدول رقم (6) نتائج اختبار "ت" للفروق بين التلاميذ الراسبين في شهادة البكالوريا في متغير الرضا عن الحياة حسب الجنس (ذكور- إناث):

المتغير	العينة	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	قيمة الدلالة المحسوبة	مستوى الدلالة	الدلالة
الرضا عن الحياة	ذكور 30	47.50	11.416	-3.119	0.002	0.05	دالة إحصائيا
	إناث 60	56.23	13.032				

يتبين من الجدول أعلاه أن قيمة "ت" دالة إحصائيا، لأن قيمة الدلالة المحسوبة (0.002) وهي أصغر من مستوى الدلالة (γ= 0.05) وعليه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في متغير الرضا عن الحياة، والفرق لصالح الإناث، لأن متوسّطهنّ الحسابي قدر ب(56.23) وهو أكبر من المتوسّط الحسابي للذكور (47.50) وعليه تتمتع الإناث بمستوى أعلى من الرضا عن الحياة مقارنة بالذكور.

يتضح من الجدول السابق وجود فروق في متغير الرضا عن الحياة تعزي لنوع الجنس (ذكر- أنثى) والفروق لصالح الإناث، حيث كانت الفروق دالة إحصائيا عند مستوى الدالة(γ= 0.05) وعليه يمكن القول أن الفرضية الثالثة قد تحققت. وتختلف نتائج دراستنا مع نتائج دراسة الباحث "كوستا وماكراي Costa et Mccrae) حيث أشارا إلى أن الرضا عن الحياة مرتبط بشكل مباشر بعوامل الفرد الشخصية وكذلك (Bailey, Eng, Frisch et Snyder, 2007)حيث توصلوا إلى أن الإناث أقل رضا عن حياتهن لأنهن أكثر تركيزا على السلبيات والأحداث المؤلمة، في حين تتفق نتائج دراستنا مع دراسة (Brown, 2004)التي توصلت إلى أن الإناث أكثر نشاطا وأكثر قدرة على القيام بأدوارهن الاجتماعية. ووجود فروق لصالح الإناث يمكن تفسيره بكون الإناث أكثر حماسة ويرغبن أكثر في الدراسة ولديهن رغبة في تحقيق الأهداف وتجاوز الصعوبات الدراسية، وهذا ما يعكس رضاهن عن حياتهن، في حين أن الذكور يشعرون بالاستياء من الدراسة ومن الظروف المعيشية، كما أنهم يقلقون أكثر على مستقبلهم المهني مما يجعلهم دائمي القلق والاستياء وهو ما ينعكس على مستوى رضاهم عن حياتهم، وهذا ما يفسر تفوق الإناث على الذكور من حيث الشعور بالطمأنينة والرضا عن الحياة، لأن تركيزهن على الدراسة وعدم تفكيرهن في المستقبل ومشاكله يجعلهن أكثر سعادة ورضا بالمقارنة بالذكور.

15- الاستنتاج العام: نستنتج من خلال هذه الدراسة، أن للمساندة الاجتماعية دورا هاما في مساعدة التلاميذ على التعامل مع انفعالاتهم ومواجهة الضغوط بشكل إيجابي دون أن تؤثّر على اتخاذهم للقرارات، ويعتبر الرضا عن الحياة من أهم المؤشرات التي تدل على التوازن النفسي وعلى مدى تأقلم الفرد مع المجتمع الذي يعيش فيه، ويساهم بشكل إيجابي في مساعدة الفرد على إنشاء علاقات جيدة مع الآخرين.

والمساندة الاجتماعية مرتبطة بالرضا عن الحياة، لأنها قدرتان إيجابيتان تجعلان التلاميذ الراسبين دراسيا يتصرفون بإيجابية مع مختلف المواقف ويواجهون المواقف الضاغطة، كما تعتبر المساندة الاجتماعية والرضا عن الحياة من المؤشرات الأساسية للتكيف والصحة النفسية.

ويتضح مما سبق أن مستوى المساندة الاجتماعية لدى التلاميذ (ذكور ، إناث) لا يختلف باختلاف الجنس لأن المساندة الاجتماعية مرتبطة بالوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد، وهو نفسه للذكور والإناث بحيث يتفاعلون مع المحيطين بهم، مما يساعدهم على فهمهم بشكل صحيح، ومشاركتهم أكثر من الناحية الاجتماعية بمشاعرهم وبث روح الثقة فيهم، مما يؤدّي إلى شعورهم بالرضا عن الحياة والشعور بالمسؤولية اتجاه أنفسهم واتجاه الآخرين، ومن خلال التربية والتنشئة الاجتماعية يخضع الذكور والإناث لتعلم الأدوار الاجتماعية ويتعلمون كيف يسلكون سلوكا اجتماعيا مقبولا عن طريق العلاقات الاجتماعية والاتصال، وهذا ما يفسر عدم اختلاف الذكور والإناث في المساندة الاجتماعية.

كما يعتبر الشعور بالرضا عن الحياة مكونا من المكونات الأساسية للسعادة حيث يوصف الشعور بالرضا عن الحياة بصفة علمية بأنه شعور الفرد بالسعادة والطمأنينة مع نفسه ومع ظروفه الحياتية، فنتعرف على الفرد الراضي عن حياته من خلال تصرفاته وتعبيراته حينما يشعر بالرضا عن الحياة بالراحة والطمأنينة، وقد توصلنا إلى أن الإناث أكثر رضا عن حياتهن مقارنة بالذكور نظرا لمحدودية انشغالاتهن مقارنة بالذكور الذين يقلقون على أمور المستقبل والمهنة التي سيمتهنونها إلى جانب التفكير في الظروف المعيشية، بينما الإناث يعشن في كنف الأسرة التي تتحمل مصاريفهن بالتالي لا يقلقن على إيجاد العمل مستقبلا، ويركزن فقط على دراستهن وتكوين الصداقات، وبهذا نجدهن أكثر قناعة ورضا عن حياتهن.

- المراجع:

- أرجايل، مايكل. (1993). **سيكولوجية السعادة**، ترجمة فيصل عبد القادر يونس، مراجعة شوقي جلال، عالم المعرفة، العدد 175، الكويت.
- الديب، علي. (1994). **العلاقة بين التوافق والرضا عن الحياة لدى المسنين وبين استمرارهم في العمل**. ج1. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الربيعة، فهد عبد الله .(1997م). **الوحدة النفسية والمساندة الاجتماعية لدى عينة من طلاب الجامعة.** القاهرة. الهيئة العامة للكتاب .مجلة علم النفس، العدد 43.
- سليمان، عادل. (2003). **الرضا عن الحياة وعلاقته بتقدير الذات لدى مديري المدارس الحكومية ومديرياتها في مديريات محافظات فلسطين الشمالية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.
- عبد الخالق، أحمد محمّد. (2008م). **الرضا عن الحياة لدى المجتمع الكويتي دراسات نفسية**. القاهرة. رابطة الأخصائيين النفسانيين المصرية. المجلد 18، العدد1.
- عبد الرزاق، علي. (1998). **المساندة الاجتماعية كمتغير وسيط في العلاقة بين المعاناة الاقتصادية والخلافات الزوجية**. مجلة دراسات نفسية، المجلّد الثامن، العدد1، رابطة الأخصائيين النفسانيين.
- العربي، نجية وبوحولي، تسعديت .(1998). **أسباب الرسوب في شهادة التعليم الأساسي من وجهة نظر التلاميذ الراسبين**، مذكرة التخرج لنيل شهادة الجامعية في الدراسات التطبيقية، معهد علم النفس، جامعة الجزائر.

- عريفج، سامي وآخرون. (1999م). **مناهج البحث العلمي وأساليبه**. ط1. عمان: دار محب لاوي للنشر.
- غانم، محمّد حسن .(2007م). **دراسات في الشخصية والصحة النفسية**. الجزء الأوّل. القاهرة: دار غريب للطباعة والنّشر والتوزيع.
- فايد، حسين. (2006م). **دراسات في الصحة النفسية**. القاهرة: مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.
- هملان، أمل. (2008). **الاحتراق النفسي والمساندة الاجتماعية وعلاقتها باتجاه العاملين الكويتيين نحو التقاعد**، رسالة ماجستير في التربية، جامعة الزقازيق.
- يخلف، عثمان (2001). **علم النفس...والصحة، الأسس النفسية والسلوكية للصحة**. ط1. قطر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.

- Avanzine .(1967). l'echec scolaire, paris :edition universitaire.
- Coplan .G.(1981). Mastery of stress: psychological asperts, American jounal of psychiatry. Vol 138.

مدى توفر المهارات القيادية بمؤسسة فرتيال بعنابة ودورها في تنمية المهارات الإبداعية للعاملين

د. بلخضر مسعودة
كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير
جامعة باجي مختار -عنابة-

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على دور المهارات القيادية المتمثلة في المهارة الإنسانية، الفكرية، التنظيمية والفنية للقائد ودورها في تنمية مهارة الإبداع لدى العاملين وذلك على مستوى مؤسسة فرتيال بعنابة، ولتحقيق هذه الغاية قامت الباحثة باستطلاع آراء عينة من عمال المؤسسة، بالاعتماد على استمارة شملت جوانب الموضوع وتوصلت الدراسة إلى وجود أثر لمهارات القائد الإنسانية، الفكرية، التنظيمية والفنية على إبداع العاملين، واختتمت بتقديم توصيات للمسؤولين.

الكلمات المفتاحية: القيادة، مهارات القائد، مهارة الإبداع.

Abstract

This research aims at the impact of the leadership skills on the creativity of workers in FERTIAL ANNABA Company. To achieve this goal the researcher undertook a field study by interviewing a sample represented by workers. This study led to several conclusions including the impact of the humanity, intellectual, organizational and technical leadership skills on the creativity. Based on these results we proposed some recommendations for the managers of the company.

Keywords: leadership, leadership skills, workers' creativity.

المقدمة:

تعمل المنظمات في ظروف منافسة عالية التعقيد حيث يعتمد نجاحها على أداء العاملين بالإضافة إلى حماسهم للمشاركة بأفكارهم الخلاقة لتحقيق مستويات أداء تفوق الأهداف المحددة، حيث تفرض المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية العديد من المشكلات التي يستلزم التفكير في معالجتها وحلها بطريقة إبداعية مغايرة للطرق التقليدية، الأمر الذي يتطلب ضرورة وجود قيادة واعية بهذه التغيرات تتميز بسمات ومهارات تمكنها من توجيه العاملين ليتمكنوا من التكيف والتفاعل مع جميع الظروف المحيطة بهم، وهذا التفاعل لا يتم إلا إذا توفرت مهارات لدى القائد والمتمثلة في المهارات الإنسانية، الفكرية، التنظيمية والفنية تعمل على تشجيع التفكير الإبداعي وتنمية روح المبادرة لدى العاملين حيث يمثل الإبداع استعدادا فطريا قابلا للنمو والتطوير وهو من الضروريات المهمة التي ينبغي تعزيزها في شتى مجالات الحياة بصفة عامة وفي المؤسسات بصفة خاصة.

مشكلة الدراسة وأسئلتها: يكمن الهدف الرئيسي من الدراسة في محاولة معرفة دور مهارات القائد في تنمية المهارات الإبداعية للعاملين والمتمثلة في "الطلاقة، المرونة، الأصالة، الحساسية للمشكلات والمخاطرة" ويمكن طرح مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي: "ماهي المهارات القيادية التي تساهم في تنمية مهارة الإبداع بمؤسسة فرتيال؟" في محاولة للإجابة على الأسئلة التالية:

1- ما مستوى توفر المهارات لدى القائد حسب آراء المبحوثين بالمؤسسة محل الدراسة؟

2- ما مستوى توفر المهارات الإبداعية من خلال توفر عناصرها لدى العاملين بالمؤسسة محل الدراسة؟

أهمية الدراسة:

✓ تبرز أهمية الدراسة في أنها تتناول موضوع القيادة من خلال استعراض أهم أبعاده المتمثلة في السمات والمهارات الواجب توفرها في القائد والمتمثلة في المهارات الإنسانية، الفكرية، التنظيمية والفنية، فقد أكدت الدراسات في مجال العلوم السلوكية والإدارية أهمية وجود قيادة تتمتع بسمات تمكنها من التأثير في العاملين وتوجيه سلوكهم خدمة لأهداف التنظيم؛

✓ تبرز أهمية الدراسة في التعرف على مهارة الإبداع لدى العاملين ومدى توفر الاستعداد لتقديم أفكار مبدعة؛

✓ كما تبرز أهمية الدراسة في محاولة معرفة أثر مهارات القائد في مهارة الإبداع لدى العاملين للتوصل إلى السمات التي يمكن الاعتماد عليها كقاعدة لتنمية هذه المهارة على مستوى المؤسسة.

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- معرفة مستوى توفر كل من المهارات الإنسانية، الفكرية، التنظيمية والفنية لدى القيادة كسمات أساسية تميزه حسب آراء المبحوثين بالمؤسسة المدروسة؛

2- التعرف على مستوى توفر مهارة الإبداع من خلال توفر عناصره المتمثلة في الطلاقة، المرونة، الأصالة، الحساسية للمشكلات والمخاطرة، حسب آراء المبحوثين؛

3- معرفة أثر المهارات القيادية على مهارة الإبداع بالمؤسسة المدروسة؛

4- تقديم مقترحات للباحثين ولمتخذي القرار بالمؤسسة.

فرضيات الدراسة:

✓ **الفرضية الرئيسية:** "لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لمهارات القائد على مهارة الإبداع لدى العاملين".

من أجل إختبار هذه الفرضية تم تقسيمها إلى الفرضيات الفرعية التالية:

❖ **الفرضية الفرعية الأولى:** "لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للمهارة الإنسانية للقائد على مهارة الإبداع لدى العاملين"

❖ **الفرضية الفرعية الثانية:** "لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للمهارة الفكرية للقائد على مهارة الإبداع لدى العاملين"

❖ **الفرضية الفرعية الثالثة:** "لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للمهارة التنظيمية للقائد على مهارة الإبداع لدى العاملين"

❖ **الفرضية الفرعية الرابعة:** "لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للمهارة الفنية للقائد على مهارة الإبداع لدى العاملين"

أولا- الإطار النظري

1-القيادة: تناول الباحثون مفهوم القيادة في الكثير من الكتابات نظرا لأهميته كمدخل لتنمية قدرات العاملين في منظمات الأعمال، فقد عرفت بأنها "ذلك النشاط الذي يمارسه شخص القائد للتأثير في سلوك الآخرين وتوجيههم بطريقة تؤدي إلى الحصول على رضاهم وولائهم وتعاونهم للوصول إلى أهداف التنظيم،

فالقائد الناجح هو الذي يعمل على زيادة الرغبة لدى العاملين في بذل المزيد من الجهد المبدع والمحافظة على العلاقات التنظيمية (اللوزي، 2003، ص 132).

1-1-أهمية القيادة: تعتبر القيادة عملية ديناميكية تعبر عن العلاقة التفاعلية بين القائد ومرؤوسيه (Warhavtig, 2005, p 77)، وهي حسب "**بيتر دراكر**" ليست عملية صنع جدول أعمال والتأثير بالأفراد بل هي عملية الارتقاء برؤية الفرد إلى مستويات أعلى ورفع أدائه وبناء شخصيته إلى ما بعد الحدود الاعتيادية، بحيث تعمل القيادة على تنمية القدرة على كيفية تطوير إمكانيات الأفراد وتوجيه طاقاتهم واستثمارها إلى أقصى الدرجات الممكنة (عبود، 2011، ص 22).من أهم الطرق التي تمكن القائد من توجيه العمال مايلي:

- ✓ تسهيل اندماج الأفراد وخلق روح الانتماء بين المرؤوسين؛
- ✓ توجيه الطاقات البدنية والفكرية نحو تحقيق الأهداف؛
- ✓ خلق ثقافة تنظيمية مدعمة لقيم مشتركة فيما يخص خدمة العميل، الجودة، روح الفريق، الإبداع،...الخ؛
- ✓ تنمية الأفراد ورفع قدرتهم على التوقع بالمتغيرات البيئية والعمل على تهيئة التنظيم من أجل رفع مستوى التكيف باستمرار (pastor, 2005, p 17)

1-2- المهارات القيادية: تعد المهارة مسألة بالغة الأهمية ينبغي أن يمتلكها القائد، فهي تساعده على تفهم العمل وأدائه بصورة متقنة، كما تمكنه من معالجة المواقف التي تصادفه وتتمثل أهم هذه المهارات في:

- ✓ **المهارات الإنسانية:** تعني القدرة على تفهم سلوك العاملين والتفاعل مع دوافعهم وشخصياتهم، ومعرفة العوامل المؤثرة على سلوكهم، وهذه المهارة تمكنه من القدرة على تعزيز روح العمل وإشباع حاجياتهم وتحقيق أهدافهم وأهداف التنظيم.
- ✓ **المهارات الفكرية:** تتمثل في تمتع القائد بالقدرة على الدراسة والتحليل، والتفكير البناء والمرن أي الاستعداد الذهني لتقبل أفكار الآخرين أو نقدهم أو اقتراحاتهم، وكذا القدرة على التطوير والتغيير الإيجابي للعمل وتطوير أساليبه حسب متطلبات الظروف والمتغيرات.
- ✓ **المهارات التنظيمية:** القدرة على تفهم نظريات التنظيم والتطوير التنظيمي والنظرة للمؤسسة والعمل على أساس أنها نظام متكامل ومفتوح وتفهم أهدافها وأنظمتها وخططها وكذلك فهم البيئة المحيطة، كما أنها القدرة على إجادة أعمال السلطة وصلاحياتها، تنظيم العمل، توزيع المهام والواجبات، تنسيق الجهود بين العاملين وتفهم القرارات وأبعادها وأثرها.
- ✓ **المهارات الفنية:** يقصد بها المعرفة والفهم لنوع العمل الذي تقوم به المنظمة بحيث يصبح مميزا بمعرفته وخبرته بين العاملين في المؤسسة في المجال الذي يتخصص فيه، كما تتضمن القدرة على استخدام المعلومات ومعرفة الطرق والوسائل المتاحة وكيفية إنجاز العمل (العياصرة، العودة، 2006، ص 106)

3- **مهارة الإبداع:**

يعد الإبداع ظاهرة متعددة الجوانب نظرا لاختلاف وجهات نظر المفكرين والباحثين، فهو عملية عقلية خلاقة تؤدي إلى إنتاج أفكار جديدة وغير مألوفة من قبل الفرد أو مجموعة من الأفراد الذين يعملون معا، كما يعرفه "**هاقل**" بأنه " تلك العملية التي تؤدي إلى تكوينات أو تنظيمات جديدة" (الفاعوري، 2005، ص 6) وذلك من

خلال توفر قدرة عقلية تدعمها خصائص دافعة عند الفرد مثل الميل نحو التفكير المطلق، تحمل الغموض بالإضافة إلى عوامل انفعالية كالثقة بالنفس، الميل للمخاطرة والاستقلال في التفكير" (صقر، 1998، ص 324)، مما يجعله قادرا على الإنتاج بأكبر قدر من الطلاقة والمرونة والأصالة والمخاطرة والحساسية لمشكلة أو موقف مثير، وهذه القدرة يمكن تنميتها وتطويرها وهي قدرة عامة وليست خاصة بأفراد دون غيرهم" (الهيجان، 1999، ص 21)

2-1- مبادئ الإبداع

حدد **"بيتر دراكر"** مجموعة من المبادئ تعبر عن الممارسات التي يجب أن تقوم بها المنظمات الساعية للإبداع بالإضافة إلى الممارسات الواجب تجنبها، وفيما يخص الممارسات الأولى فتتمثل حسبه في:

✓ اعتبار الإبداع نشاطا هادفا غايته تحليل الفرص الإبداعية والبحث عن مصادرها؛

✓ ضرورة دراسة كل مصدر من مصادر الفرص الإبداعية وتحليله بشكل منتظم؛

✓ عدم الاكتفاء بالتفكير في المشكلة، بل ضرورة البحث عن حلول واقعية لها من خلال انفتاح المنظمة على بيئتها والاستماع إلى المتعاملين معها؛

✓ للإبداع جانبان يجب على المنظمة إحداث التكامل بينهما ويتمثلان في جانبه المفاهيمي وفي جانبه الإدراكي حيث يتعلق الأول بطريقة تحليل المبدعين للفرصة الإبداعية، أما الثاني فيتعلق بطريقة التصرف لإنجاحها من خلال التقرب من العملاء أو من أطراف المشكلة والتعرف على توقعاتهم وحاجاتهم؛

✓ ضرورة أن يكون الإبداع بسيطا ومركزا نحو تحقيق هدف محدد؛

✓ ضرورة إدراك بأن الإبداع قابل للتطور فهو عادة يبدأ بفكرة بسيطة لا تتطلب الكثير من الاستثمارات

فيما يخص الممارسات التي يجب أن تتجنبها المنظمات فتتمثل حسب **"بيتر دراكر"** في تجنب مايلي:

✓ المغالاة في التفكير وفي تعقيد الأمور؛

✓ التنويع ومحاولة عمل عدة أشياء في نفس الوقت؛

✓ عدم ضبط المشكلة وعدم القدرة على رصد الفرص الإبداعية؛

✓ توجيه الجهود نحو البحث عن حلول خارقة وخيالية؛

✓ ربط الإبداع بالمستقبل البعيد وليس بالحاضر القريب (Detrie, 2005, pp 133-137).

2-2-عناصر المهارة الإبداعية: تعددت تصنيفات الباحثين حول تحديد عناصر الإبداع التي تعد عوامل ضرورية وشرطا أساسيا لوجوده، ويتفق أغلبهم على عوامل تتمثل في:

- **الطلاقة**: تمثل القدرة على إنتاج عدد كبير من الأفكار في فترة زمنية معينة.

- **المرونة:** أي قدرة العامل على تغيير طريقة تفكيره ووجهة نظره نحو المشكلة وعدم تبني طريقة تفكير موحدة وجامدة.

- **الأصالة:** يقصد بها القدرة على إنتاج أفكار أصيلة، فكلما قلت درجة شيوع الفكرة كلما زادت درجة أصالتها.

- **الحساسية للمشكلات:** تمثل قدرة الفرد على رؤية موقف معين ينطوي على مشكلة أو عدة مشكلات تحتاج إلى حل، في حين يصعب على الآخرين تبين هذه المشكلة واقتراح حلول لها.

- **المخاطرة:** يقصد بها أخذ الشخص زمام المبادرة في تبني أفكار وأساليب جديدة والبحث عن حلول لها واستعداده لتحمل المخاطر الناتجة عنها (الزعبي، 2006، ص ص 47-48).

ثانيا- الدراسة الميدانية

1- منهج البحث المستخدم:

اعتمدت الدراسة على منهج البحث الوصفي الاستدلالي في جمع بياناتها حيث تم إجراء المسح المكتبي والاطلاع على الأدبيات المتعلقة بكل من القيادة والإبداع والأبعاد المكونة لهما، أما على صعيد البحث الميداني التحليلي فقد تم جمع البيانات بالاعتماد على أسلوب الاستبيان وتحليلها إحصائيا لاختبار صحة فرضيات الدراسة.

2- مجتمع وعينة الدراسة: تم إجراء الدراسة الميدانية خلال السنة الجامعية 2015/ 2016 على مستوى مؤسسة فرتيال بولاية عنابة، التي تأسست سنة 2005 بموجب اتفاق بين المجموعة الجزائرية أسميدال والمجموعة الإسبانية فيلاريمر "VILLARMIR". تعد مؤسسة فرتيال رائد للصناعة البتروكيميائية بالجزائر، ومن أهم منتجاتها نذكر الأمونياك، حمض النتريك، الأسمدة الفوسفاتية البسيطة، الأسمدة المركبة الثنائية والثلاثية، نتثرات الأمونيوم في حالته السائلة والصلبة، الفوسفات البسيط.

تم اختيار عينة عشوائية قدرت بـ(65) عاملا بنسبة (10%) من مجتمع الدراسة، حيث وزعت الاستمارات على كافة أفرادها، استرجع منها (53) مع استبعاد (03) منها غير مستوفية للبيانات، وبالتالي خضعت (50) استمارة مثلت ما نسبته من عينة الدراسة (76.92%) وهي نسبة مقبولة لأغراض البحث.

اختبار التوزيع الطبيعي:تتبع معظم المجتمعات الإحصائية توزيعا طبيعيا لذلك وجب التأكد من أن متغيرات الدراسة تتمتع بهذه الخاصية للتأكد من صحة أساليب القياس المعتمدة، والتحقق من خلو البيانات من المشكلات الإحصائية التي قد تؤثّر سلبا على نتائج اختبار الفرضيات. إن عدم طبيعية التوزيع تعني وجود ارتباط مزيف بين المتغيرات المستقلّة والتابعة وبالتالي يفقد الارتباط قدرته على تفسير الظاهرة محل البحث أو التنبؤ بها (غنيم، نصر، 2012، ص 25)، ولاختبار هذه الخاصية تم استخدام معامل شابيرو-ويلك Shapiro-Wilk كالآتي:

الجدول رقم (01): اختبار التوزيع الطبيعي لمتغيرات الدراسة

المتغير	أبعاد المتغير	معامل شابيرو-ويلك	
		الإحصاءات	مستوى الدلالة
المهارات القيادية	المهارة الإنسانية	0.624	*0.000
	المهارة الفكرية	0.598	*0.000
	المهارة التنظيمية	0.625	*0.000
	المهارة الفنية	0.594	*0.000
أبعاد الإبداع	الطلاقة	0.572	*0.000
	المرونة	0.678	*0.000
	الأصالة	0.733	*0.000
	الحساسية للمشكلات	0.710	*0.000
	المخاطرة	0.647	*0.000

*دالة إحصائيا عند مستوى دلالة أقل أو يساوي 0.05

من خلال الجدول وبتتبع قيم شابيرو-ويلك يتضح بأن جميع الأبعاد تتبع التوزيع الطبيعي إذ سجلت مستويات دلالة أقل من مستوى المعنوية 0.05 وهو المستوى المعتمد في المعالجة، مما يشير إلى وجود ارتباط عال بين أبعاد الدراسة ويؤكد بأن هذه العلاقة لها القدرة على تفسير ظاهرة التأثير فيما بينهما.

4- **أداة الدراسة:** تم استخدام استمارة بهدف معرفة أثر المهارات القيادية على مهارة الإبداع حيث قسمت إلى ثلاث أجزاء، يتعلق الأول بمختلف الخصائص الوظيفية والشخصية حول مفردات الدراسة، أما الثاني فخصص للمتغير المستقلّ، أما الجزء الثالث فخصص لمهارة المبدع المتمثلة في "الطلاقة، المرونة، الأصالة، الحساسية للمشكلات وبعد المخاطرة".

تم الاعتماد في المحورين الأخيرين على مقياس ليكرت الخماسي الذي تتفاوت أوزانه حسب درجة الموافقة على كل فقرة كالآتي: موافق بشدة (5)، موافق(4)، محايد (3)، غير موافق(2)، غير موافق بشدة(1).

صدق الأداة وثباتها:

للتأكد من ثبات الأداة تم استخراج معامل الاتساق الداخلي بالاعتماد على معامل كرونباخ- ألفا لكل بعد من أبعاد الدراسة وكانت قيم الثبات مرتفعة ويبين الجدول التالي ذلك كالآتي:

جدول رقم (02): ثبات الاتساق الداخلي لأداة الدراسة حسب كرونباخ-الفا

متغيرات الدراسة	أبعاد متغيرات الدراسة	معامل كرونباخ الفا
أبعاد مهارات القيادة	المهارات الإنسانية	0.808
	المهارات الفكرية	0.992
	المهارات التنظيمية	0.995
	المهارات الفنية	0.936
الدرجة الكلية لأبعاد مهارات القيادة		**0.758**
متغيرات الدراسة	**ابعاد متغيرات الدراسة**	**معامل كرونباخ الفا**
أبعاد المهارة الإبداعية	الطلاقة	0.997
	المرونة	0.992
	الأصالة	0.986
	الحساسية للمشكلات	0.869
	المخاطرة	0.915
الدرجة الكلية لمهارة الإبداع		**0.732**
الدرجة الكلية للاستمارة		**0.748**

المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على مخرجات برنامج SPSS

يلاحظ من الجدول أن جميع معاملات الثبات كانت أعلى من(0.70)، فبالنسبة للمتغير المستقلّ تم تسجيل نسبة ثبات لمحور المهارات القيادية بـ (0.758) وقد سجل بعد المهارات التنظيمية أعلى نسبة قدرت بـ (0.995)، أما أقل نسبة فقد سجلت في بعد المهارات الإنسانية بـ (0.808)، وفيما يخص المتغير التابع وهو الإبداع فقد سجلت أبعاده مجتمعة درجة ثبات قدرت بـ (0.732)، وكان أكثرها ارتفاعا بعدي المرونة والطلاقة بـ (0.992) و(0.997) لكل منهما على التوالي، في حين سجل بعد الحساسية للمشكلات أقل قيمة بـ (0.869).

بصفة عامة فإن نسبة ثبات أداة الدراسة تعد مرتفعة حيث تم تسجيل قيمة (0.748) كمعامل ثبات لجميع محاور الاستمارة وهي أكبر من (0.60) والتي تعد مقبولة في مجال البحوث المتعلقة بالعلوم الإنسانية، وبالتالي فإن جميع القيم تعد مرتفعة وصالحة للدراسة الإحصائية.

4- أساليب التحليل الإحصائي: إن اختيار الأسلوب المناسب للتحليل يزيد من قدرة الباحث على تفسير المتغيرات المؤثرة في الظاهرة، لاسيما وإن كان عددها كبيرا والوقوف على مدى جوهرية هذا التأثير وتأتي مرحلة التحليل بعد عملية جمع البيانات وتبويبها وجدولتها ليسهل التعامل معها بالكمبيوتر بهدف اختبار نموذج الدراسة وفرضياتها حيث تم استخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية spss 20 لتحليل الاستمارة والحصول على مخرجات لجميع محاورها حيث تم الاعتماد على الأساليب الإحصائية التالية:

- ✓ معامل شابيرو-ويلك shapiro-wilk للتأكد من أن المجتمع يتبع التوزيع الطبيعي؛
- ✓ معامل كرونباخ-ألفا للتأكد من درجة ثبات أداة الدراسة والتحقق من صلاحية الدراسة؛
- ✓ مقاييس الإحصاء الوصفي بهدف وصف خصائص المبحوثين والتعرف على السياق الميداني للدراسة؛
- ✓ تحليل التباين للانحدار للتأكد من صلاحية نموذج الدراسة وتأثير المتغير المستقلّ على المتغير التابع؛
- ✓ تحليل الانحدار المتعدد لاختبار أثر مهارات القيادة على مهارة الإبداع لدى العاملين؛

5- نتائج الدراسة ومناقشتها:

أ- خصائص عينة الدراسة: الجدول رقم (03) يوضح الخصائص الشخصية والوظيفية للمجتمع المدروس كالآتي:

جدول رقم (03): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المتغيرات الشخصية والوظيفية

متغيرات الدراسة	مستويات المتغير	العدد	النسبة %
الجنس	ذكر	42	% 84
	أنثى	08	%16
العمر (السنة)	أقل من 30	07	%14
	40-30	23	%46
	50 – 41	12	%24
	51 فأكثر	08	%16
المستوى الدراسي	ثانوية فأقل	02	%04
	مركز تكوين	16	%32
	جامعي	32	%64
المنصب	إطار	14	%28
	عون إدارة	25	%50
	عامل منفذ	11	%22
الأقدمية (السنة)	أقل من 05	07	%14
	10-05	11	%22
	16 -11	16	%32
	22 -17	12	%24
	أكثر من 22	04	%08

المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على مخرجات برنامج SPSS

يلاحظ من الجدول أن نسبة الذكور أعلى من نسبة الإناث، وبالنسبة لمتغير العمر فقد كانت أعلى نسبة للذين تتراوح أعمارهم بين 30 إلى 40، أما المستوى الدراسي فقد كانت أعلى نسبة للجامعيين، وبالنسبة لمتغير المنصب تم تسجيل نسبة (50%) لفئة أعوان الإدارة، وفيما يتعلق بمتغير الأقدمية كانت أعلى نسبة للذين تتراوح أقدميتهم من 11-16 سنة.

ب - الإجابة عن أسئلة الدراسة:

-السؤال الأول:

مفاده "**ما مدى توفر المهارات القيادية حسب آراء العاملين بالمؤسسة محل الدراسة**"، للإجابة عليه فقد تم إيجاد المتوسطات الحسابية، الانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لأبعاد المتغير المستقلّ، والتي تم تفسيرها، على النحو التالي:

مرتفع	متوسط	منخفض
من 3.5 فأعلى	أعلى من 2.5 - 3.49	2.5 فما دون

الجدول رقم (04): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية حول توفر مهارات القيادة حسب المبحوثين

الأبعاد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الأهمية	المستوى
المهارات الإنسانية	3.16	1.16	3	متوسط
المهارات الفكرية	3.03	1.15	4	متوسط
المهارات التنظيمية	3.50	0.98	2	مرتفع
المهارات الفنية	3.54	0.82	1	مرتفع
الدرجة الكلية	**3.31**	**1.02**	-	**متوسط**

المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على مخرجات برنامج SPSS

يشير الجدول (04) إلى أن المهارات القيادية متوفرة بمستوى متوسط حيث تم تسجيل متوسط حسابي يقدر بـ (3.31)، كما يلاحظ من نفس الجدول أن بعد المهارات الفنية احتل المرتبة الأولى مما يشير إلى تمتع القيادة بالمعرفة والخبرة في مجال عمل المؤسسة من خلال إدراك كيفية إنجاز العمل، وجاء في المرتبة الثانية من حيث درجة الأهمية بعد المهارات التنظيمية حيث سجلت مستويات مرتفعة مما يشير إلى تفهم القيادة أهداف المؤسسة وأنظمتها والقدرة على إجادة أعمال الإدارة وتنظيم العمل، أما المرتبة الأخيرة من حيث درجة الأهمية فقد عادت لبعد المهارات الفكرية الذي يشير إلى عدم تمتع القيادة بالمهارات المتمثلة في القدرة على دراسة وتحليل المواقف، وكذا عدم التمتع بالمرونة لتقبل أفكار الآخرين أو نقدهم أو اقتراحاتهم.

- السؤال الثاني:

مفاده "**ما مستوى توفر مهارة الإبداع من خلال توفر عناصره لدى العاملين بالمؤسسة محل الدراسة**"، فقد تم احتساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، وهي موضحة بالجدول التالي:

الجدول رقم (05): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية حول توفر مهارة الإبداع لدى العاملين

أبعاد المهارة الإبداعية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الأهمية	المستوى
الطلاقة	3.84	0.99	2	مرتفع
المرونة	4.06	1.00	1	مرتفع
الأصالة	3.63	1.28	3	مرتفع
الحساسية للمشكلات	3.14	1.41	4	متوسط
المخاطرة	2.28	1.17	5	منخفض
الدرجة الكلية	**3.40**	**0.47**	-	**متوسط**

المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على مخرجات برنامج SPSS

يشير الجدول أعلاه إلى أن عناصر المهارة الإبداعية متوفرة بمستوى متوسط حيث تم تسجيل متوسط حسابي يقدر بـ (3.40) بانحراف معياري يقدر بـ (0.47) مما يشير إلى تقارب وجهات نظر المبحوثين، كما يلاحظ من نفس الجدول أن بعد المرونة احتل المرتبة الأولى مما يشير إلى وجود استعداد لتقبل الجديد والانفتاح

على الآخرين وعلى أفكارهم وجاء في المرتبة الثانية من حيث درجة الأهمية بعد الطلاقة مما يشير إلى تمتع المبحوثين بدرجة مرتفعة بغزارة الأفكار، أما المرتبة الأخيرة من حيث درجة الأهمية فقد عادت لبعد المخاطرة الذي يشير إلى تجنب المبادرات الفردية.

ج- اختبار فرضيات الدراسة: تم تحديد مستوى معنوية بقيمة 5% والمقصود منها درجة الاحتمال الذي ترفض به الفرضية الصفرية والتي يرمز لها ب H0، ويتم رفضها إذا كانت قيمة المعنوية المحسوبة من خلال نتائج التحليل أقل أو يساوي مستوى المعنوية المعتمدة أي 0.05.

✓ **اختبار الفرضية الرئيسية:** التي مفادها "لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للمهارات القيادية المتمثلة في المهارات الإنسانية، التنظيمية، الفكرية والفنية على إبداع العاملين". من أجل اختبار مدى صلاحية هذه الفرضية للدراسة تم إخضاعها لتحليل التباين للانحدار، والجدول التالي يوضح ذلك:

الجدول رقم (06): تحليل التباين للانحدار للتأكد من صلاحية الفرضية الأولى للدراسة

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	F المحسوبة	مستوى دلالة F
الانحدار	1.764	1	0.764	11.24	*0.002
الخطأ	26.105	48	0.213		
المجموع	27.869	49	-		

* ذات دلالة إحصائية عند مستوى أقل أو يساوي 0.05 ($R= 0.650,\ R^2= 0.422$)

يتبين من معطيات الجدول (06) ثبات صحة النموذج فيما يتعلق بالفرضية الرئيسية حيث بلغت مستوى الدلالة (0.002) وهي أقل من مستوى الدلالة الإحصائية (0.05)، كما يتضح من نفس الجدول ومن خلال معامل التحديد أن مهارات القيادة تفسر ما مقداره 42.2% من التباين في المتغير التابع وهي قوة تفسيرية متوسطة. من أجل معرفة أثر المهارات القيادية بمختلف أبعاده على مهارة الإبداع تم تقسيم الفرضية الرئيسية إلى فرضيات فرعية لمعرفة أثر كل مهارة على حدى على المتغير التابع وذلك باستخدام مقياس الانحدار المتعدد.

❖ **اختبار الفرضية الفرعية الأولى:** "لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للمهارة الإنسانية للقائد على مهارة الإبداع لدى العاملين بمؤسسة فرتيال بعنابة". لاختبار هذه الفرضية تم استخدام مقياس الانحدار المتعدد في الجدول التالي:

الجدول رقم (07): تحليل الانحدار المتعدد لاختبار أثر المهارة الإنسانية للقائد على مهارة الإبداع لدى العاملين

المهارة الإنسانية للقائد	معامل الارتباط R	معامل التحديد R^2	معامل الانحدار B	F المحسوبة	مستوى الدلالة
	0.78	0.61	0.114	1.246	*0.016

*ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية $\alpha \leq 0.05$

يتبين من الجدول أعلاه أن قيمة معامل الارتباط بلغت (0.78) مما يدل على وجود علاقة ارتباط قوية بين بعد المهارة الإنسانية للقائد وبعد مهارة الإبداع لدى العاملين، كما بلغ معامل التحديد (0.61) مما يشير إلى أن 61 % من التغيرات الحاصلة في مهارة الإبداع ناتجة عن التغير في بعد المهارة الإنسانية، كما بلغت قيمة معامل الانحدار (0.114) وهذا يعني أن الزيادة بدرجة واحدة في مستوى الاهتمام بالمهارة الإنسانية يؤدّي إلى

زيادة في مستوى مهارة الإبداع بقيمة (0.114)، وبما أن مستوى الدلالة يقدر بـ (0.016) وهو أقل من مستوى الدلالة المعتمد يتم رفض الفرضية واستبدالها بالفرضية البديلة التي مفادها وجود أثر للمهارة الإنسانية للقائد على المهارة الإبداعية للعاملين.

❖ **اختبار الفرضية الفرعية الثانية:** "لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للمهارة الفكرية للقائد على مهارة الإبداع لدى العاملين بمؤسسة فرتيال بعنابة". الجدول التالي يختبرها كالآتي:

الجدول رقم (09): تحليل الانحدار المتعدد لاختبار أثر المهارة الفكرية للقائد على مهارة الإبداع لدى العاملين

المهارة الفكرية للقائد	معامل الارتباط R	معامل التحديد R^2	معامل الانحدار B	F المحسوبة	مستوى الدلالة
	0.16	0.026	0.168	0.121	0.009*

* ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية $\alpha \leq 0.05$

يتبين من الجدول رقم (09) أن قيمة معامل الارتباط بلغت (0.16) مما يدل على وجود علاقة ارتباط ضعيفة بين البعدين، كما بلغ معامل التحديد (0.026) مما يشير إلى أن 2.6 % فقط من التغيرات الحاصلة في مهارة الإبداع ناتجة عن التغير في بعد المهارة الفكرية للقائد أما باقي التغيرات فهي ناتجة عن متغيرات خارج أبعاد الدراسة، كما بلغت قيمة معامل الانحدار (0.168) وهذا يعني أن الزيادة بدرجة واحدة في مستوى الاهتمام بالمهارة الفكرية يؤدّي إلى زيادة في مستوى مهارة الإبداع بهذه القيمة، وبما أن مستوى الدلالة يقدر بـ(0.009) وهو أقل من مستوى الدلالة المعتمد يتم رفض الفرضية الصفرية واستبدالها بالفرضية البديلة التي مفادها وجود أثر للمهارة الفكرية للقائد على المهارة الإبداعية للعاملين.

❖ **اختبار الفرضية الفرعية الثالثة:** "لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للمهارة التنظيمية للقائد على مهارة الإبداع لدى العاملين بمؤسسة فرتيال بعنابة". تم اختبارها في الجدول التالي:

الجدول رقم (08): تحليل الانحدار المتعدد لاختبار أثر المهارة التنظيمية للقائد على مهارة الإبداع لدى العاملين

المهارة التنظيمية للقائد	معامل الارتباط R	معامل التحديد R^2	معامل الانحدار B	F المحسوبة	مستوى الدلالة
	0.42	0.18	0.120	1.286	0.012*

* ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية $\alpha \leq 0.05$

يتبين من الجدول أعلاه أن قيمة معامل الارتباط بلغت (0.42) مما يدل على وجود علاقة ارتباط بين بعد المهارة التنظيمية للقائد وبعد مهارة الإبداع لدى العاملين، كما بلغ معامل التحديد (0.18) مما يشير إلى أن 18 % من التغيرات الحاصلة في المتغير التابع ناتجة عن التغير في بعد المهارة التنظيمية، وبما أن مستوى الدلالة يقدر بـ (0.012) وهو أقل من مستوى الدلالة المعتمد يتم رفض الفرضية واستبدالها بالفرضية البديلة القائلة بوجود أثر للمهارة التنظيمية للقائد على المهارة الإبداعية للعاملين.

❖ **اختبار الفرضية الفرعية الرابعة:** "لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للمهارة الفنية للقائد على مهارة الإبداع لدى العاملين بمؤسسة فرتيال بعنابة". الجدول التالي يختبرها كالآتي:

الجدول رقم (10): تحليل الانحدار المتعدد لاختبار أثر المهارة الفنية للقائد على مهارة الإبداع لدى العاملين

المهارة الفنية للقائد	معامل الارتباط R	معامل التحديد R^2	معامل الانحدار B	F المحسوبة	مستوى الدلالة
	0.83	0.69	0.178	1.554	0.002*

* ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية $\alpha \leq 0.05$

يلاحظ من الجدول أعلاه أن مستوى الدلالة قدر بـ (0.002) وهو أقل من مستوى الدلالة المعتمد مما يؤدّي إلى رفض هذه الفرضية واستبدالها بالفرضية البديلة والقائلة بوجود أثر لبعد المهارة الفنية لدى القائد على مهارة الإبداع لدى العاملين بمؤسسة فرتيال بعنابة، كما يلاحظ من نفس الجدول تسجيل علاقة ارتباط قوية بين البعدين حيث بلغ معامل التحديد (0.69) مما يشير إلى أن 69 % من التغيرات الحاصلة في مهارة الإبداع ناتجة عن التغير في بعد المهارة الفنية للقائد أما باقي التغيرات فهي ناتجة عن متغيرات خارج أبعاد الدراسة.

نتائج الدراسة:

✓ سجل المتوسط الكلي لأبعاد المهارات القيادية مستوى متوسط قدر بـ (3.31)؛

✓ أظهرت نتائج الدراسة تسجيل مستوى مرتفع لبعد المهارات الفنية والتنظيمية في مقابل تسجيل مستويات متواضعة لباقي المهارات؛

✓ سجل المتوسط الكلي لمهارة الإبداع مستوى متوسط قدر بـ (3.40)؛

✓ أظهرت نتائج الدراسة توفر كلا من الطلاقة والمرونة والأصالة لدى المبحوثين بدرجة مرتفعة مما يشير إلى تمتعهم بالقدرة على إنتاج أفكار أصيلة ومتعددة والقدرة على التجاوب مع كل ما هو جديد ووجود استعداد لتقبل آراء الآخرين واستيعاب أفكارهم؛

✓ تبين من نتائج الدراسة عدم توفر بعد المبادرة كأحد عناصر الإبداع حيث جاء في المرتبة الأخيرة مقارنة بباقي الأبعاد، مما يشير إلى انخفاض في المبادرات الفردية وعدم تحمل المسؤولية إلا في الإطار الوظيفي؛

✓ تم تسجيل أثر ذو دلالة إحصائية لأبعاد مهارات القائد المتمثلة في المهارة الإنسانية، التنظيمية، الفكرية والفنية على مهارة الإبداع لدى العاملين بالمؤسسة محل الدراسة؛

الاقتراحات:

انطلاقا من النتائج التي تم التوصل إليها من الدراسة يمكن وضع جملة من التوصيات كالآتي:

✓ ضرورة اهتمام أصحاب القرار بالمؤسسة بتعزيز المهارات القيادية المتمثلة في المهارة الإنسانية والفكرية والتي لم تتوفر بالشكل الكافي على مستواها من أجل التأثير في مهارة الإبداع لدى العاملين؛

✓ ضرورة تعزيز المهارة الفنية والتنظيمية للقيادة وتنميتها واستخدامها كقاعدة لتنمية المهارة الإبداعية لدى العاملين؛

✓ ضرورة الاستماع لآراء العاملين وأفكارهم خاصة في ظل توفر القدرة على تقديم أفكار أصيلة والمرونة لتقبل الجديد؛

✓ ضرورة تشجيع العاملين على تحمل المسؤولية من خلال تشجيع المبادرات الفردية؛

✓ ضرورة السعي لتطبيق مفاهيم وأساليب جديدة في العمل حيث وجدت الدراسة أن لدى العاملين استعداد مرتفع لتقديم أفكار جديدة والمشاركة بحلول لمشكلات العمل وتبنيها.

قائمة المراجع:

أولا- المراجع العربية:

1-الكتب:

1- عبود نجم عبود، "**القيادة الإدارية في القرن الواحد والعشرون**"، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر، الأردن، 2011.

2- العياصرة علي أحمد، العودة الفاضل محمد محمود، "**الإتصال القيادي في المؤسسات التربوية**"، الطبعة الأولى، دار حامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2006.

3- الفاعوري رفعت عبد الحليم، "**إدارة الإبداع التنظيمي**"، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، مصر، 2005.

4- موسى اللوزي، "**التطوير التنظيمي: أساسيات ومفاهيم حديثة**"، دار وائل للنشر، الأردن، 2003.

2- المجلات:

1- صقر هدى، "**التفكير الابتكاري وحل المشكلات واتخاذ القرارات**"، المجلة الدولية للعلوم الإدارية، معهد التنمية الإدارية، الإمارات العربية المتحدة، مجلد 3، العدد الرابع، 1998.

2- الهيجان عبد الرحمن أحمد محمد، "**معوقات الإبداع في المنظمات السعودية**"، مجلة الإدارة العامة، المملكة العربية السعودية، المجلد 35، العدد الأول، 1999.

3-الرسائل الجامعية:

1- الزعبي جمانة زياد محمد، "**عوامل المناخ التنظيمي المؤثرة في السلوك الإبداعي لدى المديرين في الوزارات الأردنية**"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2006.

ثانيا- المراجع الأجنبية:

1-LES OUVRAGES:

1- Detrie Jean-Pierre,"**Strategor: politique générale de l'entreprise**", 3éme édition, édition donod, Paris, 2005.

2- Pastor Pierre**, "Gestion du changement**", édition Liaisons, Paris, 2005.

2-LES REVUES:

1- Warhavtig Wanda, **"Flight to the future: Managing change in financial services for sustenable growth"**, Europe Limra, West Publishing company, New York, 2005.

كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير

قسم علوم التسيير

استمارة بحث

مدى توفر المهارات القيادية بمؤسسة فرتيال بعنابة ودورها في تنمية المهارات الإبداعية للعاملين

تهدف هذه الاستمارة إلى جمع بعض المعلومات بمؤسستكم بهدف التعرف على درجة توفر مهارات القائد وأثرها على مهارة الإبداع

نرجو منكم التكرم بالإجابة على الأسئلة ووضع علامة [X] في الخانة المناسبة، كما نحيطكم علما بان المعلومات المصرح بها سيتم التعامل معها بكل سرية وضمن أهداف الدراسة.

نشكركم على تعاونكم وعلى الوقت المخصص لملء هذه الاستمارة

المحور الأول: الخصائص الشخصية والوظيفية

1- الجنس: ذكر ☐ أنثى ☐

2-العمر

أقل من 30 ☐ من 30 إلى 40 سنة ☐

من 41 إلى 50 سنة ☐ 51 سنة فأكثر ☐

3-المستوى الدراسي

ثانوي فأقل ☐ مركز تكوين ☐ جامعي ☐

4-المستوى الإداري

إطار ☐ عون إدارة ☐ عامل منفذ ☐

5-الأقدمية في المنصب

اقل من 5 سنوات ☐ من 5 إلى 10 سنوات ☐ من 11 إلى 16 سنة ☐

من 17 إلى 22 سنة ☐ 22 سنة فأكثر ☐

المحور الثاني: مهارات القائد

رقم الفقرة	المحتوى	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة
3-1	المهارة الإنسانية					
01	يتمتع القائد بتفهم تصرفات مرؤوسيه وتوجيههم باستمرار					
02	يعتمد أسلوب القائد على خلق بيئة عمل مريحة لتنمية روح الفريق					
03	يهتم القائد بمشاكل مرؤوسيه ويتفهم احتياجاتهم					
6-4	المهارة الفكرية					
04	يتقبل القائد أفكار المرؤوسين ويستمع لاقتراحاتهم					
05	يهتم القائد بتطوير أسلوب العمل باستمرار					
06	يتمتع القائد بقدرة على التحليل وبتفهم لمتطلبات العمل					
رقم الفقرة	المحتوى	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة
9-7	المهارة التنظيمية					
07	يتمتع القائد بقدرة كبيرة على فهم بيئة العمل					

08	يهتم القائد بتحقيق أهداف المؤسسة والالتزام بتنفيذها					
09	يتمتع القائد بقدرة على تنسيق مهام العمل					
12-10	**المهارة الفنية**					
10	لدى القائد خبرة بمختلف الضروريات لأداء العمل					
11	يتميز القائد بالفهم العميق لأساليب العمل والإنجاز					
12	يتحكم القائد في وسائل العمل وتقنياته					

المحور الثالث: مهارة الإبداع

رقم الفقرة	المحتوى	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة
13- 15	**الطلاقة**					
13	اتمتع بقدرة على اقتراح أكثر من فكرة في فترة زمنية محدودة					
14	احرص باستمرار على تقديم أفكار تساهم في حل مشاكل العمل					
15	أجد سهولة كبيرة في ايجاد افكار جديدة ومتنوعة					
18-16	**المرونة**					
16	اتقبل لآراء الآخرين واستمع لنقدهم					
17	اعبر عن آرائي ولو كانت مخالفة لآراء رؤسائي					
18	لدي استعداد لتغيير أفكاري وتبني افكار جديدة					
21-19	**الأصالة**					
19	أحاول تطبيق أساليب جديدة في العمل					
20	انجز الأعمال والمهام بأسلوب جديد وغير متكرر					
21	احرص على تقديم الافكار الجديدة بالمؤسسة					
24-22	**الحساسية للمشكلات**					
22	اشعر بالحماس عند تعاملي مع مشكلات العمل					
23	املك رؤية دقيقة لمشكلات العمل					
24	اتمتع بقدرة على توقع مشاكل العمل قبل حدوثها					
رقم الفقرة	**المحتوى**	**غير موافق بشدة**	**غير موافق**	**محايد**	**موافق**	**موافق بشدة**
27-25	**المخاطرة**					
25	أحرص على تقديم حلول سابقة عند مواجهة مشاكل العمل					
26	أقوم باقتراح أساليب جديدة رغم علمي بالمخاطر المترتبة على ذلك					
27	أتردد بتنفيذ أساليب جديدة خوفا من الفشل					

شكرا على تعاونك

الوسائط المتعددة ودورها في تنمية الاتجاهات الحديثة للتعليم العالي

-دراسة حالة الجزائر-

د.عنان فاطمة الزهراء
كلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير
جامعة باجي مختار-عنابة

الملخص :
على ضوء المستجدات العالمية للمعلوماتية ومجتمع المعرفة تغيرت طريقة عيشنا والنماذج التقليدية للتعليم العالي بشكل خاص. ففي الوقت الحاضر، ومع تزايد وتيرة التطورات الجديدة تمر مؤسسات التعليم العالي بمرحلة انتقالية، - للجامعات الافتراضية -، هذا ما أدى إلى التحول نحو استخدام أسلوب التعلم الإلكتروني الذي يعتمد على الوسائط المتعددة لتقديم دورات للطلاب بغض النظر عن المسافة، بالإضافة إلى تعزيز البرامج التعليمية الرسمية التي يتم تقديمها في الحرم الجامعي.والجزائر تسعى إلى تشجيع وتبني استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتعزيز عملية التنمية بشكل عام وتطوير النظام التعليمي على وجه الخصوص، مما يمهد الطريق لوضع إطار سياسة استخدام الوسائط المتعددة جنبا إلى جنب مع استراتيجية التنفيذ.

الكلمات المفتاحية : التعليم العالي، الوسائط المتعددة، التعليم الإلكتروني، الجامعة الافتراضية.

Abstract:
In light of the globally emerging information and knowledge society changed the way we lived and traditional models of higher education particularly.
Nowadays, Institutions of higher education are in transition, with increasing frequency the new developments – from virtual universities - ,this led to a turning to the use of the electronic learning method which relies on multimedia to deliver courses to students at a distance as well as to enhance formal educational programmes that are delivered on campus,
Algeria is encouraging and fostering the use of ICT to enhance the development process in general and the development of the educational system in particular, paving the road for an use multimedia policy framework along with an implementation strategy.

Keywords : Higher Education, multimedia, e-learning, virtual university.

مقدمة: أدت التطورات المتسارعة في السنوات القليلة الماضية في مجالات تقنيات الحاسوب وشبكة الأنترنت والتكامل بينهما إلى نشوء ما يسمى اليوم بتقنيات المعلومات والاتصالات التي **غيرت النظرة إلى التعلم والتعليم وكذا المناهج المعتمدة، ففي السابق كان** التعليم الجامعي التقليدي يتمحور أداؤه التعليمي في منح الدرجات العلمية المتخصصة، وفق منهجية مقولبة، بحسب خطط جامدة، ضمن تسلسل هرمي ذي هيكلية محدودة، وذلك في حدود حيز المكان والزمان، مستبعداً بذلك ما استجد من آليات البناء المعرفي الذاتي بحثاً واكتساباً وإنتاجاً، مع تكريسه لفردية عملية التعليم، وكذلك استبعاده لاستمرارية التعلم مدى الحياة، وهوما لا يلبي الاحتياجات المجتمعية من التعليم الجامعي التي يفرضها بناء مجتمع المعرفة، ولمواكبة هذا التطور التقني والعلمي نشأت الحاجة إلي تصميم برامج تعليمية بطريقة تتفق مع خصائص واستعدادات وميول واتجاهات المتعلمين، وذلك من خلال **الاعتماد على الوسائط المتعددة، المواقع الإلكترونية وفضاءات**

الأنترانت حتى تمكن كل أطراف العملية التعليمية بالتزود بكم هائل من المعطيات التي باتت تنافس السلطة المعرفية للمعلم والبرنامج وحتى المناهج، وأيضا تمكن من تنمية التعليم وتغيير اتجاهاته إلى أخرى أكثر حداثة.

وفي ظل هذا الطرح فانه يتم طرح الإشكالية التالية: **ما هو الدور الذي تلعبه الوسائط المتعددة الإلكترونية في حداثة التعليم الجامعي والتي أدت إلى تنامي أشكال حديثة له، وهل الجزائر واكبت التغيرات الحاصلة في التعليم الجامعي؟**.وللإجابة على الإشكال المطروح سيتم طرح التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هي أهم المفاهيم المتعلقة بالوسائط المتعددة؟
- ما الدور الذي تلعبه الوسائط المتعددة لتطوير التعليم الجامعي؟
- ما هي الأشكال الحديثة الذي وصل إليها التعليم العالي في ظل استخدام تقنية الوسائط المتعددة؟
- ما هي الإجراءات التي اعتمدتها الحكومة الجزائرية لتطوير التعليم الجامعي باستخدام الوسائط؟

فرضيات البحث:

- الوسائط المتعددة تلعب دورا فاعلا في تنمية وتطوير التعليم بمختلف مستوياته وخاصة التعليم الجامعي؛
- إن التطورات التكنولوجية سرعت من وتيرة التغيرات الحاصلة في التعليم الجامعي هذا ما أدى إلى ظهور أشكال حديثة لم تكن معروفة في القديم؛
- يتميز التعليم الجامعي في الجزائر بمكانة متميزة وعرف تطورا مع مرور الوقت خاصة التعليم الافتراضي.

أهداف البحث :

- تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على أهمية توظيف تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بصفة عامة والوسائط المتعددة بصفة خاصة في العملية التعليمية ودورها في تنمية وتطوير التعليم العالي ليتمكن من تلبية احتياجات العصر؛
- تعتبر الوسائط المتعددة أحد أهم الوسائل التي يمكن للمنظومة التعليمية أن تعتمد عليها لتطوير عناصرها من خلال تطوير عملياتها ومخرجاتها الكمية والنوعية. ولقد تم تقسيم موضوع الدراسة إلى المحاور التالية:
- المحور الأول : مدخل مفاهيمي حول الوسائط المتعددة؛
- المحور الثاني: دور الوسائط المتعددة في تنمية التعليم الجامعي؛
- المحور الثالث: الأشكال الحديثة للتعليم الجامعي- التعليم الافتراضي-؛
- المحور الرابع : واقع التعليم الافتراضي في الجزائر.

المحور الأول : مدخل مفاهيمي حول الوسائط المتعددة

I- **تعريف الوسائط المتعددة (multimedia)** لقد تعددت التعاريف واختلفت سواء حسب الجهات أوحسب أراء المفكرين غير انه يمكن حصرها في التعارف التالية:

1- عرفها محمد محمود الحيلة في كتابه : على أنها أجهزة وأدوات ومواد يستخدمها المعلم لتحسين عملية التعليم والتعلم وتقصير مدتها، وتوضيح المعاني، وشرح الأفكار وتدريب التلاميذ على المهارات، وغرس العادات

الحسنة في نفوسهم وتنمية الاتجاهات، وعرض القيم، دون أن يعتمد المدرس على الألفاظ والرموز والأرقام، وذلك للوصول بطلبته إلى الحقائق العلمية الصحيحة، والتربية القويمة بسرعة وقوة وبتكلفة أقل؛ [1]

2- كما عرفتها الموسوعة البريطانية على أنها : "نظام حاسوب إلكتروني مدعم يسمح للمستفيدين بتوجيه أنواع متعددة من الوسائط مثل النص، الصورة، الصوت، الفيديو، رسوم الحاسوب وحركاته ومعالجتها وتركيبها"؛ [2]

وبصفة عامة يمكن تعريفها على أنها الاندماج بين كافة عناصر التقنية، أوالبرامج، وأيضا مجموعة من الوسائط التي تشتمل على الصورة الثابتة، والصورة المتحركة، والصوت، والنص، وتعمل جميعها تحت تحكم الحاسوب في وقت واحد يضاف إليها توافر البيئة التفاعلية، حيث يعد التفاعل العنصر الأساس في تقنية الوسائط المتعددة وتطبيقاتها، فتسري المعلومات في اتجاهين، من البرنامج إلى المستخدم ومن المستخدم إلى البرنامج، لذلك تعتبر برامج الوسائط المتعددة أقوى وسيلة لكتابة البرامج التعليمية بصورة تمكن من استعراض وتبادل الأفكار.

وانطلاقا من هذا التعريف فانه يمكن استخلاص الخصائص، والأنواع المختلفة للوسائط المتعددة :

خصائص الوسائط المتعددة :[3] تتميز برامج الوسائط المتعددة بخواص عديدة منها ما يلي:

1- التكاملية: هي عبارة عن استخدام أكثر من وسيطين في الإطار الواحد بشكل تفاعلي وليس مستقل وحتى يتحقق التكامل بشكل جيد لابد من التقيد بعدة أمور نذكر منها:

- ✓ عدم تكرار التعليق الصوتي لنفس محتوى النص المكتوب؛
- ✓ عدم استخدام الصوت منفردا دون مصاحبة بعض المواد البصرية مثل الرسوم المتحركة أوصدور لقطات الفيديو؛
- ✓ لا يجوز أن يبدأ التعليق الصوتي قبل ظهور الصورة؛
- ✓ عدم الجمع بين وسيلتين بصريتين في نفس الإطار مثل عرض رسوم متحركة في نافذة ومقاطع من لقطات فيديو في نافذة مجاورة؛
- ✓ ربط الصورة والرسوم الثابتة التي تتحدث عن فكرة معينه أومفهوم محدد بواسطة خلفية موسيقية واحدة غير متقطعة لان ذلك يوحي بالتتابع لموضوع واحد؛
- ✓ عدم استخدام المؤثرات الصوتية مع التعليق الصوتي فلابد أن تكون الموسيقى خافته مع وضوح التعليق الصوتي.

2- الفاعلية: يشير التفاعل في مجال الوسائط المتعددة إلى الفعل ورد الفعل بين المتابع وبين ما يعرضه الكومبيوتر ويتضمن ذلك قدرة المتعلم على التحكم فيما يعرض عليه وضبطه عند اختيار زمن العرض وتسلسله وتتابعه والخيارات المتاحة من حيث القدرة على اختيارها والتجوال فيما بينها؛

---

[1] يامنة اسماعيلي، عواطف مام، "دور الوسائل التعليمية في إثراء الموقف التعليمي بالجامعة" مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص : الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات في التعليم العالي، عدد SSH 06، 2014، ص323 .

[2] صوفي عبد اللطيف، "المعلومات الإلكترونية والمكتبات الجامعية"، مجلة الحوار الفكري، ع3، 2002، ص71 .

[3] أمجد عمر صفوري،" تصميم وإعداد وإنتاج الوسائط المتعدد كلية الصحافة والإعلام "، جامعة الزرقاء، تم الاطلاع بتاريخ: 2016-02-25، من الموقع الإلكتروني: https://amjadsafori.files.wordpress.com/.../d988d8b3d

3- التنوع: توفر عروض الوسائط المتعددة بيئة تعلم متنوعة يجد فيها كل شخص ما يناسبه ويتحقق ذلك عن طريق توفير مجموعة من البدائل والخيارات أمام كل شخص؛

4- الكونية: تتيح تكنولوجيا الوسائط المتعددة للمتعلم لكي يتعامل مع المعلومات على مستوى أكبر من مستوى المادة المتعلمة ويمكن للمتعلم الاتصال بشبكة الإنترنت للحصول على ما يحتاجه من معلومات في كافة مجالات العلوم؛

5- التزامن: والتزامن يعني مناسبة توقيتات تداخل العناصر المختلفة الموجودة في برنامج الوسائط المتعددة، فمراعاة التزامن يساعد على تحقيق خاصيتي التكامل والتفاعل؛

6- الإتاحة: وتعني إتاحة عروض الوسائط المتعددة في الوقت الذي يحتاج المتعلم إلى التعامل معها.

- **أنواع الوسائط المتعددة:** تتعدد الوسائط المتعددة وتختلف حسب استخداماتها ويمكن توضيحها كما يلي :

✓ **الوسائط الخطية (غير التفاعلية):** هي وسائط يسير معها المستخدم من البداية إلى النهاية في مسار خطي دون أن تسمح له بالتنقل والقفز بين أجزاء المحتوى وتشمل خصائص عروض الوسائط المتعددة غير التفاعلية :دمج عناصر الوسائط المتعددة في تقديم هذه العروض أو بعضها كالنص المكتوب والصوت والرسومات الخطية؛

✓ بداية البرنامج لا يتحكم فيها المستخدم بينما نهاية البرنامج تخضع لتحكم المستخدم؛

✓ البرنامج يسير بصورة إجرائية تحت تحكم المستخدم بالضغط على الفأرة أوأحد المفاتيح لمشاهدة المعلومات التالية بشكل خطي تتابعي؛

✓ يتغير عرض الشاشات الواحدة تلو الأخرى بطريقة آلية تبعا للزمن المحدد لكل شاشة.

2-الوسائط المتعددة التفاعلية: هي وسائط غير خطية تستخدم جميع وسائط الاتصالات المستخدمة في الوسائط المتعددة الخطية من: نصوص، أصوات، صور، رسوم، وجداول، لكنها تمكن المتعلم من التحكم المباشر في تتابع المعلومات. أيضا الوسائط المتعددة التفاعلية تتيح الاتصال بين المتعلم والمادة التعليمية بشكل تفاعلي يسير في كلا الاتجاهين.

3- الوسائط المتعددة الفائقة[1]: هي ظاهرة تقنية جديدة في مجال التعليم والتعلم توفر للمتعلم الاندماج التدريجي مع مدخلات الوسائط التعليمية من خلال الحاسبات الآلية، كما أنها تزود المتعلم بمناخ تربوي تعليمي تتوفر فيه الوسائل التعليمية المتعددة في وحدة متكاملة لأشكال المعلومات والبيانات المستقطعة والمنتقاة من مصادر عدة لتكون في نسق نظامي واحد. ذلك النظام الموحد الذي يمكن أن يديره الحاسب الآلي ويتحكم فيه.وتتشابه برمجيات الوسائط الفائقة مع برمجيات الوسائط المتعددة من حيث أن كل منهما يتناول مجموعة من الوسائل التعليمية (رسوم بيانية، خرائط، جداول، صور ثابتة، رسوم متحركة، مقاطع فيديو، مؤثرات صوتية... الخ) والتي من شأنها جذب انتباه المتعلم وإثارة اهتمامه ودافعيته للتعلم، إلا أن هناك اختلافاً جوهرياً بينهما، حيث تتضمن الوسائط الفائقة برنامجاً لتنظيم وتخزين المعلومات بطريقة غير متتابعة وغير خطية، مما يسمح بإعادة تنظيم المادة التعليمية الخاصة بمفهوم معين وعرضها بطرق متنوعة.

---

[1] محمد رضا البغدادي،"الأهداف والاختبارات في المناهج وطرق التدريس بين النظرية والتطبيق"، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 253.

لذا فإن المادة التعليمية في برمجيات الوسائط الفائقة لا تحتوي تتابعاً من نقطة لأخرى، وليس لها نهايات أو بدايات معينة كما هو الحال في الوسائط المتعددة.[1] والشكل التالي يوضح مختلف أنواع الوسائط المتعددة:

شكل رقم (01):عناصر الوسائط المتعددة



المصدر: من إنجاز الباحثة

IV- أسباب استخدام الوسائط المتعددة في التعليم الجامعي :[2]

هناك جملة من الأسباب التي استدعت استخدام الوسائط المتعددة بحيث أصبح هذا الاستعمال ضرورة لا غنى عنه في تحقيق أهداف التربية والتكوين، كلها عوامل تضغط على الجامعة من أجل مزيد من الفعالية والاستحداث والتجديد لمجاراة هذه التغيرات.

والشكل التالي يلخص أهم أسباب اللجوء إلى استخدام الوسائط المتعددة :

شكل رقم (02): أسباب استخدام الوسائط المتعددة



المصدر: من إنجاز الباحثة بالاعتماد على المرجع : محمود الفرماوى، دور الوسائط المتعددة في العملية التعلمية، جامعه عين شمس، 2009، تم الاطلاع بتاريخ: 25-02-2016، من الموقع الالكتروني:
https://amjadsafori.files.wordpress.com/.../d988d8b3d

---

[1] محمد السيد علي، " تكنولوجيا التعليم والوسائل التعليمية"، دار الفكر العربي، القاهرة , 2002، ص 148.

[2] محمود الفرماوى،" دور الوسائط المتعددة في العملية التعلمية"، جامعه عين شمس، 2009، تم الاطلاع بتاريخ: 25-02-2016، من الموقع الالكتروني https://amjadsafori.files.wordpress.com/.../d988d8b3d

1) الانفجار المعرفي : ويمكن تصنيف الانفجار المعرفي من عدة زوايا :

- ✓ النمو المتضاعف وزيادة حجم المعارف، لما تتيحه التقنيات من مَعين (منجم)معرفي لا ينضب في مختلف التخصصات وشتى الميادين.
- ✓ استحداث تصنيفات وتفريعات جديدة للمعرفة، مما أدى إلى سهولة الحصول على المعلومة بأسرع وقت وأقل تكلفة؛
- ✓ ظهور تقنية جديدة بدأ استعمالها في العملية التعليمية لنقل المعلومة والاحتفاظ بها الشيء الذي عرف بأكثر من طريقة للتدريس وهذا أدى إلى تعدد طرق المناهج والاستراتيجيات؛
- ✓ زيادة عدد المتعلمين مما أدى إلى زيادة الإقبال على البحث العلمي الذي أدى بدوره إلى زيادة حجم المعرفة واستقائها من مضمونها الأصلي؛

2) الانفجار السكاني: إن الزيادة في عدد السكان يرافقها زيادة في عدد طالبي العلم والمعرفة لهذا تسعى الدول إتاحة الفرصة للتعليم أمام كل المواطنين بغض النظر عن ظروفهم المادية والصحية والاجتماعية وذلك بتسخير الإمكانيات الطبيعية والمادية الإمكانات البشرية والعلمية لأجل تأمين فرص التعليم وإتاحته لأكبر عدد ممكن من طالبيه؛

3) انخفاض الكفاءة التعليمية: إن انخفاض الكفاءة في العملية التربوية عملية معقدة ومركبة وهذا راجع إلى الفجوة الحاصلة بين المناهج التعليمية التقليدية الملقنة والواقع الاجتماعي والعملي، هذا من جهة ومن جهة أخرى التركيز في التعليم هدفه تحصيل المعلومات وحفظها في حين تم إهمال المهارات العقلية والحركية وتكوين القيم والتدريب على التفكير السليم لذلك وجب استخدام الوسائط المتعددة لربط التعليم بالحياة وإثارة دافعية التعلم لدى المتعلم وتكوين المهارات السليمة والتدريب على أنماط العقل النقدي التحليلي الابتكاري؛

4) الفروق الفردية بين المتعلمين: اتساع القاعدة الطلابية وهذا أدى إلى عدم تجانس الفصول التعليمية فظهرت الفروق الفردية للمتعلمين داخل الفصل الدراسي الواحد فقد يتفقون في العمر الزمني إلا أنهم يختلفون في درجة الذكاء مما يؤدّي بالنتيجة إلى اختلاف القدرات والاستعدادات والميول والرغبات.

وحتى تتجاوز النظم التربوية إشكالية الفروق الفردية لابد من اللجوء إلى استخدام الوسائط المتعددة لما توفره هذه الوسائل من مثيرات متعددة النوعية وعرضها لهذه المثيرات بطرق وأساليب مختلفة تتيح للمتعلم فرصة الاختيار المناسب منها الذي يتفق مع قابليته ورغباته وميوله؛

5) تطوير نوعية المعلمين: أدى التطور التكنولوجي، ووسائل الإعلام، وازدحام الفصول والقاعات الدراسية، وتطور فلسفة التعليم إلى ضرورة إعداد المعلم المستمر، فلا يمكن أن يكتفي بالإعداد قبل الخدمة فقط بل وجب عليه إعادة تدريبه أثناء الخدمة ليساير التطورات ويتمكن من مواجهة تحديات العصر؛

6) تشويق المتعلم في التعلم: إن طبيعة الوسائط المتعددة طبيعة تتصف بالإثارة لأنها تقدم المادة التعليمية بأسلوب جديد، سهل وبسيط يختلف عن الطريقة اللفظية التقليدية، وهذا ما يحبب إلى نفس المتعلم ما يتعلمه، ويثير لديه الرغبة فيه ويقوي لديه الاستقلالية في التعلم والاعتماد على النفس.

7) جودة طرق التعليم: يساعد استعمال الوسائط المتعددة على تكوين مدركات ومفاهيم علمية سليمة مفيدة، فمهما كانت اللغة واضحة في توصيل المعلومة للمتعلم، يبقى أثرها محدودا ومؤقتا بالمقارنة مع أثر استخدام الوسائل التقنية التي تزيد القدرة على الاستيعاب، وتكوين الاتجاهات والقيم، بما تقدمه لهم من إمكانية على دقة الملاحظة، والتمرين على إتباع أسلوب التفكير العلمي، للوصول إلى حل المشكلات، وترتيب واستمرار الأفكار التي يكونها المتعلم؛ كما أنها توفر لديه خبرات حقيقية تقرب واقعه إليه.

المحور الثاني: دور الوسائط المتعددة في تنمية التعليم الجامعية

أدت التطورات المتسارعة في السنوات القليلة الماضية في مجالات تقنيات الحاسوب والوسائط المتعددة إلى اكتشاف إمكانيات جديدة لم تكن معروفة من قبل، كما ظهر أثرها بوضوح في جميع مجالات الحياة اليومية، ومنها في مجال التعليم لما لها من مميزات عديدة في توفير الجهد والوقت والمال، إلى جانب ما تتمتع به هذه التقنيات من إمكانية في التحاور مع المتعلم، الذي أصبح محور العملية التعليمية.

فالتطورات التكنولوجية في مجال تكنولوجيا المعلومات من حيث سرعة ودقة النقل عبر الوسائط المتعددة، مهدت لإحداث نقلة نوعية في تقديم التعليم الجامعي، تتجلى أهم مظاهرها في إنهاء القطيعة بين التعليم الجامعي التقليدي والتعليم غير التقليدي، والذي يعرف بالتعليم الافتراضي، ويرجع الفضل في ذلك إلى الدور الذي تلعبه الوسائط المتعددة والتي يمكن توضيح مساهماتها في النقاط التالية :

✓ زيادة فعالية وجودة التعليم: معظم الأبحاث والدراسات تؤكد أن الوسائط المتعددة التعليمية المبنية على الحاسبات الآلية، التي توظف بطريقة ملائمة، تساهم في جودة المخرجات التعليمية وزيادة فعالية التعليم؛ بالإضافة إلى تحسين جودة خبرات التعلم من خلال استخدام تطبيقات تقنية المعلومات والاتصال لإثراء التعلم، وتحسين برامج التعليم عن بعد من خلال التقليل من عزلة المتعلمين، ودعم العمل التعاوني بينهم والتفاعلات النشطة التي تتطلبها العملية التعليمية. [1]

✓ تحقيق العدالة والمساواة : أثبتت الدراسات والبحوث التي عملت في هذا المجال، أن الاعتماد على هذه الوسائط في المعاهد التعليمية والجامعات، يخدم حاجات المواطنين الخاصة في حق الوصول إلى الخدمات والموارد التعليمية، ذات الجودة والفعالية بغض النظر عن الفقر والبعد عن المراكز الحضرية، ومن هنا يمكن أن تلعب برامج التعليم التعويضية التي يجب أن تقدمها المؤسسات التعليمية والهيئات والمنظمات المهتمة بالتعليم والتدريب دوراً أساسياً وجوهريا في تحقيق مبدأ العدالة والمساواة في اكتساب الحق للتعليم، ومن جهة أخرى يمكن أن ينطبق هذا الحق في التعليم والوصول إلى مصادر التعليم على ملكية الحاسبات الآلية التي تتزود بها الأسر خارج جدران المعاهد والكليات على الرغم من تعاون دخولها وتباين مواقعها؛

✓ قلة التكلفة: تعتبر تكلفة استخدام التكنولوجيا الحديثة تكلفة متواضعة وزهيدة، وخاصة فيما يتصل بالميزانيات المتعلقة بالتعليم العالي، فعلى سبيل المثال يلاحظ أن تكلفة الحاسبات الآلية اليوم أقل مما كانت

---

[1] بدر بن عبد الله الصالح،" التعليم الجامعي الافتراضي: دراسة مقارنة لجامعات عربية وأجنبية افتراضية مختارة "، مجلة كليات المعلمين : العلوم التربوية، المجلد السابع، العدد الأول، جامعة الملك سعود، الرياض، محرم1428هـ /مارس2007 م، ص135 .

عليه في الماضي، وهذه التكلفة الزهيدة تجعل من الحكومات والمنظمات والهيئات المسؤولة عن التعليم العالي تسعى جاهدة إلى إدخال هذه التكنولوجيا إلى مؤسساتها والاستفادة منها؛

✓ مجاراة التحديات : فالتعليم في العصر الحالي يواجه تحديات أفرزتها ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، الأمر الذي يتطلب ضرورة السعي إلى إحداث تنمية معلوماتية وتكنولوجية للطلاب والمعلمين، والذين يمثلون القاعدة العريضة في أي قطر عربي. ومن التحديات التي يجب مجاراتها لتحقيق الاستخدام الفعال للتكنولوجيا التعليمية في المدارس والمعاهد والكليات ما يلي :

أ – تنمية وتدريب المدرسين وأعضاء هيئة التدريس لاكتشاف الفرص التعليمية التي تقدمها التكنولوجيا الحديثة، لزيادة فعالية وكفاءة عملية التعلم لفائدة الطلاب؛

ب – تأكيد تطوير وإمداد برمجيات محتوى التعلم، التي تتسم بالجودة العالية، فإعداد عضو هيئة التدريس والباحثين يحتاج إلى استخدام تكنولوجيا عالية الجودة، بحيث يزود بمهارات معينة يحتاج إليها، لكي يتفاعل مع هذه التكنولوجيا، ويتمكن من استغلالها واستثمارها وتوظيفها في مهنته، كما أن البرمجيات التعليمية تقدم تحديا مختلفا إلى حد ما، حيث أنه يطور ويباع تجاريا في الغالب، وتلعب البرمجيات المتوفرة تجاريا على نطاق واسع مثل معالجات النص، والجداول الإلكترونية، ومتصفحات الأنترنت وبرمجيات العرض وغير ذلك من البرمجيات، أدوارا مهمة في المعاهد والجامعات المتزودة بالحاسبات الآلية.[1]

المحور الثالث: الأشكال الحديثة للتعليم الجامعي ومساهمة الوسائط في تنميتها :

نظرا للدور الذي تلعبه الوسائط المتعددة الإلكترونية في تنمية التعليم الجامعي لمواكبة احتياجات العصر للمعرفة المتجددة التي لا تتقيد بالمكان ولا بالزمان ولا بالفصول التعليمية المجردة، استوجب من المنظومات التعليمية تبني خطوات إصلاح وتعديل وإنعاش لمناهجها وبرامجها قصد التكيف أو الاستجابة للوضع الراهن مع هذه الوجهة الإصلاحية المفروضة، حيث أن كل المجهودات أصبحت تصب في سياق اقتصاد المعرفة واكتساب الخبرة الضرورية، وأيضا فتح المجال للطلاب بهدف تعلم ما يريدون حينما يريدون وبالقدر الذي يريدون كما يستطيعون تقييم ما تعلموه، وهذا ما أدى إلى تحول الفصول والصفوف الدراسية إلي فصول افتراضية، وغير من شكل التفاعل والاتصال ومدخلات التعلم وأساليب التقويم. ونظرا لتصاعد التطور التقني تغيرت أشكال التعليم بوجه عام، حيث لم يعد هذا الأخير كما كان عليه في القديم وإنما اختلف حسب اختلاف التقنية، فتطور شبكات البريد أنتج التعليم بالمراسلة عبر المواد المطبوعة والمكتوبة، وأدى البث الإذاعي إلى استخدام الراديو في التعليم، ومن خلال تقدم الصناعات الكهربائية والافتراضية ازداد دور الصوتيات بشكل عام في التعليم من خلال أجهزة التسجيل، ثم ظهر التلفزيون، وتلاه الفيديو، وازدادت أهمية أشكال البث التعليمي، سمعا ورؤية، ومع شيوع استعمال الأقمار الصناعية، وانتشار الحاسبات

---

[1] رمزي أحمد عبد الحي، "التعليم العالي الإلكتروني محدداته ومبرراته ووسائطه- " ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،،2005، ص114 .

الشخصية وشبكات الحاسب الآلي، حيث أصبحت تطبيقات الحاسبات خاصة تلك القائمة على التفاعل ومن أبرزها الأنترنت، من أهم وسائل التعليم عن بعد، وأكثرها فاعلية.[1]

والتعليم عن بعد بدوره عرف تطورا عبر عدة مراحل ليصل إلى احدث أنواع التعليم إلا وهي التعليم الإلكتروني، والتعليم الافتراضي، ويمكن اختصار أهم المراحل التي عرفها التعليم عن بعد فيما يلي:

ونظرا لتعدد أنواع التعليم فانه سيتم الاهتمام بشكل خاص بالتعليم الافتراضي على مستوى التعليم العالي نظرا لأهميته في العصر الحالي وتسارع الدول المتقدمة إلى تنمية هذا النوع.

I- أساسيات حول التعليم الافتراضي:

تتداخل المفاهيم في بعض الكتابات لذلك وجب التطرق إلى تعريفها وتوضيح أهمها فيما يلي:

1) تعريف التعليم عن بعد:

"هو عملية تحويل التعليم التقليدي (وجهاً لوجه) إلى شكل رقمي للاستخدام عن بعد ".[2]

كما يمكن تعريفه حسب العالم **زيجريل** (Zigerell) : أن التعليم عن بعد هو إحدى صيغ التعليم التي تتصف بفصل طبيعي بين المدرس والطالب، باستثناء بعض اللقاءات التي يعقدها المدرس مع الطالب وجهاً لوجه لمناقشة بعض المشروعات البحثية، ويوضح **زيجريل**، أن التعليم عن بعد يختلف عن التعليم بالمراسلة من حيث إنه يستلزم بعض الفرص لتفاعل الطالب مع المعلم.[3]

2) **تعريف التعليم الإلكتروني:** يقول نيجر وبوني 1995 : إن الذرات المتحركة بطُلت وان البايت المتحرك هو الطريق المستقبل، فالذرات تمثل الأشكال المادة في حين أن البايت يمثل وحدات المعلومات التي يمكن نقلها الكترونياً وآنيا على مستوى العالم، وعلى هذا الأساس فإن الجامعة أوالمدرسة الحالية سيحل محلها الجامعة كشبكة ويتحول نمط التعليم حسب الحاجة والوقت وسيكون أقوى اتجاه في التعليم.[4]

3) **التعليم الافتراضي- الجامعي:**تعبر الآراء التي يطرحونها الباحثون لمفهوم التعليم الجامعي الافتراضي عن الجوانب التي ينظرون اليها للموضوع، والتي أمكن تصنيفها لتعبر عن التطور الذي حصل لهذا المفهوم كفصول افتراضية عن بعد لا تتحدد بالوقت أوبالموقع المادي، إلى مرحلة كونها مؤسسة علمية تتمثل في الجامعة الافتراضية.[5]

---

[1] محمد محمود زين الدين، "اثر تجربة التعليم الإلكتروني في المدارس الإعدادية المصرية على التحصيل الدراسي للطلاب واتجاهاتهم نحوها"، المؤتمر العلمي الثاني حول منظومة البحث العلمي في مصر– التحديات، المعايير، الرؤى المستقبلية، جامعة قناة السويس، افريل 2006، ص1 .

[2] بشير عباس محمود العلاق، "استثمار أساليب وتقنيات المعلومات والاتصالات في بيئة التعليم الإلكترونية - تجربة التعليم الإلكتروني- "، المؤتمر الدولي السنوي الرابع حول إدارة المعرفة في العالم العربي، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الزيتونة، الأردن، 26-28 أفريل 2004،ص08.

[3] احمد محمد العنزاوي، "واقع ومستقبل التعليم عن بعد في الوطن العربي"، تم الاطلاع بتاريخ : 28-02-2016، من الموقع الالكتروني: http://www.arabcin.net/arabiaal/1-2002/15.html

[4] حمدي احمد عبد العزيز،"التعليم الإلكتروني: الفلسفة المبادئ الأدوات التطبيقات"،ط1، مجلد1، دار الفكر، عمان، الأردن، 2008، ص 15

[5] الخناق وسيلة، "المعوقات والتحديات التي تواجه التعليم الافتراضي الجامعي – التجربة الماليزية والعربية"، مجلة أبحاث اقتصادية وأدارية، العدد الحادي عشر، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، جوان 2012، ص 199.

4) **مفهوم الجامعة الافتراضية** :يعرف (موشتر) مصطلح الافتراضية باعتباره كلمة تدل على شكل غير تقليدي لكيان مجتمعي يعتمد بناؤه وعمله بشكل أساسي على التكنولوجيا والحاسبات والاتصال حيث لا وجود للقيود الزمانية والمكانية، ولا يشترط وجود جوانب مادية فيها كالمكاتب والمدارس والجامعات نضرا لأنها تقدم خدماتها على الشبكات معتمدة على برامج الحاسوب في بيئة العمل الافتراضي.[1]

ويرى سمول **small** أنه لا يميز بين مصطلح إلكتروني ومصطلح افتراضي في كثير من استخدامهما إذ يداخل بينهما أحياناً أويعادلان، إلا أن التعليم الإلكتروني أوالتقديم الإلكتروني لمواد التدريس يعتبر سمة مميزة للجامعات الافتراضية، وهو بذلك ووفقاً لما يذكره ميتراخ وشلاجيتر(1998) **Mittrch & Schlageter** لا يشكل إلا مفهوم جزئي من المفهوم الكلي للجامعة الافتراضية فهي تدعم كل أشكال التعليم عن بعد.[2]·وتتكون الجامعة الافتراضية من العناصر التالية:

أ- **الحرم الجامعي الافتراضي**: عبارة عن موقع على الأنترنت يستطيع الدارس الدخول إليه والتجول بين الكليات الافتراضية والأقسام ولوحات الاتصال عن طريق الاتصال بالأنترنت دون الذهاب الفعلي للمؤسسة موقع الدراسة.

ب-**الفصل الافتراضي:** مجموعة من الأنشطة التي تشبه أنشطة الفصل التقليدي يقوم بها معلم وطالب، تفصل بينهم حواجز مكانية لكنهم يعملون معًا في نفس الوقت بغض النظر عن مكان تواجدهم حيث يتفاعل الطلاب والمعلم مع بعضهم عن طريق الحوار عبر الأنترنت ،ويقومون بطباعة رسائل يستطيع كل من اتصل بالشبكة رؤيتها.[3]

ج- **المكتبة الجامعية الافتراضية:** وهي عبارة عن مجموعة من أوعية المعلومات المحسوبة رقميا والمركبة بطريقة خاصة تلائم طريقة الاستخدام من خلال شبكات المعلومات التي تمكن من الوصول الى المعلومات مهما بعدت المسافات وتقديم كافة الخدمات التي تقدمها المكتبات التقليدية.[4]

II- أهم عوامل نشوء ظاهرة التعليم الجامعي الافتراضي:[5]

لقد ساهمت الوسائط المتعددة إلى حد كبير في ظهور هذا النوع من التعليم ولكن ذلك بالتزاوج مع عوامل أخرى أهمها:التفكير الجديد حول رسالة الجامعة ووظائفها الجوهرية، والتوجّه نحو مزيد من نماذج التعلم المرتكزة حول المتعلم، وهو توجّه يعطي أهمية أكبر لدور أكثر نشاطاً من قبل المتعلم؛

✓ ازدياد إمكانات تقنية المعلومات والاتصال، ومرونتها، وملاءمتها لتطبيقات تعليمية متنوعة، مصحوباً ذلك بتناقص مستمر في تكلفتها، وازدياد توافرها على نطاق واسع، وقد أدى ذلك إلى (رقمنة) المعرفة، وعولمة المعلومات، وزيادة فرص الوصول إليها؛

---

(1) عبد الستار العلي وآخرون، "مدخل الى إدارة المعرفة"، دار المسيرة، عمان، الاردن، ص130 .

(2) بدر بن عبد الله الصالح، " التعليم الجامعي الافتراضي: دراسة مقارنة لجامعات عربية وأجنبية افتراضية مختارة"، مجلة كليات المعلمين : العلوم التربوية، المجلد السابع، العدد الأول، جامعة الملك سعود، الرياض محرم 1428هـ /مارس2007 م،ص 107 .

(3) **سالم أحمد محمد، " تكنولوجيا التعليم والتعليم التكنولوجي". القاهرة، 2004، ص 30**

(4) الخناق وسيلة، مرجع سبق ذكره، ص 199 .

(5) بدر بن عبد الله الصالح، مرجع سبق ذكره، ص138 .

✓ الاستثمارات الجديدة في البنية التحتية المعلوماتية للمدن الجامعية لجعل الجامعة أكثر جذباً وأكثر قدرة على المنافسة؛

✓ ازدياد الحاجة إلى التعليم المستمر، وتزايد قبول مفهوم التعلم مدى الحياة نظراً للتغيرات التي تشهدها المجتمعات المتمثلة بنمو المعرفة، والضغط المتزايد على أنماط التعليم التقليدية، والتحول من الوظائف التقليدية الدائمة إلى الوظائف المؤقتة، مما يتطلب أساليب تعليم وتدريب جديدة ومصادر سهلة للتعلم المرن لاكتساب المهارات التي تتطلبها هذه التغيرات؛

✓ توفير فرص تعلم افتراضي للعدد المتزايد من الطلاب الراغبين في هذا النوع من التعلم؛

✓ دعم القدرة التنافسية للجامعة في حقبة انفتاح الحدود التربوية للتعليم الجامعي إلى ما وراء النطاق المحلي، ومواجهة احتمالية تخلف الجامعة في بيئات تعلم افتراضية شديدة التنافس، وزيادة الفرص التجارية والتسويقية لمؤسسات التعليم العالي، وتحقيق مردود مالي يمكن أن يسهم بتوفير تعليم يتميز بالجودة.

III- أهمية الوسائط المتعددة في تنمية التعليم الجامعي الافتراضي:يرى **أريك هولسينجر**: بأنه بمقدور الوسائط المتعددة أن تكون إحدى أقوى الأشكال في نقل الأفكار والبحث عن المعلومات وتجربة الأفكار الجديدة لأي وسيط اتصال تم تطويره، والقسم الأكبر من برامج التلفزيون والأفلام والرسوم الفنية والكتب والمجلات والتسجيلات الإذاعية والرسوم المتحركة هي جزء من مشاريع وسائط متعددة، وهنا تكمن القدرة الأساسية فالبرنامج الجيد للوسائل المتعددة يستطيع فعلياً توفير تجربة أكثر واقعية مقارنة مع بقية الوسائط كل على حدة، كما تضيف الوسائط المتعددة ميزة مهمة أخرى إلى هذا الخليط وهي التفاعلية.[1]

وانطلاقا من رأي **أريك هولسينجر** فانه يمكن استخلاص أهمية الوسائط في النقاط التالية:

✓ قد أدى ظهور إمكانات إحداث التزاوج بين الفيديو والكمبيوتر، إلى حدوث طفرة هائلة في مجال تصميم وإنتاج برامج الوسائط المتعددة وعرضها من خلال الكمبيوتر والوسائل الإلكترونية، فمن خلال التعرف على طبيعة بيئة التعلم اللازمة لاستخدام تكنولوجيا الوسائط المتعددة في التعليم، وكذلك طبيعة الفئة المستهدفة من المتعلمين، وأيضا تحديد الحد الأدنى لعدد الوسائل المستخدمة في بناء برامج الوسائط المتعددة، وإمكانية توظيفها عند تصميم هذه البرامج، كلما ساعد ذلك على التميز في تصميم وإنتاج برامج الوسائط المتعددة بصورة أفضل؛

✓ اليوم أصبح وجود هذه الأجهزة في الجامعة الحديثة ضرورة حتمية غير قابلة للنقاش حيث تشكل هذه الأجهزة بمعطياتها الفنية قدرة فاعلة في عرض وتقديم المواد التعليمية للمتعلم بصيغة جديدة تعتمد استخدام الصوت والمؤثرات الصوتية، مما يثير انتباه الطالب للمحاضرة ويزيد من مشاركته في عملية التعلم والتعليم بجو مليء بالتشويق والحيوية، بعكس الاعتماد على استخدام الكلمة المنطوقة فقط التي كانت أساسا للتعليم ذلك أنها تحد من دور حواس المتعلم وتجعله مجرد مستمع لعملية تلقينية غير محببة له، والوسيلة التعليمية إذا أعدت بشكل متقن وفاعل تثري المادة التعليمية وتجعلها أكثر محسوسية، مما يساعد المتعلم على نقل أثر ما تعلمه بواسطتها إلى الحياة العملية، وتبقى المعلومات حية في ذهنه.

[1] عبد الحميد بسيوني،" الوسائط المتعددة- حاسبات الكترونية"، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2001، ص 11.

✓ إضافة إلى ذلك فإن توظيف التقنية في التعليم تؤدي إلى زيادة خبرة الطالب مما يجعله مستعد للتعلم وهذه الخبرات قد أشار أليها **إدجار وديل** في المخروط الذي وضعه الذي يسمى بمخروط الخبرة حيث تمثل الخبرات المجردة التي تعتمد على الخيال كالرموز اللفظية رأس المخروط، وتمثل الخبرات الملموسة التي تعتمد على الممارسة الفعلية قاعدة المخروط؛ [1]

✓ إن التعليم عن طريق الوسائط المتعددة يمثل أحدث شكل من أشكال التعليم عن بعد إذ كان هذا الأخير في بادئ الأمر يعتمد على المراسلة عن طريق البريد وكانت الدروس ترسل مطبوعة على الورق قبل أن تتطور في وقت لاحق، وتستعمل الأسطوانات اللينة ثم الليزرية، والتطور الحاصل الآن هو نتاج عاملين رئيسين أولهما التقدم الرقمي الذي أتاح خاصة إمكانية استخدام الوسائط الحديثة من خلال دمج محتويات متنوعة كالنص والصوت والصورة والفيديو، والتي كانت في السابق تتطلب حوامل مختلفة، أما العامل الثاني فهو التطور الكبير الذي حصل في عالم الاتصال والشبكات وخاصة شبكة الإنترنت وما أفرزته من خدمات اتصال سريعة وتقديم حيني للمعلومات؛

✓ القضاء على عملية التعليم التلقيني الذي يعتمد على التلقين ويكون فيه المتعلم مجرد متلقي سلبي للمعلومات لكي يعطي المتعلم دورا أساسيا في عملية تعلمه الذاتي، لأنه بفضل الدروس التفاعلية والأسلوب التجاوبي يصبح هو المسؤول عن البحث، والوصول إلى المعلومة، والقيام بتمارين التقييم الذاتي ليقيم مدى استيعابه للدرس؛تحسين جودة المحتويات والمضامين البيداغوجيّة، وذلك باستعمال تقنيات الوسائط المتعددة والتكنولوجيا الرقميّة، والتغلب على عدد كبير من سلبيات ومشاكل التعليم كمشكلة تضخم المادة التعليمية وقصور طرق التعليم التقليدية كالمطبوعات؛

✓ الضغط على مصاريف الورشات والمختبرات التي عادة ما تكون مكلفة خاصة بالنسبة لمؤسسات التعليم حيث تعوض المخابر الافتراضية المخابر الحقيقية، وتستعمل المقررات المصاغة بتقنيات الوسائط المتعددة تعليم بطريقة المحاكاة، والتي بالإمكان أن تحتوي على مقاطع فيديو لعرض التجارب والمعدات الصناعية والتقنية الحقيقية. [2]

IV- شروط نجاح الجامعة الافتراضية: [3]يعرف التعليم الجامعي والعالي مرحلة جديدة، تتحول فيها جامعات التعليم عن بعد التقليدية إلى جامعات افتراضية ينظر إليها البعض أمثال (**e.g. Miltiado 1999, McConnell, 2003**) إلى ان التعلم الافتراضي على الشبكة العنكبوتية سيكون أسلوب التعليم في القرن الحادي والعشرين، إلا أن المجال لا يزال بحاجة إلى مزيد من الأبحاث لكي يحقق هذا التعلم النجاح المطلوب، غير انه يمكن إيجاز أهم العوامل التي يمكن أن تحقق نجاح الجامعة الافتراضية فيما يأتي:

---

[1] أكرم محمد أحمد الحاج، " أثر إدارة واستخدام الوسائط التعليمية الإلكترونية في التعليم بجامعة الجوف "دراسة إحصائية"، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية- جامعة الوادي، العدد الرابع، جانفي 2014، ص 15 .

[2] الدآتور محمد الجمني، "استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال في مؤسسات التعليم والتدريب التقني والمهني"، الندوة الدولية لتطوير أساليب التدريس والتعلم في برامج التعليم والتدريب التقني والمهني باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال، تونس، 22 – 20 نوفمبر/تشرين الثاني 2006، ص8 .

[3] بدر بن عبد الله، مرجع سبق ذكره، ص140 .

✓ **أصول علم التدريس:** في سياق التعلم الافتراضي، لن يحقق نقل نماذج التدريس التقليدية إلى بيئات افتراضية النجاح المطلوب، دون اعتبار لمضامين علم التدريس ومضمون ذلك أن يتم اختيار نظام التوصيل التقني في ضوء متطلبات مبادئ علم التدريس، وينبغي استخدام نظم توصيل ونماذج تعليمية توفر مرونة المكان، وتحقق التوازن المطلوب بين الصفوف التقليدية والتعلم الافتراضي من خلال تفاعلات تزامنية وغير تزامنية، وتعلم تعاوني وتشاركي من جهة، وتعلم ذاتي من جهة أخرى، وفي جميع الأحوال، ينبغي تطبيق المبادئ المناسبة من علم التدريس (سلوكية أوبنائية أوكليهما) بناءً على مخرجات التعلم المرغوبة، وتوفير البنية التقنية، والدعم التقني والتعليمي التي يتطلبها النموذج التعليمي المرغوب؛

✓ **تطوير المقررات الافتراضية:** تطوير نظام مناسب لإنتاج المقررات الافتراضية من خلال فريق يجمع بين مصممي التعليم وخبراء المحتوى، واختصاصي الوسائط المتعددة، ومصممي الشبكة العنكبوتية؛

✓ **التمويل:** الجامعة الافتراضية مشروع مكلف، ولهذا فإنها تتطلب توفير مستويات كافية من التمويل لدعم عملياتها وبرامجها، بما يحقق متطلبات توفير الدعم المهني، وخدمات الطالب، والإتاحة السهلة للتقنية ومصادر المعلومات وغيرها من مكونات منظومة الجامعة الافتراضية؛

✓ **نظام الدعم:** يمثل توفير نظام دعم قوي أهمية قصوى لجميع عمليات الجامعة الافتراضية ويأتي في مقدمة ذلك، دعم تقني وإداري وتعليمي لهيئة التدريس والطلاب والنظام المستخدم، بما في ذلك توفير خدمات الطالب وتكاملها من خلال بيئة افتراضية سهلة ومرنة؛

✓ **التطوير المهني:** يعد توفير مصادر التطوير المهني وفرص التدريب المستمر لهيئة التدريس عنصراً متكاملاً في عملية تطوير وتشغيل جامعة افتراضية ناجحة لأنها تشجع هيئة التدريس على المشاركة في تصميم المقررات الافتراضية وتدريسها، وهذا يتطلب وضع نموذج خاص بمهارات تقنية المعلومات والاتصال وعلم التدريس المطلوبة لبيئات التعلم الافتراضية، وتدريب هيئة التدريس فيها للتكيف والتعامل بكفاءة مع نظام التوصيل الجديد، إضافة إلى نظام حوافز يحفّزها على المساهمة والمشاركة؛

✓ **معايير الجودة:** يتطلب بناء جامعة افتراضية قابلة للاستمرار وتحقق رسالتها بمستوى مقبول من الكفاءة والتكلفة أن تتحمل الجامعة مسئوليتها تجاه قياس تقدمها في تحقيق أهدافها، ويستدعي ذلك تطوير أوتبني معايير جودة تستطيع من خلالها قياس أداءها ومقارنته بنماذج متميزة وينبغي أن تكون هذه المعايير شاملة لمكوناتها وعملياتها مثل: الدعم المؤسسي، وتطوير المقررات، وأساليب التعليم والتعلم، ودعم هيئة التدريس والطالب وغيرها؛

✓ **بنية تقنية قوية:** ينبغي أن تكون الجامعة الافتراضية على استعداد لتوفير تمويل كافٍ لتأسيس بنية تقنية قوية، مع توفير الدعم المطلوب للتكاليف المستمرة الخاصة بالصيانة والتحديث المستمرين؛

✓ **بنية برامج إلكترونية مناسبة:** توفير برامج مناسبة لإدارة عمليات الجامعة الافتراضية مثل برامج إدارة التعلم، ونظام خدمة معلومات الطالب وغيرها؛

✓ **الملكية الفكرية:** وضع القوانين والسياسات المناسب لحماية حقوق الطبع والملكية الفكرية الخاصة بإعداد المواد التعليمية التي ينتجها أعضاء هيئة التدريس أو جهات معينة، أو المواد الخاصة بالجامعة

نفسها، وكذلك القضايا الأمنية الخاصة بحماية المواد على الشبكة التزامنية. وهذا من شأنه أن يشجع هيئة التدريس على المشاركة في إنتاج المواد الافتراضية، وتحسينها بصفة مستمرة.

المحور الرابع : واقع تنمية الوسائط المتعددة للجامعة الافتراضية في الجزائر: لم تبق الجزائر في منأى عما يحدث من تطور عالمي في هذا المجال ولذا بدت بعض بوادر انضمامها للركب الحضاري لتطوير التعليم والإنجاز البشري في السنوات الأخيرة، فكانت أولى الخطوات هي الشروع في تكوين المكونين على جهاز الحاسوب أثناء الخدمة، وبعدها كانت تعليمة وضع مخابر لأجهزة الحاسوب بالثانويات وإدخال الأنترنيت وجعل مادة الإعلام الآلي إجبارية التعلم في السنوات الأولى ثانوي، وتزامنت هذه الإجراءات مع تغيير طريقة التدريس من الأهداف إلى الكفاءات. [1]

بالنسبة للتجربة الجزائرية في استخدام وسائط التعليم الإلكتروني عن بعد في التعليم العالي، لازالت في بدايتها وتراوح مكانها، قد يرجع ذلك لغياب الوعي بفعالية هذا النوع من التعليم ومدى مساهمته في رفع المستوى العلمي ولتأهيلي للفرد، رغم ذلك إلا أن التجربة الجزائرية الأولى بدأت بمحاولة تجربة مؤسسة (EEPAD)، وتجربة المركز الوطني للتعليم المهني عن بعد (CNEPD) أول تجربة في ميدان التعليم الافتراضي، والتي لازالت قائمة، تتولى الإشراف عليها جامعة التكوين المتواصل، التي أنشئت موقعا افتراضيا تبث من خلاله دروسا مكملة لطلبتها في بعض التخصصات.

- عرض مشروع AUF[*] لفتح فرع المستير (Master) في مجال التبصر والتصور في ميدان التصميم بواسطة الكمبيوتر؛
- Transfert AUF : تكوين مكونين في ميدان التعليم الافتراضي. أرضية التعليم الافتراضي المستعملة هي [**] ACOLA؛
- DESS UTICEF[***] : تكوين (Master) اختصاصين في مجال استعمال تكنولوجية المعلومات والاتصال لفائدة التعليم والتكوين، جامعة لوي باس تور (ستراسبورج) ومركز الدراسة والبحث في المعلومات العلمية والتقنية (CERIST) مكلفان بهذه المهمة؛
- COSELEARN: تكوين اختصاصين تربويين وتقنيين في استعمال أرضية QUALILEARNING بين وزارة التعليم العالي والبحث العلمي من جهة والمديرية السويسرية للتنمية والتعاون من جهة أخرى مكلفان بهذه المهمة؛
- تجهيز الجامعات الجزائرية بالمعدات اللازمة لتطبيق التكوين عن بعد: تموين هذه العملية قامت به وزارة التعليم العالي والبحث العلمي التي خصصت ميزانية معتبرة (مليار وثلاث مئة وخمسون مليون دينارا جزائريا)؛
- FORTIF تكوين اختصاصين ومكونين في مجال التعليم عن بعد: المشاركون في هذا المشروع هم: جامعة التعليم المتواصل الجزائرية، اليونسكو CNAM، CNED الفرنسي وفرقة A6؛
- إعداد الدروس في الأنترنت (Web) باستخدام أرضية التعليم الافتراضي سربولي (SERPOLET) للتعلم عن بعد: جامعة التكوين المتواصل مكلفة بهذا المشروع؛

---

[1] نرجس زكري، "التعليم بالحاسوب وأثره في تنمية مهارة حل المشكلات لدى تلاميذ الثانية ثانوي علوم تجريبية- **مادة العلوم الطبيعية نموذجاً-"، العدد العاشر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ورقلة، مارس 2013، ص 301.**

- مشروع FPD-CARO مبادرة من طرف جامعة بجاية تتمثل في فكرة إدخال ممارسات تربوية جديدة أساسها الاستقلالية (autonomy) الاجتماعي التعلم (Social Learning) ، التناقض المعرفي، التعلم الذاتي وبناء المعرفة إثر نشطات تربوية. [1]
- مشروع التعليم عن بعد COSELEARN يعد برنامجا للتعاون بين وزارة التعليم العالي والبحث العلمي 26 إن برنامج التعليم عن بعد والمؤسسة السويسرية QUALILEARNING ويضم أيضا تسعة (9) بلدان من الساحل والمغرب العربي.

يتمحور هذا البرنامج حول التكوين في مبادئ التعليم عن بعد، وقد انتهت المرحلة الأولى منه في سنة 2007 ومكنت من تكوين أربعة وثلاثون (34) خبيرا وتم توظيفهم كأساتذة أو مهندسين في عدة مؤسسات جامعية جزائرية؛

أما المرحلة الثانية من برنامج التعليم عن بعد (COSELEARN) التي بدأت في شهر مارس من سنة 2009 وتضمنت تكوين اختصاصيين في التعليم الإلكتروني، فقد كانت تهدف عموما إلى :

✓ إنشاء، تقوية وتطوير الفرق الدائمة للدعم البيداغوجي والتقني؛

✓ المساهمة في رفع التحدي المتمثل في زيادة في كثافة الأعداد الطلابية، لاسيما من خلال توفير بيئة تكنولوجية للعمل التي تجمع الجامعات الشريكة، وتمنح لآلاف الطلبة فرصة الحصول مجانا على عدة خدمات، منها (العنوان الإلكتروني، الأجندة المشتركة، تخزين الوثائق، ألخ...

مشروع (FPD-CARO): وهي مبادرة من جامعة بجاية ويتمثل في طرح فكرة التعلم المزدوج: التقليدي (حضوري)/ الافتراضي، وتنفيذ استراتيجية إدخال التعلم الافتراضي. [2]

أما التجربة الثانية فتصنف ضمن إنجاز شبكة التعليم المرئي عن بعد (التي أقيمت في إطار مشروع وزاري لوزارة التعليم العالي حيث ألقيت محاضرة مباشرة بالمركز الجامعي بورقلة)، اختبرت بين جامعة الجزائر من الجزائر تعنى بحقوق الإنسان للدكتور عروة من معهد الحقوق أعقبها حوار صحفي من ورقلة مع وزير التعليم العالي آنذاك وكانت تجربة جد ناجحة بالرغم من العقبات التقنية وقلة التجهيزات وقد تم الإشراف على العملية من طرف مركز تنمية التكنولوجيات المتقدمةCDTA،لكن لم يتواصل العمل بشبكة التعليم المرئي عن بعد، منذ اختبارها، لكن عن قريب سوف تستأنف العمل بصفة دائمة حسب برنامج سيسطر بين الجامعتين، بعدما أزيلت العقبات التقنية الناتجة عن البعد، بغرض استخدامها في تبادل الخبرات بين المؤسستين وإقامة الندوات والملتقيات الإلكترونية؛ ويتوقع أن تعمم هذه الشبكة على باقي مؤسسات التعليم العالي .على ضوء هذين التجربتين. [3]

(*) **AUF :** Agence Universitaire de la Francophonie .

(**) **ACOLAD :** Apprentissage Collaboratif A Distance (أرضية التعليم الافتراضي) .

(***) **DESS UTICEF :** Diplôme d'Etudes Supérieur Spécialisé en Utilisation des Technologies de l'Information et de la Communication pour l'Enseignement et la Formation

(1) نصر الدين غراف،" التعليم الإلكتروني ومستقبل الإصلاحات بالجامعة الجزائرية"، مجلة RIST، مج 19، ع 2، ص 68 .

(2) المرجع نفسه، ص 74.

(3) إبراهيم بولفلفل، عادل شهب، " واقع التعليم الإلكتروني في الجامعة الجزائرية – دراسة ميدانية – "، المؤتمر الدولي الثالث حول " التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد "،2013، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص 13.

والدراسات التي اهتمت بموضوع تطبيق الوسائط المتعددة في الجامعة الجزائرية توصلت إلى أنها تختلف من قسم إلى آخر ومن كلية إلى أخرى، إذ يزيد استخدامها في التخصصات العلمية والتقنية، في حين يقل في التخصصات الأدبية، كما أنه يزيد استخدامها في التخصصات العلمية والتطبيقية أكثر من التخصصات العلمية النظرية.

واستخدامه بصفة عامة متوسط، حيث أن تقنيات العرض مثل تقنية الداتاشو" Data Chow "أي عرض المعلومات، وتحضير المحاضرات بشكل الباور بونت " PowerPoint "تطورت بشكل لافت، غير أن إتاحة الدروس وتوفرها على الأنترنت لازالت محتشمة نوعا ما، حيث يلجأ بعض الأساتذة إلى عرض دروسهم في مدوناتهم الخاصة بدلا من موقع الجامعة وذلك لضعفه وعدم تحيينه .وفيما يخص الصعوبات التي يواجهها تطبيق التعلم الإلكتروني بصفة عامة في الجامعة الجزائرية فانه يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- ✓ ضعف الأنترنت، حيث يجب توفر سرعة تدفق عالية، وهذا ما تفتقر إليه الجزائر، حيث أن سرعة التدفق حسب آخر الإحصائيات تعتبر من بين الأضعف في العالم؛
- ✓ ضعف مواقع الجامعات وعدم تحيينها بشكل دائم وعدم تنظيمها، نظرا لعدم وجود متخصصين في هذا المجال؛
- ✓ قلة وعي الأستاذ وكذا قلة إقباله على هذا النوع من التعليم نظرا لنقص الاهتمام من طرف المسؤولين به وذلك راجع لكونهم من جيل التعليم التقليدي؛
- ✓ قلة اهتمام الجامعة بهذا النوع من التعليم، وعدم تفعيله من طرف الدول وذلك بعدم تسخير كل الإمكانات اللازمة للنهوض به.
- ✓ قلة رغبة الطالب في هذا النوع من التعلم لأنه يرغب في المحاضرات الجاهزة، ويفضل الطريقة التقليدية بحيث أن هذه الأخيرة تتميز بعدم بدل جهد من طرفه حيث يكتفي فقط بالتلقي. [1]

الخاتمة :إن التطور الكبير في تكنولوجيا المعلومات عامة والوسائط المتعددة خاصة خلق بيئة تعليمية الكترونية متكاملة تعتمد على شبكة فائقة التطور من خلالها يتم تقديم وتطوير كل العمليات الأكاديمية والإدارية للطالب بشكل الكتروني، وهذا ينعكس على تطوير وتحديث عمليات التعليم خاصة الجامعي، وتنمية مخرجاته الكمية والنوعية.

فالنموذج التعليمي القديم المتمثل في الطلاب والأساتذة والقاعات الدراسية والمؤسسات التعليمية قد حل محله نموذجا ومنهجا جديدا يتمثل في التعليم عن بعد، والذي ساهم في ظهور طرق وتقنيات حديثة للتعليم والتعلم، منها التعليم الافتراضي والفصول الافتراضية والواقع الافتراضي...الخ، وهذا التطور في مجال التعليم جاء نتيجة تطور الوسائط المتعددة في المنظومة التعليم.

والجزائر ليست بمنأى عن هذه التغيرات فهي تسعى جاهدة إلى إصلاح التعليم بمختلف مستوياته والتكيّف مع الظروف الجديدة التي يملها تطور التكنولوجيا الإلكترونية خاصة على مستوى التعليم العالي، غير أن محاولاتها محتشمة ولم تصل إلى المستوى المطلوب ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى عدم تخلها عن نمط

---

[1] جمال بلبكاي، "التعليم الالكتروني في ظل التحولات الحالية والرهانات المستقبلية"، المؤتمر الدولي حول التربية وقضايا التنمية في المجتمع الخليجي، جامعة الكويت، 16، 18 مارس 2015 .

التعليم التقليدي الذي لا يزال ساريا بشكل كبير، وأيضا ما زالت المنظومة التعليمية تفتقر إلى الأجهزة الحديثة في التعليم، وأن الجامعات نفسها غير مهيأة لاستخدام مثل هذه الأجهزة أما بالنسبة لوضع البرمجيات التعليمية المعتمدة على الوسائط المتعددة مثل: أفلام الفيديو، برمجيات الحاسوب، الشرائح..الخ، فقد أثبتت هذه الدراسة بأنها غير قادرة إلى إنتاج مثل هذه البرمجيات.

ومن خلال النتائج المتحصل عليها يمكن تقديم بعض التوصيات، نذكر منها:

- تشجيع الطلبة على استخدام تكنولوجيا المعلومات لزيادة خبراتهم فيها، وتوجيه هذه الخبرة نحو التعلم الإلكتروني لزيادة تواصلهم، وتفاعلهم مع هذا النمط من التعليم وإقبالهم عليه، وذلك من خلال عقد الندوات، والمحاضرات التي تتكلم عن أهمية التعليم الإلكتروني، واستخداماته لزيادة إقبال الطلبة عليه.

- ضرورة اهتمام الجامعة بتوفير دورات تدريبية للأساتذة على استخدام تكنولوجيا المعلومات وتقنيات التعليم الإلكتروني، والاهتمام بتوفير الإمكانات، والوسائط المتعددة الإلكترونية التعليمية لتوظيفها في العملية التعليمية؛

- لابد من إدخال التقنيات الحديثة في كل كليات الجامعة المواكبة مع تطور المناهج، مع ضرورة توفير البرمجيات والمواد التعليمية المناسبة لاستخدامها في تدريس هذه المناهج.

المراجع :

الكتب:

[1] احمد عبد العزيز حمدي ،"التعليم الإلكتروني: الفلسفة المبادئ الدورات التطبيقات"،ط1، مجلد1،دار الفكر، عمان، الأردن، 2008، ص 15.

[2] البغدادي محمد رضا،"الأهداف والاختبارات في المناهج وطرق التدريس بين النظرية والتطبيق"، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 253.

[3] السيد علي محمد،" تكنولوجيا التعليم والوسائل التعليمية"، دار الفكر العربي، القاهرة , 2002، ص 148.

[4] العلي عبد الستار وآخرون، "مدخل الى إدارة المعرفة"، دار المسيرة، عمان، الاردن، ص130.

[5] بسيوني عبد الحميد ،" الوسائط المتعددة- حاسبات الكترونية"، دار النشر للجامعات، القاهرة،2001،ص 11.

[6] عبد الحي رمزي أحمد، "التعليم العالي الإلكتروني -محدداته ومبرراته ووسائطه- " ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ،2005، ص114.

[7] عبد اللطيف صوفي، "المعلومات الإلكترونية والمكتبات الجامعية"، مجلة الحوار الفكري، ع3، 2002، ص71.

[8] محمد سالم أحمد،" تكنولوجيا التعليم والتعليم التكنولوجي"،القاهرة،2004، ص 30

المجلات:

[1] اسماعيلي يامنة، مام عواطف، "دور الوسائل التعليمية في إثراء الموقف التعليمي بالجامعة" مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص : الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات في التعليم العالي ،عدد SSH 2014،06..

[2] الصالح بدر بن عبد الله ،" التعليم الجامعي الافتراضي: دراسة مقارنة لجامعات عربية وأجنبية افتراضية مختارة "، مجلة كليات المعلمين : العلوم التربوية، المجلد السابع، العدد الأول، جامعة الملك سعود، الرياض، محرم1428هـ /مارس2007 م،

[3] وسيلة الخناق، "المعوقات والتحديات التي تواجه التعليم الافتراضي الجامعي – التجربة الماليزية والعربية"، مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية، العدد الحادي عشر، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، جوان 2012، ص 199.

[4] الصالح بدر بن عبد الله،" التعليم الجامعي الافتراضي: دراسة مقارنة لجامعات عربية وأجنبية افتراضية مختارة"، مجلة كليات المعلمين : العلوم التربوية، المجلد السابع، العدد الأول، جامعة الملك سعود، الرياض محرم 1428هـ /مارس2007 م ،

[5] الحاج أكرم محمد أحمد،" أثر إدارة واستخدام الوسائط التعليمية الإلكترونية في التعليم بجامعة الجوف دراسة إحصائية"، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية- جامعة الوادي، العدد الرابع، جانفي 2014،ص 15.

[6] **زكري نرجس،"التعليم بالحاسوب وأثره في تنمية مهارة حل المشكلات لدى تلاميذ الثانية ثانوي علوم تجريبية-** مادة العلوم الطبيعية نموذجاً-".العدد العاشر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ،ورقلة، مارس 2013،ص 301

[7] غراف نصر الدين ،" التعليم الإلكتروني ومستقبل الإصلاحات بالجامعة الجزائرية"، مجلة RIST،مج 19، ع 2،

المؤتمرات والندوات :

[1] زين الدين محمد محمود، "اثر تجربة التعليم الإلكتروني في المدارس الإعدادية المصرية على التحصيل الدراسي للطلاب واتجاهاتهم نحوها"، المؤتمر العلمي الثاني حول منظومة البحث العلمي في مصر– التحديات، المعايير، الرؤى المستقبلية، جامعة قناة السويس، افريل 2006، ص1.

[2] بشير عباس محمود العلاق، "استثمار أساليب وتقنيات المعلومات والاتصالات في بيئة التعليم الإلكترونية - تجربة التعليم الإلكتروني- "، المؤتمر الدولي السنوي الرابع حول إدارة المعرفة في العالم العربي، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الزيتونة، الأردن، 26-28 أفريل 2004،ص08.

[3] الجمني الدآتور محمد،" استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال في مؤسسات التعليم والتدريب التقني والمهني"، الندوة الدولية لتطوير أساليب التدريس والتعلم في برامج التعليم والتدريب التقني والمهني باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال، تونس، 22 – 20 نوفمبر/تشرين الثاني 2006، ص8.

[4] **بولفلفل إبراهيم ،عادل شهب،" واقع التعليم الإلكتروني في الجامعة الجزائرية – دراسة ميدانية – ".المؤتمر الدولي الثالث حول " التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد ".2013،الرياض ،المملكة العربية السعودية، ص 13.**

[5] **بلبكاي جمال، "**التعليم الالكتروني في ظل التحولات الحالية والرهانات المستقبلية**"، المؤتمر الدولي حول التربية وقضايا التنمية في المجتمع الخليجي، جامعة الكويت، 16، 18 مارس 2015.**

المواقع الإلكترونية

[1] صفوري أمجد عمر ،" تصميم وإعداد وإنتاج الوسائط المتعدد كلية الصحافة والإعلام "، جامعة الزرقاء، تم الاطلاع بتاريخ:

2016-02-25، من الموقع الإلكتروني: **https://amjadsafori.files.wordpress.com/.../d988d8b3d**

[2] جامعة ام القرى،" برامج الوسائط المتعددة"، تم الاطلاع بتاريخ : 25-02-2016، من الموقع الإلكتروني:

http://uqu.edu.sa/page/ar/165314

[3] الفرماوى محمود ،" دور الوسائط المتعددة في العملية التعلمية"، جامعه عين شمس، 2009، تم الاطلاع بتاريخ:

2016-02-25، من الموقع الإلكتروني **https://amjadsafori.files.wordpress.com/.../d988d8b3d**

[4] العنزاوي احمد محمد، "واقع ومستقبل التعليم عن بعد في الوطن العربي"، تم الاطلاع بتاريخ : 28-02-2016، من الموقع الإلكتروني **http://www.arabcin.net/arabiaal/1-2002/15.html**

دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في عصرنة النظام البنكي الجزائري

أ.آسيا سعدان، أ.د. علي بن ثابت
جامعة باجي مختار_عنابة_

الملخص:
تعتبر تكنولوجيا المعلومات والاتصال من أهم المتغيرات التي شهدتها الساحة الدولية في الفترة الأخيرة والتي أثرت بشكل مباشر على المؤسسات البنكية والمالية، محدثة تغيرات جذرية في العمل المصرفي من خلال تحوله من الممارسات التقليدية إلى الممارسات الإلكترونية، لذا فإن استمرارية البنك في الوقت الحالي أصبحت مرهونة بقدرته على تطوير بنيته التحتية بما يتماشى والتطورات التكنولوجية المتسارعة.
وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح مفهوم تكنولوجيا المعلومات والاتصال وتأثيراتها على النشاط البنكي بصفة عامة، وصولا إلى تحديد انعكاساتها على النظام البنكي الجزائري.

Abstract
The technology of information and communication is considered as the most important changes that witnessed the world recently. This technology had a direct impact on banking and financial institutions. It caused radical changes in the banking system by transforming its traditional practices to electric practices. Nowadays, the continuity of banks depends on the fast development of its infrastructure as the other technologies development.
The aim of this study is to clarify the concept of information and communication technologies, their impact on the banking activity in general and the Algerian banking system in particular..

مقدمة:شهدت السنوات الأخيرة من القرن الماضي مجموعة من التغيرات الاقتصادية أهمها التطورات التكنولوجية في مجال المعلومات والاتصال، والتي شكلت بدورها تحديا كبيرا لمنظمات الأعمال للحفاظ على قدرتها التنافسية، ويعد القطاع المالي والبنكي أكثر القطاعات تأثرا بها بحيث بات تطبيقها وتبنيها من أهم العوامل الرئيسية للبقاء والنمو لحساسية الخدمات البنكية والمالية اتجاه عاملين رئيسيين هما الوقت والتكلفة. وفي خضم ما يحدث من تسارع كبير في تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال وما تتسم به من حركية كبيرة، سعت البنوك على مستوى العالم إلى دعم تواجدها وتدعيم دورها الحيوي في تنمية النشاط الاقتصادي، وزيادة قدرتها التنافسية حتى لا تفقد ميدان عملها أمام متعاملين غير بنكيين جدد، وذلك بإتباع عدة استراتيجيات تتلخص أهمها في إدخال تغييرات جذرية على أساليب عملها من خلال إعادة هندسة أنشطتها وعملياتها تماشيا مع ما توفره هذه التكنولوجيات من تقنيات حديثة تساهم في تطوير وتنويع خدماتها والانتقال تدريجيا من العمل البنكي التقليدي إلى العمل البنكي الإلكتروني والقيام بتوسيع دائرة أعمالها لتشمل أداء خدمات مالية وبنكية تختلف عن تلك التي كانت تقوم بها من قبل، إضافة إلى تنويع أعمالها وتقديم خدمات جديدة تستجيب أكثر فأكثر لحاجات العملاء المتنوعة والمتطورة.

إشكالية البحث: بما أن البنوك الجزائرية ليست بمنأى عما يحدث في الساحة البنكية الدولية من تطورات، خاصة تلك المرتبطة بالاستفادة القصوى من تكنولوجيا المعلومات والاتصال فما هي التغييرات التي اتبعتها لعصرنة أدواتها وأساليبها؟. وستتم معالجة إشكالية الدراسة من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما هي تكنولوجيا المعلومات والاتصال؟
- ما هي العوامل التي دفعت لإدماج التكنولوجيا في الأعمال البنكية؟
- ما واقع استفادة البنوك الجزائرية من تكنولوجيا المعلومات والاتصال؟

وللإجابة على البحث وانطلاقا من الدراسات السابقة في الموضوع تم صياغة الفرضيات التالية:

- تكنولوجيا المعلومات والاتصال هي التكنولوجيا الحديثة التي تسمح بتسهيل أداء النشاطات داخل المؤسسات وتسريعها.
- دفع كل من تخفيض التكلفة وتقليل الوقت إلى تبني تكنولوجيا المعلومات والاتصال داخل البنوك.
- قامت البنوك الجزائرية بتطوير خدماتها وتحولت للعمل الإلكتروني.

وتكمن الأهمية القصوى لهذه الدراسة في تسليط الضوء على مفهوم تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وتوضيح تأثيرها على العمل البنكي بصفة عامة، وكذا معرفة واقع ما يبذله النظام البنكي الجزائري من إجراءات وإصلاحات تمكنه من رفع كفاءته وعصرنة خدماته.

اعتمدنا في الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي بجمع المعلومات وتنظيمها، وتحليلها بما يتماشى مع متطلبات البحث.

أولا: مفهوم تكنولوجيا المعلومات والاتصال: تعددت مسميات التكنولوجيات مع مرور الوقت، حيث سميت في أول ظهور لها على أنها التكنولوجيا الحديثة للمعلومات والاتصال(NTIC)*، إلا أنه في السنوات الأخيرة تم التخلي عن استخدام صفة الحديثة من التسمية لتصبح تكنولوجيا المعلومات والاتصال (TIC)** وذلك لأن الحداثة تبقى صفة مؤقتة مثلما هو عليه الأمر بالنسبة لكل الاختراعات والمستجدات فالتكنولوجيات الحديثة ستتقادم بعد سنوات وستظهر أخرى أحدث منها، على اعتبار بريق الحداثة التكنولوجية يتسم بالحركية باستمرار[(1)] أما في الآونة الأخيرة فظهرت بعض الأدبيات استخدم مؤلفوها التسمية المختصرة تكنولوجيا المعلومات(TI)***.ورغم شيوع استخدام مصطلح تكنولوجيا المعلومات والاتصال من طرف المتخصصين والباحثين، إلا أنه لا يوجد تعريف محدد ودقيق له، ومن بين أهم التعاريف التي وردت نجد:

- يرى الكاتب معالي فهمي خضر بأن تكنولوجيا المعلومات والاتصال تشير إلى جميع أنواع التكنولوجيا المستخدمة في تشغيل ونقل وتخزين المعلومات في شكل الكتروني، وتشمل تكنولوجيا الحاسبات الآلية ووسائل الاتصال وشبكات الربط وأجهزة الفاكس وغيرها من المعدات التي تستخدم بشدة في الاتصالات[(2)].
- كما تعرف أيضا على أنها: "مجموع التقنيات أو الأدوات أو الوسائل أو النظم المختلفة التي يتم توظيفها لمعالجة المضمون أو المحتوى الذي يراد توصيله من خلال عملية الاتصال الجماهيري أو الشخصي أو التنظيمي، والتي يتم من خلالها جمع المعلومات والبيانات المسموعة أو المكتوبة أو المصورة أو المرسومة أو المسموعة المرئية أو المطبوعة أو الرقمية، ثم تخزين هذه البيانات والمعلومات، ثم استرجاعها في الوقت المناسب، ثم عملية نشر هذه المواد الاتصالية أو الرسائل ونقلها من مكان إلى آخر، ومبادلتها وقد تكون تلك التقنية يدوية أو آلية أو الكترونية أو كهربائية حسب مرحلة التطور التاريخي لوسائل الاتصال والمجالات التي يشملها هذا التطور"[(3)].

أما "Kenneth Laudon" و " Jane Laudon" فيعرفان تكنولوجيا المعلومات والاتصال في ظل التغيرات الجديدة والعالم الرقمي على أنها أداة من أدوات التسيير المستخدمة والتي تتكون من خمسة مكونات وهي[(4)]:

-العتاد المعلوماتي :تتمثل في المعدات الفيزيائية للمعالجة.

-البرمجيات.

-تكنولوجيات التخزين: تتمثل في الحوامل الفيزيائية لتخزين المعطيات كالأقراص الصلبة والضوئية و برمجيات لتنظيم المعطيات على الحوامل الفيزيائية.

-تكنولوجيات الاتصال: تتكون من معدات ووسائط فيزيائية و برمجيات تربط مختلف لواحق العتاد و تعمل على نقل المعطيات من مكان إلى آخر بحيث يمكن وصل الحواسيب ومعدات الاتصال لتشكيل شبكات لتبادل وتقاسم الأصوات والصور و الفيديو.

-الشبكات: تربط بين الحواسيب لتبادل المعطيات أو الموارد.

وبصفة عامة يمكن تعريف تكنولوجيا المعلومات والاتصال على أنها استخدام أجهزة الحاسوب والوسائل المتطورة الأخرى في معالجة البيانات التي يتم الحصول عليها وتحقيق سرعة في معالجتها وتخزينها واستردادها وتحويلها إلى معلومات موثوق بها ويمكن الاعتماد عليها في اتخاذ القرارات في الوقت المناسب[(5)].

ثانيا: مميزات تكنولوجيا المعلومات والاتصال: تتميز تكنولوجيا المعلومات والاتصال بعدّة مميزات نذكر منها[(6)]:

- القدرة على نقل المعلومات من وسيط لآخر مع إمكانية التحكم في نظام الاتصال.

- القدرة على استخدام وسائل اتصالية في أي مكان مثل الهاتف النقال بمعنى الانتقال من الأجهزة الثابتة إلى الأجهزة المتنقلة.

- اللاجماهيرية وتعني أن الرسالة الاتصالية من الممكن أن تتوجه إلى فرد واحد أو إلى جماعة معينة وليس إلى جماهير ضخمة كما كان في الماضي.

- الانتقال من اللغة الواحدة إلى اللغات المتعددة. - الانتقال من تكنولوجيات التنوع إلى تكنولوجيات التكامل في الاتصال. - يمكن لثورة المعلومات أن تمنح فرصة للفقراء بأن يصبحوا أغنياء وللمبتدئين بأن يكونوا محترفين ومنافسين حقيقيين. - الانتقال من الاعتماد على الثورة المادية إلى الاعتماد على الثورة الفكرية.

- الاهتمام أكثر بكفاءة العنصر البشري والسرعة في أداء الأعمال.

- التدفق السريع والكثيف للمعلومات مما يسمح للفرد بتنمية قدراته.

- سمحت التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال بظهور أنماط إنتاجية واستهلاكية جديدة، حيث أصبح الإنتاج يعتمد على كثرة المعلومات والابتكار والتجديد بدل التكرار في العملية الإنتاجية.

- ظهور تصنيفات جديدة للمعرفة قادرة على تحقيق طفرات تنموية لم يسبق الوصول إليها من قبل مما أدى إلى العمل في محيط عمل جديد قائم على أساس إدارة المعرفة ومحاولة استيعابها لتحقيق متطلبات العصر.

- الانتقال من الاقتصاد المحلي إلى الاقتصاد العالمي.

ثالثا: عوامل انتشار تطبيقات تكنولوجيا المعلومات والاتصال في الصناعة البنكية:

هناك مجموعة من العوامل وراء الانتشار الهائل لتطبيقات تكنولوجيا المعلومات والاتصال في الصناعة البنكية، ويتمثل أهمها في[(7)]:

- زيادة الإنتاجية. -السيطرة على العمليات المعقدة.
- المرونة من خلال التماشي مع مطالب السوق المتغيرة باستمرار ومواجهة التغيرات في نوعية المواد المستخدمة.

ويمكن تلخيص مجالات تطبيق تكنولوجيا المعلومات والاتصال في الأعمال البنكية والمالية والأهداف الأساسية من وراء تطبيقها في الجدول الموالي.

الجدول رقم"01": مجالات تطبيق تكنولوجيا المعلومات والاتصال في الأعمال البنكية والمالية

	أمثلة من تطبيقات تكنولوجيا المعلومات	الأهداف الرئيسية من وراء التطبيق
قطاع البنوك والمال والأعمال	هيكلة وآلية أعمال المصارف Bank Automation	- تحسين الخدمة. - سرعة ضبط الحسابات. - مساندة الأماكن المالية للبنوك
	تحويل الأموال الكترونيا Electronic Fund Transfer	- سرعة الخدمات - تقليل العمل الورقي للعمليات بين البنوك.
	إدارة الاستثمارات Investment Management	- تنظيم عائد الاستثمار. - تحليل المخاطر.
	نظم المعلومات أسواق الأوراق المالية Information System Stock Exchange	- فورية المعلومات. - استخراج إحصائيات السلاسل الزمنية لتغير أسعار الأسهم والسندات والمؤثرات الاقتصادية الأخرى.

المصدر: مصطفى كمال السيد طايل،الصناعة المصرفية والعولمة الاقتصادية، الدار الجامعية، الإسكندرية،الطبعة الأولى،2014، ص 257

إن نمو القطاع البنكي يعتمد حاليا على مدى اعتماده على التقنيات الحديثة التي توفرها تكنولوجيا المعلومات والاتصال، الأمر الذي حفز البنوك على استخدام إجراءات وسياسات عديدة لمسايرة التطورات التكنولوجية التي تجتاح الخدمات المصرفية وأهمها[8]:

- تحديث أجهزتها وتطويرها، بحيث يمكن للبنوك التقليدية أن تقدم أفضل خدمة لعملائها في أسرع وقت ممكن.
- تطوير تقنيات الأداء المصرفي لتلاءم التطور في آليات العمل الاقتصادي، مثلا إنشاء شبكة إلكترونية مصرفية تربط في ما بين المصارف من جهة، ثم بينها وبين القطاعات الاقتصادية الأخرى من جهة أخرى.
- الاستعانة بالتكنولوجيا المتطورة لأداء الخدمات المصرفية للعملاء، مثل استخدام الهاتف المصرفي، أوامر الدفع الإلكترونية،... إلخ.
- دعم ورفع مستوى الأداء في بعض فروع البنوك التجارية القائمة، مثل إنشاء مكاتب لخدمة العملاء وتداول النقود الورقية من خلال الفروع القائمة، فعلى سبيل المثال استقر بنك ميدلاند الإنجليزي على اختيار ستة فروع رئيسية تم تزويدها بالآلات الحديثة بحيث تستطيع تسوية 60 ألف عملية في الساعة، وخفض عدد العمالة فيها من 3 آلاف عامل إلى مائتين فقط، كما تم عمل نفس شيء في بعض البنوك الأمريكية، وكل ذلك كان بهدف رفع مستوى الكفاءة.
- التوسع في استخدام الإنترنت لتقديم الخدمات المصرفية المتنوعة وتشجيع العملاء على طلب هذه الخدمات.
- نشر ماكينات الصرف الآلي، ونشر شبكة من نقاط البيع الإلكترونية علاوة على تقديم خدمات التحصيل الإلكتروني للشيكات وتركيب وتشغيل مراكز للاتصالات وخدمة العملاء، فضلا عن تقديم خدمات البنك

المحمول وفتح فروع إلكترونية.ومما سبق فإن استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال في البنوك يسمح بصفة أساسية بـ[8]:

- تخفيض عدد العاملين في تلك أنشطة البنك ووظائفه. -تغيير في نوعيات المهارات اللازمة للعاملين.
- الإسراع في إنجاز العمليات ومن ثم تخفيض التكاليف.
- زيادة الاتجاه إلى إنشاء نظم متكاملة للمعلوماتية تعتمد على بنوك المعطيات وترشيد عمليات اتخاذ القرارات في البنك وإمكانية تطبيق أساليب متطورة لحل المشكلات.

رابعا: واقع تكنولوجيا المعلومات والاتصال في البنوك الجزائرية

1- مدى استخدام التكنولوجيا في البنوك العمومية الجزائرية: يعتمد تقديم الخدمة البنكية في الوقت الراهن على الاستفادة القصوى من الأدوات التكنولوجية المتاحة، والتي تسهل في مجملها عملية التقديم وتسريعها، كما تضمن للبنك الصمود في وجه المنافسة في هذا الاقتصاد الرقمي الجديد الذي غيّر من وجه العمل البنكي والمالي، والبنوك الجزائرية كغيرها من البنوك الأخرى بدأت في اعتماد مكننة ممارسات وإجراءات عملها حيث نجدها قد تبنت عدة تقنيات نلخصها في النقاط التالية:

1-1- أجهزة الإعلام الآلي : أصبحت الحواسيب أدوات أساسية لتأدية العمل البنكي، لذا قامت البنوك الجزائرية بتجهيز وكالاتها بهذه الآلات، وذلك ما نلخصه في الجدول الموالي.

الجدول رقم"02": مدى استخدام الحواسيب في بعض البنوك الجزائرية.

	BEA	BNA	CPA
العدد الإجمالي للعمال	4221	5609	4293
العددالإجمالي للحواسيب	1800	1820	2000
عدد العمال بالنسبة للحاسوب الواحد	2.36	3.01	2.14

Source : Farid Yaïci, **La Mise A Jour Des Systèmes D'Information Dans Le Domaine Bancaire Et Financier**, P 13. **www.dst.cerist.dz.**

ويعتبر البنك الخارجي الجزائري هو أول من استخدم الحواسيب في بداية سنة 1976، متبوعا بالبنك الوطني الجزائري في أواخر سنة 1976، تم القرض الشعبي الجزائري وبنك التنمية المحلية سنة 1985، وبنك الفلاحة والتنمية الريفية بعد سنة 1989[10]، ومن خلال الجدول أعلاه نلاحظ أن متوسّط عدد الحواسيب هو حوالي 3 حواسيب لكل عامل الأمر الذي يضعف وينعكس سلبا على أداء الخدمة البنكية والتي تتطلب السرعة في الأداء، حيث يفترض أن كل عون بنكي ينفرد بحاسوب شخصي على مستوى الوكالة البنكية، ليقوم بتنظيم ملفاته الخاصة عليه، فتداول أكثر من عامل على حاسوب واحد قد يؤدّي إلى اختلاط المعلومات والعمليات التي يقوم بها الأعوان، كما نجد أن عدد الحواسيب حسب الوكالات يقدر بحوالي 21 للبنك الخارجي الجزائري و13 للقرض الشعبي الجزائري و8 للبنك الوطني الجزائري، وهذه أعداد منخفضة جدّا خاصة للبنكين الأخيرين، كما أن هذه النتائج توضح التفاوت الكبير بين البنوك الجزائرية في حد ذاتها فيما يتعلق بمدى استخدام التكنولوجيا الحديثة، لذا يمكن القول أن استخدام أجهزة الإعلام الآلي يبقى دون المستوى المطلوب.

1-2- استخدام الهاتف في الخدمة البنكية:

لا تستعمل البنوك الجزائرية الهاتف في تقديم خدماتها سواء الهاتف الثابت أو المحمول رغم ما شهده هذا الأخير من تطور كبير بعد فتح السوق الجزائرية في السنوات القليلة الماضية أمام العديد من المتعاملين، وعلى البنوك الاستفادة من عدد مشتركي خدمة الهاتف في تقديم خدماتها لجلب أكبر عدد من الزبائن[11].

1-3- شبكة الأنترنيت: على الرغم من استخدام مجمل البنوك الجزائرية لشبكة الأنترنيت، فإن الاستخدام الفعّال لهذه الشبكة لم يصل بعد إلى مستوى مقبول سواء من حيث تواجد هذه الشبكة في كافة الوكالات، أو من حيث عدد الحواسيب المرتبطة بها على مستوى الوكالة البنكية ذاتها، أو من حيث الخدمات المقدمة من خلالها، فبالنسبة للنقطة الأولى نجد أن البنوك الجزائرية تربط بعض الوكالات فقط بشبكة الأنترنيت، وعادة ما تكون هذه الوكالات الأكبر والتي تتواجد في مواقع جغرافية متميزة، أما بالنسبة للنقطة الثانية فنجد عدد الحواسيب المرتبطة بشبكة الأنترنيت على مستوى الوكالة البنكية جد منخفض وغير متاحة لكافة العاملين، أما النقطة الأخيرة والأكثر استراتيجية فهي تعكس ما تمثله شبكة الأنترنيت بالنسبة للبنوك الجزائرية، والذي يمكن اختصاره في كونها موقعا إشهاريا يبين خدمات البنك، هيكله، لمحة تاريخية عنه وبعض المعطيات والبيانات المالية الدالة على نشاط البنك، ومؤخرا قامت بعض البنوك الجزائرية وعلى رأسها بنك الفلاحة والتنمية الريفية وبنك التنمية المحلية بتقديم خدمة عبر الأنترنيت تتمثل في إمكانية الالتحاق بالحساب البنكي ومراجعته من خلال توجه العميل إلى البنك لملأ استمارة وإمضاء اتفاق يمنحه من خلاله رقما سريا يمكنه من الدخول إلى حسابه طيلة أيام الأسبوع وطوال ساعات اليوم[12]، وقد صرّحت الجهات المسؤولة عن البنك أنّ هذه الخدمة ستستغرق وقتا طويلا بعض الشيء للتمكن من تعميمها، كون غالبية عملاء البنوك يتمتعون بمستويات تعليمية متدنية لا تؤهلهم من الاستفادة من الخدمات المقدمة عبر شبكة الأنترنيت، إلى جانب الإشهار الشبه معدوم والذي يقتصر على الشبكة في حد ذاتها أو منشورات البنك التي لا تكاد تصل إلى أيدي أفراد المجتمع.

ولكن يجب تدارك هذا الأمر وتفعيل دور الأنترنت لتقديم خدمة مصرفية متطورة وفي هذا السياق لا ننسى تجربة " بريد الجزائر " بتقديمه خدمات عبر الشبكة مثل الاطلاع على كشف الحساب البريدي وطلب الصك البريدي بالإضافة إلى إمكانية تسديد فاتورة الهاتف النقال الخاص بفرع " موبيليس " عبر الحساب البريدي، وإنشاء خدمة الموزع الصوتي (15.30) للاستعلام حول الحساب البريدي [13].

1-4- نظام SWIFT: في إطار مكننة الاتصال، تستخدم البنوك الجزائرية نظام SWIFT استخداما واسعا، فمعظم البنوك العمومية متصلة بهذا النظام العالمي للدفع وهذا مايوضحه الجدول التالي :

جدول رقم "02": تاريخ ربط البنوك الجزائرية بنظامSwift

البنك	تاريخ الربط
BEA	1986-1985
BNA	*1998-1997*
BADR-CPA-BDL	1991

Source : Farid Yaïci, op cité ,p16.

2- عصرنة وسائل الدفع :

2-1- البطاقات البنكية: تعدّدت وسائل الدفع لتتعدّى النقود والصكوك وغيرها، لتظهر وسائل جديدة أهمها البطاقة البنكية، ولا تعتبر البطاقة البنكية ظاهرة جديدة في الجزائر، حيث أنّه تم إدخال النقود الالكترونية لنظام الدفع الجزائري منذ 1989، وذلك من طرف عدّة بنوك تتمثل في البنك الخارجي الجزائري والبنك الوطني الجزائري والقرض الشعبي الجزائري والتي استخدمت بطاقات بنكية خاصة بها، وإن كانت هذه البطاقات توزع على فئة معينة من عملاء البنك فقط، الأمر الذي أدّى إلى محدودية استخدامها، وقد تمّ

أخذ هذه التقنية على محمل الجد بعد إنشاء في مارس 1995 شركة آليات النقد والعلاقات التلقائية بين البنوك SATIM****، وقد سمحت هذه الشركة بخلق بطاقات السحب ما بين البنوك وقد تبنت معظم البنوك الجزائرية هذه التقنية منذ 1996[(14)].

الجدول رقم "03" : تاريخ تطبيق أنظمة البطاقات البنكية ما بين البنوك.

BNA	BDL	CPA	BADR	BEA	
2001	2002	2000	1998	1999	بطاقات السحب ما بين البنوك
1989	/	1989	1994	1989	بطاقات السحب قبل إنشاء SATIM

Source : Farid Yaïci , op cité, P15.

ومنذ إنشاء شركة آليات النقد والعلاقات التلقائية بين البنوك زاد الاهتمام بوسائل الدفع الإلكترونية خاصة البطاقات البنكية وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

الجدول رقم"04": تطور عدد البطاقات البنكية في البنوك الجزائرية.

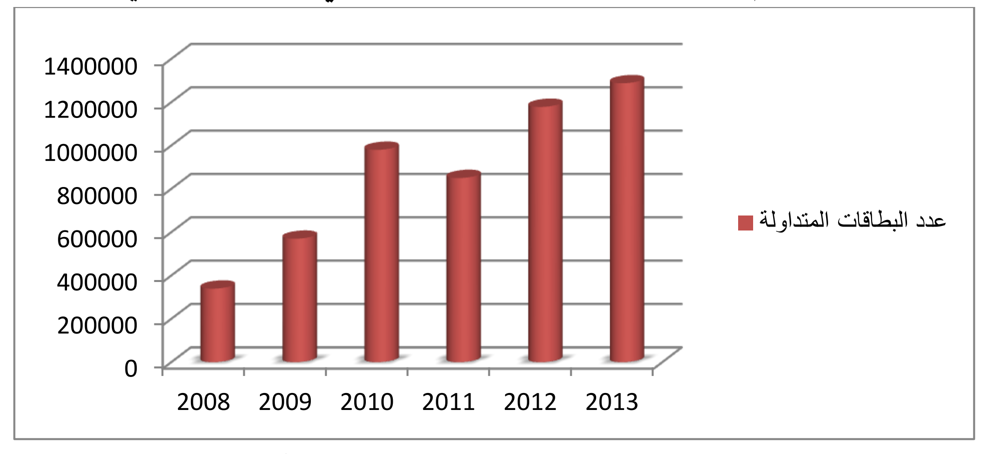
2013	2012	2011	2010	2009	2008	
1287330	1178243	850008	979933	569558	339374	عدد البطاقات المتداولة
2656365	4582279	5718663	3763775	2613781	1912400	عدد عمليات السحب
4574	7729	5906	1805	1450	2051	عدد عمليات الدفع

Source : http://www.satim-dz.com/chiffres-cles.html

شهد عدد البطاقات البنكية ارتفاعا متواصلا خلال الفترة الزمنية 2008-2010، إلا أن عددها انخفض نسبيا سنة 2011 مقارنة بسنة 2010، أما بخصوص انخفاض عدد البطاقات المتداولة إلى 850008 في سنة 2011، فإن ذلك يعود إلى عملية غلق الحسابات الغير مشغلة من قبل العملاء من طرف البنوك، وبالتالي تصبح البطاقة البنكية غير عملية آليا، وهذا ما جعل العدد ينخفض في تلك السنة، إضافة إلى توقيف عددا من البطاقات نتيجة لمخالفات عملية أو تقنية قام بها العملاء (كالسرقة أو الضياع)..أو بطلب من العميل نفسه[(15)].

ليعاود الارتفاع من جديد ويصل إلى أعلى مستوياته سنة 2013 وبهذا يمكن القول أن زيادة عدد البطاقات يرجع بصفة أساسية لسهولة استخدامها مقارنة بالصكوك، وفيما يتعلق بعمليات السحب والدفع بالبطاقات البنكية فهناك تباين واضح في مدى الاعتماد عليها، بيد أن استخدامهما قد شهد تزايدا ملحوظا في الفترة 2008-2012.

الشكل رقم"01": تطور عدد البطاقات البنكية في البنوك الجزائرية



المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا على معطيات الجدول السابق.

2-2- الموزع الآلي للأوراق النقدية و نقاط نهائي البيع:

وممّا لا شك فيه هو أن البطاقات تحتاج إلى موزع آلي للأوراق النقدية DAB عند استخدامها كوسيلة سحب، وإلى نقاط نهائي البيع TPE عند استخدامها كوسيلة دفع، ويوضح الجدول التالي تطور أهم المؤشرات المتعلقة بهما في البنوك الجزائرية:

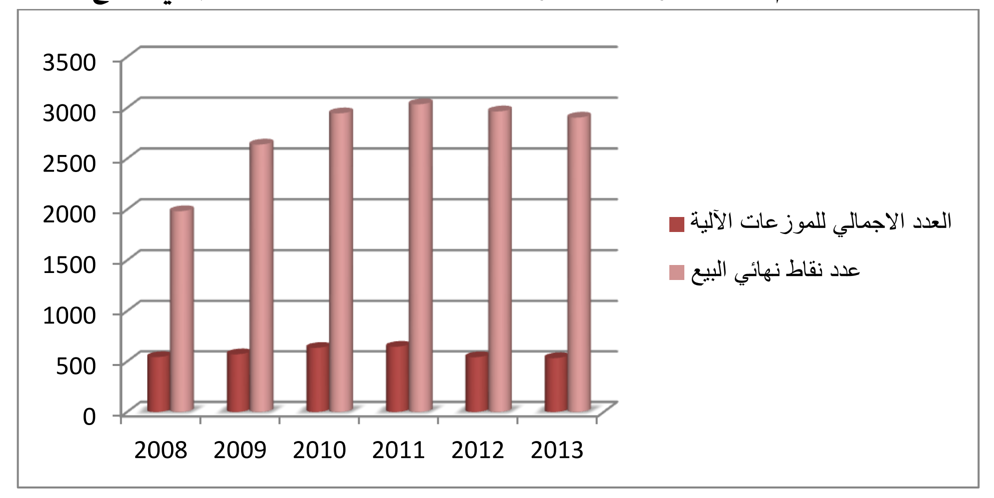
الجدول رقم"05": تطور عدد الموزعات الآلية للأوراق ونقاط نهائي البيع

	2008	2009	2010	2011	2012	2013
العدد الإجمالي للموزعات الآلية للأوراق	544	572	636	647	543	534
عدد نقاط نهائي البيع	1984	2639	2946	3035	2965	2904

Source : http://www.satim-dz.com/chiffres-cles.html

ونلاحظ من الجدول أعلاه زيادة معتبرة في عدد الموزعات الآلية ونقاط نهائي البيع خلال الفترة الزمنية 2008-2011، لينخفض العدد نسبيا في السنتين التاليتين.

الشكل رقم"02": تطور عدد الموزعات الآلية للأوراق ونقاط نهائي البيع



المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا على معطيات الجدول السابق.

كما يمكن للبنوك أن تستعين بالشباك الأوتوماتيكي للأوراق (GAB) والذي يعتبر بمثابة عامل أو عون بنكي، يمكن للعملاء السحب منه مباشرة من خلال بطاقات سحب خاصة، كما يمكن القيام بالعديد من العمليات التي تشمل قبول الودائع، طلب صكوك، عمليات التحويل من حساب إلى حساب آخر، ويتصل هذا الشباك مباشرة بالحاسوب الرئيسي للبنك[(16)].

وقد قامت البنوك الجزائرية باستخدام (GAB) إلا أن وضع هذا الجهاز داخل البنك قلص من الاستفادة من خدماته بحيث لا يمكن السحب منه في حالة غلق البنك، دون أن ننسى اقتصار تواجده على الوكالات الكبرى فقط وتواجده وعدم تشغيله في وكالات أخرى.

وفيما يتعلق بالبطاقات البنكية نجد أنّ بنك التنمية المحلية يطرح نوعان من البطاقات البنكية، الأولى هي البطاقة الكلاسيكية لونها أزرق والثانية هي البطاقة الذهبية ولونها أصفر، وتختلف البطاقتان من حيث مجموعة من الخصائص كمدّة الصلاحية ومبلغها...الخ[(17)].

كما قام القرض الشعبي الجزائري بإنشاء مديرية خاصة بوسائل الدفع، توكل إليها مهمة عصرنة وسائل الدفع في البنك، ويصدر هذا الأخير نوعان من البطاقات: بطاقات نقدية"Carte Cash"وبطاقات فيزا "Carte Visa" [18].

2-3- إنشاء نظام الدفع العام والدفع بالتحويلات الكبرى:

تبنت البنوك الجزائرية نظام مبني على منظومتي: الدفع العام والدفع بالتحويلات الكبرى، والذي يسمح للقطاع البنكي الجزائري أن يكون في مستوى الاقتصاد العالمي لاسيما بعد الاتفاق مع الاتحاد الأوروبي، وقد اعتمد هذا المشروع من قبل بنك الجزائر بالتعاون مع البنك العالمي قصد تطوير البنية التحتية للبنوك، ويحترم هذا النظام المقاييس الدولية في مجال تأمين المعاملات البنكية وحركة الأموال، وفي مجال التحويلات المالية يعد الأول من نوعه في شمال إفريقيا، وقد تم التشغيل التجريبي لهذا النظام في الأسبوع الأول لشهر فيفري 2006، كما يقوم هذا النظام برد الاعتبار لاستعمال الصك وتطوير استعمال البطاقة البنكية في العمليات التجارية، ففيما يتعلق بمنظومة الدفع بالتحويلات الكبرى بين المؤسسات تجاوزت المدفوعات والتداولات 1000عملية يوميا بين مختلف الأعوان وتتم هذه العمليات خلال ساعات بدلا من أيام في السابق، وبالتالي فإن المؤسسات لاسيما الكبرى عمومية كانت أو خاصة بدأت تدخل في تسيير يومي لتدفقاتها المالية لأن التحويلات التي كانت تستغرق حتى 10أيام أضحت الآن بما فيها التدفقات الخاصة بالخزينة لا تتجاوز يوما أو يومين بما في ذلك تلك الخاصة بمدن الشمال والجنوب، والتحويلات الكبرى تتعدى قيمتها مليون دينار وهي تتم الآن بأكثر سرعة وبأمان وشفافية أكبر، وتقدر كلفة العملية الواحدة بـ 10آلاف دينار وهي مرتفعة نسبيا لكن ستشهد انخفاضا ملحوظا بعد زيادة عدد المستخدمين[19].

الجدول رقم "05" : عدد وقيمة عمليات التسوية المسجلة محاسبيا في دفاتر بنك الجزائر.

(القيمة بالمليار دينار جزائري)

	2008	2009	2010	2011	2012	2013
العدد الإجمالي للعمليات	195175	205736	211561	237311	269577	290418
قيمة العمليات	607138	649740	587475	680123	535234	358026

المصدر: التقارير السنوية لبنك الجزائر: http://www.bank-of-algeria.dz/html/rapport.htm

يوضح الجدول ارتفعا محسوسا في العدد الإجمالي لعمليات التسوية المسجلة خلال الفترة 2008-2013 بلغت نسبته 48,8% حيث ارتفع عدد العمليات من195175 سنة 2008 إلى 290418 سنة 2013، إلا أن قيمة هذه العمليات شهدت تذبذبا بين الزيادة والنقصان لتبلغ أدنى قيمها سنة 2013 بقيمة قدرها 358026 مليار دينار جزائري. أما المنظومة الثانية التي تهم الجميع وهي منظومة الدفع الشامل والتي تعتمد على المقاصة الإلكترونية Télécompensation، حيث يصبح الدفع يتم في مدّة أقصاها 5 أيام من نقطة إلى أخرى بينما كانت بالنسبة للصكوك تتم في أكثر من شهر، فالنظام الجديد يعتمد على أساس أن الصكوك كلها موحدة الصورة، بحيث نجدها مرقمة بطريقة موحدة لجميع البنوك ويكشف الرقم الهوية البنكية (RIB)[20]، وقد قامت الجزائر باقتناء 1700سكانير جديد لتجهيز الوكالات البنكية ولتمكينها من قراءة الصكوك الصادرة حديثا والتي تحمل رقما موحدا وشريطا لتأمينها كما سبق الإشارة إليه وبعد فحصها تعالج، لتصل بذلك المقاصة الإلكترونية إلى 45% مقارنة بـ 55% لنظريتها اليدوية، والتي من المتوقع أن تنخفض في الفترة القادمة[21].

الجدول رقم "06" : عدد وقيمة عمليات المقاصة الالكترونية. **(العدد بالمليون عملية)**

(القيمة بالمليار دينار جزائري)

	2008	2009	2010	2011	2012	2013
العدد الإجمالي للعمليات	9,320	11,139	13,818	13,039	17,387	19,470
قيمة العمليات	7188,255	8534,729	8878,1	10581,6	11766,1	12661,6

المصدر: التقارير السنوية لبنك الجزائر: http://www.bank-of-algeria.dz/html/rapport.htm

يوضح الجدول ارتفاعا كبيرا في العدد الإجمالي لعمليات المقاصة المسجلة خلال الفترة 2008-2013 حيث تضاعف عدد هذه العمليات، رافقته زيادة معتبرة في قيمة هذه العمليات حيث قفزت من 7188,255مليار دينار جزائري سنة 2008 إلى 12661,6 مليار دينار جزائري سنة 2013.

الخاتمة:

وتأسيسا على ما سبق نرى أن البنوك الجزائرية بدأت في الفترة الأخيرة تستوعب أهمية الارتقاء بالخدمات التي تقدمها - وإن كانت بعيدة جدّا عمّا يحدث في الساحة البنكية العالمية - من خلال تحسين الخدمات الموجودة أو تقديم خدمات جديدة، إلا أنها تخطو بخطوات بطيئة جدّا في تحقيق ذلك، ويمكن القول أن تطوير الخدمات البنكية وحده غير كافي وإنما يجب تهيئة بيئة بنكية مناسبة يتفاعل فيها طرفان، أولهما تهيئة العملاء لفهم واستيعاب التغيرات السريعة في العمل البنكي واكتسابهم ثقة كافية لوسائل الدفع وأساليبه الحديثة، وثانيهما تدعيم البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات والاتصال في البنوك وتحولها نحو العمل البنكي الإلكتروني بخطوات أسرع باعتباره أصبح حتمية تمليها التعاملات المالية والبنكية العالمية الحالية ولعجز البنوك الحالية عن تغطية كافة التراب الوطني وفتح فروع كثيرة.

الهوامش والمراجع

*-NTIC: **N**ouvelles **T**echnologies de l'**I**nformation et de la **C**ommunication.
-TIC: **Technologies de l'**I**nformation et de la **C**ommunication.
***-TI: **T**echnologies de l'**I**nformation.

(1)- الهادي بوقلقول، **الآثار المترتبة عن إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصال على إدارة المؤسسة من الناحية التنظيمية والاستراتيجية**، مذكرة دكتوراه، تخصص تسيير المؤسسات، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ص 9.

(2)- معالي فهمي حيضر، **نظم المعلومات مدخل لتحقيق الميزة التنافسية**، الدار الجامعية، إسكندرية،مصر، 2002، ص253.

(3)- محي محمد مسعي ، **ظاهرة العولمة الأوهام والحقائق** ،ط1، مطبعة ومكتبة الشعاع، مصر، 1999، ص26.

(4)- شادلي شوقي، **أثر حجم المؤسسة الصغيرة والمتوسّطة في درجة تبنيها لتكنولوجيا المعلومات والاتصال**، مجلة الباحث، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة ورقلة، العدد 07، 2009/2010، ص261.

(5)- عطا الله أحمد سويلم الحسبان، **الرقابة الداخلية والتدقيق في بيئة تكنولوجيا المعلومات**، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 2009، ص16.

(6)- بن سعيد محمد ولحمر عباس، **تكنولوجيات الإعلام و الاتصال والتنمية الاقتصادية**، *الملتقى الدولي حول اقتصاد المعرفة*: الركيزة الجديدة والتحدي التنافسي للمؤسسات والاقتصاديات ، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 12 – 13 نوفمبر2005، ص-ص277-278.

(7)- مصطفى كمال السيد طايل، **الصناعة المصرفية والعولمة الاقتصادية**، الدار الجامعية، الاسكندرية، مصر، الطبعة الأولى، 2014، ص ص 255-256.

(8)- غزاوي عمر، **الخدمات المصرفية في ظل التحولات العالمية**، مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد04، ديسمبر2008، ص35.

(9)- عبد الغفار حنفي وعبد السلام أبوقحف، **الإدارة الحديثة في البنوك التجارية**، الدار الجامعية، الاسكندرية،مصر، 2004 ، ص- ص 375-376.

(10)- Farid Yaïci, **La Mise A Jour Des Systèmes D'Information Dans Le Domaine Bancaire Et Financier**, P 15 : www.dst.cerist.dz.

(11)- آيت زيان كمال وحورية آيت زيان، **الصيرفة الالكترونية في الجزائر**، المؤتمر العلمي الخامس نحو مناخ استثماري وأعمال مصرفية الكترونية، جامعة فيلادلفيا، عمان، 4-5 جويلية 2007.

(12)- http://www.badr-bank.dz/?id=dossier_details&did=8.

(13)- آيت زيان كمال وحورية آيت زيان، مرجع سابق.

****-SATIM: La **S**ociété d'**A**utomatisation Des **T**ransactions **I**nterbancaires Et De La **M**onétique.

(14)-Farid Yaïci, **La Mise A Jour Des Systèmes D'Information Dans Le Domaine Bancaire Et Financier**, op cité, P 15.

(15)- محمد الشايب، **البطاقة البنكية في القطاع المصرفي الجزائري بين الواقع والمتطلعات -دراسة تقييميه لشبكة النقد الآلي بين البنوك-**، مجلة الدراسات المالية والمصرفية، الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية، عمان، الأردن، العدد02، جوان2014 ، ص46.

(16)- نعمون وهاب، **النظم المعاصرة لتوزيع المنتجات البنكية واستراتيجية البنوك**، ملتقى المنظومة المصرفية الجزائرية والتحوّلات الاقتصادية، واقع وتحديات، كلية العلوم الإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 14/15 ديسمبر 2004، ص ص 273-274.

(17)- http://www.bdl.dz/carte.html.

(18)- Rapport Annuel Du CPA 2004,p22.

(19)- س. يوسفي، **التحويلات البنكية تدخل المقاصة الإلكترونية في أوت المقبل**، جريدة الخبر، 2006/07/26.

Cnep News, N° 25, op cité, P3.

(20)- المرجع نفسه

(21)- Le Système De Paiement De Masse, Le Quotidien, 19/05/2006.

تحديد الأجور على أساس الكفاءات في المؤسسة الجزائرية:

الأسباب، العوامل والأهداف

أ.ناقة نهلة
مركز البحوث للاقتصاد التطبيقي من أجل التنمية
الجزائر

الملخص:

مع التغيرات التي عرفها المجتمع، المتمثلة في التكنولوجيا الحديثة، مرونة المنظمات، والمنافسة الشديدة أدى بالعديد من المنظمات إلى تبني سياسات وممارسات جديدة من أجل تحفيز عاملها وتحقيق التنمية المستدامة، ومن بين هذه السياسات نجد سياسة الأجور على أساس تقييم الكفاءات التي فرضت نفسها كواقع مواكب لهذه التغيرات.

وللتعرف على هذا النظام الأجري الجديد قمنا بدراسة حالة لمؤسسة جزائرية منتجة للعصير (NCA Rouiba) تقوم بتطبيق هذا النظام الأجري، حيث سنحاول في هذا المقال إلقاء الضوء على الأسباب التي جعلت هذه المؤسسة تتبنى نظام الأجر على أساس الكفاءات، إضافة إلى أهدافه، وكذا الإجراءات التي اتبعها متخذو القرار في وضعه.

الكلمات المفتاحية: الكفاءة – التغيير التنظيمي – الأجر

Abstract :
Competitive positioning nowadays businesses encourages more companies to adopt skill-based pay to motivate employees to increase their productivity.
A case study on skill-based pay was conducted in private Algerian company of drinks (NCA Rouiba), which is setting up this pay system.
In this article we want to focus on the steps taken by the company in the process of adopting this new pay policy, the inducing factors of this change and the objectives of this new policy to this Algerian company.
Key-words: Skill - organizational change- pay.

مقدمة:

يعتبر نموذج الكفاءة كنموذج اجتماعي، حيث جاءت الكفاءة في أواخر سنوات الثمانينات تحت اسم "منطق الكفاءات" أو "نموذج الكفاءة"، الذي فرض نفسه بقوة مكان نموذج منصب العمل (التأهيل) الذي انهار تدريجيا، حيث أنه أعقاب الأزمة التايلورية أصبح نموذج التأهيل غير مقبول اجتماعيا، إذ أنه يلغي روح الاستقلالية لدى العامل وأثر هذا على جميع ميادين الحياة الاجتماعية خاصة في سنوات الستينات. حيث يعتبر نظام لا يسعى إلى الإنتاجية، جامد في مواجهة الاحتياجات المتزايدة للمرونة والابتكار، خاصة في ظل تنوع المنتجات والخدمات، إضافة إلى أن تطور العمل وزيادة تعقيداته ساهمت في انهيار هذا النموذج، حيث أن التغيرات تمت بوتيرة سريعة، إضافة إلى لامركزية القرارات العملية[1].

[1] Philippe, ZARIFIAN. **De la notion qualification à celle de compétence**. Cahier français, N° 333, Paris : la documentation française, 2006, p 08,10.

بعد هذا، عرفت الكفاءة تطورا مع القطيعة التي تم وضعها مع نظام التسوية السابق، فإعادة تأهيل المؤسسات في منتصف سنوات الثمانينات، ومع ظهور خطاب "المناجمنت الاجتماعي" الذي يطبق تسيير الموارد البشرية، برزت ممارسات جديدة في تسيير المؤسسات وأصبح امتلاك الكفاءات، أساسا تستند عليه المؤسسة في تسيير شؤونها، مع إعادة النظر في الشهادات المهنية والأقدمية، وهذا ما أدى بالعديد من المنظمات تبني سياسات جديدة لضمان استمراريتها فكان نظام الأجور على أساس تقييم الكفاءات من السياسات التي فرضت نفسها في هذا السياق الذي يتميز محيطه بالتغير المستمر، وبالتالي فإن هذه السياسة الأجرية على أساس الكفاءات جاءت لتحل مكان منصب العمل الذي أصبح لا يواكب هذه التغيرات.

إشكالية البحث: يتميز محيط المؤسسة اليوم بتطور التكنولوجيا بوتيرة سريعة، تغير الخدمات والمنتجات باستمرار، المنافسة الشديدة التي يفرضها السوق على المؤسسات، إضافة إلى هذا فإن المنظمات أصبحت أكثر مرونة؛ ومن هنا أصبح نجاح المنظمة مرهونا بقدرتها على مسايرة هذه الأحداث. وفي إطار هذا السياق التنظيمي، نجد أن المنظمات اليوم أمام رهان لفرض مكانتها في السوق، وذلك بإعادة النظر في مختلف سياساتها التنظيمية واستراتيجياتها الإدارية. وتعتبر سياسة الأجور من بين السياسات الهامة التي يجب أن تعنى بها إدارة الموارد البشرية بكل منظمة.

النموذج الحالي لتسيير الأجور المبني على أساس مسؤوليات العمل، نظام تقليدي لا يخدم أهداف المنظمة، حيث يشجع العاملين على رفض الأعمال الإضافية الموكلة إليهم كونها لا تدخل ضمن مسؤوليات عملهم[1]، وهذا يقف عائقا أمام تحسينهم المستمر لأدائهم وتحقيق المنظمة لأهدافها. ولهذا كان لزاما على المنظمات أن تتكيف مع المتغيرات الحالية وتتبنى سياسات أجور جديدة تتوافق مع السياقات التنظيمية المعاصرة، وذلك بتغييرها سياسة الأجور المبنيــة علـى أساس مسؤوليـات العمل والمنصـب إلى تحديدهــا علـى أســاس الكفـاءة.

من الصعب تطبيق نظام الأجور على أساس تقييم الكفاءات في المؤسسات الجزائرية، لأن أي خلل في نظام الأجور يؤدّي إلى مشاكل اقتصادية واجتماعية. إلا أن هذا لم يمنع إحدى المؤسسات الجزائرية من محاولة تطبيقه نظرا لما له من أهمية على الصعيد التنظيمي كتحسين أداء وكفاءة الموارد البشرية ودورانهم، زيادة جودة ونوعية المنتوج وتحسين الإنتاجية[2] وهذه المؤسسة هي "المعمل الجزائري الجديد" « NCA Rouiba ».

يعتبر تحديد الأجور على أساس الكفاءات في "مؤسسة المعمل الجزائري الجديد" « NCA Rouiba »نظام جديد يدخل على عمال المؤسسة الذين طالما تمت مكافأتهم على أساس متطلبات منصبهم. هذا التغيير في الأجور له تأثيـر مباشر على مواقف العاملين وسلوكاتهم، فأي تغيير تنظيمي يعبر "عن حركة الانتقال الجذري أو التدريجي من واقع راهن إلى حالة جديدة، ويتضمن التغيير تحسين أو تطوير طبيعة عمل أو نشاط المؤسسة لغرض تحقيق الأهداف بصورة أفضل"[3].وبما أن للأجر تأثير على إنتاجية المؤسسة، وعلى ممارساتها التنظيمية

---

[1] Sylvie, St-ONGE. **« Rémunération des compétences : où en sommes-nous ? ».** Revue Gestion, Volume 23, numéro 04, 1999, p24.

[2] Sylvie, ST-ONGE. Victor, Y. HAINES III. Alain, KLARSFELD. **"La rémunération basée sur les compétences : déterminants et incidences »**. Revue des relations industrielles, volume 59, numéro 04, 2004, p656.

3 خليل، محمد الشماع. خيضر، كاظم حمود. **نظرية المنظمة**. الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة3، 2007، ص 369.

فإن تبني سياسة أجور على أساس الكفاءات تؤدي بصناع القرار الأخذ بعين الاعتبار معايير وإجراءات من أجل تطبيق نظام الأجر الجديد الذي سيحل محل النظام التقليدي، فما هي الإجراءات و الاستراتيجية التي اتبعتها مؤسسة المعمل الجزائري الجديد لتبني سياسة الأجور على أساس تقييم الكفاءات؟ ماهي العوامل التي أدت بالمؤسسة إلى اعتماد هذه السياسة الأجرية؟ وماهي أهدافها؟

أهداف البحث: اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الكيفي، وبما أن هذا المنهج يهدف إلى إنتاج بيانات حول الخبرات والمعاني الشخصية للفاعلين الاجتماعيين ويعتمد على لغة الفاعل الاجتماعي أو على ملاحظة سلوك الفاعل، ويرى أن السلوك الإنساني مرتبط دائما بالسياق الذي حدث فيه وأن الواقع الاجتماعي لا يمكن خفضه في مجموعة من التغيرات بنفس الأسلوب الذي يحدث في الواقع الطبيعي[1]، وبما أن موضوع دراستنا استكشافي هدفه التعرف على الإجراءات التي اتخذتها مؤسسة NCA رويبة لتبني النظام الجديد في الأجور ارتأينا أن نعتمد في دراستنا على أهداف محددة بدلا من الفرضيات، وتتمثل في:

- محاولة إبراز أهم العوامل والأسباب التي أدت بالمؤسسة إلى اعتماد نظام الأجر على أساس تقييم الكفاءات.
- محاولة التعرف على الإجراءات التي اتبعتها الإدارة ومتخذي القرار في تبني النظام الجديد في الأجر على أساس تقييم الكفاءات، وتسليط الضوء على أهم الفاعلين في هذه العملية.

-المقاربة السوسيولوجية: في أي دراسة أو بحث علمي لابد أن ينخرط الباحث ضمن سياق نظري يحدد به إطار دراسته ليتحكم في موضوعه ولتكتسب دراسته طابعا علميا. فانطلاقة الباحث النظرية تعتبر بمثابة ركيزة يستند عليها ليبين اتجاهه الفكري.

موضوع تحديد الأجور على أساس الكفاءات كان ولازال محل انشغال النظريات التنظيمية والتسييرية، وانطلاقا من هذا، وحسب طبيعة موضوعنا الذي يهدف من جهة، إلى التعرف على الإجراءات التي اتبعتها الإدارة ومتخذي القرار في تبني نظام تحديد الأجر على أساس تقييم الكفاءات، من جهة أخرى الوقوف على الأسباب التي دفعتها إلى ذلك، ارتأينا أن نعتمد في تحليلنا على اتجاهين نظريين: النظرية الموقفية ونظرية الضبط الاجتماعي.

-النظرية الموقفية: فمن رواد النظرية الموقفية الذين تناولوا موضوع أجور الكفاءات نجد Lawler و Zarifian، حيث اقترح Lawler تبنى تغييرات في نظام الأجور قبل الشروع في أي نشاط جديد، ويرى أن يؤجر العاملون على حسب كفاءاتهم الفردية وليس على حسب متطلبات المنصب الذي يشغلونه مستمدا أفكاره من نظرية Y لـ Mc Gregor المبنية على أساس الشفافية، كما يرى Lawler أن الأجور على أساس الكفاءات تتماشى أكثر من المنظمات المتطورة من الناحية التكنولوجية كونها تتميز بمحيط ديناميكي يسمح لهذه الكفاءات في الظهور والنمو في محيط تنافسي شديد، بينما الأجور المبنية على أساس المنصب فهي تتلاءم مع المنظمات التقليدية التي يبقى هدفها الوحيد الحفاظ على التكلفة.[2]

---

[1] فهمي، سليم الغزوي. **المدخل في علم الاجتماع**. عمان: دار الشروق، الطبعة2، 2009، ص ص 89، 90.

[2] Alain, KLARSFELD, Alain, ROGER. **« Décrire et comprendre une instrumentation de rémunération des compétences »**, 12ème Congrés AGRH sur l'instrumentation de la gestion des compétences, Liège, 13-14 Septembre 2011. p04.

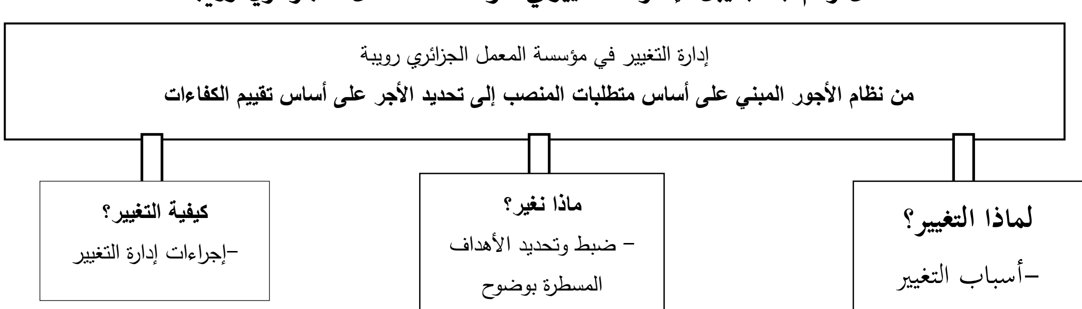
أما فيما يخص Zarifian فإنه يرى أن نموذج التسيير الجديد جاء ليحتل ويستبدل فكرة المنصب بالكفاءة التي أصبحت تدخل في معظم ممارسات إدارة الموارد البشرية بما في ذلك شبكة الأجور.[1]

تؤكد النظرية الموقفية على أهمية المتغيرات البيئية في التأثير على سلوك المنظمات، من خلال محاولتها إقامة العلاقة بين البيئة الخارجية والهياكل التنظيمية ومستوى الأداء، وترى أنه من الضروري دراسة الاتجاهات المختلفة ونموذج طرق التسيير التي يجب أن تصمم من الواقع الخاص لكل منظمة.[2]

وبما أن سياسة الأجر في مؤسسة المعمل الجزائري للمصبرات روبية عرفت تغييرا عما كانت عليه سابقا، أردنا التعرف على الإجراءات المتخذة لوضع هذا النظام خاصة أن الأجر يلعب دورا مهما بالنسبة للموارد البشرية وكذا المنظمة، وأي خلل فيه يؤدّي إلى مشاكل تنظيمية بالدرجة الأولى فاقتصادية واجتماعية. كما أن اعتمادنا على هذه النظرية يساعدنا في التعرف على الأسباب والعوامل التي أدت بالمؤسسة لتبني هذه السياسة في الأجر وكذا الأهداف التي تسعى المؤسسة للوصول إليها باعتماد نظام أجر مبني على أساس تقييم كفاءة عامليها.

ففي المرحلة الأولى من دراستنا، تعرضنا إلى إدارة التغيير في مجتمعنا قيد الدراسة، كما هو مبين في الشكل التالي:

شكل رقم (01) يبن: إدارة التغيير في مؤسسة المعمل الجزائري روبية



- **الضبط الاجتماعي:** إن الاقتراب النظري الثاني الذي اعتمدت عليه دراستنا هو نظرية الضبط الاجتماعي لـ Jean Daniel Reynaud . حيث ظهرت هذه النظرية بدءا من سنة 1970، واحتلت مكانة هامة في العلوم الاجتماعية كونها تسمح بوصف وفهم المجتمع، الحياة الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية و الثقافية، تقوم هذه النظرية على أن العلاقات الاجتماعية أساسها التفاوض ووضع القواعد. تندرج هذه النظرية ضمن علم الاجتماع الفعل، آخذة بعين الاعتبار قدرة الفاعلين على خلق القواعد وتطبيقها من أجل تنسيق أفعالهم. هدف هذه النظرية يتمحور حول تحليل، تفسير وتعديل القواعد.[3] والتي تتمثل أفكارها في محاولة فهم كيفية قيام الفاعلين بخلق وتطوير نظام اجتماعي معين عن طريق إنتاج قواعد شرعية والعمل

---

1 Ibid, p05.

[2] عبد الفتاح، بوخمخم. **نظريات الفكر الإداري: تطور وتباين أم تنوع وتكامل**. طرابلس: جامعة الجنان، 2012، ص ص11،13.

3 Christelle, HAVARD, Cathy KROHMER. « **Création et articulation des règles dans le cadre d'un management des compétences»** Revue de gestion des ressources humaines, France : édition Eska, 1991, p 05.

على إنجاحه.[1] وفيما يخص موضوع الأجور، وترى هذه النظرية، بأن تصميم الأجور على أساس الكفاءات شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي، فقواعد الأجور في المنظمات تجري في إطار واسع وتصنيف محدد في الاتفاقيات الجماعية، فالأجر المبني على أساس كفاءة العاملين حسب هذا الاتجاه مفهوم رئيسي في المنظمات التي تسعى إلى تصميمه في إطار مفاوضة جماعية مع الشركاء الاجتماعيين.[2]

ففي المرحلة الثانية من دراستنا، سيساعدنا الاقتراب النظري في تحليل نظام الأجر على أساس الكفاءات في ميدان بحثنا، باعتبار سياسة الأجور الجديدة شكل من أشكال التعديل التي تحل مكان نظام الأجر التقليدي، فهذه النظرية تتيح لنا معرفة الظروف التي نشأت فيها هذه السياسة الجديدة في الأجور.

-منهجية البحث: موضوع دراستنا هو عبارة عن وصف لإجراءات تطبيق سياسة الأجور على أساس تقييم الكفاءات والوقوف على أهم الأسباب التي أدت بالمؤسسة إلى تبني هذا النظام الجديد ، رأينا أن نستخدم المنهج الكيفي الذي "يستخدم بصفة أساسية في إنتاج بيانات حول الخبرات والمعاني الشخصية للفاعلين الاجتماعيين، ويعتمد عادة على لغة الفاعل الاجتماعي أو على ملاحظة سلوك الفاعل."[3] كما يهدف هذا المنهج، إلى محاولة فهم الظاهرة محل الدراسة عن طريق حصر معاني الأقوال التي تم تجميعها أو السلوكات التي تم ملاحظتها من الميدان.[4]

دراستنا هذه، تسعى إلى وصف إدارة التغيير على مستوى سياسة الأجور في مؤسسة NCA Rouiba والكيفية التي تم بها تبني نظام الأجور على أساس تقييم الكفاءات بعدما كان على أساس متطلبات المنصب، وكذا التعرف على أهم الفاعلين في هذه العملية، وهذه التقنيات هي:

– **الملاحظة:** هذه التقنية تعتبر وسيلة أساسية لجمع البيانات في البحوث الاجتماعية، ساعدتنا كثيرا في البحث الاستطلاعي، من خلال أخذ صورة عن ميدان البحث، وكذا في ضبط موضوع الدراسة وفي صياغة التساؤلات التي تخدم الدراسة، من خلال المشاركة في مختلف ورشات العمل والمحاضرات التي كانت تنظمها مؤسسة NCA Rouiba لإطلاق هذا السياسة الجديدة. فالملاحظة تلزم الباحث بالنزول إلى الميدان ودراسة الظواهر كما هي، أي أنها تتيح له المجال لملاحظة الأجواء الطبيعية لمجتمع البحث دون تدخل أي قوى خارجية.

– **وثائق خاصة بالمؤسسة:** اعتمدنا في طريقة جمع البيانات أيضا على الوثائق الداخلية للمؤسسة، والتي تمثلت في كتيبات للتعريف بالمؤسسة، وكتيبات خاصة بالنظام الداخلي فيها، الاتفاقيات الجماعية، الهيكل التنظيمي للمؤسسة، كتيب خاص بنظام الأجر على أساس بلوغ الأهداف، بطاقة تقييم الأداء والكفاءات السنوية، وكذا كتيبات خاصة توصيف الوظائف، تحرير بطاقة المنصب، والمقابلة التقييمية.

1 Emmanuel, PASQUIER. Parole et pouvoir d'agir : Les déterminants d'une régulation sociale effective, Paris : Université Dauphine, 2011, p07.

2 Alain KLARSFELD, Alain ROGER, Op.cit, p11.

3 فهمي، سليم الغزاوي. **المدخل إلى علم الاجتماع**، عمان: دار الشروق، الطبعة02، 2004، ص ص 88،89.

4 موريس، أنجرس. **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية**. ترجمة/ بوزيد صحراوي وآخرون، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2004، ص 100.

• **المقابلـــة:** إن اختيارنا لهذه الأداة نابع من كونها تمكننا من تجميع أكبر قدر من المعلومات، خاصة وأن الموضوع يرتكز على دراسة المواقف، فبهذه الوسيلة نتعرف على انفعالات المبحوث، اتجاهاته وميوله وتتيح له الفرصة للتعبير عن أرائه وأفكاره بحرية. فهي "تهدف إلى التعرف على جوهر الإنسان الذي لا يمكن أن نصل إليه عن طريق المشاهدة لأنه لا يرى، ولكنه ينعكس في سلوكيات وأفعال يمكن مشاهدتها".[1] وبما أن مؤسسة NCA Rouiba عرفت تغييرا على مستوى سياسة الأجور التي أصبحت تعتمده على أساس تقييم كفاءات عامليها، فإن رغبتنا في التعرف على إجراءات ومراحل تطبيق هذا النظام جعلتنا نوجه دليل مقابلتنا لفئتي الإطارات السامية والإطارات، باعتبار أن هاتين الفئتين قادتا التغيير في مختلف مراحله.

انطلاقا من هذا، قمنا بإعداد دليل المقابلة، الذي تضمن 11 سؤالا مفتوحا، موزعا على ثلاثة (03) محاور:

- **المحور الأول: البيانات الشخصية للمبحوث**
- **المحور الثاني: الخطوات والإجراءات المتخذة لتبني نظام الأجور على أساس الكفاءات**
- **المحور الثالث: إشراك العاملين في سياسة الأجور المبنية على أساس تقييم الكفاءات**

انطلقت عملية إجراء المقابلات بتاريخ 28 جوان 2015، بدءا بمديري الهياكل المختلفة للمؤسسة ثم مع مسؤولي المصالح، وكانت مدة المقابلات تتراوح ما بين 35 دقيقة إلى 40 دقيقة ، وقد تم تسجيل المقابلات عن طريق أداة فونوغرافية حتى لا يفوتنا تدوين المعلومات التي يدلي بها المبحوثون ولا تكون عرضة للنسيان عند إعادة كتابتها بغرض تحليلها.

في موضوعنا هذا سلطنا الضوء على دراسة حالة لمؤسسة NCA Rouiba وهي مؤسسة عائلية، تابعة للقطاع الخاص، يعود تاريخ نشأتها إلى سنة 1966 (مباشرة بعد الاستقلال)، فكانت أحد الدعائم التي قام عليها الاقتصاد الوطني في مجال الصناعة الغذائية، بدأت نشاطها الأولي في إنتاج وتسويق المصبرات (طماطم، هريسة ومربى الفواكه)، ثم اتجهت إلى إنتاج العصائر بمختلف أنواعها.

ارتأينا أن نستخدم العينة القصدية حيث " ينتقي الباحث أفراد عينته بما يخدم أهداف دراسته وبناء على معرفته دون أن يكون هناك قيود أو شروط غير التي يراها هو مناسبة من حيث الكفاءة أو المؤهل العلمي أو الاختصاص أو غيرها، وهذه عينة غير ممثلة لكافة وجهات النظر ولكنها تعتبر أساس متين للتحليل العلمي ومصدر ثري للمعلومات التي تشكل قاعدة مناسبة للباحث حول موضوع الدراسة."[2]

طبيعة موضوعنا الذي انطلق من أهداف محددة، جعلتنا نلجأ إلى اختيار العينة القصدية، وعليه وبما أن عملية التغيير تبنتها إدارة NCA Rouiba، قمنا باستجواب مسؤولي المؤسسة، فعينتنا المختارة وجب أن تكون عاكسة لهدف الدراسة، ففي المرحلة الأولى من البحث، وجهنا أسئلتنا لفئتي الإطارات السامية و الإطارات بغرض إلمامنا بمختلف المراحل والإجراءات التي تم اتخاذها في تبني سياسة الأجور على أساس تقييم الكفاءات، وعليه فقد قمنا باستجواب 10 مبحوثين (05 من مديري المصالح الذي يمثلون الإطارات السامية من أصل 25 إطار سام و 05 من مسؤولي المصالح الذين ينتمون إلى فئة الإطارات من أصل 71 إطار).

---

1 عقيل، حسين عقيل. مرجع سابق، ص 182، 1999.

2 زياد، أحمد الطويسي. **مجتمع الدراسة والعينات**. الأردن: مديرية تربية لواء البتراء،2001، ص 6.

1. عرض وتحليل نتائج الدراسة:

1.1. خصائص المجتمع المستهدف:

من أجل معرفة خصائص المجتمع المستهدف التي تمت عليه دراستنا، قمنا بتجميعها في الجدول الآتي الذي يبين توزيع المبحوثين الذين أجريت معهم المقابلات، حسب فئتهم السوسيومهنية، السن، مستواهم التعليمي، جنسهم، المنصب الذي يشغلونه والأقدمية في مؤسسة NCA Rouiba.

جدول رقم (01) يبين توزيع أفراد العينة حسب خصائصهم:

الخصائص / المبحوث	الفئة السوسيومهنية	السن	المستوى التعليمي	الجنس	منصب المشغول	الاقدمية
مبحوث01	إطار سام	41	جامعي	ذكر	مدير الموارد البشرية	01
مبحوث02	إطار سام	49	جامعي	أنثى	مديرة الاستثمار	24
مبحوث03	إطار سام	42	جامعي	أنثى	مديرة المناجمنت المتكامل	19
مبحوث04	إطار سام	61	جامعي	أنثى	مديرة التدقيق والمراقبة	17
مبحوث05	إطار سام	46	ثانوي	ذكر	مدير الإعلام	22
مبحوث06	إطار سام	51	جامعي	ذكر	مدير البحث والتطوير	27
مبحوث07	إطار سام	41	جامعي	ذكر	مدير الشراء والتموين	02
مبحوث08	إطار سام	38	جامعي	ذكر	مدير المالية والمحاسبة	04
مبحوث09	إطار سام	51	جامعي	ذكر	المدير التجاري	01
مبحوث10	إطار	36	جامعي	ذكر	مسؤول التدقيق والجودة	07
مبحوث11	إطار	28	جامعي	ذكر	مسؤول التسيير التنبئي للمناصب والكفاءات	03
مبحوث12	إطار	49	جامعي	ذكر	مسؤول التموين	23
مبحوث13	إطار	45	جامعي	ذكر	مسؤول التعبئة والتغليف	15
مبحوث14	إطار	53	جامعي	ذكر	مسؤول العمليات	29
مبحوث15	إطار	35	جامعي	ذكر	رئيس المحاسبين	06

الجدول الذي بين أيدينا يبين لنا خصائص المجتمع المستهدف الذي أجرينا معه مقابلات بهدف وصف عملية تبني نظام الأجور على أساس الكفاءات.

وبما أننا حددنا في البداية الأهداف التي ترتكز عليها دراستنا، وكان من بين الأهداف المسطرة التعرف على الإجراءات والاستراتيجية التي اتبعتها مؤسسة NCA في وضع نظام الأجر على أساس تقييم الكفاءات، وتسليط الضوء على أهم الفاعلين في هذه العملة من جهة، ومن جهة أخرى التعرف على العوامل التي أدت بالمؤسسة لتغيير سياسة أجورها، ومدى أهمية هذا النظام، وما الأهداف التي يرمي إليها، كان من المنطقي إجراء مقابلات مع مسؤولي المؤسسة (مدير ومسؤولي المصالح)، حيث أن هذه الفئة هي المسؤولة عن تطبيق هذا النظام وملمة بكل مراحله وأهدافه.

وكما هو مبين في الجدول أعلاه، فإن مجتمعنا المستهدف شمل 15 مبحوثا، 09 مبحوثين من الإطارات السامية والتي تمثل مديري المصالح المختلفة، و 06 مبحوثين من الإطارات العادية تمثل مسؤولي المصالح.

ما يمكننا ملاحظته فيما يخص خصائص مجتمعنا، أن كل المبحوثين جامعيين وهذا أمر طبيعي، حيث أن المنصب الذي يشغلونه وباعتبارهم إطارات المؤسسة ومتخذي القرار فيها، يجعل من المستوى التعليمي الذي يملكونه يعكس المنصب الذي يشغلونه، خاصة إذا علمنا ان المؤسسة تولي أهمية لمستوى إطاراتها وهذا ما لاحظناه أثناء زيارتنا الميدانية ومقابلاتنا مع العمال.

أما فيما يخص الأقدمية في المؤسسة، نجد أن غالبية المبحوثين تتراوح أقدميتهم ما بين سنة إلى سبع سنوات (07-01)، وهذا ما يعكس إرادة المؤسسة في جلب الكفاءات سواء كفاءات أجنبية أو وطنية، فوجود منافسين كثر في مجال المشروبات ورغبة المؤسسة في الحفاظ على ريادتها يلزمها استقطاب الكفاءات والموارد البشرية التي تضمن لها تحقيق أهدافها، كون المؤسسة ادركت أن تحقيق الربح وضمان الاستمرارية لن يتم بمضاعفة الانتاج ونوعيته فحسب وإنما بامتلاك موارد بشرية ذات كفاءات عالية تسهر على تحقيق الميزة التنافسية لها، وهذا مايفسر كثرة التكوينات التي تبرمجها المؤسسة لهذه الفئة والسبب الرئيسي الذي جعل المؤسسة تتبنى مشروع "تحسين الرأسمال البشري."

ما يشير إليه الجدول سيطرة فئة الذكور على المناصب العليا، فقد قمنا بإجراء مقابلة مع ثلاث مديرات تشغلن منصب "مديرة "مقابل 13 مبحوث رجال. ويمكن إرجاع هذا إلى احتكار المناصب الإدارية العليا والقيادية من طرف فئة الرجال، فكما أثبتته العديد من الدراسات، أن هناك عوامل ثقافة واجتماعية تحول دون وصول المرأة لشغل هذه المناصب.[1]

1.2. **أهداف تبني مؤسسة NCA لنظام الأجر على أساس تقييم الكفاءات:** إن تبني مؤسسة NCA Rouiba لسياسة أجرية مبنية على أساس تقييم كفاءات عاملها لم يحدث بطريقة عفوية أو تلقائية وإنما يوجد هناك خلفيات دعت المؤسسة إلى إجراء التغيير، فكل تغيير تسعى إليه الإدارة يكون من أجل الوصول إلى حالة أفضل على ما هي عليه. وبعد تحليلنا لمضمون المقابلات التي أجريناها وجدنا أن الغالبية القصوى من المستجوبين ترى أن الهدف من تبني نظام أجري مبني على أساس تقييم الكفاءات هو:

- **تحقيق مبدأ الإنصاف في الأجور**.حيث أن هذا النظام "يجعل أجور العمال بناء على مهاراتهم ومعارفهم بمعنى أن كل عامل يكافئ حسب مجهوده، وعلى أساس ما يقدمه للمؤسسة."[2]

وهذا ما أكده لنا أحد المستجوبين، حيث قال: "*نظام الأجور يصبح منصف وموضوعي... وذلك بهيكلة الممارسات وجعلها أكثر إنصافا*".

وفي نفس السياق يؤكد هذا القول إطار آخر: "*تكمن أهمية وأهداف تحديد الأجور على أساس تقييم الكفاءات في تحقيق مبدأ الإنصاف، بمعنى حصول العمال على أجر منصف على أساس جهودهم، ويعكس هذا جهد الإدارة في مكافأة عاملها بأحسن الأجور حسب مجهوداتهم ومهاراتهم*".

من خلال تحليلنا لمضمون إجابات إطارات المؤسسة، نلاحظ أن الهدف من تبني نظام جديد في الأجر يقوم على أساس تقييم سنوي للكفاءات هو السعي إلى تحقيق مبدأ الإنصاف في الأجور، ويرجع هذا إلى نظام الأجر الكلاسيكي الذي خلق فجوات على مستوى أجور عمال في مؤسسة NCA Rouiba، حيث نجد هذا التفاوت في الأجور بين فئات مختلفة، و وصل الحد إلى ارتفاع أجور العمال ذوي الأقدمية على حساب أجور العاملين المؤهلين الذين يشغلون منصب إطارات والذين يمتلكون ما يؤهلهم للحصول على أجر أعلى، وهذا ما أكده

[1] Jacqueline, LAUFER. Constance, PERRIN-JOLY. Elena, MASCOVA. **Femmes dirigeantes en entreprise : des parcours aux leviers d’action**. Paris : AFMD, 2014, pp 15, 16.

[2] Pauline, GAUTHIER, Chloé, GUILLOT-SOULEZ : **Entre logique qualification et logique compétence, comment reconnaitre les compétences individuelles ?** France **:** 24ème Congrès de l’AGRH, 2013, p 05.

أحد الإطارات السامية حيث قال: *"في نظام الأجر القديم، كان العامل الذي يملك سنوات أقدمية ذو أجر مرتفع مرتين مقابل أجر منخفض لمهندس يملك كل المؤهلات والكفاءات لشغل المنصب."*

واحد من بين العوامل الذي فرض على المؤسسة إجراء تغيير تنظيمي على مستوى سياسة الأجور، ، هو أن انطلاقة مؤسسة NCA Rouiba كان سنة 1966، حيث أنه وككل المؤسسات الجزائرية أنذاك أي بعد الاستقلال، "نشأت في ظل شروط بيئية خاصة تميزت بمخلفات الاستعمار: عدم الاستقرار السياسي، الفقر، الأمية وكذا البطالة"[1]، وبالتالي فكان الهدف الرئيسي للمؤسسة الجزائرية هو امتصاص البطالة وتشغيل أكبر عدد من العمال للمساهمة في العملية الإنتاجية، حيث كانت تعتبر المؤسسات في هذه الفترة القوة الموجهة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. إلا أنه لم تكن لديها استراتيجية في التوظيف، ولم تكن تمتلك لعمال مؤهلين، وهذا ما صرح به المدير العام للمؤسسة السيد سليم عثماني حيث قال *"الهدف الأول الذي سطرته عند تولي رئاسة المؤسسة، هو السيطرة على المؤسسة التي كانت في طريق الإفلاس، والعنصر الأساسي لتحقيق هذا يتم بضبط الخلل الموجود على مستوى الموارد البشرية حيث كان معظم العمال أميون، فكان الهدف الأول نشر العلم والمعرفة"* [2] وبالتالي نرى أن التوظيف كان يفتقد للبعد الاستراتيجي ولخطة مرسومة على ماهو موجود عليه اليوم والذي يفسره المشروع الجديد لتحسين الرأسمال البشري، وهذا ما يفسر وجود عاملين ذوي أقدمية كبيرة في مؤسسة NCA ROUIBA حتى أن بعض العمال الذين قابلناهم صرحوا أن مسارهم المهني انطلق مع بدايات المؤسسة، وعايشوا مختلف مراحلها، إن المشكل وراء الفجوات الموجودة على مستوى أجور عمال NCA ليس فقط أقدمية العمال، وإنما في نظام رفع الدرجات والترقيات الذي يتم كل سنة بطريقة روتينية، وبالتالي ينجم عنه فجوة في الأجور ما يفسر الاختلالات في الأجور التي لا توافق أحيانا الفئة السوسيومهنية.

بهذه السياسة الجديدة في الأجور، تسعى مؤسسة NCA إلى محاولة غرس لدى عمالها مبدأ الاستحقاق، فالعوامل الداخلية والخارجية للمؤسسة دفعتها لتبني هذا النظام الجديد للأجور حتى يحصل العامل على الأجر الذي يعكس كفاءته ومهارته وليس على أساس رفع درجة ينتظرها العامل كل سنة دون بذل أي مجهود. فالعامل في هذه الحالة يكافئ على أساس ما يقدمه للمؤسسة. لذا كان لزاما على مؤسسة NCA أن تلجأ إلى تغيير تنظيمي يمس هيكلها التنظيمي، وبعض ممارسات إدارة الموارد البشرية والتي سنتعرض لها في المباحث الآتية.

- **تحقيق أهداف إنتاجية:** من الأهداف الأخرى التي تسعى مؤسسة NCA إلى تحقيقها من خلال تبنيها لنظام الأجر على أساس تقييم الكفاءات، نجد تحقيق الإنتاجية والاستجابة لمتطلبات السوق، وهذا ما أقره أحد المستجوبين حين قال *" هذا النظام الجديد في الأجر يسمح بتقديم عمل ذو نوعية في الآجال المحددة، وتحقيق أهداف الإنتاجية والاستجابة للرؤية التي حددت الأهداف."*

---

[1] Leila MELBOUCI. **Le modèle des entreprises publiques algériennes : échec ou fin de mission ?** Edition Al – Amal, Tizi Ouzou, 2008, p.99

[2] محاضرة حول **"نبذة تاريخية حول لمعمل الجزائري الجديد للمصبرات"**، نشطها السيد سليم عثماني المدير العام لمؤسسة المعمل الجزائري الجديد للمصبرات، بالمدرسة الوطنية العليا للمناجمت يوم 28 فيفري 2015.

ترى إطارات مؤسسة NCA أن مكافأة العمال على أساس كفاءاتهم ومهاراتهم يساهم في رفع إنتاجية المؤسسة، حيث أن العامل يسعى بكل مجهوداته أن يرفع كفاءاته الإنتاجية ليحصل على أجر أعلى، ويساهم هذا في ارتفاع مستواه المعيشي من جهة، ومن جهة أخرى زيادة أرباح المؤسسة.

وبالرجوع إلى أبجديات الإدارة والتنظيم، نجد أن الأجور احتلت دائما اهتمامات العاملين، كونها تعتبر طريقة قوية لتحفيز الأفراد والجماعات لتحقيق مستويات إنتاجية عالية، ويعتبر نظام الأجر على أساس الكفاءات من بين أنظمة الأجور التي تعزز الإنتاجية، حيث يكافأ العامل في هذه الحالة على حسب الكفاءات التي يمتلكها.[1]

- **امتلاك رأسمال بشري الذي يمتلك الكفاءات الضرورية من أجل ضمان الخلف في المؤسسة:**

تسعى مؤسسة NCA Rouiba من خلال تبني نظام الأجور على أساس تقييم الكفاءات إلى امتلاك موارد بشرية تتميز بكفاءات عالية تعتمد عليها في تحقيق الأهداف المستقبلية حيث أشار أحد المستجوبين أن الهدف من هذه السياسة الأجرية هو *"امتلاك المورد البشري الذي يتميز بالكفاءات الضرورية لتحمل المهام والمسؤوليات بطريقة عقلانية معيارية."*

امتلاك المؤسسة لعمال يمتازون بكفاءات مختلفة، يمكنهم من تعويض بعضهم بعض، ويسهل عملية الانتقال بين المناصب في حال غياب بعض العمال أو استقالتهم حيث "أن اكتساب الكفاءات تسمح للعمال بالانتقال بين المناصب وتطور مسارهم المهني"[2].

1.3. **العوامل المؤدية لتبني سياسة الأجر على أساس تقييم الكفاءات:**إن عملية التغيير لا تحدث بطريقة عفوية أو تلقائية وإنما يوجد هناك أسباب دعت مؤسسة NCA إلى إجراء التغيير على مستوى سياسة أجورها، وحسب إجابات مجتمعنا المستهدف، فإن الأسباب التي أدى بمؤسسة NCA إلى تغيير نظام الأجر الذي كان على أساس مسؤوليات منصب العمل إلى سياسة أجرية على أساس تقييم الكفاءات تكمن في:

- **العامل الأول: زيادة إنتاجية المؤسسة والرفع من رقم أعمالها بسبب تأثيرات المحيط الخارجي:**

حيث يقول أحد الإطارات المستجوبة *"أظن أن العوامل التي أدت بالمؤسسة إلى تبني هذا النظام هو من أجل زيادة إنتاجيتها*، واحتلال السوق الخارجي." ويضيف مستجوب آخر *"المؤسسة اليوم عليها أن تزيد من قدراتها الإنتاجية وتطويرها على المستوى المحلي والعالمي لأنها تسعى للحصول على البعد الأفريقي، وهذا يلزم علينا أن نكون قادرين على تركيب مصانع وإنتاج منتوجات في القارة الأفريقية*".

من خلال هذه الإجابات يتضح أن الأسباب التي أدت بمؤسسة NCA إلى تبني سياسة أجور على أساس الكفاءات هو رغبتها في أن تصبح بطل إفريقي ورائدة في مجال المشروبات.

تسعى مؤسسة NCA لتحقيق أهداف إنتاجية بالدرجة الأولى للحفاظ على الريادة الوطنية في ظل المنافسة الشديدة الموجودة على مستوى نشاط إنتاج المشروبات، إلى جانب هذا فإن المؤسسة تسعى إلى أهداف أخرى على المدى البعيد، كأن تزيد رقم أعمالها بنسبة 50% في سنة 2018، وأن ترفع منه بنسبة 20 % على المستوى العالمي، كما تطمح المؤسسة لأن تحتل المراتب العشرة الأولى على الصعيد الإفريقي-المتوسّطي سنة

[1] Hallriegel, DON. John, W SLOCUM. **Management des organisations**. Belgique: De Boeck, 2ème édition, 2006, pp 229, 230.

2 Valérie. MARBACH. « **Rémunération des compétences : proposition de typologie** ». GREGOR, N° 04, Paris, 1996, p 12.

2030. هذا ما جعلتها تقوم بتبني نظام الأجر على أساس تقييم كفاءات عاملها، من أجل تحفيز العاملين ودفعهم لزيادة الإنتاج أكثر، وبالتالي كلا الطرفين يحقق الربح، فتطبيق نظام الأجر على أساس كفاءة العامل، يدفعه إلى اكتساب مهارات جديدة يؤدّي بها عمله على أكمل وجه من حيث النوع و الكم، لأنه على دراية أن المؤسسة ستكافئه على أساس ما يقدمه ويضيفه لها، وهذا ما أكده لنا أحد المستجوبين حين قال "لبلوغ المؤسسة أهدافها لابد من وجود رأسمال بشري، خاضع للتكوين بشكل جيد، يمتاز بكفاءات، وله أجر جيد، لأنه في وقت ما يجب معرفة مدى مساهمة الفرد في الأداء التنظيمي".

فتبني مؤسسة NCA لتغيير تنظيمي يمس سياسة أجورها هو محصلة لزيادة المنافسة الناتجة عن التغيرات في محيط المؤسسة، تهدف به تحفيز عامليه لتضمن بقائها في الريادة وتحقق الميزة التنافسية.

- **العامل الثاني: الفجوات في الأجور:**

من العوامل التي أدت بمؤسسة NCA إلى تبني نظام أجور على أساس تقييم الكفاءات هو محاولتها لإزالة الخلل الموجود على مستوى سياسة دفعها للأجور، حيث وكما أشرنا إليه سابقا (ص12)، فإنه من بين أهداف المؤسسة إنشاء نظام أجري يقوم على أساس الإنصاف والاستحقاق، حيث يقول أحد الإطارات في هذا السياق:" *لقد قمنا بتبني هذا النظام الجديد من أجل خلق التوازن في الأجور، والحصول على أجر منصف."* كما سبق ذكره، فإن مؤسسة NCA عانت من اختلالات في سياسة أجورها بسبب نظام رفع الدرجات والترقيات الذي يقام كل سنة على أسس غير موضوعية، مما ينجم عنه زيادات غير عادلة في الأجور يستفيد منها العامل سواء بذل مجهود أو لم يبذل. ويؤكد أحد الإطارات المستجوبة هذا بقوله: *"كانت هناك فوارق في أجور العمال، نتيجة رفع الدرجة والأقدمية، ولم يكن هناك تقييم للأداء أو الكفاءة."*

عرف نظام الأجر على أساس تقييم الكفاءات في مؤسسة NCA تطورا تدريجيا، ففي بادئ الأمر كانت سياسة الأجور في المؤسسة مبنية على أساس متطلبات ومسؤوليات منصب العمل، وفي هذه الحالة يؤجر العامل حتى ولو لم يبذل مجهود، ويتم زيادة راتبه بطريقة عشوائية كل سنة دون تقييم لأدائه أو كفاءاته، بعدها قامت مؤسسة NCA بإدراج شكل جديد من أشكال الأجور مبني على أساس الأداء وتحقيق الأهداف و قامت بتسميته "البركة"، حيث تسطر المؤسسة هدفها في السداسي الأول من السنة، وتقوم بتعليقها في لوحة عند مدخل الإدارة. في هذا النظام تقوم المؤسسة بتسطير أهداف اقتصادية كل ستة أشهر، و على أساس تحقيق الفائض في الإنتاج التي حققها أداء العمال تحسب الزيادات وتضاف إلى الأجر الأساسي، فهي مكافأة للعمل الجماعي يستفيد منها العمال فقط دون المديرين والعمال الذين غابوا دون مبرر، حيث ترى أن غياب العمال غير المبرر ينقص من البركة.

من خلال تطرقنا لأنظمة الأجور في مؤسسة NCA نستنتج أن تبني المؤسسة لأي نظام أجري كان من أجل الاستجابة للرهانات والمتغيرات التي تخضع لها في مرحلة ما، فتبنها لسياسة أجرية على أساس مسؤوليات منصب العمل كان نتيجة للبيئة الخارجية التي كانت موجودة فيها المؤسسة بعد الاستقلال حيث لم تكن تمتلك لعمال مؤهلين ولا حتى لاستراتيجيات إدارة الموارد البشرية، فهدفها كان التنمية الاقتصادية

والاجتماعية للنهوض بالاقتصاد الوطني وامتصاص البطالة التي خلفتها فترة الاستعمار، حيث كان "القطاع الخاص كمساند للقطاع العام"[1].

أما الفترة الذي ظهر فيها نظام البركة جويلية 2014 ، عرفت تطورات كبيرة على مستوى الإنتاج واستطاعت المؤسسة تحقيق أرقام قياسية، حيث أنه في هذه المرحلة تغيرت أهداف المؤسسة، وأصبحت تركز على مكانتها في السوق ، فكان هذا النظام كحافز للعمال يدفعهم لتحقيق أهداف المؤسسة.

وبعدما حققت المؤسسة ريادتها على المستوى المحلي، وتمكنها من دخول البورصة أشركت في سياستها نظام آخر يقوم على أساس الكفاءات، حيث يقوم الأفراد من خلال هذا النظام بتنمية كفاءاتهم واكتساب كفاءات جديدة، لأن أجرهم مرهون بتقييم كفاءاتهم ومجهوداتهم المبذولة، كما أن هذه السياسة تضمن التحسين المستمر للأداء التنظيمي، وتصبح المؤسسة أكثر مرونة، خاصة وأن هدف المؤسسة المستقبلي يتمثل في اكتساح السوق الإفريقي.

انتهاج مؤسسة NCA لسياسة الأجر على أساس تقييم الكفاءات يعكس إرادة المؤسسة في تعديل أجور عمالها الذي يعاني من فجوات لأسباب ذكرناها سابقا، فالسعي إلى توزيع أجور منصفة بين العاملين دفع المؤسسة لتبني هذا النظام الجديد في الأجور، نظام يكافئ العامل على أساس ما يساهم به في المؤسسة، فشعور العامل بعدم الإنصاف في مؤسسته يعود بالسلب عليه، وعلى المؤسسة ككل خاصة إذا كان هذا العامل يبذل مجهودات ومهارات ولا يكافئ على هذا الأساس حيث يكون أجره متساو مع العامل الذي لا يبذل أي مجهود أو يتحصل على زيادات من خلال نظام رفع الدرجة والأقدمية.

من خلال ما تم ذكره، نستنتج أنه من العوامل التي دفعت مؤسسة NCA إلى تبني نظام أجور على أساس تقييم كفاءات عامليها هو بسبب الفجوات الموجودة على مستوى أجور عامليها، فتبنيها هذا النظام يضمن للعامل أجر منصف على أساس مساهمته في المؤسسة.

1.4. الإجراءات المتخذة لوضع سياسة الأجور على أساس تقييم الكفاءات:

قيادة هذا التغيير في نظام الأجور على مستوى مؤسسة NCA جعلها تتخذ إجراءات معينة، حيث قامت المؤسسة بالاستعانة بمكتب استشارات مختص في سياسة الأجور الذي ساعدها في التشخيص، وكان الإجراء الثاني الذي قامت به المؤسسة NCA هو إعادة تصميم بطاقة المنصب بغرض تحديد المهام والكفاءات لكل وظيفة، وبعد الانتهاء من هذه العملية انتقلت إلى الإجراء الموالي والمتمثل في عملية وزن الوظائف بهدف وآخر إجراء قامت به هو تكوين مديريها ومسؤوليها حول إدارة مقابلة التقييم السنوية.

- **الاستعانة بمكتب استشارات:** في تبنيها لنظام الأجر على أساس تقييم الكفاءات، عمدت مؤسسة NCA إلى الاستعانة بخدمات مكتب للاستشارات مختص في التدقيق، الاستراتيجيات ومناجمنت المنظمات، حيث يقول أحد الإطارات: *"رافقنا مكتب مختص في تسيير الأجور والذي ساعدنا في بناء هذا النظام الأجري على أساس الكفاءات، هذا المكتب ساعدنا في التشخيص."*

ويضيف إطار سام آخر:" مؤسسة NCA عند تبنيها لهذا النظام، اعتمدت على مكتب استشارات مهم...." .

[1] MELBOUCI, Leila. Op.cit., p 125.

هذه المرحلة من التغيير عرفت بمرحلة جمع المعلومات والتشخيص حيث تم فيها جمع المعطيات والمعلومات حتى تسهل عملية التشخيص والتحليل لحاجة مؤسسة NCA إلى تغيير سياسة أجورها.

- **تصميم بطاقة الوصف الوظيفي:** هي إحدى أدوات المهمة التي تعتمد عليها كافة أنشطة الموارد البشرية، إذ تمثل نقطة البداية التي تبدأ منها عمليات تخطيط القوى العاملة وعملية الاختيار والتعيين وهيكلة الأجور وإدارة البرامج التدريبية وتقييم الأداء والكفاءات، حيث أنها "تصف مهمات الفرد الذي يشغل منصب معين، الأهداف التي تم تعيينها له، السلطة الممنوحة له، مسؤولياته، كفاءاته، مهامه، حقوقه".[1]

إدراج نظام الأجر على أساس تقييم الكفاءات في مؤسسة NCA أدى بها إلى إعادة تصميم بطاقة الوصف الوظيفي بهدف إنشاء تسميات للوظائف الموجودة بها، ووضعها في المكان المناسب في الهيكل التنظيمي وتحديد الكفاءات المطلوبة، وفي هذا السياق يقول أحد الإطارات المستجوبة: *"لدينا هيكل تنظيمي معياري، وهذا الهيكل يلتقط كيف تتمركز فيه الهياكل والوظائف، وبما أننا سنعمل على الكفاءات، كان لابد من إعادة تصميم بطاقات الوظائف، أين سنقوم بالتركيز على الكفاءات".*

وتتكون بطاقة توصيف المناصب لمؤسسة NCA من: المسمى الوظيفي، الأهداف، المهام، النشاطات، الكفاءات، شروط العمل، المميزات. والشكل التالي يوضح محتوى بطاقة توصيف الوظيفة بمؤسسة NCA.

تم إعادة تصميمها بطاقة الوصف الوظيفي في مؤسسة NCA من أجل أن تلائم هذا النظام الأجري الجديد، حيث أدمجت الكفاءات في عناصرها، وسندت مهمة إعادة تصميمها للإطارات السامية والإطارات أي المسؤولين المباشرين حيث يقول أحد الإطارات: *"لقد تم التغيير الكلي في بطاقات الوصف الوظيفي، لقد اتبعنا تكوينات حول تصميم هذه البطاقات، كان علينا وضع كل المعلومات اللازمة، يمكنني القول أن تصميم بطاقة الوصف من مهام إدارة البشرية ولكن مدير الموارد البشرية أسند لنا مهمة تصميمها حتى نكون على علم بكل ما هو موجود فيها".*

ما يمكننا استنتاجه من خلال إسناد مهمة تصميم بطاقة الوصف الوظيفي إلى المسؤولين المباشرين وليس إلى إدارة الموارد البشرية إلى الاحتكاك اليومي بين العاملين ومسؤولهم المباشر، حيث هذا الاحتكاك يجعل المسؤول المباشر مؤهلا لتقدير مسؤوليات المنصب، فهو يبدي ملاحظته الدائمة والمستمرة لهم أثناء أدائهم لعملهم، إضافة إلى هذا فإنه الأكثر إلماما بقدرات العامل الذي هو تحت إشرافه حيث أنه يعرف قدراته وكفاءته، نقاط ضعفه وكذا قوته ويمتلك معرفة شاملة عن متطلبات المنصب الذي يشغله العامل. وبالتالي فإن المسؤول المباشر هو الشخص المناسب لتصميم بطاقة الوصف الوظيفي.

- **وزن وتقييم الوظائف:** تعد هذه العملية "من أنشطة الموارد البشرية تقوم على أساس تحليل، مقارنة متطلبات الوظائف المختلفة في المؤسسة من أجل تحديد القاعدة الأساسية للوظائف، وقيمتها النسبية لترتيبها حسب الأهمية مما يسمح ببناء سلم أجور يتميز بالإنصاف".[2]

هذه العملية تبرز الأهمية النسبية لكل وظيفة من الوظائف مقارنة بالوظائف الأخرى من حيث الخصائص والواجبات والمسؤوليات والمهام والمواصفات وظروف العمل والمؤهلات اللازمة والنتائج المترتبة وذلك للاستفادة

---

[1] Gérard, VOIRIN **: Définir la fonction**. Paris : éditions d’organisation, 4ème édition, 2002, p 11.

[2] Lakhdar, SEKIOU : **Gestion des ressources humaines**. Belgique : De Boeck, 2ème édition, 2001, p126.

منها في كثير من أنشطة إدارة الموارد البشرية وأهمها تحديد الأجر المناسب لكل وظيفة ووضع هيكل الرواتب والأجور على مستوى المؤسسة.

مؤسسة NCA أخذت بعين الاعتبار هذه العملية خلال وضعها أساسيات نظام الأجر على أساس الكفاءات وكونت لجنة مختصة في تقييم الوظائف ووزنها ويؤكد لنا أحد الإطارات هذا بقوله: *"هناك لجنة لوزن الوظائف من أجل تقييم المناصب الموجودة والمستقبلية في حال وجود تغييرات فإن كل وظيفة يحكم عليها على حسب مسؤولياتها وذلك على أساس استقلاليتها وتقنيتها."* ويضيف إطار آخر *"وراء تبني نظام الأجر على أساس الكفاءات رافقته سلسلة من الإجراءات ومن بينها تعيين لجنة لتقييم الوظائف ووزنها."*

حسب إطارات المؤسسة المستجوبة فإن عملية تقييم ووزن الوظائف تمكن من تحديد الوضعية الأجرية لكل عامل حسب معايير محددة، حيث أن هذه العملية تتطلب تحليل العناصر المكونة للوظيفة، النشاط والكفاءة وهذا ما قاله لنا أحد الإطارات السامية: *"كان يجب تقييم ووزن كل وظيفة، حيث تم تقييم كل وظيفة وفق مسؤولياتها، تقنيتها، تعقيداتها، درجة الاستقلالية فيها، وكذا بعد العلاقات. هذه المعايير سمحت بتقييم الوظائف على أساسها، فأصبحت كل وظيفة تقابل الأجر المناسب لها."*

إن هدف عملية تقييم الوظائف يتمثل في مقابلة الجهد المبذول من قبل العاملين في أي وظيفة معينة بأجور مناسبة لها، خاصة وأن المؤسسة بصدد تبني نظام جديد في الأجور يقوم على أساس الكفاءات.

- **إدارة مقابلة التقييم السنوية:**

تعد مقابلة تقييم الأداء ركنا أساسيا ومهما من أجل تحسين وتطوير أداء الموارد البشرية. وهي تتم مع العاملين لتقييم أدائهم عن فترة سابقة بأهداف المنظمة، وبالتالي هي فرصة لمراجعة إنجازاتهم مع مسؤوليهم المباشرين موضحين بذلك الأسباب الحقيقة لضعف الأداء ومشاكل العاملين إن وجدت، وتلقي الضوء على التدريب وخبرات العمل اللازمة وتعزيز نقاط قوة الأداء.

فمقابلة التقييم السنوية هي عبارة عن لحظة مميزة من الحوار بين العامل ومسؤوله المباشر[1]، وتهدف مقابلة تقييم الأداء إلى إعطاء العامل فكرة واضحة عن طريقة أدائه للعمل، مع تبيين وشرح نقاط الضعف فيها ومناقشة سبل تحسينها، كما تسعى إلى توضيح مستوى الأداء المطلوب وشرح أهداف العمل ومتطلباته.[2]

من خلال وضعها لنظام الأجر على أساس تقييم الكفاءات، عمدت مؤسسة NCA إلى إخضاع مديريها لتكوين حول الكيفية التي يتم بها إدارة مقابلة التقييم السنوية، وهذا بالاستعانة بمكتب الاستشارات، فخضع المديرون إلى هذا التكوين وهذا ما أكده أحد الإطارات التي قمنا باستجوابها حيث قال: *"لقد كان هناك تكوين لمديري الهياكل ليتمكنوا من معرفة إجراءات التقييم، وكذا طرقه لتكون طريقة تقييم العاملين صحيحة."*

مقابلة تقييم الأداء تعني بلوغ التقييم ذروته، أي إعلان نتائجه بالتقاء المشرف والعامل لمراجعة التقييم بوضع خطة مستقبلية وذلك بتحسين نواحي الضعف في أدائه وتقوية النواحي الإيجابية، ويكون هذا دائما

---

[1] Aurélia, DEJEAN. Jean-Pierre ROBBE : **l'entretien annuel au service du bien-être et de l'efficacité au travail**, cahier du DRh, N° 166, Juin 2010, P17.

[2] عمر، وصفي عقيلي. **إدارة الموارد البشرية: بعد استراتيجي**. عمان: دار وائل للنشر، الطبعة1 ، 2009، ص 428.

ضمن مقابلة تقييم الأداء، كما أن المقابلة التقييمية "تسمح للمدير من التحقق من وضعية كل عامل في المؤسسة، كما تعتبر عنصر محدد لأجر العامل على حسب مساهمته الفردية."[1]

تطبيق نظام الأجر على أساس تقييم الكفاءات، جعل مؤسسة NCA تعيد النظر في طرق التقييم وكذا في بطاقات التقييم السنوية، فإدراج عنصر الكفاءة في ممارساتها أوجب عليها تبني تغييرات بدأت من الهيكل التنظيمي، بطاقة الوظيفة، وبطاقة التقييم السنوية.

خضوع مديري مؤسسة NCA إلى تكوين خاص بمقابلة التقييم السنوية كان هدفه التمكن من إتقان إدارتها وتعلم مختلف طرق التقييم، وتشمل مقابلة التقييم السنوية بذات المؤسسة تقييم للأداء والآخر للكفاءة، وذلك لاختلاف الأداء عن الكفاءة. فالأداء هو " تأدية عمل أو إنجاز نشاط أو تنفيذ مهمة، بمعنى القيام بفعل يساعد على الوصول إلى الأهداف المسطرة"[2]. أما الكفاءة مكا ذكرناها والتي نعتمدها في دراستنا هي تلك المهارات و السلوكات التي يستعملها الفرد من أجل إنجاز مهام عمله على أكمل وجه، كما أنها تلك المهارات التي يكتسبها العامل في فترة معينة.

ومنه نجد أن الأداء مرتبط بتحقيق الأهداف التي يتطلبها منصب العمل، في حين أن الكفاءة هي المهارات التي يكتسبها العامل، لذل فإنه من الصائب تقييم كل على حدى (الأداء والكفاءة).

الخـلاصة:

من خلال ما تم عرضه من تحليلات، والذي انصب اهتمامنا فيها على إبراز أهم الأسباب والعوامل التي أدت بمؤسسة NCA لتبني نظام الأجر على أساس الكفاءات، وكذا التعرف على الإجراءات التي اتبعتها الإدارة ومتخذي القرار في وضع هذا النظام الأجري الجديد استخلصنا أن:

- **تبني نظام الأجر على أساس الكفاءات كاستجابة لمتغيرات المحيط:**

استنتجنا من خلال المقابلات التي أجريناها مع بعض الإطارات السامية والإطارات العادية بمؤسسة NCA رويبة، أن نظام الأجر على أساس تقييم الكفاءات تسعى به المؤسسة إلى مكافأة العامل على أساس الحكم على كفاءته، وليس على أساس مسؤوليات العمل، أي أن أجره يصبح مرتبط بعدد الكفاءات التي يمتلكها ويكتسبها في فترة محددة.

كما استخلصنا كذلك أن تبني مؤسسة NCA روبية لسياسة أجور على أساس تقييم الكفاءات، لم يتم بطريقة اعتباطية أو رغبة من إدارة المؤسسة، بل كانت هناك عوامل دفعت بالمؤسسة إلى إحداث التغيير على مستوى سياسة أجورها.

فمحيط المؤسسة، حجمها، وعمرها والتكنولوجيا التي تستعملها تؤثّر على التغييرات التي تحدثها، وهو الحال بالنسبة لمؤسسة NCA، فاعتمادها على نظام جديد في الأجور يقوم على أساس تقييم كفاءات عاملها كان نتيجة لهه التأثيرات الخارجية والداخلية.

1 Syndicat Employeur des acteurs du lien social et familial (SNAESCO) **: L'entretien annuel : le guide**, 2013, p02.

[2] الشيخ، الداوي. مرجع سابق، ص 218.

يتميز المحيط الخارجي لمؤسسة NCA بعدم التوازن والاستقرار نظرا للتغيرات السريعة التي تطرأ على هذا المحيط باستمرار، كما أنه يتميز بالتطور التكنولوجي والمنافسة الشديدة في مجال مشروبات الفواكه والمشروبات الأخرى. ولتضمن مؤسسة NCA استمراريتها، عليها أن تتكيف مع محيطها الذي يجعلها تعيش اضطرابات ناتجة عن هذا المحيط مثل: تطور الأسواق، شدة المنافسة.. هذه الاضطرابات تخلق لدى المؤسسة مناطق للارتياب مما يجعلها تقود تغيير تنظيمي لتكيف ممارساتها واستراتيجياتها الداخلية مع ما هو حاصل في المحيط الخارجي لها. ومن هنا نجد أن أسباب التغيير التنظيمي الذي طرأ على سياسة الأجور في مؤسسة NCA كان استجابة لهذه التغيرات والاضطرابات الخارجية، حيث تبني سياسة أجر على أساس تقييم الكفاءات يحفز العاملين ويدفعهم إلى اكتساب مهارات جديدة وكفاءات عالية، فيكافؤون على أساسها مما يساهم في تحفيزهم ورفع مردوديتهم لأن أجرهم مرهون بها، وبالتالي تضمن المؤسسة بقائها وتسعى إلى زيادة إنتاجيتها في ظل تغيرات المحيط وما يخلقه من اضطرابات تؤثّر على المؤسسة.

نلاحظ أن المتغيرات الداخلية لمؤسسة NCA في تفاعل مع المتغيرات الخارجية، فمتطلبات المحيط الخارجي للمؤسسة تؤثّر على ممارساتها الداخلية، مما يجعل المؤسسة تتبنى نظام أجر جديد على أساس الكفاءات لتحقيق ميزة تنافسية وتزيد من إنتاجيتها وترفع من رقم أعمالها في ظل المنافسة والتطورات التي يفرزها المحيط الخارجي لها، فمحيط المؤسسة سنة 1966 يختلف عن المحيط الحالي الذي توجد به.

كما نستنتج أيضا أن مؤسسة NCA لتحقق هدفها الإنتاجي، لم تقم بتغيير نوعية منتوجها وإنما تبنت استراتيجية جديدة وغيرت من طريقة ممارسات إدارة الموارد البشرية من خلال وضع نظام أجري يحفز كفاءاتها البشرية لزيادة الإنتاجية من جهة ومن جهة تضمن بقاء رأسمالها البشري.

- **نظام الأجر على أساس الكفاءات كتسوية، تعديل وتغير في العلاقات:**

إن سعي مؤسسة NCA إلى إحلال نظام أجري منصف بين عاملها على أساس مبدأ الاستحقاق والكفاءات، يعتبر نوع من الضبط الاجتماعي لتسوية وتعديل لسياسة أجورها التي كانت تعاني من اختلالات وفجوات.

الانتقال من مكافأة العاملين على أساس مسؤوليات منصب العمل إلى مكافأتهم على أساس تقييم كفاءاتهم يعتبر كتغيير في القواعد الأجرية لتكون مناسبة أكثر وتتوافق مع أهدافها ومع ما يفرضه المحيط.

مؤسسة NCA بوضعها لنظام الأجر الجديد على أساس الكفاءات، تقوم هنا بتغيير في العلاقات التبادل بينها وبين الفاعلين، حيث أن المؤسسة تطالب العامل باكتساب مهارات وكفاءات جديدة ليزيد من إنتاجيته وفي المقابل يطالب العامل بالأجر المناسب لهذه المهارات التي يبذلها والكفاءات التي يكسبها. فبتبني هذا النظام الجديد في الأجر حتى العلاقات ستتغير على خلاف ما كانت عليه في نظام الأجر الكلاسيكي على أساس متطلبات منصب العمل حيث كان العامل يؤجر على عمله سواء بذل مجهود أو لم يبذل.

تبني نظام الأجر على أساس تقييم الكفاءات في مؤسسة NCA سيؤدّي لا محالة إلى تغيير في علاقات السلطة، إذ تصبح هناك لامركزية للقرارات، حيث أن أجر العامل يحدد عن طريق تقييم يقوم به رئيسه المباشر الذي يحدد مستوى أدائه وكفاءاته وما يقابله من أجر. حيث تعتبر مقابلة التقييم السنوية كضبط لأداء للعاملين وكفاءاتهم وبدورها تصبح لا مركزية، إذ من خلال مقابلة التقييم يتم الحوار بين العامل

ومسؤوله المباشر بطريقة مرنة أين يتم التحدث عن نقاط ضعف وقوة أداء العامل وكفاءته وسبل التحسين إما بالتعلم أو الخضوع إلى التدريب والتكوين، فتصبح المقابلة التقييمية كأداة للتفاوض بين العامل ومسؤوله حول الأداء، الكفاءة، سبل تحسينها، التخطيط لمساره المهني وكذا الأجر.

التغيير في العلاقات لن يمس فقط السلطة، الممارسات التنظيمية وإنما حتى علاقة العامل بزملائه، فعندما كان أجر العامل مرتبط بمسؤوليات منصب العمل، كان أجره ثابت لا يستدعي المنافسة، فالعامل نهاية كل شهر يحصل على نفس الأجر الذي يتقاضاه زميله في نفس المنصب، أما في نظام الأجر على أساس تقييم الكفاءات فإن علاقة العامل مع نظرائه تتغير، وتصبح مبنية على أساس المقارنة، على الرغم ما يحققه هذا النظام من إنصاف في الأجور باعتبار أن كل عامل يكافأ على مهاراته نجد أن مقارنة أجره مع زملائه هي السبيل الوحيد الذي ينتهجه العامل ليتأكد من أن الإدارة كانت منصفة معه.

عملية التغيير التي قادتها مؤسسة NCA على مستوى سياسة أجورها في جعلها على أساس تقييم الكفاءات يعتبر كتسوية وتعديل للنظام الكلاسيكي القائم على أساس متطلبات منصب العمل، كما أن نظام الأجر على أساس الكفاءات هو محصلة للمتغيرات الخارجية لمحيط المؤسسة والتي أثرت علة ممارساتها الداخلية.

المراجع المعتمدة:

- **المراجع باللغة العربية:**

1. أديب، ناصر سومر. "**أنظمة الأجور وأثرها على أداء العاملين في شركات ومؤسسات القطاع العام الصناعي في سورية"**، شهادة ماجستير، كلية الاقتصاد، سورية، 2004.
2. الجريدة الرسمية المؤرخة في 21 أفريل 1990، العدد 17.
3. خليل، محمد الشماع. خيضر، كاظم حمود. **نظرية المنظمة**. الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة3، 2007.
4. زياد، أحمد الطويسي. **مجتمع الدراسة والعينات**. الأردن: مديرية تربية لواء البتراء،2001.
5. عبد الباقي، صلاح الدين. **إدارة الموارد البشرية**. الإسكندرية: الدار الجامعية، 2000.
6. عبد الفتاح، بوخمخم. **نظريات الفكر الإداري: تطور وتباين أم تنوع وتكامل**. طرابلس: جامعة الجنان، 2012.
7. عمر، وصفي عقيلي. **إدارة الموارد البشرية: بعد استراتيجي**. عمان: دار وائل للنشر، الطبعة1 ، 2009.
8. فهمي، سليم الغزاوي. **المدخل إلى علم الاجتماع**، عمان: دار الشروق، الطبعة02، 2004.
9. فهمي، سليم الغزوي. **المدخل في علم الاجتماع**. عمان: دار الشروق، الطبعة2، 2009.

10.كمال، منصوري. سماح، صولح. "**تسيير الكفاءات: الاطار المفاهيمي والمجالات الكبرى**". أبحاث اقتصادية، الجزائر: جامعة بسكرة، 2013.

11.ماجدة، العطية. **سلوك المنظمة: سلوك الفرد والجماعة**. القاهرة: دار الشروق للطباعة والنشر، الطبعة 01، 2003.

12.محاضرة حول **"نبذة تاريخية حول لمعمل الجزائري الجديد للمصبرات"**، نشطها السيد سليم عثماني المدير العام لمؤسسة المعمل الجزائري الجديد للمصبرات، بالمدرسة الوطنية العليا للمناجمت يوم 28 فيفري 2015.

13.موريس، أنجرس. **منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية: تدريبات عملية**. ترجمة/ بوزيد صحراوي وآخرون، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2004.

14.نبيل، النجار. **الإدارة أصوها و اتجاهاتها المعاصرة**. القاهرة: الشركة العربية للنشر، 1993.

المراجع باللغة الأجنبية:

15.Abdoulaye, GAYE. **Approche critique du concept de compétence en formation : cas de l'approche par compétences dans la formation professionnelle initiale au Sénégal**. France : Université de Lille 01, 2013.
16.Alain, KLARSFELD, Alain, ROGER. **« Décrire et comprendre une instrumentation de rémunération des compétences »**, 12ème Congrès AGRH sur l'instrumentation de la gestion des compétences, Liège, 13-14 Septembre 2011. .
17.Asmaa, MESRAR ELMIRE. **Les conditions d'efficacité de la rémunération des compétences : L'apport de la théorie de la justice organisationnelle**.< Université de Toulouse 01. http://www.reims-ms.fr/agrh/docs/actes-agrh/pdf-des-actes/2009mesrar087.pdf consulté le 12 novembre 2015.
18.Aurélia, DEJEAN. Jean-Pierre ROBBE : **l'entretien annuel au service du bien-être et de l'efficacité au travail**, cahier du DRh, N° 166, Juin 2010.
19.Christelle, HAVARD, Cathy KROHMER. « **Création et articulation des règles dans le cadre d'un management des compétences»** Revue de gestion des ressources humaines, France : édition Eska, 1991.
20.Emmanuel, PASQUIER. **Parole et pouvoir d'agir : Les déterminants d'une régulation sociale effective**, Paris : Université Dauphine, 2011.
21.Gérard, VOIRIN **: Définir la fonction**. Paris : éditions d'organisation, 4ème édition, 2002.
22.Guy, Le BOTERF. **De la compétence, Essai sur un attracteur étrange**. Paris : Les Editions d'organisation, 1994.
23.Hallriegel, DON. John, W SLOCUM. **Management des organisations**. Belgique: De Boeck, 2ème édition, 2006.Valérie. MARBACH. **« Rémunération des compétences : proposition de typologie »**. GREGOR, N° 04, Paris, 1996.
24.Jacqueline, LAUFER. Constance, PERRIN-JOLY. Elena, MASCOVA. **Femmes dirigeantes en entreprise : des parcours aux leviers d'action**. Paris : AFMD, 2014.
25.Lakhdar, SEKIOU : **Gestion des ressources humaines**. Belgique : De Boeck, 2ème édition, 2001.
26.Leila MELBOUCI. **Le modèle des entreprises publiques algériennes : échec ou fin de mission ?** Edition Al – Amal, Tizi Ouzou, 2008.
27.Omar, AKTOUF**. Méthodologie des sciences sociales et approche qualitative des organisations : Une introduction à la démarche classique et une critique.** Montréal : Les Presses de l'Université du Québec, 1987.
28.Pauline, GAUTHIER, Chloé, GUILLOT-SOULEZ : **Entre logique qualification et logique compétence, comment reconnaitre les compétences individuelles ?** France **:** 24ème Congrès de l'AGRH, 2013.
29.PERETTI, Jean-Marie. **Les clés de l'équité: Enjeu managérial**. Paris : Editions d'organisation, 2004.
30.Sylvie, St-ONGE. **« Rémunération des compétences : où en sommes-nous ? ».** Revue Gestion, Volume 23, numéro 04, 1999.
31.Sylvie, ST-ONGE. Victor, Y HAINES III. Alain, KLARSFELD, **« La rémunération basée sur les compétences: déterminants et incidences »,** REVUE Relation industrielle, 2004.
32.Sylvie, ST-ONGE. Victor, Y. HAINES III. Alain, KLARSFELD. **"La rémunération basée sur les compétences : déterminants et incidences »**. Revue des relations industrielles, volume 59, numéro 04, 2004.
33.Syndicat Employeur des acteurs du lien social et familial (SNAESCO) **: L'entretien annuel : le guide**, 2013.

دور القطاع الخاصّ في الجزائر: قراءة في بعض المؤشّرات

أ. بوشوك سناء
جامعة باجي مختار عنابة -الجزائر

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مدى مساهمة القطاع الخاص في الجزائر في تحقيق الأهداف التي أُنشئ من أجلها من أهداف اقتصادية واجتماعية كطرف مساند وداعم للقطاع العام خاصة في ظل التحولات التي يعرفها الاقتصاد العالمي وانخفاض أسعار المحروقات، والتي تكشف أن القطاع الخاص في الجزائر مازال بعيدا عن لعب الدور المنوط به رغم المجهودات التي سخرت لهذا الجانب.

الكلمات المفتاحية: القطاع الخاص، الخصخصة، التنمية الاقتصادية، المؤشرات، الدخل.

Abstract :

The aim of this study is focus the light on the role of private sector on achieving the goals which was established for Like the economic and socialistic goals,as a supported part with public sector at the current transfers which are happening in global economy and low fuel prices which appears that the Algerian private sector is so far on designate role despite the efforts which Sneered to this side.

The key words : private sector, privatization، economic development, Indicators, In come.

مقدمة: تعتبر الخصخصة سياسة اقتصادية تهدف في المقام الأول إلى زيادة معدل النمو الاقتصادي بوجه عام، وذلك من خلال إعادة هيكلة الاقتصاد وإعادة هيكلة الأدوار بين الحكومة والقطاع الخاص وتقنيتها، وتشجيع القطاع الخاص- الذي من المفترض أن يتميز عن القطاع العام بانخفاض درجة البيروقراطية في اتخاذ القرارات المتعلقة بالمنشأة، وقدرته على تحسين الجودة والابتكار والمنافسة وجذب الاستثمار للمساهمة في الاقتصاد(1).

يمكن تقييم أثر الخصخصة على الاقتصاد الكلي باستخدام طرق مختلفة، وذلك استنادا إلى الأهداف الأولية لبرامج الخصخصة، خاصة زيادة حجم مشاركة القطاع الخاص في الاقتصاد، وتنويع مصادر الدخل، توفير مناصب شغل، تحسين الميزان التجاري. وهذا ما سيتم دراسته من خلال قراءة في بعض من هذه المؤشرات للإجابة على الإشكال الرئيسي التالي: **إلى أي مدى وُفق القطاع الخاص في الجزائر في لعب الدور المنوط به وتحقيق أهداف التنمية الاقتصادية؟**

فرضيات الدراسة: يمكن صياغة الفرضيتين التاليتين:

- يمكن الاعتماد على القطاع الخاص في تنويع مصادر الدخل في الجزائر،
- يعتبر القطاع الخاص في الجزائر مصدرا هاما في توفير مناصب الشغل.

أهمية الدراسة: تأتي أهمية الدراسة في المحاولة الجادة للنهوض بأوضاع الاقتصاد الجزائري خاصة في ظل ما يعانيه من أزمة اقتصادية حادة تعود جذورها الى الانخفاض الحاد في أسعار البترول بدء من نهاية سنة

2014، ومحاولة تفعيل استراتيجية التنويع الاقتصادي عبر مختلف القطاعات والتي يأتي في مقدمتها القطاع الخاص، نظرا للدور المتميز الذي ساهم فيه في بقية اقتصاديات العالم.

تقسيم الدراسة: تم تقسيم الدراسة إلى محورين:

أولا- لمحة عن سياسة الخصخصة في الجزائر؛

ثانيا- قراءة في بعض المؤشرات الاقتصادية.

منهج الدراسة: نظرا لطبيعة الموضوع فقد اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي من خلال التعرض لسياسة الخصخصة في الجزائر، ثم قراءة لدوره في التنمية من خلال بعض المؤشرات والإحصائيات.

أولا-لمحة عن سياسة الخصخصة في الجزائر:

- **مفهوم الخصخصة**: إن المقصود بمفهوم الخصخصة هو زيادة دور القطاع الخاص في عملية التنمية وتقليص دور القطاع العام، فهي إذا التحول التدريجي نحو القطاع الخاص وهي تعبير عن نقل الملكية العامة إلى الملكية الخاصة، وبالتالي فهي وسيلة لزيادة الإنتاج وتحسين الجودة(2). مرت الجزائر منذ سنة 1988 من القرن الماضي بإصلاحات هيكلية تهدف أساسا إلى الانتقال من التسيير الإداري المركزي إلى تسيير قائم على قواعد اقتصاد السوق. ومن أهم ما ميز هذه الإصلاحات ما يلي:

1- قانون الاستثمار لسنة 1988: صدرت قوانين الإصلاحات وهذا ابتداء من جانفي 1988 حول استقلالية المؤسسة العمومية (قانون 01/88)، قانون 02/88 و 03/88 على التوالي المتعلقان بقانون التخطيط والقانون المتعلق بصناديق المساهمة، وفي النهاية قانون 01/89 والذي تمم مفهوم العقد التسيري وخصائصه الأساسية: بمعنى أن الشركة الدولية صوفيتال تسير المباني النزلية الجديدة لحساب مؤسسة عمومية سياحية(3). جاء هذا القانون من أجل تدارك النقائص المسجلة في قانون الاستثمار (82-2) المؤرخ في 21 أوت 1982 المتمثلة في إعطاء الفرص الحقيقية لتشجيع القطاع الخاص الوطني والأجنبي من أجل استثمار في المشاريع الاقتصادية الوطنية. وفي إطار هذا القانون عرف قطاع السياحة أكبر حجم للاستثمارات وقدر ب 16664.3 مليون دج بنسبة 15.8 وبلغ عدد المشاريع الاستثمارية 279 مشروع وأصبح القطاع الخاص يمتلك من خلال تشجيع الدولة طاقة إيواء قدرها 22460 سرير(4).

2- **قانون الاستثمار لسنة 1990**: والذي يعتبر مشجع للاستثمار والشراكة من خلال خلق فائض من العملة الصعبة ومناصب شغل جديدة مع تأهيل الإطارات الجزائرية والمستخدمين وتحسين المنتج السياحي، بالإضافة إلى المحافظة وصيانة أملاك الدولة المستغلة في النشاط والتخصص والخبرة في الميدان السياحي والعمل على تطوير الوسائل المستخدمة لتحديث القطاع(5).

ظهر **قانون 90-10 للنقد والقرض والتّجارة** مسايرة لمرحلة التّحول حيث شكل خلالها أحد أهم أدوات تنمية وترقية الاستثمار الخاص المحّلي والأجنبي في الجزائر. شمل هذا القانون جوانب عديدة من الإصلاحات في مجالات التسيير المالي والقرض والاستثمار، فقد أقر حرية انتقال رؤوس الأموال من وإلى الجزائر. كما ألغى مجموع الأحكام السابقة والمتعلقة بنسبة الشراكة المحّلية والأجنبية 49% و 51% وذلك بفتح المجال لكلّ أشكال مساهمات الرأسمال الأجنبي في تنمية الاقتصاد الجزائري. كما أوجد القانون الآليات الأساسية لتنشيط حركة البنوك، وذلك بفصله بين عمليتي الإصدار والإقراض والتي بموجبها ظهر بنك الجزائر كمؤسسة إصدار وتنظيم

ومراقبة مستقّلة، وظهرت البنوك التّجارية كمؤسسات إقراض تتحدد مهمتها في تمويل كل من مؤسسات القطاع العام والقطاع الخاص دون تمييز. لقد تدعم قانون النقد والقرض بجملة من القوانين والتشريعات التّنظيمية المتممة والمعدلة والجديدة والتي كانت في مجموعها أكثر أهمية في توجيه الاقتصاد نحو مرحلة الانفتاح توجها مباشرا وصريحا(6).

3- قانون الاستثمار لسنة 1993: تم إلغاء القانون رقم 88-4 بإصدار المرسوم القانوني رقم 93-8 المؤرخ في 25 أفريل 1993 والتي تعكس أحكامه توجها جديدا مع تقليص دور الدولة في الحياة الاقتصادية للمؤسسات، واعتماد مبدأ انفتاح الرأسمال الاجتماعي للمؤسسة الاقتصادية العمومية من خلال المساهمة في الرأسمال الخاص(7). كما شهدت هذه الفترة الشروع في عمليات الخصخصة على نطاق واسع بوضع الإطار القانوني والمؤسسي بداية مع قانون المالية التكميلي لسنة 1994 الذي سمح لأول مرة ببيع المؤسسات العمومية والتنازل عن تسييرها لصالح مسيرين خواص ومساهمة الخواص في رأسمالها بحدود 49%(8) ليتم تجاوز حدود هذه النسبة إلى الخصخصة الكلية بصدور الأمر 95-22 المتعلق بخصخصة بعض المؤسسات الاقتصادية العمومية وأن تركز على قطاع السياحة والتجارة، وكانت الحكومة قد خصصت 122 مليار في سنة 1995 من أجل النهوض بالمشروعات العامة والخصخصة الجزئية المرخص بها أي بيع 4% من أسهم المؤسسات العامة غير الاستراتيجية للقطاع الخاص المحلي والأجنبي. واستنادا إلى ذلك عرفت عمليات حل المؤسسات والخصخصة انطلاقتها الفعلية مع نهاية 1996 حيث استهدفت في مرحلة أولى خصخصة 200 مؤسسة عمومية محلية صغيرة والتي تنشط معظمها في قطاع الخدمات، وبحلول شهر أفريل 1998 فإن العملية شملت أزيد من 800 مؤسسة محلية، واعتمد مجلس الخصخصة نهاية 1997 التركيز على المؤسسات العمومية الكبرى حيث سطر برنامج يقضي بخصخصة 250 مؤسسة على امتداد فترة 1998-1999(9). وأنفقت السلطات العمومية ما بين 1998 و 1999 حوالي 300 مليار سنتيم على حملة الخصخصة دون جدوى فعلية(10). تعد الخصخصة مكونا من برامج الإصلاح الاقتصادي والتحول إلى اقتصاد السوق، وفي هذا الإطار يمكن القول أن سنة 1994 هي سنة الحسم للاقتصاد الجزائري بانتقاله إلى ميكانيزمات الخصخصة الذي وافق عليه مجلس الوزراء في الاجتماع المنعقد يوم السبت 1994/4/9. يمكن توضيح أهم التقنيات التي اعتمدتها الجزائر في خصخصة المؤسسات العمومية الاقتصادية والتي تتناسب مع وضعها الاقتصادي والمالي والمعتمد في بعض الدول التي باشرت عملية الخصخصة، منها حسب ما ينص عليه قانون المالية لسنة 1995 ما يلي:

أ- التنازل عن طريق السوق المالية(11): يمكن التنازل من خلال اللجوء إلى الأسواق المالية حسب الشروط القانونية والتنظيمية المعمول بها وذلك إما: بعرض بيع أسهم وقيم منقولة أخرى في بورصة القيم المنقولة وإما بعرض علني للبيع بسعر ثابت أو بالأسلوبين معا. وينبغي عند الدخول في البورصة أن يكون السعر المحدد الأول مساويا على الأقل سعر العرض الذي حدده مجلس الخصخصة. ويمكن أيضا تجزئة الأسهم والقيم المنقولة الأخرى، وهذا بتحديد سعر منخفض مما يسمح بمشاركة عدد كبير من الأفراد، ويتم التعرف على الوضعية المالية للمؤسسة.

ب- التنازل عن طريق المزايدة: يتم التنازل عن الأسهم والقيم المنقولة وكذلك التخلي الكلي أو الجزئي لأصول المؤسسات العمومية القابلة أو المؤهلة للخصخصة عن طريق المزايدة المحددة أو المفتوحة وطنيا ودوليا(12) تنشر الهيئة المكلفة بالخصخصة إعلانات في النشرة الرسمية.

ج - خصخصة التسيير(13): يعتبر من بين أهم تقنيات الخصخصة والدعامة الأساسية لنجاحها باعتبارها لا تمس الملكية العامة لرأس المال بل إسناد تسيير المؤسسات العامة إلى شخص معنوي أو طبيعي من القطاع الخاص عن طريق صيغ تعاقدية تحدد كيفية التسيير.

د- عقد التراضي(14): يبقى اللجوء إلى تقنية عقد التراضي استثنائيا، ويمكن أن تقوم في حالة التحويل التكنولوجي النوعي، وحالة ضرورة اكتساب تسيير منخفض. حيث أن المجلس يقترح إجراءات التنازل وكيفياته أو تدابير خصخصة التسيير الملائم لحالة المؤسسة المعنية تحت سلطة الهيئة المكلفة بتنفيذ الخصخصة، ويمكنه أن يستعين بأي خبير يرى أن المساهمة مفيدة. ويعد مجلس الخصخصة تقريرا ظرفيا عن نتائج المفاوضات ويرسله إلى الهيئة المكلفة بتنفيذ الخصخصة التي تبلغه بدورها إلى الحكومة من أجل اتخاذ القرار بشأنه.

هـ- مساهمة الأجراء: لغرض نجاح هذا الأسلوب وتسريع وتيرة تنفيذ برنامج الخصخصة الجزائر، اتخذت عدة إجراءات أهمها(15):

- التخصيص المجاني ل 10% من رأسمال المؤسسة العامة القابلة للخصخصة إلى مجموع الأجراء بغية إشراكهم في نتائج المؤسسة المعنية، وانتفاع هؤلاء الأجراء بتخفيض قدره 15% كحد أقصى من سعر البيع في عملية التمليك الكلي أو الجزئي لأصول المؤسسة العامة.
- تحديد تسهيلات ممنوحة لصالح العمال الأجراء المهتمين بهذا الأسلوب- منها فترة سداد على امتداد 20 سنة وفترة سماح مقدرة ب 5 سنوات تسبيق عملية الدفع بالتقسيط.

ثانيا- قراءة في بعض المؤشرات الاقتصادية: لتقييم مدى مساهمة القطاع الخاص في التنمية في الجزائر يستعان بالمؤشرات التالية:

1- دور القطاع الخاص في تكوين الناتج والقيمة المضافة: أدت مختلف الإصلاحات الاقتصادية والظروف الصعبة التي يمر بها الاقتصاد الوطني نتيجة لانخفاض أسعار المحروقات التي تمثل ركيزة الاقتصاد، إلى زيادة الاهتمام بالقطاع الخاص بتوسيع نشاطاته في مختلف المجالات الاقتصادية سعيا لتنويع وزيادة مساهمته في الناتج المحلي الإجمالي. ويمثل الجدول التالي نصيب القطاع الخاص في الناتج المحلي مقارنة بالقطاع العام.

جدول رقم (1): مساهمة القطاع العام والخاص في الناتج الداخلي الخام خارج قطاع المحروقات (مليار دج)

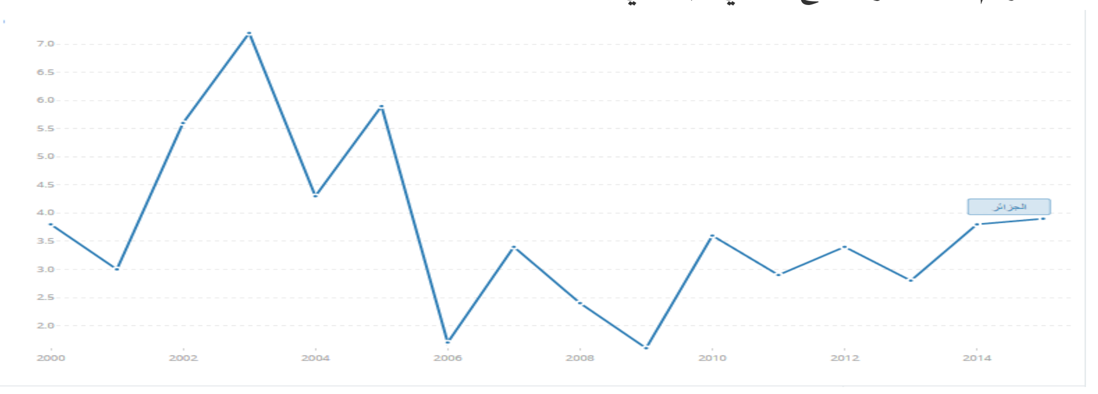
السنة	2005		2007		2008		2009		2010		2011	
قطاع النشاط	القيمة	%	القيمة	%	القيمة	%	القيمة	%	القيمة	%	القيمة	%
قطاع عام	651,0	22	749,86	19.2	760,92	17.55	816,80	16.41	827.53	15.02	923.34	15.23
قطاع خاص	2364,5	78	3153,77	80.8	3574,07	82.45	4162,02	83.89	4681.68	84.98	5137.46	84.77
إجمالي PIB	3015,5	100	3903,63	100	4334,99	100	4978,82	100	5509.21	100	6060.8	100

المصدر: - بالرقي تيجاني: تقييم آثار البرامج الاستثمارية على منظومة المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة للفترة (2011/2001)- دراسة تحليلية تقييمية، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، سطيف، العدد 13، 2013، ص 82.

- سليمان ناصر، عواطف محسن، (2014): قطاع المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة كبديل تنموي للاقتصاد الجزائري خارج قطاع المحروقات- المعوقات والحلول، ملتقى تقييم استراتيجيات وسياسات الجزائر الاقتصادية لاستقطاب الاستثمارات البديلة للمحروقات في آفاق الألفية الثالثة بالجزائر يومي 28-29 أكتوبر 2014، جامعة المسيلة، ص 9.

عرف نصيب القطاع الخاص من الناتج المحلي الإجمالي خارج المحروقات تطورا مقارنة بالقطاع العام نتيجة الانسحاب التدريجي للدولة من بعض القطاعات في إطار سياسة تشجيع القطاع الخاص، ففي سنة 2011 قدرت مساهمة القطاع الخاص ب 84.77% من الناتج خارج قطاع المحروقات مقابل 15.23% للقطاع العام. غير أن هذه النتائج سرعان ما تزول إذا أدخلنا قطاع المحروقات ففي سنة 2009 مثلا انخفض معدل النمو ب 2.1% نظرا إلى انخفاض الطلب العالمي على الطاقة نتيجة وصول آثار الأزمة العالمية. كذلك سجلت الجزائر في نفس السنة أول عجز في ميزانيتها خلال عقد كامل من الزمن بلغ 8.4% من الناتج الإجمالي الخام، وكان ذلك بسبب انخفاض أسعار النفط وتكثيف الدولة لنفقاتها العامة(16). والشكل يعطي فكرة عن تطور الناتج المحلي الإجمالي في الجزائر:


شكل رقم (1): نمو الناتج المحلي الإجمالي (%) للفترة (2000-2015)



المصدر: بيانات الحسابات القومية للبنك الدولي، وبيانات الحسابات القومية لمنظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي. تاريخ التصفح: 2016/08/24 على الساعة 15:54 على الموقع الالكتروني: http://data.albankaldawli.org

يبين الشكل أن نسبة نمو الناتج تراوحت بين الارتفاع والانخفاض حيث بلغت معدلات مرتفعة في فترة ارتفاع أسعار النفط، تفاقمت العوامل الأساسية للاقتصاد الجزائري بشكل مطرد منذ منتصف عام 2014 بالتزامن مع انخفاض أسعار النفط العالمية، ففي عام 2015، تراجع النمو إلى 2.9 في المائة من 3.8% عام 2014، متأثراً في ذلك بهبوط متوسّط أسعار النفط من 100 دولار للبرميل عام 2014 إلى 59 دولاراً عام 2015. وبسبب التوقعات المبدئية بأن انخفاض أسعار النفط لن يستمر طويلاً، أدى التقاعس عن القيام بضبط أوضاع المالية إلى تضاعف عجز الموازنة إلى 15.9% من إجمالي الناتج المحلي عام 2015. كما قفز العجز في حساب المعاملات الجارية ثلاثة أمثاله إلى 15.2% من إجمالي الناتج المحلي عام 2015. ورغم تضييق السياسة النقدية، ارتفع معدل التضخم إلى 4.8% وذلك لأسباب مختلفة منها تأثير خفض القيمة الإسمية للدينار بنسبة 20% تقريباً وذلك بهدف تصويب الخلل في الحساب الخارجي. وزادت البطالة إلى أكثر من 10%، وتزداد حدتها بوجه خاص بين النساء والشباب.

رغم هذه النتائج مازال القطاع الخاص في الجزائر غير فاعل ونشط في الاقتصاد الوطني، حيث أن القطاع الخاص ينتج ما بين 70% إلى 85% من إجمالي الناتج المحلي في معظم الدول النامية، ففي روسيا مثلا يساهم

القطاع الخاص بنسبة 70% من الناتج المحلي الإجمالي، وفي ألبانيا يساهم بنسبة 75%، جمهورية التشيك 80%، رومانيا 70%، مصر 67.8%، إلا أن مساهمة القطاع الخاص في تكوين القيمة المضافة في الجزائر لم تتجاوز 50%.والجدول الموالي يوضح مساهمة القطاع الخاص في القيمة المضافة.

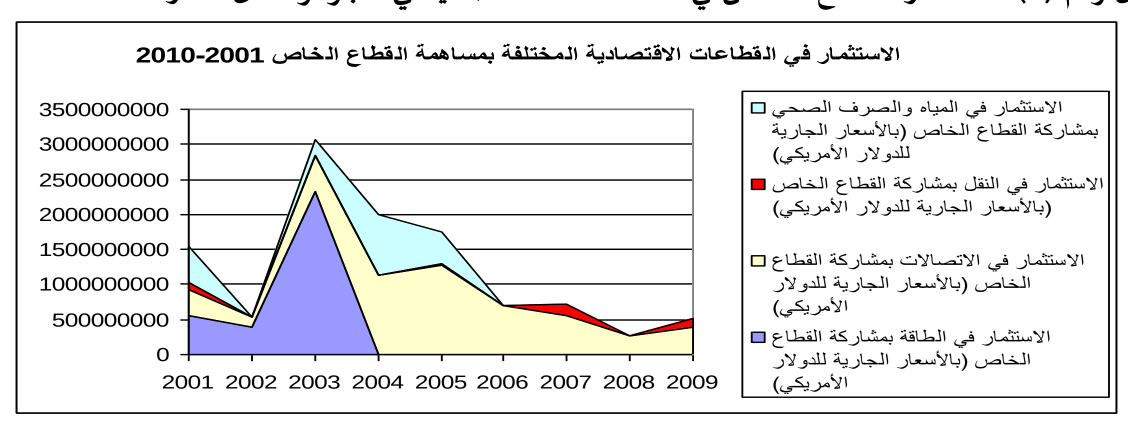
جدول رقم (2): تطور مساهمة المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في القيمة المضافة (2005-2010)

فرع النشاط	الطابع	2005		2006		2007		2010	
		القيمة	%	القيمة	%	القيمة	%	القيمة	%
الزراعة	خاص	578.79	99.84	638.63	99.84	701.03	99.55	1012.11	99.70
	عام	0.93	0.16	1.00	0.16	3.16	0.45	3.08	0.30
البناء والأشغال العمومية	خاص	403.37	79.81	486.37	79.72	593.09	80.94	1058.16	98.73
	عام	102.05	20.19	123.69	20.27	139.62	19.05	13.59	1.27
النقل والمواصلات	خاص	417.59	69.86	576.941	75.39	675.35	79.19	806.01	81.58
	عام	180.19	30.14	188.291	24.61	172.72	20.80	182.02	18.42
خدمات المؤسسات	خاص	45.65	79.77	50.32	80.69	56.60	78.92	96.86	79.15
	عام	11.58	20.23	12.04	19.31	15.11	21.07	25.51	20.85
الإطعام والفندقة	خاص	60.88	87.45	65.30	87.24	71.12	88.07	101.36	88.61
	عام	8.74	12.55	9.55	12.76	9.63	11.92	13.03	11.39
الصناعة الغذائية	خاص	101.79	80.48	110.86	82.18	127.98	84.12	169.9	86.03
	عام	24.69	19.52	24.04	17.82	24.14	15.87	27.58	1.96
صناعة الجلد	خاص	2.31	84.93	2.21	86.67	2.08	97.39	2.29	88.42
	عام	0.41	15.07	0.34	13.33	0.30	12.6	0.3	11.58
التجارة	خاص	629.18	94.17	675.05	94.02	776.82	93.25	1204.02	94.10
	عام	38.95	5.83	42.91	5.98	56.18	6.74	75.45	5.90

المصدر: رياض زلاسي وآخرون، (2013): تشخيص واقع المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الجزائر، ملتقى واقع وآفاق النظام المحاسبي المالي في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الجزائر، 5-5/6، جامعة الوادي، ص 12.

يلاحظ من خلال الجدول أن حصة القطاع الخاص في تكوين القيمة المضافة انتقلت من سنة إلى أزيد من وهذا بسبب تراجع أداء القطاع العام، لكن معدل النمو والذي تساهم فيه الريوع المنجمية عرف تحسنا، ولو أن التحليل يثبت غياب فاعلية خلق القيمة المضافة خارج قطاع المحروقات، وهكذا انتقل هذا المعدل من 3.2% من الناتج الداخلي الخام عام 1999 ليستقر في حدود 6.8% سنة 2003(17). والشكل الموالي يوضح ذلك.

شكل رقم (3): استثمار القطاع الخاص في القطاعات الاقتصادية في الجزائر خلال الفترة 2001-2010



المصدر: عبد القادر بريش، زهير غراية، : دور القطاع الخاص في الجزائر في تعميق مبادئ وممارسات المسؤولية الاجتماعية للشركات، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي الثالث بجامعة بشار "منظمات الأعمال والمسؤولية الاجتماعية"، ص 9.

كون قطاع الخدمات من أبرز القطاعات التي ينشط فيها القطاع الخاص، رغم هذا تبقى نسبة مساهمة الخدمات في الناتج المحلي غير كافية خاصة مع مساهمة قطاع المحروقات، والشكل يبن تطور مساهمة الخدمات.

شكل رقم (4): مساهمة قطاع الخدمات في الناتج المحلي الإجمالي (%) (2000-2015)



المصدر: بيانات الحسابات القومية للبنك الدولي، وبيانات الحسابات القومية لمنظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي. تاريخ التصفح: 2016/08/24 على الساعة 17:00 على الموقع الالكتروني: http://data.albankaldawli.org

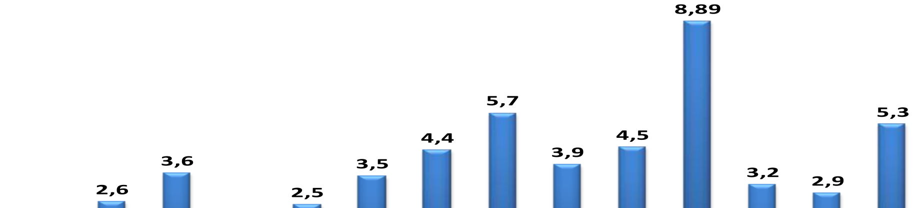
2- مساهمة القطاع الخاص في التقليص من معدل التضخم: انتقل من 2.24% سنة 1999 إلى 0.34% عام 2000 ليتصاعد إلى 4.23% عام 2001 ثم ليتراجع إلى 2.59% عام 2003 وهذا التحكم والتخفيف له مرجعيته وخلفياته على حساب القدرة الشرائية للمواطن الجزائري(18) ، ويمكن أخذ فكرة عن مستويات التضخم خلال فترات عدة من خلال الجدول والشكل المواليين:

جدول رقم (3): انخفاض معدل التضخم خلال سنوات والتكييف الاقتصادي

السنة البيان	92	93	94	95	96	97	98	2000	2002
معدل تضخم المؤسسة	31.69	20.54	29.05	29.78	18.96	5.73	5	0.34	1.4

المصدر: الطاهر بن يعقوب، (2006): دور الخوصصة في التنمية الاقتصادية مع الإشارة إلى بعض التجارب، 03-05 أكتوبر 2004، جامعة سطيف، منشورات مخبر الشراكة والاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الفضاء الأورو مغاربي شم ف م، ص 297.

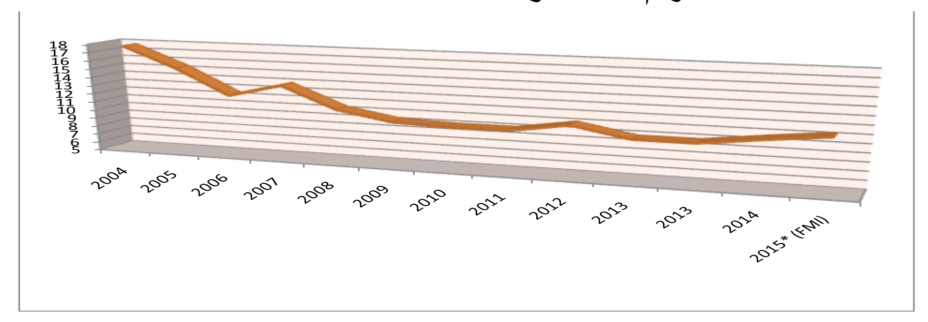
شكل رقم (5): تطور نسب التضخم (2000-2015)



المصدر: الديوان الوطني للإحصائيات

3- مساهمة القطاع الخاص في التشغيل: بغرض التخفيف من البطالة التي تمس شريحة واسعة من المجتمع الجزائري، وفي محاولة لاحتواء مخلفات المرحلة الاقتصادية السابقة التي عرفت عمليات الخصخصة للمؤسسات العمومية وما انجر عنها من تسريح للعمالة، وبغرض إعادة إدماجهم في سوق العمل واستغلال المهارات المكتسبة، عمدت الجزائر كغيرها من الدول إلى التحفيز على تشجيع القطاع الخاص من خلال إنشاء المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة والتي تعد أحد محاور سياسة الدولة في مجال البرامج الاستثمارية العمومية، لا سيما كونها قادرة على استيعاب العمالة بكافة مستوياتها وأشكالها خاصة اليد العاملة غير الماهرة، وكذا تميزها بتكاليف متواضعة(19). إن معدل البطالة المرتفع والذي من أسبابه المباشرة عملية حل وتصفية الشركات الجزائرية فقد سجل تذبذبات وهكذا فقد انتقل من 28.89% سنة 2000 إلى 27.3% سنة 2001.

شكل رقم (6): تطور نسبة البطالة (2004-2015)



المصدر: صندوق النقد الدولي: 2015.

أما عن مساهمة القطاع الخاص في توفير مناصب شغل فيمكن توضيحها كما يظهر في الجدول.

جدول رقم (4): مساهمة القطاع العام والخاص في مجال التشغيل خلال الفترة (2004/2011)

طبيعة المؤسسات	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011
المؤسسات الخاصة	592758	888829	977942	1064983	1233073	1363444	1577030	1676111
المؤسسات العامة	71826	76283	61661	57146	52786	51635	48656	48086
الصناعات التقليدية	173920	192744	213044	233270	254350	341885	-	-
المجموع	838504	1157856	1252647	1355399	1540209	1756964	1625686	1724197

المصدر: يمينة بن ديبة، (2013): دراسة تقييمية للبرامج الاستثمارية العامة وأثرها على منظومة المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة وتركيبها القطاعي ونمو قيمها المضافة ونسبة مساهمتها في الناتج المحلي وتزايد قدراتها التوظيفية للعمالة، ورقة مقدمة في إطار ملتقى تقييم آثار برامج الاستثمارات العمومية وانعكاساتها على التشغيل، الاستثمار والنمو الاقتصادي خلال الفترة (2001-2014)، جامعة سطيف، 11-12 مارس 2013، ص 11.

يتضح من الجدول أن القطاع الخاص هو الأكثر أهمية في إنشاء مناصب الشغل، حيث بلغت نسبة مساهمته حوالي 97% سنة 2011، في حين أن حصة القطاع العام لم تتجاوز 2.7% خلال نفس السنة، نتيجة لتناقص عدد مؤسساته. لكن رغم كل ما توصل إليه القطاع من تحسن في بعض المؤشرات الماكرو اقتصادية إلا أنه مازال لم يشكل الأرضية الصلبة للاقتصاد الجزائري الذي يعتمد في نموه على قطاع المحروقات بنسبة عالية جدا، فمن الناحية الكيفية تعد مناصب الشغل هشة أغلبها تعود لسياسات تشغيل ذات طابع اجتماعي لا

ترقى إلى العمل اللائق ومصدرها هو الإنفاق الحكومي المرتبط مباشرة بإيرادات الدولة خاصة مع تحسن أسعار المحروقات مما أدى بالدولة إلى الإبقاء على دورها في الاقتصاد وهو التدخل القوي في الاستثمار عن طريق الإنفاق الحكومي وذلك إبتداء من مخطط الإنعاش (2001-2004) الذي خصص له 7 مليار دولار، ثم البرنامج التكمبيلي لدعم النمو (2005-2009) الذي وصل فيه الغلاف المالي إلى 155 مليار دولار، وصولا إلى البرنامج الخماسي (2010-2014) الذي حدد له 286 مليار دولار(20). هذه الأرقام رغم المظهر الإيجابي إلا أنها نتيجة عنصرين اثنين وهما النفط والظروف المناخية المساعدة رغم اعتماد برنامج الإنعاش الاقتصادي، إلا أن الخصخصة بقيت تتحرك بخطى بطيئة كبحت خلق مشاريع جديدة والتوسع في الاستثمارات المنتجة، والجزائر لا تزال لم تدخل اقتصاد السوق كما ينبغي، إنما هي في مخاض التحولات بسبب عوارض اجتماعية واقتصادية والعولمة وكذا الاستقرار السياسي والأمني، رغم الآثار المشجعة في مجال تحسن الوضع الأمني وإعادة التعمير وفق سياستي الإنعاش والنمو ولكن بأي ثمن من خلال الثنائية (الموارد-السكن)(21).

رفع الاقتصاد الجزائري تحديات كبرى لدفع عجلة الاقتصاد واستقراره من خلال قطاع المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة. هذا الأخير الذي لا يساهم في إجمالي التشغيل إلا بنسبة 16% ويساهم في إجمالي الناتج الداخلي الخام بنسبة 80% خارج قطاع المحروقات. أما إحصائيات بعض الاقتصاديات المجاورة فإن نسبة مساهمة المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في إجمالي التشغيل في تونس تصل إلى 83% و72% هي نسبة مساهمتها في الناتج الداخلي الخام ونفس الوضعية الاقتصادية بالنسبة لعدة دول(22).

جدول رقم (5): مساهمة المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في التشغيل والناتج الداخلي الخام في بعض الدول

البلد	% إجمالي التشغيل	% الناتج الداخلي الخام
الإتحاد الأوروبي	60	50
لولايات المتحدة الأمريكية	52	50
كندا	50	28
تونس	83	72
المغرب	50	28
الجزائر	16	80 خارج المحروقات

المصدر: سعدية قصاب، (2013): مرجع سبق ذكره، ص 10.

4- مساهمة القطاع الخاص في التجارة الخارجية: فمنذ بداية سنوات الخمسينات من القرن الماضي، دخل العام مرحلة شرسة وشهد تطورات مذهلة في حجم المبادلات التجارية، والأمر لا يتعلق فقط بمبادلة البضائع، وإنما أيضا برؤوس الأموال والتكنولوجيا، وذلك لتنمية التجارة الخارجية وهذا لبلوغ أهدافها وتحفيزها على تدويل نشاطاتها(23). قبل تحليل مساهمة القطاع الخاص في التجارة الخارجية من المهم إلقاء نظرة على واقع التجارة الخارجية بصفة عامة. وعند تصفح الصادرات الجزائرية يلاحظ أنها في تزايد من سنة لأخرى، إلا أن حصة الصادرات خارج قطاع المحروقات التي تبرهن على العمل المنتج حقيقة هي في تدهور كبير رغم وفرة المنتوج المحلي ووجود المزايا التنافسية لذلك وهنا تزداد أهمية القطاع الخاص الحقيقي وليس

تجارة الحاويات وكل أشكال القرصنة السلعية وما يرافقها من هدر للعملة الصعبة وأثر ذلك على ميزان المدفوعات وسعر صرف الدينار الجزائري(24).

جدول رقم (6): تطور التجارة الخارجية (2005-2015)

القيمة بالمليون دولار	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014	*2015
الصادرات خارج مجال المحروقات	1 099	1 158	1 332	1 937	1 066	1 526	2 062	2 062	2 165	2 582	2 063
صادرات المحروقات	43 937	53 456	58 831	77 361	44 128	55 527	71 427	69 804	63 752	60 304	35 724
مجموع الصادرات	45 036	54 613	60 163	79 298	45 194	57 053	73 489	71 866	65 917	62 886	37 787
الواردات	20 048	21 456	27 631	39 479	39 294	40 473	47 247	50 376	54 852	58 580	51 501
الميزان التجاري	24 989	33 157	32 532	39 819	5 900	16 580	26 242	21 490	11 065	4 306	13- 714

المصدر: المركز الوطني للمعلومات الإحصائية والجمركية (CNIS)

يلاحظ من الجدول أن الصادرات خارج المحروقات تشكل نسبة قليلة من إجمالي الصادرات، فمعظم المؤسسات الخاصة تتركز في قطاع الخدمات والأشغال العمومية هذا ما لاحظناه من الجدول (2)، فمثلا في سنة 2004 كان عدد المصدرين الخواص 800 مصدر وهو عدد قليل مقارنة بعدد المستوردين على الرغم من ارتفاع المنتجات المصدرة الي بلغت 1100 منتج سنة 2004 إلا أن النسبة تبقى ضئيلة مقارنة بإجمالي الصادرات(25). وضعف المساهمة في باقي القطاعات ما يؤثر سلبا على الميزان التجاري الذي عرف انخفاضا نتيجة تدهور أسعار النفط وهو ما يظهره الشكل الموالي:

شكل رقم (7): تطور التجارة الخارجية (2005-2015)



المصدر: المركز الوطني للمعلومات الإحصائية والجمركية (CNIS)

5- مساهمة القطاع الخاص في الصناعة: شكلت مساهمة القطاع الخاص ما يفوق 87.3% من إجمالي القيمة المضافة للفرع خلال سنتي 2012 و 2013 مقارنة بمساهمة القطاع العام التي لم تتجاوز 12.7%، وجاء ذلك في ظل التراجع الملحوظ الذي يشهده مؤشر الإنتاج الصناعي لهذه المؤسسات بسبب تراكم العديد من المشاكل الهيكلية التي أضعفت دورها وأثرت على نموها بشكل سليم، ومن ذلك اهتلاك معدات الإنتاج وقدمها وعدم محاكاتها للتطورات التكنولوجية، على عكس مؤسسات القطاع الخاص التي تعد في معظمها حديثة النشأة ذات تجهيزات إنتاج متطورة نسبيا وتخضع إلى عمليات الصيانة والتجديد بصورة دورية(26).

جدول رقم (7): مساهمة الصناعات الزراعية الغذائية للقطاع الخاص في إجمالي الناتج المحلي والقيمة المضافة الوحدة مليار دج

السنوات	القطاع	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013
إجمالي الناتج المحلي للصناعات الزراعية الغذائية	العام	114.8	105.3	96.7	99.9	107.8	112.5	118.9	143.1	150.0	160.1
	الخاص	344.6	361.4	377.7	471.2	499.5	574.2	627.4	680.9	749.3	826.9
	المجموع	459.4	462.9	474.4	571.1	607.4	686.7	746.4	824.1	899.3	987.1
إجمالي الناتج المحلي		7303.4	8873	10195	11257	12836	12043	13846	15979	17095	18424
مساهمة الصناعات الغذائية في إجمالي الناتج المحلي		%6.29	%5.21	%4.65	%5.07	%4.75	%5.7	5.39	5.15	5.26	5.35
القيمة المضافة للصناعات الزراعية الغذائية	العام	26.3	24.6	24.0	23.6	24.2	25.7	27.5	32.0	33.9	36.3
	الخاص	93.5	101.7	110.8	132.4	139.9	162.7	186.5	199.7	232.2	249.1
	المجموع	119.8	126.4	134.9	156.0	164.1	188.4	214.1	231.8	266.1	285.4
إجمالي القيمة المضافة		5099.6	6436.1	7332.2	8021.8	9314.9	8054.9	9656.7	11278.5	12028.5	12808.8
مساهمة الصناعات الغذائية في إجمالي القيمة المضافة		2.3%	1.9%	1.8%	1.9%	%1.76	%2.33	%2.21	%2.05	%2.21	%2.22

المصدر: ذهبية لطرش، (2015): واقع الصناعات الزراعية الغذائية في الجزائر ومدى مساهمتها في تحقيق الأمن الغذائي المستدام، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، العدد 15، جامعة سطيف، ص 199.

تأثير عملية الانفتاح التجاري الذي تشهده الجزائر منذ النصف الثاني من تسعينات القرن الماضي أضعفت القدرات الإنتاجية لمؤسسات الصناعات الغذائية لا سيما العمومية منها التي شهدت معظم فروعها الإنتاجية تراجعا كبيرا في الإنتاج منذ سنة 2002 (خاصة فرع الطماطم المصبرة) وبعضها توقف نهائيا عن الإنتاج مثل فرع المياه المعدنية، باستثناء فرع الحليب والأجبان اللذان حافظا على قدراتهم الإنتاجية نظرا لدعم الدولة. وقد سجلت هذه المؤسسات معدلات نمو سالبة في سنة 2013 ب -2.1% ومعدل استغلال للطاقة الإنتاجية لا يتعدى 57%، وهذا بسبب تراكم مشاكلها الناتجة عن الانفتاح التجاري وعدم قدرتها على منافسة المنتجات الغذائية تامة الصنع المستوردة والتي يتوقع أن تتفاقم عند انضمام الجزائر إلى المنظمة العالمية للتجارة ودخول منطقة التجارة الحرة الأوروجزائرية بحلول 2020، لا سيما وأن معظم هذه المؤسسات صغيرة ومتوسّطة الحجم تفتقر إلى معايير التنافسية الحديثة، مما يدفع أغلبها إلى الانسحاب من السوق (تشكل الصناعات الزراعية الغذائية التي تعلن إفلاسها سنويا ما يقارب 38% من إجمالي المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الجزائر)(27). كل هذه المشاكل وغيرها جعلت القطاع الاقتصادي العمومي ضعيف لذا يجب تأهيله، حيث طالبت الجزائر أخذه بعين الاعتبار في مفاوضاتها مع الاتحاد الأوروبي(28).

الخاتمة: بالرغم من النتائج الإيجابية المحققة لا يزال القطاع الخاص في الجزائر بعيدا عن لعب الدور المنوط به رغم المبالغ الضخمة التي سخرت للنهوض بهذا القطاع وبالتالي فإن الفرضية الأولى غير صحيحة، أيضا اتضح أن القطاع الخاص كونه يتميز بالمرونة فهو قطاع هام في توفير مناصب شغل ما يعني صحة الفرضية الثانية، بالرغم من أن نسبته هذه تبقى غير كافية، وربما يعود ذلك لجملة من الأسباب التي تعيق استثمار القطاع الخاص منها:

- نقص الإعلام والتبليغ لعمليات الخصخصة،
- مشكل الفساد الإداري والعراقيل البيروقراطية الإدارية، والذهنيات السائدة في المؤسسات العمومية الجزائرية،
- مشكل العقار، ومشكلة التمويل، وأيضا القطاع غير الرسمي.

وحتى يساهم القطاع الخاص بشكل فعال في الاقتصاد وتنويع مصادر الدخل الوطني للتقليل من الصدمات الخارجية لا بد من:

- محاربة الفساد بكل أشكاله والصرامة في تنفيذ العقوبات،
- توفير مختلف البنى التحتية، والإهتمام بإشراك الريف والمناطق النائية من خلال المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة،
- توفير مناخ مناسب لاستثمار القطاع الخاص سواء المحلي أو الأجنبي.

الهوامش:

1- فالح أبو عامرية، (2008): الخصخصة وتأثيراتها الاقتصادية، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 15.

2- مولاي لخضر عبد الرزاق، مولاي لخضر عبد الرزاق، (2009-2010): متطلبات تنمية القطاع الخاص بالدول النامية-دراسة حالة الجزائر، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة تلمسان، ص 170.

3- محمد بوهزة، (2006): الإصلاحات في المؤسسة العمومية الجزائرية: بين الطموح والواقع، ملتقى دولي: اقتصاديات الخوصصة والدور الجديد للدولة، 03-05 أكتوبر 2004، جامعة سطيف، منشورات مخبر الشراكة والاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الفضاء الأورو مغاربي شم ف م، ص 42.

4- سامية لحول، راوية حناشي، (2013): تنمية السياحة في الجزائر واستدامتها ضمن برنامج الاستثمارات العامة (2014/2010)، ورقة مقدمة في إطار ملتقى تقييم آثار برامج الاستثمارات العمومية وانعكاساتها على التشغيل، الاستثمار والنمو الاقتصادي خلال الفترة (2001-2014)، جامعة سطيف، 11-12 مارس 2013، ص 16.

5- سامية لحول، راوية حناشي، مرجع سبق ذكره، ص 16.

6- كمال مرداوي، (2006): الاستثمار الأجنبي المباشر وعملية الخوصصة في الدول المتخلفة، 03-05 أكتوبر 2004، جامعة سطيف، منشورات مخبر الشراكة والاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الفضاء الأورو مغاربي شم ف م، ص 331.

7- صالح مفتاح، (2006): الخوصصة: أسبابها، أهدافها، طرقها مع الإشارة إلى حالة الجزائر، ملتقى دولي: اقتصاديات الخوصصة والدور الجديد للدولة، 03-05 أكتوبر 2004، جامعة سطيف، منشورات مخبر الشراكة والاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الفضاء الأورو مغاربي شم ف م، ص 346.

8- أحمد بلالي، (2006): خوصصة المؤسسات العمومية الاقتصادية الجزائرية (الأسباب، الميكانيزمات والتحديات)، 03-05 أكتوبر 2004، جامعة سطيف، منشورات مخبر الشراكة والاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الفضاء الأورو مغاربي شم ف م، ص 88.

9- رابح خوني، رقية حساني، (2006): الخوصصة كآلية تحول إلى اقتصاد السوق، 03-05 أكتوبر 2004، جامعة سطيف، منشورات مخبر الشراكة والاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الفضاء الأورو مغاربي شم ف م، ص ص 150-151.

10- مولاي لخضر عبد الرزاق، مرجع سبق ذكره، ص 234.

11- موسى سعداوي، (2006-2007): دور الخوصصة في التنمية الاقتصادية في الجزائر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، ص 271.

12- محمد بوهزة، (2006): مرجع سبق ذكره، ص 44.

13- حسين بورغدة، الطيب قصاص، (2006): الخوصصة مفتاح الدخول إلى اقتصاد السوق في الجزائر، ملتقى دولي: اقتصاديات الخوصصة والدور الجديد للدولة، 03-05 أكتوبر 2004، جامعة سطيف، منشورات مخبر الشراكة والاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الفضاء الأورو مغاربي شم ف م، ص 121.

14- موسى سعداوي، (2006-2007): مرجع سبق ذكره، ص ص 272-273.

15- مولاي لخضر عبد الرزاق، مرجع سبق ذكره، ص 233.

16- رانيا بلمداني: أثر السياسات التنموية في فرص العمل حالة الجزائر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت، ص 70.عام

17- فالح أبو عامرية، مرجع سابق ذكره، ص 76.

18- فالح أبو عامرية، نفس المرجع، ص 76.

19- يمينة بن ديبة، (2013): دراسة تقييمية للبرامج الاستثمارية العامة وأثرها على منظومة المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة وتركيبها القطاعي ونمو قيمها المضافة ونسبة مساهمتها في الناتج المحلي وتزايد قدراتها التوظيفية للعمالة، ورقة مقدمة في إطار ملتقى تقييم آثار برامج الاستثمارات العمومية وانعكاساتها على التشغيل، الاستثمار والنمو الاقتصادي خلال الفترة (2001-2014)، جامعة سطيف، 11-12 مارس 2013، ص 9.

20- سعدية قصاب، (2013): كفاءة النفقات العمومية في قطاع المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة وفعالية سياسة التشغيل، ورقة مقدمة في إطار ملتقى تقييم آثار برامج الاستثمارات العمومية وانعكاساتها على التشغيل، الاستثمار والنمو الاقتصادي خلال الفترة (2001-2014)، جامعة سطيف، 11-12 مارس 2013، ص 9.

21- فالح أبو عامرية، مرجع سبق ذكره، ص 77.

22- سعدية قصاب، مرجع سبق ذكره، ص 9.

23- Philippe moati, hetrogenetie des entreprises et échange internationale, paris, économica, 1992, p 72.

24- فالح أبو عامرية، مرجع سبق ذكره، ص 76.

25- مولاي لخضر، ص 274.

26- ذهبية لطرش، (2015): واقع الصناعات الزراعية الغذائية في الجزائر ومدى مساهمتها في تحقيق الأمن الغذائي المستدام، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، العدد 15، جامعة سطيف، ص ص 199-200.

27- ذهبية لطرش، نفس المرجع، ص 206.

28- Bouzidi abd elmadjid, les années de l'économie, alger, ENAG, 1999, p 85.

المراجع:

الكتب:

- رانيا بلمداني، (2013): أثر السياسات التنموية في فرص العمل حالة الجزائر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت.

- فالح أبو عامرية، (2008): الخصخصة وتأثيراتها الاقتصادية، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

الملتقيات:

- أحمد بلالي، (2006): خوصصة المؤسسات العمومية الاقتصادية الجزائرية (الأسباب، الميكانيزمات والتحديات)، 03-05 أكتوبر 2004، جامعة سطيف، منشورات مخبر الشراكة والاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الفضاء الأورو مغاربي شم ف م.

- الطاهر بن يعقوب، (2006): دور الخوصصة في التنمية الاقتصادية مع الإشارة إلى بعض التجارب، 03-05 أكتوبر 2004، جامعة سطيف، منشورات مخبر الشراكة والاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الفضاء الأورو مغاربي شم ف م.

- حسين بورغدة، الطيب قصاص، (2006): الخوصصة مفتاح الدخول إلى اقتصاد السوق في الجزائر، ملتقى دولي: اقتصاديات الخوصصة والدور الجديد للدولة، 03-05 أكتوبر 2004، جامعة سطيف، منشورات مخبر الشراكة والاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الفضاء الأورو مغاربي شم ف م.

- رابح خوني، رقية حساني، (2006): الخوصصة كآلية تحول إلى اقتصاد السوق، 03-05 أكتوبر 2004، جامعة سطيف، منشورات مخبر الشراكة والاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الفضاء الأورو مغاربي شم ف م.

- رياض زلاسي وآخرون، (2013): تشخيص واقع المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الجزائر، ملتقى واقع وآفاق النظام المحاسبي المالي في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الجزائر، 5-6 ماي، جامعة الوادي.

- سامية لحول، راوية حناشي، (2013): تنمية السياحة في الجزائر واستدامتها ضمن برنامج الاستثمارات العامة (2014/2010)، ورقة مقدمة في إطار ملتقى تقييم آثار برامج الاستثمارات العمومية وانعكاساتها على التشغيل، الاستثمار والنمو الاقتصادي خلال الفترة (2001-2014)، جامعة سطيف، 11-12 مارس 2013.
- سعدية قصاب، (2013): كفاءة النفقات العمومية في قطاع المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة وفعالية سياسة التشغيل، ورقة مقدمة في إطار ملتقى تقييم آثار برامج الاستثمارات العمومية وانعكاساتها على التشغيل، الاستثمار والنمو الاقتصادي خلال الفترة (2001-2014)، جامعة سطيف، 11-12 مارس 2013.
- سليمان ناصر، عواطف محسن، (2014): قطاع المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة كبديل تنموي للاقتصاد الجزائري خارج قطاع المحروقات- المعوقات والحلول، ملتقى تقييم استراتيجيات وسياسات الجزائر الاقتصادية لاستقطاب الاستثمارات البديلة للمحروقات في آفاق الألفية الثالثة بالجزائر يومي 28-29 أكتوبر 2014، جامعة المسيلة.
- صالح مفتاح، (2006): الخوصصة: أسبابها، أهدافها، طرقها مع الإشارة إلى حالة الجزائر، ملتقى دولي: اقتصاديات الخوصصة والدور الجديد للدولة، 03-05 أكتوبر 2004، جامعة سطيف، منشورات مخبر الشراكة والاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الفضاء الأورو مغاربي شم ف م.
- عبد القادر بريش، زهير غراية، : دور القطاع الخاص في الجزائر في تعميق مبادئ وممارسات المسؤولية الاجتماعية للشركات، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي الثالث بجامعة بشار "منظمات الأعمال والمسؤولية الاجتماعية".
- كمال مرداوي، (2006): الاستثمار الأجنبي المباشر وعملية الخوصصة في الدول المتخلفة، 3-0 أكتوبر 2004، جامعة سطيف، منشورات مخبر الشراكة والاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الفضاء الأورومغاربي شم ف م.
- محمد بوهزة، (2006): الإصلاحات في المؤسسة العمومية الجزائرية: بين الطموح والواقع، ملتقى دولي: اقتصاديات الخوصصة والدور الجديد للدولة، 03-05 أكتوبر 2004، جامعة سطيف، منشورات مخبر الشراكة والاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الفضاء الأورو مغاربي شم ف م.
- يمينة بن ديبة، (2013): دراسة تقييمية للبرامج الاستثمارية العامة وأثرها على منظومة المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة وتركيبها القطاعي ونمو قيمها المضافة ونسبة مساهمتها في الناتج المحلي وتزايد قدراتها التوظيفية للعمالة، ورقة مقدمة في إطار ملتقى تقييم آثار برامج الاستثمارات العمومية وانعكاساتها على التشغيل، الاستثمار والنمو الاقتصادي خلال الفترة (2001-2014)، جامعة سطيف، 11-12 مارس 2013.

المجلات والدوريات:

- بالرقي تيجاني: تقييم آثار البرامج الاستثمارية على منظومة المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة للفترة (2011/2001)- دراسة تحليلية تقييمية، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، سطيف، العدد 13، 2013.
- ذهبية لطرش، (2015): واقع الصناعات الزراعية الغذائية في الجزائر ومدى مساهمتها في تحقيق الأمن الغذائي المستدام، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، العدد 15، جامعة سطيف.

الرسائل الجامعية:

- مولاي لخضر عبد الرزاق، مولاي لخضر عبد الرزاق، (2009-2010): متطلبات تنمية القطاع الخاص بالدول النامية-دراسة حالة الجزائر، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة تلمسان.
- موسى سعداوي، (2006-2007): دور الخوصصة في التنمية الاقتصادية في الجزائر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر.

التقارير:

- بيانات الحسابات القومية للبنك الدولي، وبيانات الحسابات القومية لمنظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي. تاريخ التصفح: 2016/08/24 على الساعة 15:54 على الموقع الالكتروني: http://data.albankaldawli.org

- الديوان الوطني للإحصائيات.

- المركز الوطني للمعلومات الإحصائية والجمركية (CNIS).

- صندوق النقد الدولي: 2015.

باللغة الأجنبية:

- Bouzidi abd elmadjid, les années de l'économie, alger, ENAG, 1999.

- Philippe moati, hetrogenetie des entreprises et échange internationale, paris, économica, 1992.

تحوّلات السوق النفطية وتأثيرها على أنظمة تسعير النفط الخام في الأسواق الدولية

أ. د. صالح عمر فلاحي- أ.منال بلقاسم
جامعة الحاج لخضر، باتنة

الملخص:

هدفت هذه الورقة إلى تحديد العوامل المؤثرة في قرار تسعير النفط الخام داخل السوق النفطية من خلال إعطاء لمحة تاريخية لتطور أسواقه، والقيام بعرض وتحليل مختلف البيانات المتعلقة بتداول المنتوج النفطي داخل هذه السوق. ولتحديد ذلك، اعتمدت ورقة البحث هذه على كيفية تسعير النفط الخام ودور الشركات النفطية في ذلك في ظل أنظمة الأسعار المعلنة وأنظمة الأسعار الرسمية وأنظمة أسعار السوق.

وخلصت هذه الدراسة إلى أن السوق النفطية خلال مرحلة الأسعار المعلنة اتسمت باحتكار المطلق لشركات النفط العملاقة لتسعير النفط الخام. أما في مرحلة الأسعار الرسمية فعرفت تراجعا لهذه السيطرة لصالح دول منظمة الأوبك بعد أن تعاظم دورها في الساحة الدولية، غير أن هذا النظام لم يكتب له الاستمرار نتيجة للسياسات المتبعة من قبل وكالة الطاقة الدولية والدول الكبرى المستهلكة للنفط، مما أدى إلى تبني نظام أسعار السوق مع ترك أمر تحديد أسعار النفط لقوى العرض والطلب.

الكلمات المفتاح: الأسواق النفطية، أسعار النفط، أنظمة أسعار النفط.

Abstract:

This paper aimed to search for the factors affecting crude oil pricing decision within oil market by giving a historical overview of market developments. If also analyzed data related to various oil products circulation. The focal point here will be on crude oil pricing and role of oil companies in light of Posted Pricing System; Official Pricing System and Market Pricing System.

This study concluded that oil market during the stated price phase was characterized by the absolute monopoly of giant companies of crude oil. However, the control of these companies is declined in favor of the OPEC countries during the Official Price stage, during OPEC growing role in international arena, but policies pursued by International Energy Agency and major consuming countries for oil, this systems resulted in abandoning it, which led to adoption of the market price system with leaving oil prices determination to the forces of supply and demand.

Keywords: oil markets, Oil prices, Oil pricing systems.

مقدمة:

يعتبر النفط من المصادر الرئيسية للطاقة في العالم نظرا للخصائص الفريدة التي يتمتع بها من حيث تكلفته المنخفضة مقارنة بغيرها من البدائل الأحفورية وغير الأحفورية، وشهدت هذه المادة إقبالا متزايدا من طرف الدول الصناعية مما أدى إلى تزايد حصة النفط تدريجيا في ميزان الطاقة رافعا معه معدلات نمو الاقتصاد العالمي أيضا. والملاحظ أن أسعار النفط عرفت العديد من الأنظمة تتماشى مع التطورات الحاصلة في أسواق النفط العالمية.وتعتبر الأسواق النفطية من أكثر الأسواق تقلبا في العالم بحيث يصعب التنبؤ بأسعار النفط داخلها، ويختلف النفط عن أي سلعة أخرى سواء من ناحية بنيته أو آلية سعره، ويعود السبب في ذلك لطبيعته الإحتكارية للسوق النفطية، حيث تقع مكامن النفط عموما في البلدان النامية وتتركز مختلف

الصناعات التحويلية في البلدان الرأسمالية المتقدمة، وهذا الاختلاف في مناطق إنتاج وتكرير النفط جعلت من سعره عرضة للتقلب السريع.

مشكلة البحث:يشكل النفط سلعة استراتيجية دولية تتضمن قيمة اقتصادية عالية، إذ بلغ تأثيره جميع أوجه النشاط الاقتصادي وأصبح يؤثر بشكل كبير على حركة التجارة الدولية. فالنفط أداة هامة تمكن العالم من تحقيق الازدهار الاقتصادي والتنمية بمختلف أبعادها ومستوياتها، فهو يشكل المصدر الرئيسي للطاقة بالنسبة للدول الصناعية والمصدر الأساسي لتمويل ميزانيات الدول المنتجة والمصدرة له، وبالتالي استقرار أسعاره يعد أمرا ضروريا للتخطيط الاقتصادي السليم وتطبيق سياسة اقتصادية فعالة. ونظرا لطبيعة السوق النفطية المتقلبة وما تحمله من تبعات على الاقتصاد العالمي، من الضروري طرح مشكلة الدراسة من خلال الأسئلة التالية: ماهي العوامل المتحكمة في تحديد أسعار النفط؟ وما تأثير هذه العوامل على أنظمة تسعير النفط الخام في الأسواق النفطية؟ وكيف يمكن الحد من آثار صدمات أسعار النفط أثناء ارتفاعها وانخفاضها؟

هدف البحث: تسعى هذه الدراسة لتحديد جملة من الأهداف، وتأتي في مقدمتها مايلي:

- الكشف عن كيفية تسعير النفط الخام في الأسواق الدولية؛
- تحديد العوامل المؤثرة على قرار تسعير النفط الخام؛
- معرفة آثار صدمات أسعار النفط على الاقتصاد العالمي.

أهمية البحث:تكمن أهمية البحث في أهمية النفط كسلعة على المستوى الدولي، فالنفط الخام من أهم عوامل الازدهار والتطور الاقتصادي، إذ يؤدّي استقرار أسعاره إلى استقرار الاقتصاد الدولي. أما في حالة تذبذب أسعاره سيؤدّي هذا إلى حدوث أزمات واضطرابات في الاقتصاد العالمي أو ما يعرف بصدمات أسعار النفط. وهكذا تبدو أهمية الدراسة في عرض وتحليل لأهم العوامل والأحداث المؤثرة على أسعار النفط والتطرق إلى مختلف الأنظمة التي مر بها لإظهار مختلف التطورات التي حدثت في السوق النفطية وانعكاسها على الاقتصاد العالمي.

منهجية البحث:سيتم الاعتماد في هذه الدراسة على مزج الأسلوب الوصفي التحليلي لمختلف البيانات المستقاة من الكتب والبحوث المتخصصة والدوريات المتاحة. كما سيتم الرجوع إلى تلك البيانات الصادرة عن هيئات إقليمية ودولية كمنظمة الأوبك والأوابك ووكالة الطاقة الدولية. وقد تم تقسيم الدراسة إلى ثلاث محاور وهي: مرحلة الأسعار المعلنة؛ مرحلة الأسعار الرسمية؛ مرحلة أسعار السوق.

المحور الأول، مرحلة الأسعار المعلنة:اعتمدت طريقة تسعير النفط الخام في مراحلها الأولى التي بدأت في الولايات المتحدة الأمريكية، موطن الصناعة النفطية، على أساس الأسعار المعلنة Posted Price حيث تقوم الشركات التي تشتري النفط بإعلان أسعار هذه المادة عند فوهة البئر.[1] وتاريخيا اكتشف النفط في ولاية بنسلفينيا عام 1895. أما السعر فظهر لأول مرة في عام 1880 في الولايات المتحدة الأمريكية من قبل شركة ستاندرد أويل Standard Oil التي كانت تحتكر شراء النفط من منتجيه المتعددين في السوق الأمريكية.[2] وبتزايد اكتشاف واستغلال النفط أصبحت شركات النفط تقوم بإعلان الأسعار في موانئ التصدير، ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى ثلاث أقسام وذلك تبعا للتطورات الحاصلة في السوق النفطية والمتمثلة في: مرحلة

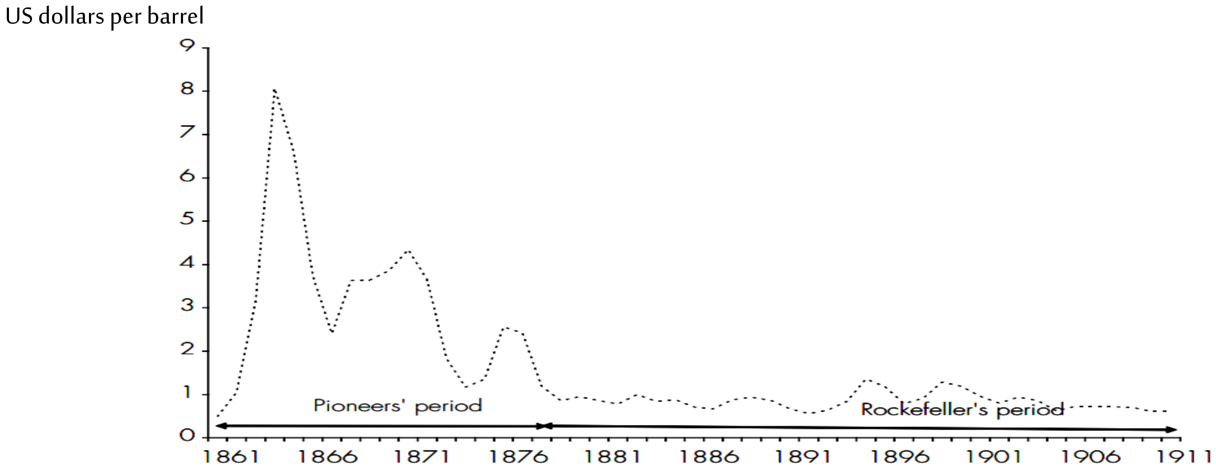
احتكار شركة ستاندر أويل لصناعة النفط؛ مرحلة تدويل الصناعة النفطية وهيمنة الشركات النفط العملاقة عليها؛ وأخيرا مرحلة تراجع قوة الشركات النفطية وظهور منظمة الأوبك.

أولا، مرحلة احتكار شركة ستاندر أويل لصناعة النفط 1880- 1911.

بدأت صناعة النفط في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1859، عندما قام أدوين دريك Edwin L. Drake بحفر أول بئر نفطية على عمق 69 قدم تحت سطح الأرض في مدينة توتسفيل Titusville، ولاية بنسلفانيا Pennsylvania.[3] وشهدت صناعة النفط الأمريكية في البداية مرحلة من التنافس الشديد أدت إلى خلق حالة من عدم الإستقرار في أسعار النفط وزوال العديد من الشركات، واستمر هذا الوضع حتى نهاية عام 1871 مع قيام شركة ستاندرد أويل بالاستحواذ على المصافي في مدينة كليفلاند Cleveland، وأصبحت بذلك تسيطر على ربع طاقة تكرير النفط في الولايات المتحدة الأمريكية.[4]

ومنذ إنشاء شركة ستاندرد أويل Standard Oil في عام 1865، إستطاع رجل الأعمال روكفلر J. D. Rockefeller أن يتفاوض مع عدد من شركات السكك الحديدية للحصول على تعريفة منخفضة مما ساعد على خفض أسعار البيع ووضع بقية المنافسين في موقف حرج، بالإضافة إلى قيامه بشراء النفط الخام بثمن منخفض وبيع المنتجات المكررة بأسعار مرتفعة والابتعاد عن عمليات التنقيب والاستخراج والمخاطر التي ترافقها. وتمكنت شركة ستاندرد أويل عام 1878 من السيطرة على 95% من الصناعة النفط داخل الولايات المتحدة الأمريكية.[5] وتميزت شركة ستاندر أويل بوضع متفرد تقريبا في التاريخ الاقتصادي وهو الوضع المزدوج لكل من احتكار البيع والشراء. ومنذ عام 1895 أعلن رئيسها أنه لن يتعامل في شرائه للزيت الخام إلا على أساس الأسعار المعلنة،[6] إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلا. فقد شهد العقد الأول والثاني من القرن العشرين تغيرا جوهريا في صناعة النفط، نتيجة ظهور منافسين جدد قاموا بالطعن في أعمال شركة ستاندرد أويل في أواخر القرن التاسع عشر. وكان لاكتشاف حقول جديدة في ولاية تكساس Texas عام 1901 التأثير الأكبر على هيكل الصناعة النفطية. وأدى اكتشاف هذه المواقع إلى نشأة شركتين أصبحتا فيما بعد من أكبر الشركات النفطية وهما شركة غولف أويل Gulf Oil وشركة تكساكو Texaco. كما ظهرت شركات نفط أخرى في هذه المنطقة مثل: شركة شل للتجارة والنقل Shell Trading and Transport Company، شركة النفط ماغنوليا Magnolia Oil Company. وكان لظهور هذه الشركات تبعات أخرى على النظام الذي فرضته شركة ستاندرد أويل داخل صناعة النفط بعد لجوئهم إلى القضاء الأمريكي لاتهام شركة ستاندرد أويل باستعمال أساليب غير قانونية للقضاء على المنافسين.[7] وقامت المحكمة العليا في الولايات المتحدة عام 1911 بإصدار قرار يتضمن تقسيم شركة ستاندرد أويل إلى العديد من الشركات الصغيرة، بعد إتهام شركة ستاندر أويل باللجوء إلى أساليب غير قانونية للقضاء على المنافسين، ومخالفتها لقانون مكافحة الاحتكار شيرمان Sherman Antitrust Act الصادر في الولايات المتحدة عام 1890.[8] وهذا فسح المجال لظهور عدد من الشركات النفطية عرفت فيما بعد بالشقيقات السبع (Standard oil of New York, Standard oil of California, Standard oil of New Jersey, Texaco, Royal Dutch Shell, Gulf oil, Anglo-Persian Oil Company). وتمكنت هذه الشركات من السيطرة شبه تامة على الصناعة النفطية آنذاك. مما أدى إلى تغيير هيكل الصناعة النفطية، من خلال الانتقال من وضعية الاحتكار المطلق عام 1900 إلى وضعية احتكار القلة عام 1911.[9]

الشكل رقم 1:أسعار النفط المعلنة خلال مرحلة احتكار شركة ستاندر أويل:



Source: Data from BP Statistical Review (2009).

يبين الشكل رقم 1، أسعار النفط الخام بين عامي 1861- 1911، ومع أول ظهور للنفط على نطاق تجاري بلغت أسعاره حوالي 8 دولار/للبرميل في عام 1864، لتنخفض بعد ذلك بشكل مستمر طيلة الفترة الممتدة مابين عامي 1864- 1877 إلى أقل من 1 دولار/للبرميل بسبب كثرة المنتجين ومحدودية استعمالات النفط. كما عرفت الأسعار المعلنة خلال مرحلة احتكار شركة ستاندر أويل نوعا من الاستقرار تراوحت بين 70 سنتا ودولارا واحدا للبرميل طيلة الفترة الممتدة من عام 1878 إلى غاية 1911.

ثانيا: مرحلة تدويل الصناعة النفطية وهيمنة الشركات النفط العملاقة عليها 1911- 1960.عرفت بداية القرن العشرين تزايدا للطلب على النفط من قبل الدول الصناعية الكبرى، فخشيت الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت على نفطها من النضوب بالإضافة إلى افتقار معظم الدول الأوروبية إلى المكامن النفطية كل ذلك حفز السعي إلى اكتشاف النفط في مناطق أخرى جديدة وأتت معظم الزيادة في الإنتاج من البلدان الأقل نموا مثل فنزويلا ودول الشرق الأوسط مما أدى إلى تدويل الصناعة النفطية.[10] واتسمت هذه الفترة بالهيمنة الكاملة لشركات النفط العملاقة على صناعة النفط في العالم، وهي شركات نفط الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى التي تقاسمت مناطق إنتاج النفط بينها، من خلال حصولهم على امتيازات نفطية من قبل الدول المالكة لهذه الثروة بحكم أنها كانت تمثل إما أحد المستعمرات للدول المتقدمة أو لعدم تمكنها من استغلال ثروتها بنفسها. وتميزت الفترة الممتدة بين 1911- 1928 بالمنافسة الشديدة للتنقيب عن النفط بين هذه الشركات وكادت هذه المعركة أن تؤدي إلى إنهاك قوى جميع الشركات المنتجة، لذلك رأت أن من مصلحتها الاتفاق على مبادئ معينة تحقق مصالحها وهي الهيمنة المشتركة على منابع النفط وأسواقه في معظم أنحاء العالم، لذا تم التوصل إلى اتفاق الأكنكاري Achnacarry عام 1928.

فتح اتفاق الأكنكاري حقبة جديدة من الكارتلات منذ قانون مكافحة الاحتكار الأمريكي، وكان هذا ردا على حروب الأسعار حول العالم في الوقت الذي لم يكن هناك تطوير بشكل كاف لتنظيم السوق النفطية.[11] واتفقت شركات النفط الكبرى وفق شروط الاتفاقية على تقاسم أسواق النفط العالمية خارج الولايات

المتحدة والاتحاد السوفياتي (سابقا) بهدف الحد من تنافس الأسعار. وتم الاتفاق على عدد من المبادئ لإعادة النظام في السوق منها:[12]

- القبول بالوضع الراهن في عام 1928 بالنسبة إلى الحصص السوق النسبية بين مختلف الشركات والبقاء عليه "As Is"؛
- تجنب الازدواجية غير الضرورية في إضافة مرافق أو تسهيلات جديدة؛
- المحافظة على المنافع المتمثلة في الموقع الجغرافي لكل منطقة منتجة، بحيث تستطيع كل منطقة تحقيق منفعة في إمداد الاستهلاك في المنطقة التابعة لها من الناحية الجغرافية؛
- سحب الإمدادات لسوق معينة من أقرب منطقة إنتاج، وذلك لغرض تحقيق الكفاية القصوى والاقتصاد في النقل؛
- منع تحقيق فائض في النفط الخام من أية منطقة جغرافية، من شأنه الإخلال في هيكل الأسعار من أية منطقة أخرى.

اتسمت صناعة النفط العالمية خارج الولايات المتحدة بهيمنة الشركات النفطية الكبرى، ولم تكن الحكومات المضيفة تشارك في إنتاج أو تسعير النفط الخام بل تقوم فقط بمنح التراخيص أو الامتيازات النفطية. وتتلقى هذه الحكومات دخول من خلال الإتاوات والضرائب على الدخل.[13] وقدرت الحقول النفطية المملوكة من قبل هذه الشركات بحوالي 88 % من تجارة النفط الخام في عام 1949، كما أنها كانت تسيطر على 73% من معامل التكرير في العالم باستثناء الشمال الأمريكي ودول الاتحاد السوفياتي (سابقا) في عام 1953.[14]

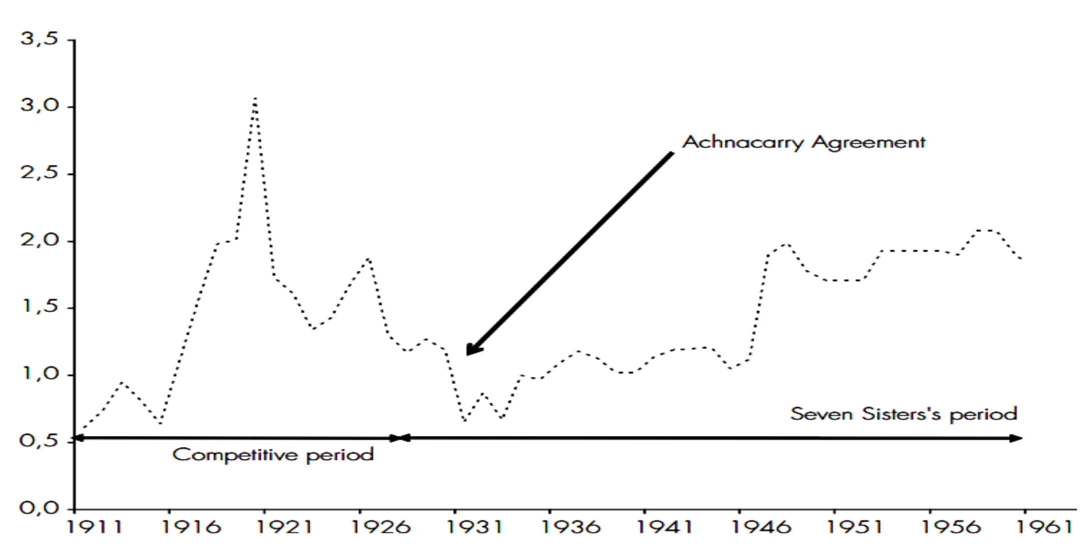
ومن المهم القول، أنه في الفترة الممتدة من عام 1925 إلى عام 1950 كانت اتفاقيات الامتياز تقوم على أساس الريع. إلا أنه منذ عام 1950 ظهرت اتفاقية مناصفة الأرباح المعتمدة على مستوى الأسعار بعد حسم الإنفاق الكلي. وانطلاقا من أهمية أسعار النفط الخام لاحتساب الأرباح، اعتمدت بعض الدول على الأسعار المعلنة وبعضها على الأسعار المحققة Realized Price، أي السعر لقاء تسهيلات أو حسومات يوافق عليها الطرفان البائع والمشتري كخصم من السعر المعلن. وظهر مبدأ تثبيت الأسعار المعلنة في عام 1952 في الاتفاق المعقود بين العراق وشركة الأي.بي.سي(IPC) Iraq Petroleum Company ثم تبعتها إيران والكويت علما بأن اختيار مستوى السعر اتخذ بمعزل عن البلدان المنتجة.[15]

الشكل رقم 2:تطور الأسعار المعلنة خلال مرحلة تدويل الصناعة النفطية وهيمنة شركات النفط العملاقة عليها:

1911 -1944 US average.

1945-1961 Arabian Light posted at Ras Tanura.

US dollars per barrel.



Source: Data from BP Statistical Review (2009).

ومن الشكل رقم 2، يلاحظ أن أسعار النفط كانت شديدة التقلب قبل عقد اتفاقية الأكنكاري وهذا راجع لحروب الأسعار في العالم بين الشركات النفطية الكبرى. أما بعد عقد هذه الاتفاقية فقد عرفت أسعار النفط نوعا من الاستقرار في حدود 1 دولار/للبرميل، لترتفع الأسعار بعدها إلى أكثر من 2 دولار/للبرميل أواخر عام 1950 نتيجة ظهور اتفاقية مناصفة الأرباح بين الشركات النفطية الكبرى والشركات المنتجة للنفط مما أدى إلى ارتفاع أسعار النفط.

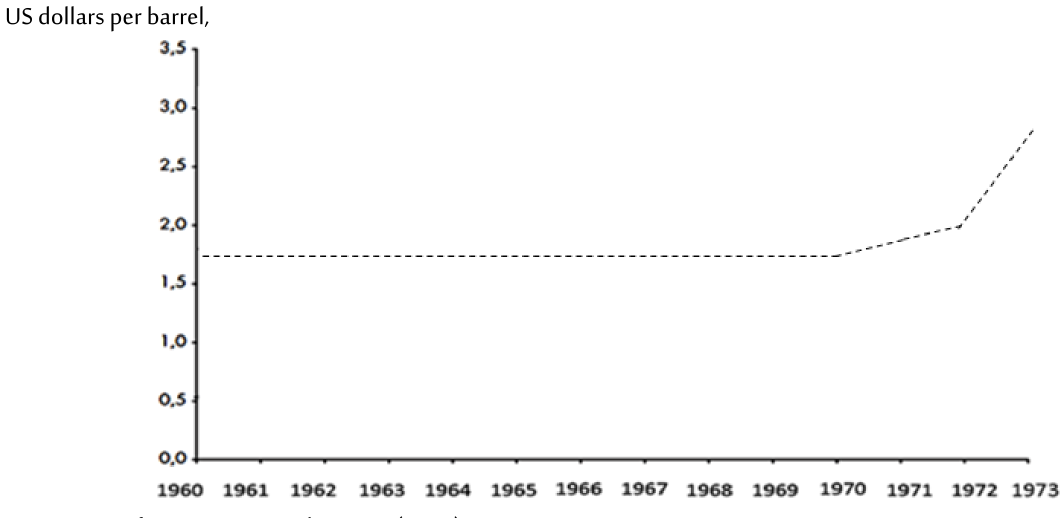
ثالثا: مرحلة تراجع قوة الشركات النفطية وظهور منظمة الأوبك 1960-1973.في عام 1947، كانت الأسعار المعلنة أو السعر الذي تستند إليه الإتاوات والضرائب لبرميل النفط العربي تساوي 2,17 دولار/للبرميل. وخلال شهر فيفري عام 1959، قامت الشركات النفطية الكبرى بتخفيضه إلى 1,90 دولار/للبرميل نتيجة لوفرة إمدادات النفط العالمية. ولم تفعل البلدان المصدرة للنفط شيئا آنذاك لوقف هذه الخسائر بل قامت بزيادة إنتاجها للمحافظة على نفس مستوى الدخل. وقد كانت هذه الدول فقيرة اقتصاديا ومنقسمة سياسيا، وهذا ما دفع الشركات النفطية مرة أخرى إلى القيام بتخفيض السعر إلى 1,80 دولار/للبرميل في شهر أوت عام 1960.[16] وتعتبر التخفيضات التي أجرتها شركات النفطية على الأسعار المعلنة أحد أهم العوامل التي دفعت بالدول المنتجة للنفط للوصول إلى اتفاق تنظيمي يحمي مصالحها ويسعى إلى المحافظة على استقرار أسعار نفوطها وعوائدها، لاسيما وأن تلك البلدان بدأت تخطط لتنمية اقتصاداتها بعد أن حصل العديد منها على استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية. ونتيجة لذلك، التقت وفود من خمسة بلدان منتجة للنفط: إيران، العراق، الكويت، المملكة العربية السعودية، وفنزويلا في بغداد يوم 10 سبتمبر عام 1960 لمناقشة قضية أسعار النفط. وبعد أربعة أيام من ذلك، تأسست الأوبك (Organization of Petroleum Exporting Countries OPEC) بوصفها منظمة حكومية دولية دائمة،[17] وكان هدفها الأساسي يتمثل في تحقيق الاستقرار في أسعار النفط من أجل القضاء على التقلبات الضارة وغير الضرورية، وبالتالي تأمين دخل ثابت للدول المنتجة بالإضافة إلى ضمان إمدادات فعالة واقتصادية منتظمة للدول المستهلكة.[18] ومنذ نشأة الأوبك عام 1960 وحتى عام 1970، لم تستطع القيام بتعديل أسعار النفط بسبب تحكم شركات النفط الكبرى في الأسعار والإنتاج، إلا أنها نجحت في تحقيق مستويات تعاون عالية بين أعضائها في كافة مجالات صناعة النفط وفي

تصحيح العلاقة مع الشركات النفطية والبلدان المصدرة للنفط. وطورت هذه المنظمة خلال ذلك العقد من الزمن قدراتها الفنية والتجارية والاقتصادية والإدارية من خلال تعاونها الأمر الذي جعل البلدان المصدرة في وضع قادر على التفاوض مع الشركات النفطية. وقد تمكنت من اكتساب الخبرة الكافية في إدارة صناعة النفط بعد أن بدأت مفاوضات المشاركة وخطوات التأميم أو الشراء بالتراضي لأصول شركات النفط الأجنبية العاملة في مطلع السبعينيات.[19] وفي السنوات من 1971 وحتى عام 1973، اتجهت عائدات الدول المنتجة نحو الارتفاع التدريجي، ولعل ذلك يعود إلى المفاوضات الجماعية التي سعى إليها أعضاء منظمة الأوبك، والتي أسفرت عن عقد مؤتمر كراكس الذي طالب برفع حصة الدول المصدرة إلى 55% على الأقل من الربح الصافي، وإلغاء الخصومات الممنوحة للشركات وتعديل الأسعار بما يضمن الحفاظ على القوة الشرائية لعائدات الدول المصدرة. وتعود هذه الزيادة أيضا إلى الاتجاه الإيجابي الذي نادت به اتفاقيتا طهران وطرابلس الموقعتان عام 1971، واللتان تضمنتا موافقة الشركات على إجراء زيادة في الأسعار المعلنة مقدارها 2,5% لمجابهة التضخم العالمي.[20]

الشكل رقم 3: أسعار النفط المعلنة خلال مرحلة تراجع قوة الشركات النفطية وظهور منظمة الأوبك:

1960-1973 Arabian Light posted at Ras Tanura.

US dollars per barrel,



Source: Data from BP Statistical Review (2009).

يلاحظ من خلال الشكل رقم 3، أن الأسعار المعلنة بقيت دون تغيير خلال الفترة الممتدة من 1960-1970 عند مستوى 1.80 دولار للبرميل، في حين كانت أسعار السوق تتراوح في كثير من الأحيان بين 1.30 إلى 1.50 دولار/للبرميل،[21] لترتفع الأسعار بعدها إلى 2.83 دولار/ للبرميل في عام 1973. ويعود سبب هذه الزيادات للاتفاقيات الموقعة بين منظمة الأوبك والشركات النفطية الكبرى خلال الفترة 1970-1973.

وعلى العموم يمكن القول، بأن أسعار النفط المعلنة في البداية تميزت بالاستقرار خلال مرحلة احتكار شركة ستاندر لعمليات شراء وبيع النفط داخل الولايات المتحدة الأمريكية، واستمر هذا الوضع حتى عام 1911 نتيجة قيام المحكمة العليا بحل وتقسيم هذه الشركة إلى العديد من الشركات الصغيرة، التي عرفت فيما بعد بالأخوات السبع، لتنتقل السوق من الاحتكار المطلق إلى احتكار قلة. وبتزايد اكتشاف واستغلال النفط خارج الولايات المتحدة الأمريكية عرفت أسعار النفط المعلنة مرحلة من التذبذب نظرا لحدة التنافس الذي وقع بين

الشركات النفطية الاحتكارية الكبرى مما ساهم في عقد اتفاقية الأكنكاري عام 1928، ونتج عن هذه الاتفاقية استقرار وثبات في الأسعار المعلنة. ومع ظهور دول منتجة جديدة واستقلال دول منتجة أخرى أصبحت هذه الدول تهتم بالسعر المعلن بهدف زيادة مداخيلها وتنمية اقتصاداتها من خلال تطبيق مبدأ مناصفة الأرباح بينها وبين الشركات النفطية الكبرى، كما قامت هذه الدول أيضا بتأسيس منظمة الأوبك عام 1960 مما أدى إلى زيادة مداخيل هذه الدول نتيجة للاتفاقيات المعقودة بين هذه منظمة الأوبك والشركات النفطية الكبرى.

المحور الثاني، مرحلة الأسعار الرسمية: هدفت منظمة الأوبك في البداية إلى المحافظة على حقوق الدول المنتجة للنفط ومنع الشركات النفطية الكبرى من استغلال هذه الثروة، وجعل الأسعار المعلنة تتناسب مع استراتيجياتها وخططها التنموية. ومع حلول عام 1973 شهدت السوق النفطية تحولات جذرية في موازين القوى داخلها مع قيام الدول العربية باستخدام الحظر النفطي كسلاح سياسي لمعاقبة الدول المساندة لإسرائيل. ونتيجة لهذا التغيير تم استحداث طريقة تسعير جديدة والمتمثلة في أسعار البيع الرسمية (OSP) Official Selling Price أو الأسعار البيع الحكومية Government Selling Price (GSP)، وجاء هذا السعر للوقوف في وجه طريقة التسعير السابقة "الأسعار المعلنة". ويتم تحديد هذا السعر من قبل منظمة الأوبك للنفط الخام "العربي الخفيف"، وهو ما يعرف بنفط الإشارة كأساس لتحديد أسعار الخامات الأخرى.[22] و تتحدد أسعار النفط الأخرى بناء على سعر هذا النفط بالأخذ بعين الاعتبار خصائص النفط المسعر من ناحية: النوعية، الكثافة، والموقع الجغرافي.[23] ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى قسمين: مرحلة الاحتكار التام لتسعير النفط الخام من قبل منظمة الأوبك؛ ومرحلة تراجع قوة الأوبك وانهيار نظام الأسعار الرسمية.

أولا، مرحلة احتكار منظمة الأوبك لتسعير النفط 1973- 1982. في سبتمبر عام 1973، قررت منظمة الأوبك إعادة فتح باب التفاوض مع الشركات النفطية لمراجعة اتفاقية طهران وطلب زيادة في الأسعار المعلنة فرفضت الشركات النفطية هذا الطلب وبالتالي انهارت المفاوضات بين الطرفين. نتيجة لذلك، أعلنت منظمة الأوبك في 16 أكتوبر عام 1973 زيادة فورية في الأسعار المعلنة واتخذت من العدوان الإسرائيلي حجة لها أرتفع معها سعر النفط من 3,65 دولار/للبرميل إلى 5,11 دولار/للبرميل في يوم 19 أكتوبر عام 1973. وفي ديسمبر من نفس السنة، رفعت الأوبك سعر النفط مرة أخرى إلى 11,65 دولار/للبرميل. وتعتبر هذه المرة الأولى التي تقوم الأوبك بتحديد السعر المعلن لوحدها فقبل هذا التاريخ تمكنت فقط من منع الشركات النفطية من تخفيضه.[24] وأثار قرار الحظر ردود فعل عنيفة، حتى أن بعض الدول الغربية هددت باتخاذ إجراءات انتقامية قد تصل إلى احتلال منابع النفط عسكريا. ومنذ ذلك الحين تزعمت الولايات المتحدة الأمريكية الدعوة إلى إنشاء الوكالة الدولية للطاقة International Energy Agency (IEA) التي ضمت أعضاء منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD. وتلخصت أهدافها في ترشيد استهلاك الطاقة لغرض تخفيض الطلب على النفط والعمل على إحلال مصادر الطاقة البديلة وحفر وتطوير البحث في مصادر الطاقة المتجددة علاوة على سياسة تكوين المخزون الاستراتيجي من النفط لدى كل دولة عضو في هذه المنظمة بحيث يعادل 90 يوما من الواردات النفطية الخاصة لكل دولة، بالإضافة إلى زيادة أسعار صادرات الدول الصناعية إلى الدول المصدرة للنفط وبنسبة تفوق معدل الزيادة في أسعار وارداتها النفطية.[25]

الشكل رقم 3:أسعار النفط الخام خلال مرحلة الأسعار الرسمية:

1970-1983 Arabian Light posted at Ras Tanura.

1984-1985 Brent dated.

US dollars per barrel.



Source: Data from BP Statistical Review (2009).

يبين الشكل رقم 3، تطور أسعار النفط خلال مرحلة الأسعار الرسمية ويلاحظ من خلاله أن أسعار النفط اتسمت بالاستقرار خلال الفترة الممتدة من عام 1974 ولغاية عام 1978 بعد الارتفاع الحاصل في الأسعار نتيجة للحظر النفطي عام 1973، وأطلق على هذه الفترة "العصر الذهبي لمنظمة الأوبك". وبالرغم أن العالم بدأ يشهد انخفاضا في استهلاك النفط منذ عام 1975 مع بدء الدول الصناعية في إتباع سياسة تقليل الاعتماد على النفط، فقد شهدت هذه الفترة استقرارا نسبيا من دون ظهور شحة هامة أو تخمة خطيرة في إمدادات النفط العالمية، مما أدى إلى استقرار في مستويات أسعار النفط العالمية تراوحت ما بين 12,21 إلى 13,55 دولار/للبرميل وحوالي 12 دولار/للبرميل لسعر نفط الإشارة خلال تلك الفترة.[26]

كما يلاحظ أيضا ارتفاع أسعار النفط بين عامي 1979- 1980 نتيجة للأحداث السياسية في إيران والعراق، ونتج عن الثورة الإيرانية خسارة تتراوح مابين 2 إلى 2.5 مليون برميل/يوميا خلال الفترة الممتدة من شهر نوفمبر عام 1978 إلى شهر جوان عام 1979. وفي شهر سبتمبر عام 1980، تم غزو العراق من قبل إيران وكان الإنتاج المشترك للبلدين 1 مليون برميل/يوميا آنذاك مقابل 7,5 مليون برميل/يوميا في العام السابق. وقد أدت الثورة الإيرانية والحرب العراقية الإيرانية إلى زيادة أسعار النفط بأكثر من الضعف إذ انتقلت من 14 دولار/للبرميل في عام 1978 إلى 35 دولار/ للبرميل في عام 1981.[27] لم تكن الأحداث السياسية في منطقة الشرق الأوسط السبب الوحيد في ارتفاع أسعار النفط بل أيضا يرجع هذا إلى قيام بعض دول الأوبك باستغلال هذه الأحداث لصالحها بهدف زيادة مداخيلها. وتشير الدلائل إلى ارتفاع الأسعار الفورية في الأسواق النفطية بحوالي 20 دولارا للبرميل في شهر جانفي 1979 كان بسبب الثورة الإيرانية. ونظرا لقيام المملكة العربية السعودية بخفض إنتاجها في يوم 20 جانفي عام 1979 من 10,4 مليون برميل/يوميا إلى 8,0 مليون برميل/يوميا، قفزت معها الأسعار الفورية في السوق منتصف شهر فيفري إلى أكثر من 31 دولار/للبرميل.[28] ولم تدم طفرة أسعار النفط كثيرا، حيث بدأت أسعار النفط في الانخفاض في عام 1981 نتيجة لتراجع الطلب على النفط الخام، الذي يعود إلى الركود الحاصل في الاقتصاد العالمي. وسجل معدل النمو السنوي داخل الاقتصاديات الصناعية

باستثناء دول أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي (سابقا) 5% خلال الفترة 1960- 1973، لينخفض بعدها إلى 2,8% خلال الفترة 1973- 1979، ليصل إلى 1,3%، 1,0%، و 0,2%- على التوالي خلال السنوات 1980 إلى 1982.[29]

ونتيجة للأحداث السابقة، تراجعت سيطرة منظمة الأوبك على عملية تسعير النفط الخام لصالح أسعار السوق. فبعد الحظر النفطي عام 1973، شهدت السوق النفطية نوعا من الاستقرار إلا أن الأحداث السياسية في الشرق الأوسط ومختلف القرارات المتخذة من قبل الدول الصناعية حالت دون استمرار نظام الأوبك لتسعير، مما أدى التراجع التدريجي في أسعار النفط والتقليص من قوة وحجم منظمة الأوبك في السوق.

ثانيا، مرحلة تراجع قوة منظمة الأوبك وانهيار نظام الأسعار الرسمية 1983- 1986: في شهر مارس عام 1983، قامت منظمة الأوبك للمرة الأولى في تاريخها بخفض سعر نفط الإشارة من 34 دولار/للبرميل إلى 29 دولار/للبرميل. وقد مهدت الأسعار الفورية في أسواق النفط الحرة الطريق لاتخاذ هذا القرار، والتي كانت تتراوح حول حاجز 29 دولار/للبرميل لقرابة أربعة أشهر قبل اجتماع الأوبك في شهر مارس.[30] وكان هذا هو أول تخفيض للأسعار الإسمية من قبل منظمة الأوبك.وكان هذا الانخفاض بفعل فاعل وبعمل منظم من وكالة الطاقة الدولية التي أعدت برنامجا لدولها لتخفيض استهلاك الطاقة بما في ذلك النفط، وشجعت كل مصادر النفط خارج الأوبك مما ساهم في تخفيض التبعية لصادرات الأوبك إلى حوالي النصف.[31] وهكذا بدأت الأوبك تفقد السيطرة على سوق النفط كما وسعرا، بعد أن كانت تسيطر على 53,2% من إنتاج العالم من النفط عام 1976، تقلصت حصتها في الإنتاج لتصبح 30% عام1984.[32] كما نجحت الدول الصناعية في استبدال النفط ببعض مصادر الطاقة البديلة (الفحم والغاز الطبيعي والطاقة النووية) في قطاع توليد الكهرباء، بالإضافة إلى زيادة كفاءة استخدام النفط. وقد أدى ذلك بمجمله إلى تقليص الطلب على النفط ليصل استهلاك الدول الصناعية من النفط إلى 37,2 مليون برميل/يوميا في عام 1985، بالمقارنة مع 41,5 مليون برميل/يوميا في عام 1973، أي بانخفاض 4,3 مليون برميل/يوميا، ما يعادل 10% خلال ذات الفترة.[33]

أما من ناحية الإمدادات، فقد ظهرت دول ومناطق جديدة منتجة للنفط (كما في حالة بحر الشمال وألاسكا) وتزايد إنتاج دول خارج أوبك ليصل إلى 40,8 مليون برميل/يوميا في عام 1985، أي بزيادة 13,2 مليون برميل يوميا، ما يعادل 48% بالمقارنة مع عام 1973. ويعزى ذلك إلى السياسات التي اتبعتها الدول الصناعية الهادفة إلى تشجيع الإنتاج المحلي، بل وأيضا إلى الارتفاع في أسعار النفط وما أدى إليه من تحسن في اقتصاديات المشاريع في تلك المناطق التي كانت تعتبر غير اقتصادية قبل سنوات قليلة.[34]

الجدول رقم 1:أسعار النفط الخام في الأسواق الدولية خلال الفترة 1982- 1986:

US dollars per barrel

Spot crude prices	Brent	Arabian Light
1982	**32.97**	**31.80**
1983	**29.55**	**28.78**
1984	**28.78**	**28.06**
1985	**27.56**	**27.53**
1986	**14.43**	**13.10**

Source: Data from BP Statistical Review (2009).

يبين الجدول رقم 1، أسعار كل من خام برنت وخام العربي الخفيف في الأسواق النفط الفورية، ويلاحظ أنه منذ عام 1983 بدأت أسعار النوعين في الانخفاض تدريجيا حتى وصلت إلى حدود 13- 14 دولار/للبرميل في عام 1986. ويعود السبب في ذلك لتراجع دور منظمة الأوبك في تحديد سعر نفط الإشارة لصالح أسعار السوق الفورية حيث يبدوا جليا أن أسعار السوق هي التي تقوم بتحديد سعر نفط المنظمة في ظل وجود نقص في الطلب وتخمة في العرض ليتحول السوق هنا إلى سوق مشترين لا سوق بائعين.

وما يمكن قوله هو أن السوق النفطية خلال مرحلة الأسعار الرسمية أصبحت سوق احتكار قلة لدول الأوبك، فبعد ارتفاع الأسعار عام 1973 أصبحت المنظمة تتفرد بقرار تسعير النفط إلى غاية عام 1982. وبداية من عام 1983 بدأت هذه المنظمة تفقد السيطرة على السوق كما وسعرا حتى إنهيار نظام الأسعار الرسمية في عام 1986، نتيجة للسياسات المتبعة من قبل الدول المستهلكة للنفط من خلال بحثها عن دول منتجة جديدة خارج المنظمة واستبدال النفط ببعض مصادر الطاقة البديلة.

المحور الثالث، مرحلة أسعار السوق: تخلت الأوبك عن نظام الأسعار الرسمية في عام 1986 تاركة أمر تحديد أسعار نفطها لعوامل السوق. تم في البداية استخدم ما يعرف بالطريقة الترجيعية للتسعير Net Back التي تعتمد بصورة عامة على حصيلة المنتجات الناتجة عن التكرير مضروبة في أسعارها ومطروحا منها أجور التكرير. وبالرغم من استعادة إنتاج أوبك لجزء من عافيته وزيادته بنحو 2,7 مليون برميل/يوميا في عام 1986 بالمقارنة بالعام السابق فإنه لم يكتب للنظام المذكور النجاح بسبب انهيار الأسعار إلى أقل من 10 دولار/للبرميل. وفي ديسمبر عام 1986، قررت منظمة الأوبك العودة ثانية إلى نظام السعر الرسمي الثابت واعتماد سلة أوبك كمؤشر مرجعي لتسعير بقية نفط المنظمة. وفعلا تم الاتفاق على تحديد معدل سعر السلة بواقع 18 دولار/للبرميل وأن تكون الفروقات بين أسعار النفط الخفيفة والثقيلة لا تزيد عن 2,65 دولار للبرميل كحد أعلى، إلا أن ذلك لم يدم طويلا ولم يكتب له النجاح ما دفع منظمة الأوبك في عام 1987 إلى التخلي كليا عن الأسعار الثابتة والاعتماد على أسعار السوق.[35]

ومنذ نهاية عام 1987 قامت الأوبك بتحديد سقف إنتاجي للمنظمة وتوزيع حصص على الدول الأعضاء كأداة في إدارتها للسوق تاركة مسألة تحديد الأسعار لعوامل العرض والطلب، عن طريق وضع سعر مستهدف ليس لنوع واحد من النفط بل لمتوسّط أسعار خامات سلة الأوبك مع ترك تحديد سعر كل خام لعوامل السوق وتبني آلية تحديد سقف وحصص للإنتاج للوصول إلى السعر المستهدف.[36]

وأصبحت أسعار سلة الأوبك تتحدد في السوق من خلال ربط أسعار الخام لديها بأسعار زيوت يجرى تداولها في بورصات السلع في نيويورك New York Mercantile Exchange (NYMEX)، أو في سوق تبادل النفط الدولي في لندن International Petroleum Exchange in London (IPE). وهي سعر غربي تكساس الوسيط (WTI) في الأولى، وسعر برنت ودبي في الثانية، وتتغير الأسعار كل يوم اعتمادا على ظروف التعامل في تلك البورصات. وتتحدد أسعار الزيوت الأخرى في كل سوق جغرافي بتحديد فرق سعري لكل شهر بين الزيوت المرجعية في البورصات المعينة والزيوت الأخرى التي تباع في تلك الأسواق، اعتمادا على اختلاف النوعية والمسافة بين المناطق المصدرة والمستوردة واختلاف أنماط الطلب في كل سوق.[37] وعادة ما يحدد سعر النفط الخام بخصم أو بعلاوة من النفط المرجعي Reference Price. ويمكن كتابة صيغة التسعير The Formula Pricing كما يلي:[38]

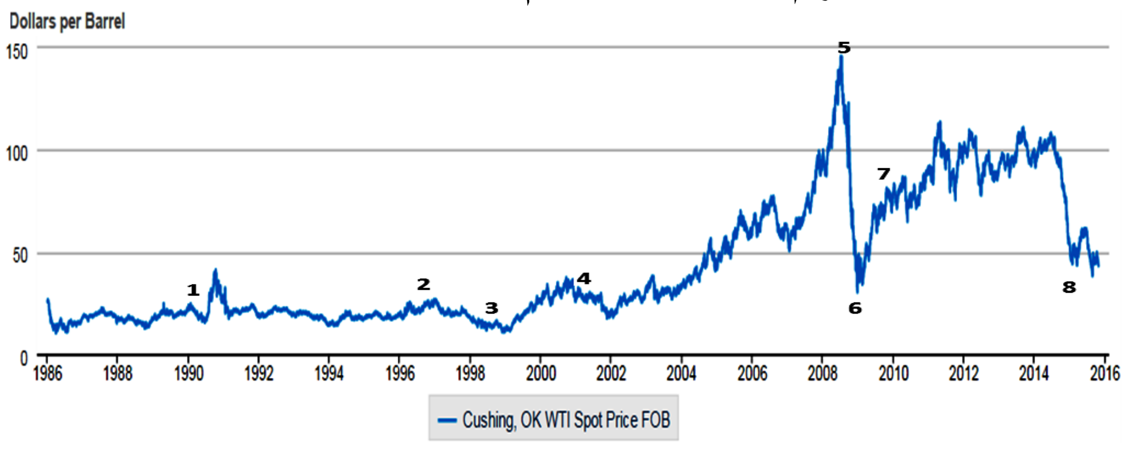
$$P_x = P_R \pm D$$

- P_x: هو سعر النفط الخام x؛
- P_R: هو سعر النفط المرجعي؛
- D: هي قيمة الفارق بين سعر النفط الخام x وسعر النفط المرجعي.

سمح انهيار نظام الأوبك للتسعير خلال الفترة الممتدة من عام 1986و حتى عام 1988، ببدء حقبة جديدة في تسعير النفط تحولت فيها القدرة على تحديد الأسعار من الأوبك إلى السوق. وقد تلقى نظام التسعير المرتبط بالسوق قبولا واسعا بين معظم البلدان المصدرة للنفط، وأصبح منذ عام 1988 هو الأسلوب الرئيسي لتسعير النفط الخام في التجارة الدولية.[39]

وتستخدم معظم الدول الكبرى المنتجة للنفط خام برنت كنفط مرجعي لتسعير نفطها، وبالتالي يستخدم هذا النفط كأساس لتسعير معظم النفط الخام الموجه للأسواق الأوروبية والآسيوية. وتستخدم الولايات المتحدة الأمريكية خام غرب تكساس الوسيط كأساس لتسعير منتجاتها من النفط الخام.[40] وتتحدد الأسعار في أسواق النفط على أساس الظروف الراهنة للسوق النفطية والتوقعات المستقبلية للطلب والعرض، وتمثل الأسعار الفورية Spot Prices سعر التسليم الفوري لبرميل النفط، بينما تمثل الأسعار الآجلة أو المستقبلية Future Prices أسعار التسوية في عقود آجلة التسليم. وبينما تعكس حركة الأسعار الفورية الظروف الحالية لأسواق النفط وحالة التوازن بين العرض والطلب، فإنها تتأثر أيضا بالإشارات التي تستلمها من الأسواق الآجلة كمؤشر للتوقعات المستقبلية لظروف الأسواق حيث ينعكس الارتفاع في الأسعار المستقبلة في الارتفاع الثنائي للأسعار الفورية ومستويات المخزون النفطي لغرض التحوط من ارتفاع الأسعار الفورية مستقبلا. كما تتأثر الأسعار المستقبلية بالظروف الحالية للأسواق النفط من حيث مستويات الطاقة الفائضة وظروف التوازن في العرض والطلب ومستويات الأسعار الفورية ونسبة المخاطرة.[41] ويحرك هذه السوق قانون العرض و الطلب بالإضافة إلى عوامل اقتصادية أخرى مثل أزمة جنوب شرق آسيا والأزمة المالية العالمية، وعوامل غير اقتصادية كالعوامل السياسية والعسكرية والمناخية وتضارب المصالح بين المستهلكين والمنتجين والشركات النفطية، كل هذه العوامل جعلت من أسعار النفط الخام شديدة التقلب خلال مرحلة أسعار السوق.

الشكل رقم 3: أسعار النفط الخام خلال الفترة الممتدة 1986 -2015:



Source: U.S. Energy Information Administration, (2015).

يبين الشكل رقم 3، لنا أهم الأحداث التي ساهمت في تقلب أسعار النفط خلال مرحلة أسعار السوق ويمكن حصرها في النقاط التالية:

1. **الغزو العراقي للكويت**: في عام 1990 قامت العراق بغزو للكويت مما أدى إلى زيادة أسعار النفط من حوالي 18 دولارا/للبرميل إلى 35 دولار/للبرميل بسبب انخفاض الإنتاج وزيادة درجة عدم اليقين. وبعد هذا الارتفاع مباشرة دخلت أسعار النفط فترة من الانخفاض المستمر ليهبط معها السعر الفوري إلى 14,74 دولار/ للبرميل في عام 1994[42]

2. **الأزمة المالية الآسيوية**: في عام 1997 انخفاض الطلب على النفط في آسيا ومرد ذلك أزمة العملة والبنوك مما أدى إلى انهيار أسعار النفط إلى حوالي 13 دولار/للبرميل في عام 1998 بعد أن كانت الأسعار تسلك منحى متصاعدا. ففي في عام 1995 ارتفع متوسّط أسعار النفط إلى 17 دولار/للبرميل وإلى 20,2 دولار/للبرميل في عام 1996. وقد كان النمو القوي في الاقتصاد الأمريكي واقتصاديات بعض الدول الآسيوية السبب في هذا الارتفاع.[43]

3. **سياسات الأوبك لتخفيض الإنتاج:** قامت بلدان أوبك في عام 1998 بتبني استراتيجية تحقيق التوازن في السوق النفطية، وكان الهدف الرئيسي من هذه الاستراتيجية هو رفع الأسعار بعد الانهيار الكبير الذي شهدته مستوياتها إبان الأزمة المالية الآسيوية والوصول بها إلى مستويات معقولة تلقى القبول من الدول المنتجة والمستهلكة للنفط على حد سواء.[44] وقد بادرت منظمة الأوبك بدعوة الدول الكبرى المنتجة للنفط للتنسيق بينها في الكميات المعروضة من النفط الخام. وبدأت أسعار النفط في الانتعاش في عام 1999 مع تخفيض الأوبك لإنتاجها بمقدار 1,71 مليون برميل/يوميا في شهر مارس، ومع حلول منتصف هذا العام كان إنتاج الأوبك قد انخفض بنحو 3 مليون برميل/يوميا.[45] كما قامت العديد من الدول المنتجة خارج أوبك (المكسيك، روسيا، النرويج، وسلطنة عمان)، بالمساهمة أيضا في رفع أسعار النفط عن طريق تخفيض إنتاجهم بنحو 388000 برميل/يوميا.[46]

4. **أحداث 11 سبتمبر 2001**: أدى سقوط برجي التجارة العالميين في نيويورك في هذا التاريخ إلى خسائر في الاقتصاد الأمريكي مما انعكس سلبا على نمو الاقتصاد العالمي. كما تسببت هذه الأحداث في انخفاض أسعار النفط حيث انتقلت أسعار الفورية لخام غرب تكساس الوسيط من 26,20 دولار/للبرميل في شهر سبتمبر إلى 19,64 دولار/للبرميل في شهر نوفمبر من نفس السنة نتيجة لانخفاض الطلب على النفط والمشتقات النفطية.

5. **طفرة أسعار النفط النصف الأول من عام 2008:** في هذه السنة بلغت أسعار النفط أعلى مستوى لها بحوالي 147 دولار/للبرميل، ويمكن إرجاع جذور الطفرة السعرية للفترة من عام 2002 إلى منتصف 2008عام إلى النمو الاستثنائي في الطلب العالمي على النفط. فقد شهد الطلب العالمي على النفط زيادة مطردة ومتسارعة ارتفع خلالها الطلب من حوالي 77,1 مليون برميل/يوميا خلال عام 2001 إلى أن بلغ أعلى مستوياته بحوالي 88,4 مليون برميل/يوميا خلال الربع الأول من 2008، أي بزيادة حوالي 11,3 مليون برميل/يوميا.[47] وتعكس الزيادة في الطلب العالمي على النفط حقبة جديدة من التسارع في النمو الاقتصادي بقيادة الصين والاقتصاديات الناشئة. وحتى من دون هذا الانتعاش غير المتكرر الواسع النطاق، فإن عدم القدرة على زيادة الطاقة الإنتاجية من تلقاء نفسها أدت إلى ارتفاع أسعار النفط.[48] كما تزامن الصعود الحاد

لأسعار النفط بين عامي 2004 و2008 مع أول انخفاض ملموس في إمدادات النفط من دول خارج أوبك، بالمقارنة مع زيادة غير مسبوقة في الطلب للنفط في نفس الفترة، إذ زاد الطلب العالمي بنسبة 33%، في حين انخفضت الإمدادات من خارج أوبك بنسبة 23%. فعلى الرغم من أن أعضاء أوبك ردت عن طريق زيادة إنتاجها إلى أنها عجزت عن سد الفجوة المتزايدة بين الطلب العالمي والإمدادات من خارج أوبك.[49] وكان العامل الآخر الذي ساهم في ارتفاع أسعار النفط هو النمو الضخم للعقود الآجلة في الأسواق النفطية نتيجة الزيادة الهائلة في الأدوات المالية، وصناديق التحوط، وشركات مالية المتخصصة التي بدأت تأخذ مكانها في السوق منذ عام 1990، عندما ارتفع متوسّط اليومي من عدد المناصب المفتوحة في بورصة نايمكس من 272.262 في عام 1990 إلى 468.109 في عام 2000 حتى ذروتها من 1.393.664 في عام 2007.[50]

6. **ركود الاقتصاد العالمي وانهيار أسعار النفط:** دخل الاقتصاد العالمي منذ النصف الثاني من عام 2008 في أعمق ركود اقتصادي له على الإطلاق نتيجة الأزمة المالية العالمية التي بدأت بالظهور في عام 2007 مع انهيار سوق الرهن العقاري الأمريكي، وتفاقمت مع بدء سلسلة الانهيارات المتلاحقة في أسواق المال والمؤسسات المصرفية عام 2008 ومن ثم امتدت آثارها لتشمل كافة أنشطة الاقتصاد الحقيقي في بلدان العالم المختلفة.[51] ولم تكن صناعة النفط بمنأى عن التطورات الحاصلة في الاقتصاد العالمي حيث أخذت أسعار النفط في التراجع بشكل حاد من 147 دولار/للبرميل في شهر جويلية إلى 36 دولار للبرميل في شهر ديسمبر 2008.

7. **مرحلة التعافي واستقرار أسعار النفط عام 2009:** خلال هذه السنة ارتفعت أسعار النفط الفورية لخام غربي تكساس من 30,28 دولار/للبرميل في يوم 31 ديسمبر عام 2008 إلى 79,39 دولار/للبرميل في يوم 31 ديسمبر عام 2009 مع زيادة تقدر 160%. ويمكن تقسيم هذه الزيادة إلى مرحلتين. ففي النصف الأول من العام شهدت أسعار النفط زيادة حادة رغم وجود بيئة اقتصادية عالمية مجهولة وقلقة. أما النصف الثاني من العام فقد شهدت الأسعار استقرارا نسبيا إذ تراوحت الأسعار الفورية للنفط بين 60-70 دولار/للبرميل بين شهري جويلية وسبتمبر، لترتفع بعد ذلك إلى حوالي 70-80 دولار/للبرميل بين شهري أكتوبر ونوفمبر عام 2009.[52] وقد ساهم النمو المتواضع في مجموعة بلدان OECD، وعودة النمو الاقتصادي القوي في البلدان الصاعدة وخاصة الدول الآسيوية في دعم أسعار النفط بعد حدوث الأزمة الاقتصادية الكبرى.[53] فقد حققت الدول الآسيوية نموا بمعدل 7,2 % في عام 2009، وفي عام 2010 بلغ معدل نموها 9,5% مقارنة بمعدل النمو العالمي الذي بلغ 5,1%.[54]

8. **زيادة عرض النفط في الأسواق النفطية:** شهدت أسعار النفط استقرارا نسبيا في الفترة مابين عام 2011 وحتى نهاية شهر جويلية عام 2014 عند حدود 110 دولار/للبرميل، لتنخفض بعدها الأسعار للمرة الأولى إلى ما دون 50 دولار/للبرميل. ولم يأتِ هذا الانخفاض في أسعار النفط العالمية كحدث مفاجئ، بل كان نتيجة لاستمرار الارتفاع في حجم الإمدادات النفطية في الأسواق، وخاصة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية. وقد كان الدافع وراء هذا الأداء هو تطوير تكنولوجيا الحفر والتنقيب على النفط الصخري، حيث انتقل إنتاج الولايات المتحدة الأمريكية للنفط من أقل من 1 مليون برميل/يوميا في عام 2010 إلى أكثر من 3.5 مليون برميل/يوميا في النصف الثاني عام 2014.[55] كما ساهمت منظمة الأوبك أيضا في زيادة كمية النفط

المعروضة نتيجة سياستها القائمة بالمحافظة على نفس حجم إنتاجها النفطي البالغ 30 مليون/برميل يوميا رغم وجود فائض في العرض.

ومما سبق يمكن القول، إن نظام أسعار السوق والذي لازال قائما إلى حد الساعة، تم اعتماده للحيلولة دون حدوث تقلبات كبيرة في أسعار النفط، من خلال ربط أسعار النفط المصدرة العالم في بأسعار إشارة معينة يتم تداولها في الأسواق النفطية بغية الحصول على سعر عادل يرتكز أكثر على عوامل العرض والطلب. وقد عرفت أسعار النفط العديد من التقلبات خلال هذه المرحلة نتيجة لسياسات الأطراف المتدخلة فيها فكانت تارة لصالح الدول المنتجة وتارة أخرى لصالح الدول المستهلكة بالإضافة إلى العديد من العوامل الأخرى كالحروب والأزمات الاقتصادية.

الخلاصة:

يعتبر النفط من اكثر مصادر الطاقة أهمية في العالم، إلا أنه كسلعة يعتبر الأكثر جدلا في التاريخ الاقتصادي الحديث. فالسوق النفطية رغم كبر حجم المعاملات فيها إلا أنها تبقى حكرا على بعض الدول، وتختلف هذه السوق عن باقي الأسواق الأخرى فلا ينطبق عليها قوانين العرض والطلب بل تحكمها جملة من العوامل غير مرتبطة بالجانب الاقتصادي والتجاري وتساهم في تذبذب أسعار النفط. وعرفت أسعار النفط العديد من أنظمة التسعير وذلك لتتماشى مع هذه العوامل والمتمثلة في أنظمة الأسعار المعلنة وأنظمة الأسعار الرسمية وأنظمة أسعار السوق.

تميزت مرحلة الأسعار المعلنة في البداية بهيمنة الشركات النفطية الكبرى والدول التابعة لها على عملية تسعير النفط بمعزل عن الدول المنتجة، مما دفع هذه الأخيرة إلى إلى القيام بالمطالبة بحقوقها لزيادة مداخيلها كما قامت هذه الدول أيضا وبتأسيس منظمة الأوبك في عام 1960 للمشاركة في عملية تسعير النفط، ما أدى إلى تضاؤل دور الشركات النفطية الكبرى في السوق النفطية وزوال نظام الأسعار المعلنة.

وجاء نظام الأسعار الرسمية فيما بعد بقيادة منظمة الأوبك نتيجة لسيطرتها على حصة كبيرة من المعروض النفطي في العالم آنذاك ما مكنها من فرض نظامها الخاص لتسعير النفط، ولكن هذه القوة أخذت في التناقص مع تراجع حصة الأوبك في السوق نتيجة قيام الدول المستهلكة الكبرى بقيادة منظمة الطاقة الدولية بإتباع سياسات تهدف من خلالها لتخفيض استهلاك النفط المنتج من قبل دول هذه المنظمة مما أدى إلى انهيار نظام الأوبك لتسعير النفط الخام واعتماد نظام أسعار السوق.

تم الاعتماد على السوق للتحديد أسعار النفط للحصول على سعر يستند أكثر على ظروف العرض والطلب، حيث أعتبرت السوق النفطية وسيلة فعالة في تنشيط حركة التعاقدات النفطية سواء كان هذا في بورصة نيويورك أو لندن. وقد لعب نظام المعادلات السعرية دورا رئيسيا في تسهيل المعاملات داخل هذه السوق، من خلال إمكانية تحديد سعر سوقي لمختلف أنواع النفط المصدرة وفقا لنفط إشارة معينة يتم تداولها في هذه البورصات، إلا أن سعر النفط الخام عرف العديد من التقلبات خلال هذه المرحلة بسبب ظروف وعوامل اقتصادية وغير اقتصادية من الحروب، والكوارث الطبيعية، والأزمات الاقتصادية، ما جعل سلعة النفط سلعة غير عادية يخضع في تقييمها إلى أسس وقواعد تختلف عن باقي السلع .

الهوامش:

1. علي رجب، «تطور مراحل تسعير النفط الخام في الأسواق الدولية»، **مجلة النفط والتعاون العربي**، المجلد الثامن والثلاثون، العدد 141، الكويت، (2012)، ص. 10.

2. محمد أحمد الدوري، **محاضرات في الاقتصاد النفطي**، (عنابة: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983)، ص. 197.

3. Martin Levey, «Studies in Early Petroleum Historyby R. J. Forbes; More Studies in Early Petroleum History, 1860-1880», **Technology and Culture**, Vol. 2, No. 1 (Winter, 1961), p. 55.

4. Elizabeth Granitz and Benjamin Klein, «Monopolization by "Raising Rivals' Costs": The Standard Oil Case», **Journal of Law and Economics,** Vol. 39, No. 1 (Apr, 1996), pp. 1-2.

5. Gilbert Holland Montague, «The Rise and Supremacy of the Standard Oil Company», **The Quarterly Journal of Economics**, Vol. 16, No. 2 (Feb, 1902), p. 265.

6. منى البرادعي، **مذكرات في اقتصاديات النفط**، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1997)، ص. 57.

7. Joseph A. Pratt, «The Petroleum Industry in Transition: Antitrust and the Decline of Monopoly Control in Oil», **The Journal of Economic History**, Vol. 40, No. 4 (Dec, 1980), p . 817.

8. Arthur P. Dudden, «Antitrust and the Oil Monopoly: The Standard Oil Cases, 1890-1911», **The Pennsylvania Magazine of History and Biography**, Vol. 104, No. 1 (Jan, 1980), p. 1Pratt, Op.cit., p. 818; وهنا يمكننا التمييز بين مفهوم الاحتكار المطلق واحتكار قلة، ويتضمن التعريف العام للمحتكر وجود منتج واحد لإنتاج سلعة ليس لها بديل قريبا، كما له القدرة على التحكم في الأسعار لأن المحتكر هو المنتج الوحيد في الصناعة. ويتميز سوق احتكار قلة بوجود عدد قليل من الشركات تقوم بعرض سلعة متجانسة ولكنها متمايزة، وتستطيع هذه الشركات التأثير على الأسعار والكميات المنتجة في السوق من خلال حصتها الكبيرة بالمقارنة بباقي الحصص. وتحتوي هذه الأسواق على عوائق كبيرة لدخول مستثمرين جدد بسبب التكاليف أو التكنولوجيا المرفقة لحجم الإنتاج الكبير. أنظر:

1. دونالد س. واتسن، ماري أ. هولمان، **نظرية السعر وإستخداماتها**، ترجمة ضياء مجيد الموسوي، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1992)، ص ص. 85-86.
2. إياد عبد الفتاح النسور، **التحليل الإقتصادي الجزئي مفاهيم ونظريات وتطبيقات**، (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2009)، ص ص. 314-315.

9. V. C. Vigand, « Once more on The World Price of Oil », **Acta Oeconomica**, Vol. 4, No. 2 (1969), p. 211.

10. Cyrus Bina, «The Globalization of Oil: A Prelude to a Critical Political Economy», **Intl.Journal of Political Economy**, Vol. 35, No. 2 (Summer, 2006), p. 9.

11. عاطف سليمان، **الثورة النفطية ودورها العربي الدور السياسي والإقتصادي للنفط العربي**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009)، ص. 126.

12. Bassam Fattouh, «Anatomy of the Crude Oil Pricing System», **The Oxford Institute for Energy Studies**, (January, 2011), p. 14.

13. Brian Levy, «World Oil Marketing in Transition», **International Organization**, Vol. 36, No. 1 (Winter, 1982), p. 114.

14. عبد العزيز مؤمنة، **النفط والمستقبل العربي**، (بيروت: مطبعة اكسبرس انترناشيونال برنتنغ كومباني، 1976)، ص. 104؛ وهنا يمكننا التطرق إلى مفهوم الريع بالإضافة إلى توضيح معنى الحسومات، والريع هو ذلك الدخل الغير مرتبط بشاط إقتصادي أو ممارسة سوقية، فالدولة الريعية تعتمد على دخل لايتم كسبه عن طريق الإنتاج والعمل. وقد إستخدم تعبير الإقتصاد الريعي أو الدولة الريعية على نطاق واسع منذ السبعينات للتعريف بالدول النفطية. انظر: مايح شبيب ألشمري، «تشخيص المرض الهولندي ومقومات إصلاح الإقتصاد الريعي في العراق»، **مجلة الغري للعلوم الإقتصادية والإدارية**، العدد 15، (2010)، ص. 8. وتعرف الحسومات على أنها عبارة عن تخفيض نسبة معينة من السعر المعلن لترغيب المشتري أو لتلافي المشاكل الناتجة عن طبيعة بعض القيود، والحسومات كثيرة نذكر منها:

- حسومات الموقع الجغرافي، وتعطى للنفوط التي لا تتمتع دولها أو منتجوها بموقع جغرافي يسمح لها بتصدير النفط الخام مباشرة إلى السوق الدولية؛
- حسومات المحتوى الكبريتي، تعطى هذه حسومات مقابل النفوط ذات المحتوى الكبريتي العالي ومستوى الشوائب العالي؛

- حسومات درجة الكثافة، تعطى هذه حسومات لمشتري النفط الثقيل بنسبة عالية ولمشتري النفوط الخفيفة بنسبة أقل؛
- حسومات قناة السويس، تعطى هذه حسومات للنفوط التي تصدر مباشرة إلى السوق من دون أن تمر بقناة السويس. انظر: ناجي عبد الستار محمود، علي خيضر عباس، «أسعار النفط الخام وإنعكاساتها على إقتصاديات الدول العربية المنتجة»، **مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية**، العدد 1، (2008)، ص ص. 258-259.

15. Jahangjr Amuzega, «Opec in the Context of the Global Power Equation», **Journal of International Law and Policy**, Vol. 4 (1974) , p. 221.
16. Abdalla Salem El-Badri, «History of OPEC», **OPEC Bulletin,** Vol. XLI, No 7 (September,2010), p.07.
17. Morten Christensen, **An Empirical Study of Stock Price Reactions to Opec Output Announcements –focus on Scandinavia-**, Aarhus school of Business, University of Aarhus, Denmark, (May, 2009), P. 11.

18. إبراهيم شريف السيد وآخرون، **الطفرة النفطية الثالثة وإنعكاسات الأزمة المالية العالمية**، (بيروت: مركز دراسات دراسات الوحدة العربية، 2009)، ص. 67.

19.مديحة الحسن الدغيدي، **إقتصاديات الطاقة في العالم وموقف النفط العربي منها**، (بيروت: القاهرة: دار الجيل؛ مكتبة التراث الإسلامي، 1992)، ص. 275.

20. G. F. Ray, « the 'Real' Price of Crude Oil », **National Institute Economic Review**, No. 82 (November, 1977), P. 59.
21. Vincent Brempnd, Emmanuel Hache, Valérie Mignon, **Does OPEC Still exist as a Cartel ? An Empirical Investigation,** IFP School –Centre Economie et Gestion-, France, (Mars, 2011),p. 4.
22. Bright Erakpoweri Okogu, «Marketing Dynamism : An Econometric Study of the Oil Pricing Policies of selected OPEC members», **Energy Economics**, (July, 1991), p. 154.
23. Fattouh, Op.Cit., p. 16.

24. علاء الدين حسن عواد، «السياسات السعرية للبترول خلال الربع قرن الأخير: دراسة مرجعية»، **المجلة العلمية لكلية الإدارة والإقتصاد**، العدد 9، (1998)، ص ص. 138-139.

25. رجب، مرجع سابق، ص. 288.

26. Mahmud Suleiman, **Oil Demand, Oil Prices, Economic Growth and the Resource Curse: An Empirical Analysis,** Doctor of Philosophy, School of Economics University of Surrey, 2013. P. 16.
27. Dermot Gately, « A Ten-Year Retrospective: OPEC and the World Oil Market », **Journal of Economic Literature**, Vol. 22, No. 3 (Sep, 1984),p. 1103.
28. P. G. K. Panikar, «Oil: From Crisis to Crisis », **Economic and Political Weekly**, Vol. 26, No. 9/10 (Mar. 2-9, 1991), p. 479
29. Okog, Op.Cit., p. 156.

30. السيد، وآخرون، مرجع سابق، ص ص. 107-108.

31. الدغيدي، مرجع سابق، ص. 292.

32. علي رجب،« مستجدات سياسة الطاقة في الدول الصناعية وإنعكاسها على دول الأوبك»، **مجلة النفط والتعاون العربي**، العدد 138، الكويت، (2011). ص. 24.

33. المرجع نفسه.

34. رجب، «تطور مراحل... »، مرجع سابق، ص ص. 38-39؛ وسلة الأوبك بصيغتها القديمة هي معدل بسيط لسبعة نفوط (العربي الخفيف السعودي، مزيج الصحاري الجزائري، خام دبي، تي جي الخفيف الفنزويلي، بوني الخفيف النيجيري، خام ميناس الأندونيسي، وخام أزموس المكسيكي)، وإعتبارا من يوم 16 جوان 2005 أصبحت سلة الأوبك تضم إحدى عشر نوعا من النفط الخام بدلا من السبعة خامات السابقة. وتمثل السلة الجديدة خامات الدول الأعضاء مقوّمة وفقا لأوزان ترجيحية تأخذ في الاعتبار إنتاج وصادرات الدول الأعضاء. وإبتداء من شهر جانفي 2007، أضيف خام غيراسول الانغولي إلى سلة أوبك الجديدة، وفي منتصف شهر نوفمبر 2007، أضيف خام أورينت الإكوادوري، وفي جانفي 2009 تم استثناء الخام الاندونيسي من السلة لتصبح تتألف من12 نوع من النفط الخام. أنظر في: منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول، «التطورات البترولية في الأسواق العالمية والدول الأعضاء»، **نشرة شهرية صادرة عن الأمانة العامة لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول**، العدد5، الكويت، ماي 2011، ص، 7.

35. الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، وآخرون، **تطور السوق البترولية العالمية وتأثيرها على الإقتصاديات العربية**، التقرير الإقتصادي العربي الموحد، صندق النقد العربي، (2011)، ص. 187.

36. قصي عبد الكريم إبراهيم، **أهمية النفط في الإقتصاد والتجارة الدولية (النفط السوري نموذجا)**، (دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2010)، ص. 139.

37. Fattouh, Op.Cit., pp. 20-21.

38. Ibid., p. 20.

39. Paul Davidson, «Crude Oil Prices "Market Fundamentals" or Speculation?», **Challenge**, Vol. 51, No. 4 (2008), p . 111.

40. الطاهر زيتوني، « التطورات في أسواق النفط العالمية وإنعكاسها على الإقتصاد العالمي»، **مجلة النفط والتعاون العربي**، العدد 132، الكويت، (2010)، ص. 27.

41. Suleiman, Op.Cit., p. 17.

42. عبد الفاتح دندي،« الحوار بين الدول المنتجة والمستهاكة للنفط وأهميته في إستقرار الأسعار»، **مجلة النفط والتعاون العربي**، العدد 140، الكويت، (2012)، ص. 25.

43. المرجع نفسه، ص. 25.

44. Suleiman, Op.Cit., p. 18.

45. Wilfrid L. Kohl, «Opec behavior 1998-2001», The Quartely Review of Economics and Finance, Vol. 42 (2002), P. 213.

46. زيتوني، مرجع سابق، ص. 31.

47. Leonardo Maugeri, «Understanding Oil Price Behavior through an Analysis of a Crisis», **Review of Environmental Economics and Policy**, (2009), p. 12.

48. James L. Smith, «World Oil: Market or Mayhem?», **The Journal of Economic Perspectives**, Vol. 23, No. 3 (Summer, 2009), P. 151.

49. Maugeri, Op.Cit., p. 12; تقوم بورصة نايمكس بإدارة العقود الآجلة للنفط الخام، وتمثل هذه العقود وعود لشراء أو بيع النفط الخام في مدينة كوشينج بولاية أوكلاهوما، بسعر ثابت وفي شهر معين مستقبلا. وفي الواقع، تجار العقود الآجلة هدفهم الأساسي ليس تسليم أو إستلام شحنات مادية من النفط الخام، بل هدفهم الأساسي يتمثل في تحقيق مكاسب مالية فقط عن طريق بيع العقود النفطية الذين قاموا بشرائها سابقا أو شراء العقد الذي قاموا ببيعه في السابق والتسليم الفعلي لا يكاد يحدث، حيث تفيد تقارير تبادل نايمكس أن أكثر من 99% من العقود الآجلة لخام غرب تكساس الوسيط تسوى نقدا. أنظر:

- Joeri de Wit, Aaron Smith, «What is the Price of Oil? », **Giannini Foundation of Agricultural Economics,** University of California, V. 11, no. 5, (May/June, 2008), p, 01.
- James L. Smith, «World Oil: Market or Mayhem? », **The Journal of Economic Perspectives**, Vol. 23, No. 3 (Summer, 2009), P. 158.

50. منظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط، **تقرير الأمين العام السنوي السادس والثلاثين، الكويت**، (2009)، ص. 03.

51. Bassam Fattouh, «Price Formation in Oil Markets: Some Lessons from 2009», **Oxford Institute for Energy Studies,** (March, 2010). P. 2.

52. آرميل سانيير، سيلفان سربوتوفيتز، كونستانسيو سيلفا وغي ميزوني، «الاستثمار في استكشاف والإنتاج خلال عام 2010»، **مجلة النفط والتعاون العربي**، العدد 136، الكويت، (شتاء، 2011)، ص. 11.

53. عبد الفاتح دندي، «تطور إنتاج وإستهلاك النفط والغاز الطبيعي في الدول الآسيوية (عدا الهند والصين) والإنعكاسات على الدول الأعضاء»، **مجلة النفط والتعاون العربي**، العدد 141، (ربيع، 2012)، ص. 90.

54. Bassam Fattouh, «The US Tight Oil Revolution and Its Impact on the Gulf Cooperation Council Countries: Beyond the Supply Shock», **Oxford Institute for Energy Studies**, No. 286084, (October, 2014). P. 02.

استراتيجيات تنمية القطاعات المنتجة في الجزائر بين الواقع ورهان التنويع الاقتصادي

د.حليمي حكيمة

جامعة محمد الشريف مساعدية، سوق اهراس

الملخص:

مع بداية الألفية الثالثة انتقل الاقتصاد الجزائري نحو مرحلة جديدة بعد نجاح سياسة المصالحة الوطنية التي أعادت الاستقرار والأمن، فانعكست هذه السياسة على مجالات أخرى أهمّها المجال الاقتصادي، أين ساهم الانتعاش المستمر للبترول وفق ما يعرف بالطفرة النفطية منذ سنة 2000 في تحسّن جلّ المؤشرات الكلية، وانتقلت فيها الموازين من العجز إلى الفوائض، والمعدّلات من الانكماش إلى النمو. حتى أعادت الأشهر الأخيرة بأزمة بترول جديدة الاقتصاد الجزائري إلى الوراء، فألغيت السياسات التوسعية المتبناة منذ سنة 2001 بسياسات انكماشية تقشفية، وأصبحت المساعي حثيثة للإسراع في تبني استراتيجيات إنتاجية لضمان الانتقال من الاقتصاد الريعي إلى الإنتاجي.

وبذلك تهدف هذه الدراسة إلى تقديم جملة من الاقتراحات لتبني برنامج شامل للتنويع الاقتصادي عبر ثلاث قطاعات هي الصناعة والزراعة والسياحة، نحاول من خلاله تقديم محاور الاستراتيجيات الفرعية لكلّ قطاع بين المفعّل منها والمقترح من جهة، ثمّ التركيز على آليات ومتطلبات إنجاحها من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: برنامج التنويع الاقتصادي، الاستراتيجية، الصناعة، الزراعة، السياحة.

Abstract

At the beginning of the third millennium, the Algerian economy has moved into a new phase after the success of the national reconciliation policy that has brought stability and security. This policy vanekst on other areas, including the economic field. The continuous oil recovery helped by what is known as the oil boom since 2000 to improve the overall mass of the indicator, or balances move from deficit to surplus, and rates move from contraction to growth.

The last few months with a new oil crisis have affected the Algerian economy. Expansionary policies adopted since 2001 were canceled and offset by the deflationary austerity policies.

Efforts to accelerate the adoption of productivity focused strategies to ensure the transition from a rentier economy to a production.

this study aims to provide a set of proposals for the adoption of a comprehensive economic diversification program in three sectors: industry, agriculture, tourism. Hence we try to provide sub-axes strategies for each active area between them and the proposal on the one hand, then focus on the requirements and operating other mechanisms.

Key words: economic diversification program, strategy, industry, agriculture, tourism.

المقدمة:

لقد سعت الجزائر بعد الاستقلال مباشرة لبناء اقتصاد إنتاجي معتمدة على ثرواتها الطبيعية، حيث وجّهت كافة الجهود نحو القطاع الزراعي، ثم الصناعي وباحتراز نحو السياحي. ولتحقيق تلك الأهداف، توالت المخططات التنموية وتبني السياسات الاقتصادية، إلاّ أنّها اصطدمت بجملة من العراقيل التي أخّرت بناء الاقتصاد المنتج إلى وقت آخر، وأبقت التبعية النفطية صفة لاصقة بالاقتصاد الجزائري بسبب طبيعته

الريعية. وأمام تزايد المشاكل التي يتخبط فيها القطاع الإنتاجي بمختلف فروعه، وعدم قدرته على النهوض بالاقتصاد الوطني بعد أن أصبح هذا الأخير رهين التغيرات في الأسعار النفطية، يصبح من الضروري اتخاذ التدابير والإجراءات اللاّزمة لإعادة بعث القاعدة الإنتاجية والرفع من القدرة التنافسية للاقتصاد الجزائري عبر برنامج شامل للتنويع الاقتصادي.

الإشكالية: بناء على ما تقدّم تتبلور إشكالية هذه الدراسة في التساؤل التالي:

ما هي الاستراتيجيات المناسبة لبرنامج شامل للتنويع الاقتصادي؟ وكيف يمكن إنجاح هذه الاستراتيجيات لاستدراك التأخّر الحاصل في الشق المنتج من الاقتصاد الجزائري؟

الفرضيات: وللإجابة عن الإشكال المطروح تبنى الدراسة على الفرضيات التالية:

- يشكّل ضعف محفزات الاستثمار في القطاعات المنتجة السبب الرئيسي لهامشية الاقتصاد خارج المحروقات.
- يتطلّب تنمية القطاع الصناعي تبنّي استراتيجية وطنية تعنى بالمنتج والمؤسسة والاقتصاد الكلي.
- تمثّل التنمية الفلاحية ضرورة حتمية للاقتصاد الجزائري لتحقيق الأمن الغذائي وتقليل فاتورة الواردات.
- يعتبر تنشيط السياحة الداخلية أكثر الحلول الاستعجالية والممهّدة لتحقيق التنمية السياحية.

هدف الدراسة: يتلخص الهدف من هذه الدراسة في تقديم جملة من الاقتراحات لتبنّي برنامج شامل للتنويع الاقتصادي عبر ثلاث قطاعات هي الصناعة والزراعة والسياحة، نحاول من خلاله تقديم مسار عام للانتقال نحو الاقتصاد الإنتاجي وفق برنامج عام للتنويع الاقتصادي يبنى على رؤية شاملة للمتغيرات والتحدّيات الداخلية والخارجية التي تشهدها الجزائر، والتركيز على الاستفادة من عوائد البترول في بناء مستقبل يغيب فيه، عبر تحديد محاور الاستراتيجيات الفرعية لكلّ قطاع بين المفعّل منها والمقترح من جهة، ثمّ التركيز على آليات ومتطلبات إنجاحها من جهة أخرى باعتبار أنّ بناء الاقتصاد الإنتاجي يمثّل الحلّ الأمثل لإعداد مرحلة ما بعد النفط.

محاور الدراسة: تقدّم هذه الورقة البحثية في أربع محاور أساسية هي:

أولا: قراءة في واقع الاقتصاد المنتج ومشاكله

ثانيا: تنمية القطاع الصناعي: محاور استراتيجية مقترحة وآليات تفعيلها

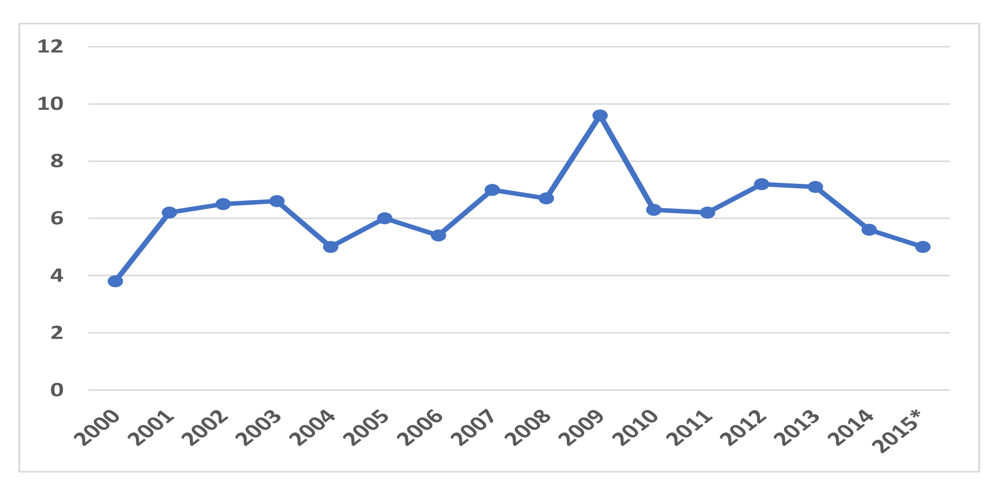
ثالثا: آليات النهوض بالقطاع الفلاحي وتنميته

رابعا: استراتيجية التنمية السياحية ومتطلبات نجاحها

أولا: قراءة في واقع الاقتصاد المنتج ومشاكله: نهدف من خلال هذا المحور إلى تسليط الضوء حول واقع الاقتصاد المنتج في الجزائر عبر قطاعاته الثلاث (الصناعة، الفلاحة، السياحة)، وفي إطار العمل على إعطاء صورة أوّلية له كان لا بدّ من التطرق للعناصر التالية:

1. نمو الإنتاج خارج المحروقات: يلاحظ من خلال **الشكل أدناه (1)** أنّ الناتج المحلي الإجمالي خارج المحروقات شهد نموّا متذبذبا كان أفضله سنة 2009 بنسبة 9.6%، مع التراجع منذ سنة 2013.

شكل رقم (1): تطوّر معدّل نمو (%) الناتج المحلي الإجمالي خارج المحروقات للفترة [2005-2015]



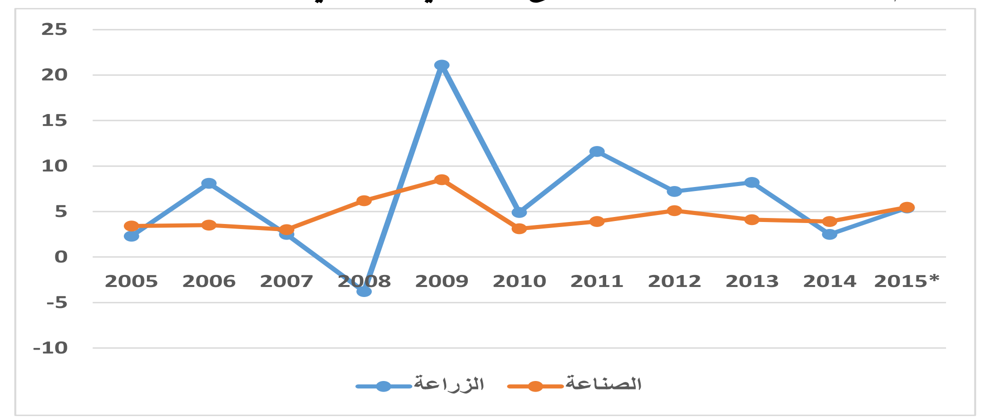
2015*: تخص متوسّط معدل النمو للثلاثيات الثلاث الأولى دون الثلاثي الرابع من سنة 2015

المصدر: من إعداد الباحثة بناء على:

- Les Comptes Economiques En Volume de 2000 à 2014, N° 710, Juillet 2015, ONS, P11-14.
- Les Comptes Nationaux Trimestriels au 3[eme] trimestre 2015, N°731, ONS, P2

ورغم أنّ نسبة النمو لم تنخفض عن 5% منذ سنة 2004، إلا أنّها تبقى ضعيفة إذا ما قورنت بالآمال المعلّقة على هذا القطاع، كما أنّ إشكالية الإنتاج خارج المحروقات تكمن في المساهمة في تكوين الناتج المحلي الإجمالي، أين يساهم قطاع المحروقات لوحده بناء على إحصائيات ONS في سنة 2014 بقيمة 4657.8 مليار دج بنسبة تقارب 30 %، بينما لا تقدّم الصناعة والزراعة مجتمعة سوى 2608.5 مليار دج بنسبة 15.16 % في تكوين الناتج المحلي الإجمالي، وهو ما يؤكده النمو البطيء لهذه القطاعات وحالة الركود التي تشهدها.

شكل رقم (2): تطوّر معدلات نمو القطاع الصناعي والفلاحي خلال الفترة (2005-2015)



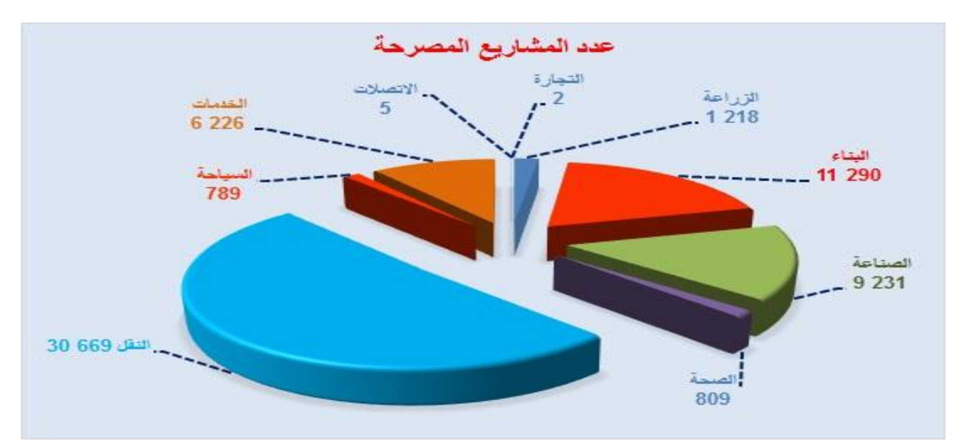
2015*: تخص متوسّط معدل النمو للثلاثيات الثلاث الأولى دون الثلاثي الرابع من سنة 2015

المصدر: من إعداد الباحثة بناء على:

- Les Comptes Economiques En Volume de 2000 à 2014, N° 710, Juillet 2015, ONS, P11-14.
- Les Comptes Nationaux Trimestriels au 3[eme] trimestre 2015, N°731, ONS, P2

2. الاستثمار في القطاعات المنتجة: يرجع ضعف الناتج المحلي خارج المحروقات وتحديدا للقطاعات المنتجة بالدرجة الأولى إلى إحجام المستثمرين عن الاستثمار في هذه القطاعات وفقا لما يبرزه الشكل التالي:

شكل رقم (3): عدد المشاريع الاستثمارية حسب قطاع النشاط للفترة (2002-2015)



المصدر: بيانات التصريح بالاستثمار للفترة (2002-2015)، الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار، ***www.andi.dz***

إذ يلاحظ أنّ أكبر عدد من المشاريع وجّهت نحو القطاعات غير المنتجة كالنقل والخدمات، في حين أهملت القطاعات المنتجة في توجيه الاستثمارات نحوها كالزراعة التي لم يتعدّ عدد المشاريع الاستثمارية 1218 استثمار طيلة ما يقرب 14 سنة كاملة، كما أنّها من حيث القيمة لا تتعدّ 1.52 % من إجمالي المبالغ المستثمرة.

3.حجم الصادرات خارج المحروقات ونموّها: إنّ الفائض الذي تحققه الجزائر في ميزانها التجاري خلال السنوات الأخيرة وإن كان وفقا للمعادلة الرياضية يعود بالأساس إلى علوّ قيمة الصادرات عن الواردات، إلاّ أنّه مرتبط بالدرجة الأولى بالارتفاع المتواصل للصادرات النفطية ومن الغاز الطبيعي بالنظر لارتفاع أسعار المحروقات عموما، ولعلّ عودة الميزان التجاري مجدّدا لحالة العجز في سنة 2015 بقيمة 13.714 مليار دولار بسبب انهيار الصادرات النفطية بما يقارب 40.8 % مقارنة بسنة 2014 [(1)] تؤكّد هيمنة قطاع المحروقات وهامشية القطاع المنتج.

فالواضح من **الجدول أدناه (1)** أنه ورغم ارتفاع نسبة الصادرات خارج المحروقات من إجمالي الصادرات، إلا أنّ قيمتها انخفضت مقارنة بسنة 2014، وبالتالي لا توجد أي دلائل على التخلّص-ولو في الوقت القريب- من التبعية للنفط بالنظر لهامشية هذه الصادرات، حيث لا تتعدّى 5 % حتى في ظلّ أزمة القطاع النفطي.

جدول رقم (1): حجم ومساهمة الصادرات خارج المحروقات في إجمالي الصادرات للفترة [2012-2015]

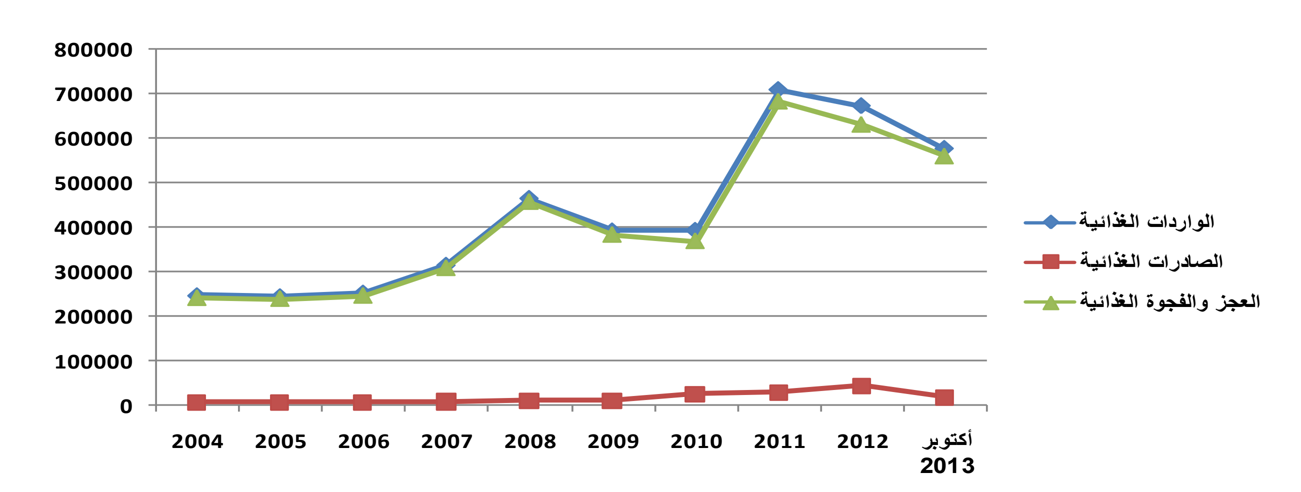
السنة	2012	2013	2014	2015
الصادرات خارج المحروقات (مليون$)	2077	2014	2582	2063
(مليون$) إجمالي الصادرات	70570	63506	60304	35724
نسبة الصادرات خارج المحروقات إلى الصادرات الإجمالية	2.86	3.07	4.01	5.46

المصدر: وزارة المالية، **http://www.mf.gov.dz**، تاريخ الاطلاع 12 مارس 2016.

4. الفجوة الغذائية: إنّ اللجوء لاستيراد المواد الغذائية يعبّر عن عدم قدرة المحلية منها على تغطية الاحتياجات الداخلية للسكان، ولعلّ الإشكال في الجزائر يكمن في أساسية الكثير من المنتوجات المستوردة على غرار القمح، الحليب، الزيت والسكر، وبالتالي لا يمكن الحديث إطلاقا عن الإكتفاء الذاتي مادام لا يحقّق في الأساسي منه، إذ أنّ هناك عجز غذائي كبير، تقترب فيه قيمة الفجوة الغذائية من إجمالي الواردات الغذائية لهامشية صادراتها.

شكل رقم (4): تطوّر حجم الصادرات والواردات الغذائية والفجوة بينهما للفترة [2004-أكتوبر2013]

الوحدة: مليون دج



المصدر: من إعداد الباحثة بناء على:

- **(2004-2011)** : Rétrospective Statistique 1962 – 2011, Commerce Extérieur, Office *National* des Statistiques : ONS, P180.
- **(2012-octobre2013) :Statistiques du** Commerce Extérieur de l'Algérie (Période : mois d'octobre), Direction Generale des Douanes, P03.

ورغم انخفاض الواردات الغذائية بـ 15.37% من 11005 مليون دولار في سنة 2014 إلى 9314 مليون دولار في 2015، إلا أنّ نسبتها من هيكل إجمالي الواردات فاقت في كلا السنتين 18 %، بينما لا تمثّل صادرات السلع الغذائية قيمة 234 مليون دولار بنسبة 0.62 % من إجمالي الصادرات خلال سنة 2015 (2).

ثانيا: تنمية القطاع الصناعي: محاور استراتيجية مقترحة وآليات تفعيلها: في إطار تقديم جملة من الاقتراحات حول الاستراتيجية الصناعية الجديدة المستقبلية، يمكن القول أنّ الأهداف الرئيسية لها تكمن في استرجاع وتطوير القاعدة الصناعية بما يكفل قيادة القطاع لمرحلة ما بعد النفط والرفع من تنافسية الاقتصاد بناء على تنافسية المنتوج الوطني أمام المنتوجات الأجنبية في الأسواق المحلية أو الخارجية، وبالتالي المساهمة في بناء اقتصاد متنوع ومتوازن يمكنه مواجهة التحديات والتغيرات الخارجية، ولذلك لابد أن توضع الاستراتيجية في إطار برنامج شامل للتنويع الاقتصادي؛ وسيتم تقديم محاور الاستراتيجية المقترحة وفقا لثلاث مستويات: المنتوج، المؤسسة والسياسة الاقتصادية.

1. إعادة تأهيل المؤسسات الصناعية وتدعيم قدراتها الإنتاجية: يعتمد استرجاع القاعدة الصناعية في الجزائر على إعادة بعث المؤسسات الصناعية وتكثيف الجهود نحو الاستثمار في القطاع الصناعي بغض النظر إن كان محليا أو أجنبيا. وفي هذا الإطار وعلى هذا المستوى تأتي مقترحات الاستراتيجية في تحديد الخيارات المتاحة للنهوض بالمؤسسة الصناعية في مجالين: المؤسسة الوطنية "استثمار محلي" والمؤسسة الأجنبية " استثمار أجنبي".

1.1.بعث المؤسسة الوطنية "الاستثمار المحلي": وتشمل:

أ.تطوير الفروع الصناعية الكبيرة: تظهر أهمية هذه الفروع فيما تقدّمه من قيمة مضافة عالية يمكنها المساهمة بنسب مرتفعة في الناتج المحلي الإجمالي والتقليص من حجم الواردات، التحكم في المضاربات حول منتوجات مثلما يحدث عادة في فرع الإسمنت –الحديد والصلب وغيرها، فيمكنها الحفاظ على المستوى

المطلوب منها في السوق، بالإضافة لكونها أحد الحلول الناجعة لمشكلة البطالة نظرا لفرص العمل الهائلة التي توفّرها المصانع الكبرى سواء المؤهلة أو غير المؤهلة.

ب. قيادة القطاع الخاص للمرحلة القادمة: لا بدّ من الرفع بالاهتمام بالقطاع الخاص ليصبح المعوّل عليه في قيادة المرحلة المقبلة وبناء الاقتصاد الإنتاجي وجعله شريكا في عملية التنمية الاقتصادية وفقا للاعتبارات التالية:

- أنّ الخوصصة أصبحت ضرورة أمام الانفتاح الاقتصادي وجملة الاتفاقيات والالتزامات الدولية في إطار مختلف مؤسسات العولمة –المنظمة العالمية للتجارة والهيئات المالية ...الخ؛
- حالة الركود التي سادت القطاع العام وعدم قدرته على مواجهة التحديات التنموية منفردا؛
- أنّ القطاع الخاص لديه قدرات أفضل وهو أكثر اهتماما بعامل الربحية ما يؤدى إلى تحسين أداء المؤسسات الاقتصادية، والمساهمة في التقليل من العبء المالي الذي تتحمله الدولة في دعم القطاع العام وكذا عمليات التطهير المالي؛
- توفير مناصب الشغل وبالتالي تقليص معدلات البطالة.

ج. ترقية المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة: بالنظر لتزايد أهميتها على الصعيد العالمي يمثّل برنامج ترقيتها اليوم من أهم وأولى الأعمال الملحة في إطار إعادة بعث القطاع الصناعي، حيث يتطلّب تنفيذه خطة فعالة ومسؤولية واضحة [(3)]. وتنبع أهمية المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الاستراتيجية المقترحة للاعتبارات التالية:

- تمثّل ركيزة عمل القطاع الخاص، وأي جهود لإشراكه في التنمية الاقتصادية تتطلب ترقيتها كمحرّك للنمو الاقتصادي؛
- القدرة على إدارة التكلفة والتحكّم في تخفيضها وكذا كفاءة تسيير العملية الإنتاجية، مع تميّزها بالابتكار والتجدد [(4)]؛
- تحتاج مصادر تمويلية أقل من المؤسسات الكبرى ما يجعلها أداة فعالة للتخلّص من منطق الصناعة الجزائرية المتميّزة بكثافة رأس المال[(5)]؛
- الرفع من مرونة الجهاز الإنتاجي لمواكبتها المستجدات الخارجية والتغيّرات في الأسواق المحلية وحتى الدولية؛
- تسهّل من إيجاد قاعدة صناعية لانتشارها الواسع من حيث العدد والمناطق، إذ بلغ عددها في بداية 2012 حوالي 700 ألف مؤسسة بمعدّل 15 مؤسسة لـ 1000 نسمة[(6)]؛
- إمكانية التموقع في السوق الدولية وجذب الاستثمارات الأجنبية لاعتمادها مبدأ الصناعة التصديرية.

1.2.2.الاستثمار الأجنبي (تعزيز وجود المؤسسة الأجنبية والشراكة): بالنظر لعدم قدرة المؤسسات الوطنية على تحقيق التنمية الصناعية – على الأقل في الوقت الحاضر-في ظلّ الانفتاح الاقتصادي وضعف تنافسية الاقتصاد الوطني، تصبح المؤسسة الأجنبية خيارا مهمّا أمام الجزائر لمرافقة الاستثمارات المحلية في المسار التنموي. وعلى هذا الأساس فإنّ أيّ إجراء للنهوض بالاستثمار الصناعي المحلي لابدّ وأن تدعمه إجراءات موازية لدعم الاستثمارات الأجنبية المباشرة للاستفادة بمزاياه الإيجابية المتعدّدة، إذ يعتبر بمثابة قوّة دفع

للاقتصاد المحلي من أجل تحسين قدرته على النمو، كما يدعم حركة واستدامة الاندماج والتكامل والتبادل التجاري بين دول العالم[7]، فيعزّز خيار الاندماج المغاربي، الإقليمي والعالمي.

كما تمكّن الاستثمارات الأجنبية في حال الشراكة المؤسسات العامة والخاصة من اكتساب المعارف والخبرات والتكنولوجيا والجودة، وتقدّم معها حلولا لإشكالية البطالة وتغطية احتياجات الأسواق المحلية ما يدفع نحو تقليص الواردات والرفع من حجم وقيمة الصادرات.

وإجمالا فالعناصر السابقة تعتبر بمثابة خيارات متاحة أمام الجزائر لتنويع اقتصادها وبناء ثمّ الرفع من إنتاجيته، إلا أنّ ذلك يرتبط بجملة من الإجراءات والآليات لتفعيلها وفقا لتحفيزات في المجالات التالية:

المجال الأول: الإطار القانوني التنظيمي والمؤسساتي: يصطدم الاستثمار الصناعي بالعديد من المعوّقات القانونية والمؤسساتية وهو ما يتطلّب:

- تدعيم الإطار القانوني بتشريعات تنظّم أنشطة الاستثمار مع ضرورة وجود قانون موحّد له بنصوص واضحة تضمن حماية المستثمر من مختلف المخاطر وتكفل حقوق الملكية الفكرية وحماية المستثمر وغيرها؛

- توافق التشريعات مع القوانين المصدرة سابقا وتماشيها مع القواعد التي يفرضها انفتاح الجزائر على العالم الخارجي؛

- رفع جمود القوانين وجعلها أكثر مرونة في مواكبتها للتحوّلات والتطوّرات الداخلية والخارجية وفق ما تقتضيه المصلحة العامة للدولة. وفي هذا السياق لا بدّ من إعادة النظر في القاعدة **(51/49)** في حالة الاستثمار في الفروع غير الاستراتيجية والسيادية للدولة؛

- تدعيم الإطار المؤسسي بهيئات وتنظيمات تساعد الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمارANDI في مختلف المهام وباقي الهيئات، مع ضمان التنسيق التام الأفقي فيما بينها والعمودي مع الوزارة المعنية بتحديد الصلاحيات والمهام تفاديا للتداخل دون أن يتعارض ذلك مع إعطائها صلاحيات أوسع واستقلالية أكثر في قراراتها عن السلطات العمومية؛

- تطهير المحيط الإداري من كلّ أشكال البيروقراطية والفساد واتخاذ تدابير جادة في تحسين الخدمة العمومية؛

- توفير بنك معلومات خاص بالاستثمار مع التحديث المستمر لقاعدة البيانات، وتوفير المعلومة بشكل مجاني للجميع؛

- تقديم حلول جادّة لإشكال العقار الصناعي تشريعيا ومؤسسيا بما يمنح مزيد من الثقة لدى المستثمرين الصناعيين بضمان توطين مؤسساتهم من خلال إنشاء سوق عقاري يخضع لآليات العرض والطلب ما يجعلها الأداة الوحيدة لكسر المضاربات العقارية وتقليص الفجوة بين الأسعار الحكومية والخاصة للعقار الصناعي[8]، توسيع صيغ منح الامتيازات العقارية للأملاك العمومية والرفع من العرض العقاري عن طريق التوسعة واستغلال الجديد واسترجاع الكثير من العقارات التي تم تجميدها، كما تعتبر المناطق الصناعية خيارا مهمّا لحل مشكل العقار الصناعي.

- دعم المؤسسات المرافقة والداعمة لنشاط المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة على غرار(المشاتل الحاضنات ومراكز التسهيل)، مع تقديم كافة التسهيلات أمام وجودها، مع تشجيع المناولة.

المجال الثاني: التمويل: للمصادر التمويلية أهمية كبرى للقيام بأي نشاط اقتصادي وخاصة الصناعي، إلا أنّ الجزائر مازالت تجد صعوبة كبرى في تعبئة الموارد المالية، حيث أنّ سوق الأوراق المالية في حالة جنينية والقطاع المصرفي لا يزال جامدا ومترددا في منح الائتمان للقطاع الخاص[9]، لذلك لا بدّ من اتخاذ إجراءات وتدابير أهمّها:

- إعادة تأهيل النظام المصرفي في الجزائر وجعله أكثر كفاءة ومواكبة للتطوّرات المالية العالمية؛
- فتح المجال أمام خيارات تمويلية متعدّدة أمام المؤسسات حتى يمكنها المفاضلة بين مختلف المصادر واختيار الهيكل المالي الأمثل الذي يعظّم العائد ويدنّي التكلفة عن طريق تنشيط السوق المالي وتفعيل دوره كخيار تمويلي هام وفعال للمؤسسات الصناعية ورفع المعوّقات أمام إنشاء البنوك الخاصة وخاصة المصارف الإسلامية.
- إنشاء مصرف عمومي للاستثمار يشرف على تمويل المشاريع الكبيرة العامّة أو الخاصة ؛
- اعتماد المشاركة بين القطاعين العام والخاص وتحديدا في المشاريع الكبيرة وذات المخاطر العالية؛
- تقديم تحفيزات تمويلية أو في الخدمات المصرفية للاستثمارات في الفروع الصناعية الواعدة كالصناعات الاستخراجية، المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة والمؤسسات المستثمرة في مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال؛
- تأمين العمليات الاستثمارية وتغطية المخاطر خاصة تلك المرتبطة بتقلبات أسعار الصرف؛

المجال الثالث: الجبائي: رغم الإصلاحات التي مسّت النظام الجبائي فإنّه لا بدّ من تحسين القانون الضريبي وجعله أكثر فعالية لتخفيف الأعباء الجبائية التي قد تمثّل سببا للتهرب والغش الضريبي، وإعادة النظر في بعض التشريعات الضريبية المسبّبة لذلك أو المتميّزة بثغراتها القانونية، والعمل على تخفيض بعض معدّلات الضرائب كالضريبة على أباح الشركات، الضريبة على الأرباح الصناعية والتجارية ومنح إعفاءات استثنائية خاصة في السنوات الأولى من بدء النشاط.

المجال الرابع: الموارد البشرية: تزداد أهمية رأس المال البشري في ظل ضرورة الاندماج في اقتصاد المعرفة، ولذلك لا بدّ من تكوين الكفاءات والخبرات الفنية والتنظيمية والتسييرية، وتكثيف الدورات التكوينية تماشيا مع عصرنة وسائل الإنتاج وطرق الإدارة الحديثة، ويرتبط ذلك بتنمية المؤسسة التعليمية ومعاهد التكوين ومراكز البحث وتطوير العلاقة مع المؤسسات الاقتصادية وتشجيع الابتكار والبحث العلمي واعتماد نظام الحوافز في هذا المجل، مع إعادة النظر في بعض التخصصات الجامعية واستحداث أخرى تتماشى ومتطلبات الاستثمار وتحديدا الصناعي.

2.رفع تنافسية المنتوج الوطني الصناعي محليا وخارجيا: يتوقّف الرفع من تنافسية الاقتصاد الوطني على قدرة منتوجاته اختراق الأسواق العالمية، إلا أنّ المنتوج الوطني ورغم التدابير الكثيرة التي اتخذتها الدولة للنهوض بالمؤسسة الاقتصادية لم يجد منفذا لتسويقه في الأسواق المحلية فكيف بالأجنبية. وقد تمّ إدراج هذا المحور في الاستراتيجية الصناعية المقترحة لعدّة اعتبارات أهمّها:

■ تعوّل الجزائر في بناء الاقتصاد الإنتاجي على إزالة التبعية للموارد النفطية وخاصة من حيث صادراته، إلا أنّ الصادرات خارج المحروقات مازالت للوقت الحاضر هامشية مقارنة مع مثيلتها من النفط والغاز مثلما سبق الإشارة لذلك؛

▪ أنّ مشكلة المنتوج الوطني تبدو أكبر من مشكلة التسويق الخارجي، إذ يصعب عليه حتى تبوّأ مكانة في الأسواق المحلية بالنظر لغزوها بمنتوجات أجنبية تنافسه في عقر داره سعرا ونوعا مع التوجّه نحو الانفتاح الاقتصادي

▪ أنّ ضعف المنتوج الوطني وغيابه في بعض الفروع الصناعية سمح بدخول المنافسة السعرية للأسواق المحلية دون النوعية على غرار المنتوجات الصينية؛

▪ أنّ تطوير المنتوج الوطني له أبعاد اقتصادية واجتماعية وصحية وبيئية وغيرها، وهي أبعاد التنمية المستدامة.

وبالإضافة إلى التدابير المقترحة في مجال الاستثمار الصناعي، فإنّ ترقية المنتوج الوطني وتسهيل وصوله للسوق الداخلي المحلي أوّلا يتطلّب تحقيق جملة من الإجراءات والإصلاحات على مستوى: النوعية، السعر، العملية التسويقية والإطار القانوني والمؤسساتي ...إلخ، وفقا لمايلي:

- العمل على تخفيض التكاليف والتحكّم فيها وإدارتها باعتبار ذلك سبيلا لطرح المنتوج بأسعار تنافسية من خلال:

✓ الاستثمار في الصناعات التي تتوفّر موادها الأولية بالجزائر، كالصناعات الغذائية، التقليدية، النسيج والجلود، الصناعات الميكانيكية، الحديد والصلب والتعدين...إلخ، ما يسمح بضمان التدفّق المستمر لمدخلات الإنتاج؛

✓ تخفيض الأعباء الضريبية والغرامات المترتبة عن التأخير في دفع الضرائب؛

✓ اعتماد فكرة التسيير الجبائي في المؤسسات الاقتصادية؛

✓ استخدام الطرق الحديثة في محاسبة التكاليف (كالتكلفة المستهدفة-المبني على أساس الأنشطة-...إلخ)؛

✓ إعتماد مبدأ عصرنة وسائل الإنتاج والإدارة ومواكبة التطوّر التكنولوجي؛

- تحسين نوعية المنتوج الوطني من خلال:

✓ مسايرة متطلبات ومواصفات المقاييس العالمية باعتماد معايير الجودة وتطبيق إدارة الجودة الشاملة؛

✓ تشديد الرقابة العمومية على الأسواق المحلية وتفعيل آليات حماية المستهلك؛

✓ تقديم تحفيزات مالية للمؤسسات المحسّنة لنوعية منتوجاتها والحاصلة على شهادات المطابقة، كفكرة جوائز سنوية لأفضل منتوج وطني مثلا؛

✓ التغلّب على المشاكل الإدارية والتنظيمية في المؤسسة.

- تنمية الموارد البشرية وإعادة الاعتبار لها كرأسمال بشري يمثّل أفضل استثمار وليس كعمالة ينظر لها كأعباء للمؤسسة؛

- تطوير الوظيفة التسويقية داخل المؤسسة ونظام المعلومات التسويقية، واعتماد أفضل الطرق الترويجية للتعريف بالمنتج؛

كما يمثّل إدراج ترقية الصادرات الصناعية خارج المحروقات كمحور أساسي في الاستراتيجية الصناعية المقترحة ضرورة حتمية وليس خيارا-بعد فشل استراتيجيات سابقة سعت نحو زيادة الصادرات فكانت النتيجة ارتفاع الواردات– بالموازاة مع الرفع من تنافسيته محليا يمكن تحقيق ذلك عن طريق:

- اعتماد إطار مؤسسي يدعم الصادرات خارج المحروقات وسياسات ترقيتها بإنشاء وكالات وهيئات تعمل في إطار أهداف محددة وبالتنسيق مع مختلف الفاعلين والمهتمين بالمجال التصديري، وإطار قانوني مشجّع على التصدير؛

- الاستفادة من مزايا الانفتاح التجاري والاقتصادي كالشراكة، الاستثمارات الأجنبية المباشرة، تحرير حركة السلع ورؤوس الأموال وإقامة مناطق التجارة الحرة والشراكة الأورومتوسّطية واتفاقيات التبادل التجاري...إلخ؛

- دعم صناعات محددة تكون منتوجاتها أكثر قابلية وقدرة على اختراق الأسواق الخارجية تماشيا مع مبدأ التخصّص الدولي كمرحلة أولى، ثمّ الانتقال التدريجي نحو صناعات وفروع أخرى؛

- استغلال الموقع الجغرافي المميّز لتجاوز الأسواق القريبة (مغاربية-أوروبية)وكذا الانفتاح نحو أسواق جديدة؛

- تقديم تحفيزات مالية وجبائيه لدعم الصناعات التصديرية سواء كانت مؤسسات وطنية أو أجنبية، مع العمل على عقد اتفاقيات ثنائية لإزالة مشكل الازدواج الضريبي؛

- تحسين خدمات النقل ودعم تسهيل استثمار القطاع الخاص في مجال خدمات النقل (البحري – الجوّي – البري) لكسر الاحتكار العمومي، ومن ثمّ التقليل من التكلفة وضمان وصول المنتوجات سليمة إلى الأسواق الخارجية؛

- الدعم المالي للمؤسسات المصدّرة بالإضافة إلى تحسين علاقة المؤسسة المصدّرة بالبنك بجملة من التسهيلات المقدّمة في الاعتماد المستندي، ومرافقة العملية التصديرية من بدئها إلى نهايتها، وتسهيل تحويل الأموال بالعملة الصعبة.

3.السياسة الاقتصادية: إنّ طرح إصلاحات على هذا المستوى هدفه الدفع نحو انتهاج الدولة لسياسة اقتصادية عامة تتماشى وتوجّهات الاستراتيجية الصناعية أو باقي الاستراتيجيات الأخرى في إطار برنامج شامل للتنويع الاقتصادي.

1.3. السياسة المالية:

تعاني الموازنة العامة للجزائر من عجز متواصل وصل في فيفري 2016 إلى 859 403 1 مليون دج بينما لم يتعدّ العجز في ذات الفترة من سنة 2015 ما قيمته 803 412 مليون دج[11] بالنظر للإشكال المزدوج في الإنفاق والإيراد:

أ. الإنفاق العام: مشكلة الإنفاق في الجزائر يمكن إيجازها في النقاط التالية:

-يوضّح هيكل الإنفاق وتوجهاته خلال البرامج الثلاث للفترة [2001-2014]ارتفاع قيمة الموارد المالية المخصصة للقطاع الاجتماعي خاصة، فعلى سبيل المثال خصّص ما نسبته 87.6 % من إجمالي مخططات البرنامج التكميلي لدعم النمو[2005-2009] لتحسين الظروف المعيشية للسكان وتطوير البنية التحتية الأساسية موزعة بـ 46.6 % و41 % على الترتيب [12] .طبعا لا أحد ينكر أهمية هذه المشاريع في تحقيق التنمية الاقتصادية، إلا أنّ الإشكال في الجزائر أنّ هذا التوجّه قدّم القطاع الاجتماعي باعتباره رائدا للتنمية وقائدا نحوها بينما أصبحت القطاعات الإنتاجية مهمّشة.

- تثقل فاتورة الواردات كاهل الخزينة العمومية والتي عرفت ارتفاعا كبيرا خاصة في السنوات الأخيرة، ورغم اتخاذ السلطات لبعض الإجراءات لتقليصها كتخفيض قيمة العملة، إلاّ أنّها مازالت أحد الأسباب الرئيسية

لتضخم النفقات العمومية، وبالتالي فإنّ الحل مرتبط بالقضاء على دوافع الاستيراد بتوفير المناخ الملائم للنهوض بالإنتاج الصناعي والإنتاج الفلاحي؛

- يتزايد حجم الإنفاق بسبب مخصصات الدعم وخاصة للأسعار في أهداف معلنة لدعم الفقراء وضعيفي الدخل، إلا أنّ الواقع يكشف أنّ أغلب المستفيدين من تلك السياسة ليسوا من هاته الفئات؛

- يتم اعتماد سياسة إنفاقية بمبالغ مالية هائلة دون الأخذ بعين الاعتبار لبعض المتغيّرات على غرار التضخم؛

- أنّ برامج الإنفاق هذه تأتي في ظلّ توجّه جديد للسياسة الاقتصادية في إطار التحوّل من الفكر النيوكلاسيكي الذي فرضته برامج صندوق النقد الدولي إلى الفكر الكينزي الذي يرتكز على تنشيط الطلب الكلي من خلال سياسة مالية توسعية خصوصا التوسّع في الإنفاق، لكنّه قائم على حدّ أدنى من الإنتاج[13] وهو ما يغيب في منطق الإنفاق الجزائري.

ب.الإيرادات: تعتمد الجزائر في إيرادات ميزانيتها على مختلف الموارد الجبائية، وخاصة منها الجباية البترولية إلا أنّ هناك نقطة هامة لابدّ من إثارتها في هذا الصدد:

ينادي الكثيرون اليوم بضرورة إحلال الجباية العادية محل البترولية والتي لا يمكن التعويل عليها مادام قرّر عدم الاتكال على النفط أصلا، ولكن كيف يمكن أن يفعل ذلك في ظلّ دعوات مقابلة لزيادة التحفيزات الجبائية تشجيعا للاستثمار في مختلف القطاعات؟ بل إنّ الانفتاح الاقتصادي سواء في إطار المنظمات العالمية كالمنظمة العالمية للتجارة أو الشراكة وإنشاء المناطق الحرّة يفرض بدوره إزالة القيود على التجارة الخارجية وأبرزها الضرائب والرسوم، فكيف يمكن تصوّر ميزانية الدولة مستقبلا إذا أضعفت الجباية العادية وغابت البترولية؟

الإجابة هنا تزيد من أهمية وضرورة التحوّل نحو الاقتصاد الإنتاجي لأنّه وحده الكفيل بمعالجة هذه الإشكالات من خلال تقديم تحفيزات جبائية (تخفيض الضرائب والرسوم فتضعف الجباية العادية) لكن ترتفع بالمقابل الاستثمارات الإنتاجية، فتتوسّع القاعدة الإنتاجية (ارتفاع عدد المصانع والمؤسسات)، وفي هذه الحالة ستفرض ضرائب ورسوم بمعدّلات أقلّ ولكن بقيمة إجمالية أكبر.

2.3. السياسة النقدية: لقد أثّرت السياسة المالية التوسعية التي تبنّتها الجزائر خلال السنوات الأخيرة على توجّهات السياسة النقدية، إذ ساهم الإنفاق الحكومي المتزايد نحو القطاعات الاجتماعية وعلى البنى التحتية في وضع نقدي متأزّم تجسّد في ارتفاع معدّلات التضخم نتيجة ارتباط الموارد المالية المنفقة بإصدار نقدي دون مقابلات سلعية منتجة.ويعتبر التضخم من أهم معيقات النمو الاقتصادي بشكل عام وتشجيع المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة على وجه خاص، حيث يدفع المؤسسات للاستثمار في مجال أكثر حماية كالعقارات، كما يمثّل عائقا أمام تدفق الاستثمار الأجنبي والمحلي، ولذلك لابدّ من اتخاذ تدابير موازية لتخفيض أسعار الفائدة لتشجيع الاستثمار بالعمل ليس فقط على تخفيض معدّلات التضخم وإنّما استقراره عند معدّلات منخفضة.

وبناء على ما تقدّم ينبغي الإسراع في اتّخاذ التدابير اللازمة لمعالجة إشكالات السياستين المالية والنقدية وحتى التجارية على حدّ سواء من أجل بناء اقتصاد إنتاجي وضمان الانتقال الآمن نحوه، وذلك من خلال النقاط التالية:

✓ تبنّي سياسة إنفاقية حكيمة وذات رشادة بناء على توجيه الإنفاق العام نحو المجال الاستثماري الإنتاجي دون أن يتم التقصير في البنية التحتية والتنمية البشرية عموما؛

✓ على صائغي السياسة المالية البحث عن النقطة التي يصبح فيها إنفاق القطاع العام أمثلا لتحقيق النمو الاقتصادي؛

✓ التقليص من أثر المزاحمة على القطاع الخاص بالعمل على تخفيض العجز وتقليص إنفاق القطاع العام؛

✓ إعادة النظر في سياسة الدعم التي يمكن مراجعتها بما يتوافق ومصلحة طرفين فقط هما موازنة الدولة وضعيفي الدخل؛

✓ انتهاج سياسة نقدية تهدف لاحتواء التضخم واستقراره عند معدّلات منخفضة؛

✓ بالنظر لأهمية جودة البنية التحتية المادية في الرفع من مستوى إنتاجية البلاد وقدرته على المنافسة في أسواق التصدير واستقطاب الاستثمارات الأجنبية، وبما أنّ الإنفاق في هذا المجال قد أثقل كاهل القطاع العام على حساب القطاع الإنتاجي تصبح الشراكة مع القطاع الخاص في تقاسم هذا العبء أحد الخيارات المتاحة أمام الجزائر اليوم خاصة في مجال مشاريع البنية الاقتصادية كالنقل والاتصالات، وبصورة أقل في الصحة والتعليم، دون أن يكون ذلك على حساب الفئات المعوّلة على القطاع العام ضعيفة الدخل.

ثالثا: آليات النهوض بالقطاع الفلاحي وتنميته:

1.سياسة التجديد الفلاحي والريفي: نهج جديد للاستراتيجية الزراعية: [14] بعد فشل المخطط الوطني للتنمية الفلاحية الذي أطلق سنة 2000 في تحقيق أهدافه، سعت الجزائر لاستدراك التأخر في القطاع عبر برامج التنمية الخماسي الأول والثاني منذ 2004، كما اعتمدت برنامجا خاصا لتحسين الإنتاج وخاصة منه الفلاحي في قانون المالية لسنة 2014 من خلال مخطط التحسين الإنتاجي.

إلا أنّ هذه البرامج المكثّفة لم تقدّم النتائج المنتظرة في القطاع الفلاحي، بل أصبح هذا الأخير عبء على الاقتصاد ولا يساهم في تكوين ثروته إلا بنسب ضعيفة جدّا. فتمّ تبنّي استراتيجية جديدة تسمّى بسياسة التجديد الفلاحي والريفي لتعالج بذلك نقائص المخطط الوطني للتنمية الفلاحية، وتجعل من التنمية الريفية ركيزة هامة لبلوغ التنمية الفلاحية وتحقيق أمن غذائي مستدام.

فمثّلت سياسة التجديد الفلاحي أداة لتحقيق السيادة الغذائية عبر الرفع من معدّلات الاكتفاء الذاتي وتحقيق كامل للأمن الغذائي، وخيارا استراتيجيا للنهوض بالقطاع في ظلّ ضرورة الاعداد لمرحلة ما بعد النفط بتنمية القطاعات المنتجة ومنها الزراعة، ومثّلت برنامجا وطنيا يشمل كافة الفاعلين في القطاع والمعنيين به لتعزيز دور الريف في تحقيق الأمن الغذائي المستدام.

وترتكز سياسة التجديد الفلاحي والريفي على:

-**الركيزة الأولى: التجديد الزراعي:** وتمثّل منطلقا هاما للسياسة المطروحة من خلال توجيه كافة الجهود نحو تعزيز الإنتاج النباتي كما الحيواني، حيث تقدّم إجراءات هامة على ثلاث مستويات:

- إطلاق برامج تهدف لتكثيف وتحديث الإنتاج الزراعي وطرقه، والعمل على تحقيق اكتفاء ذاتي في منتوجات نباتية وحيوانية لها طلب عالي في السوق المحلي بالرفع من قدرات الإنتاج وكميته وتحقيق التكامل بين فروع

هذه المنتجات كالحبوب، الحليب، البقول، البطاطا، الزيتون، الطماطم الصناعية، التشجير، النخيل واللحوم البيضاء والحمراء.

- إنشاء نظام مراقبة لضمان تأمين واستقرار المعروض من السلع الاستهلاكية العامة وكذا حماية دخل المزارعين وتوفير كافة الإمكانيات لتحسين وضعية وقدرات التخزين الوطنية.

- تقديم جملة من التسهيلات المالية والمادية للعاملين في المجال الفلاحي كاستحداث قروض بدون فوائد من المبلغ المدفوع للحبوب الذي يتجاوز 17 مليار دينار، تخصيص قروض ميسرة تصل إلى مئة مليون دينار للمنتجين أصحاب الامتياز المستغلين لـ 10 هكتارات وكذلك المستفيدين من قروض التحدي.

-الركيزة الثانية: التجديد الفلاحي: استنادا إلى نهج مبتكر للتنمية الريفية ثمّ إطلاق مشاريع التوعية على نطاق واسع للتنمية الريفية المتكاملة، تأخذ بعين الاعتبار أولوية المناطق التي تتميّز بظروف إنتاج أكثر صعوبة بالنسبة للمزارعين، وإعادة الاعتبار والإدماج للمناطق المهمّشة، فتهدف إلى تحديث وإعادة تأهيل القرى مع تنويع الأنشطة الاقتصادية في المناطق الريفية، وحماية وتعزيز الثروات الريفية، مع العمل على تحسين الظروف المعيشية لسكان الريف.

-الركيزة الثالثة: تعزيز القدرات البشرية والدعم التقني: بالنظر لأهمية المورد البشري في تطبيق مختلف برامج سياسة التجديد الفلاحي والريفي، فقد امتدت إجراءات هذه السياسة إلى تعزيز القدرة الإدارية للإطارات عبر برنامج تعزيز القدرات البشرية والدعم التقني (PRCHAT)، يستهدف الإطارات العاملة في القطاع وكذا الفلاحين على حدّ سواء.

2.متطلبات تحقيق التنمية الفلاحية والأمن الغذائي: يمكن حصر أهم متطلبات تحقيق التنمية الفلاحية والأمن الغذائي في تعزيز محاور رئيسية هي الأرض والإنتاج الزراعي، المورد البشري والتعاون الدولي كما يلي:

- باعتبار أن مقياس نمو القطاع وتطوره مرتبط بإنتاجيته التي لها علاقة مباشرة بالمورد الطبيعي، فإنّ الرفع من إنتاجية الأراضي الفلاحية يمثل ركيزة أساسية في تحقيق التنمية الفلاحية ويتم ذلك من خلال انتهاج سياسة توسيع المساحات الصالحة للزراعة عبر تسهيل الحصول على العقار الفلاحي في إطار عملية استصلاحها بتوفير كافة التحفيزات القانونية والمالية لدعم هذا المسعى، وبالنظر لدور الاستثمار الزراعي في توسيع المساحات الفلاحية والرفع من إنتاجيتها، يصبح من الضروري العمل على ترقية الاستثمارات في الزراعة من خلال:

- إيجاد حلول جادة لإشكال العقار الفلاحي عن طريق توسيع رقعة المستفيدين من عقود الامتياز والقضاء على البيروقراطية وكافة أشكال الفساد المالي والإداري المعيق للحصول على العقار؛
- تسهيل الحصول على الملكية وضمان حقوقها حتى تكون دافعا للاستثمار في القطاع؛
- تركيز الاهتمام نحو الجانب القانوني والتنظيمي كعناصر قاعدية يمكنها تهيئة الظروف الملائمة للاستثمار على غرار الإجراءات التحفيزية التي تم اتخاذها لفائدة ولايات الجنوب في قانون المالية التكميلي لسنة 2011؛
- إنشاء أقطاب فلاحية بمستثمرات مختلفة يمكنها الجمع بين إنتاج فلاحي متنوع ومناطق فلاحية تراعي التوازن الجهوي؛

- توجيه الاستثمار نحو بعض الفروع التي لها القدرة على التوجه نحو الخارج كالتي لها معدلات اكتفاء عالية محليا، أو الزراعات الصناعية وذلك للرفع من نسبة الصادرات خارج المحروقات؛
- تقديم كافة التسهيلات لإشراك القطاع الخاص سواء كانت استثمارات كبيرة أو حتى المستثمرات الصغيرة لما لها من دور في الرفع من مستوى الإنتاج الفلاحي، خاصة التسهيلات المالية مع إحداث جهاز لضمان القروض البنكية؛

- عصرنة القطاع الفلاحي، عبر استخدام التقنيات المتطورة والآلات الحديثة المساهمة في الرفع من إنتاجيته دون أن يقتصر إدخال التكنولوجيا على الآلات وحسب وإنّما تعميمها على طرق الري والبذور والمشاتل وعمليات التسميد وغيرها؛

- ترشيد استخدام المياه باتباع سياسات حكيمة في إدارة الموارد المائية التي تتميز بالقلة في ظلّ تزايد الطلب عليها؛

- تشديد الرقابة وتفعيل آلياتها في مختلف الأنشطة الفلاحية، سواء في تتبع مسار الاستثمار الفلاحي واستصلاح الأراضي المدعوم من الدولة أو في مجال المضاربة في المنتوج الفلاحي أو في عمليات الري واستخدام مياه الصرف الصحي وتداعيات ذلك على نوعية المنتوجات ؛

- توفير الخدمات الأساسية لسكان الريف من كهرباء، ماء، طرق ...إلخ، للحدّ من إشكالية النزوح الريفي ؛

- تكاثف الجهود وتوفير الإمكانيات اللاّزمة لتطبيق سياسة التجديد الفلاحي والريفي في ركيزته المتعلقة بتعزيز المورد البشري وتحسين قدراته خاصة التأطيرية بالعمل على إنشاء مؤسسات مرافقة كما في الصناعة تعمل على مرافقة وتأطير العمل الزراعي الذي يشرف على أغلبه فلاحون تقليديون وبالتالي الاهتمام بالبحث والإرشاد الفلاحي وتشجيع البحوث العلمية خاصة تلك المرتبطة بالحدّ من تأثير الظروف المناخية وتحكّمها في الإنتاجية الفلاحية؛

- توسيع قدرات التخزين للفلاحين وتسهيل عملية النقل والتوزيع وتسويق المنتج الفلاحي؛

- فتح المجال للتعاون العربي والإقليمي في المجال الفلاحي من خلال اتفاقيات التعاون المباشر أو عبر المشاركة في جملة البرامج الهادفة لتحقيق الأمن الغذائي خاصة عربيا.

رابعا: استراتيجية التنمية السياحية ومتطلبات نجاحها: لقد أدركت الجزائر منذ بداية الألفية الثالثة ومع تحسن الوضع الأمني فيها بضرورة بعث القطاع السياحي بالنظر لتزايد أهميته على الصعيد العالمي، واعتباره محرّكا هامّا للتنمية المستدامة. ويستند هذا الإدراك إلى ما تملكه الجزائر من مقوّمات سياحية هائلة، تسمح بأن تكون وجهة سياحية بامتياز.

1.استراتيجية التنمية السياحية وفقا للمخطط التوجيهي لأفاق 2025:

1.1.الإطار العام للمخطط التوجيهي: لقد انبثق عن المخطط الوطني لتهيئة الإقليم برامج ومخططات فرعية عدّة أبرزها **المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية** (SDAT 2025) الذي جاء نتاج نقاش كبير بين مختلف الفاعلين في المجال السياحي من خلال الندوات الجهوية والجلسات الوطنية والدولية للسياحة بداية من سنة 2008. ويمثل (SDAT 2025) الإطار الاستراتيجي المرجعي للسياسة السياحية في الجزائر والوثيقة التي أعلنت الدولة من خلالها لجميع الفاعلين والقطاعات والمناطق عن مشروعها السياحي لآفاق 2025. كما تقدّم نظرتها

للتنمية السياحية الوطنية للمدى القصير(2009) والمتوسّط (2015) والمدى الطويل (2025). ويعتبر أيضا أداة تترجم إرادة الدولة في تثمين القدرات والمؤهلات الطبيعية، الثقافية والتاريخية للجزائر وتسخيرها لخدمة السياحة [(15)]. وقد سطرّت أهدافا عامة للمخطط من أبرزها تعزيز دور السياحة كمحرك للنمو الاقتصادي من خلال بناء اقتصاد منتج بديل لاقتصاد المحروقات، تنظيم العرض السياحي باتجاه السوق الوطنية والمساهمة في تحسين التوازنات الاقتصادية الكلية من النمو، الميزان التجاري، الاستثمار، المالية العامة، فرص العمل...إلخ، توسيع الآثار المترتبة عن السياسة السياحية على باقي القطاعات ويشمل الانسجام مع الاستراتيجية التنموية لباقي القطاعات والرفع من درجة التكامل بين كافة السياسات، النظر إلى السياحة في إطار مقاربة شاملة لبرنامج التنويع الاقتصادي والتوفيق بين ترقية السياحة والبيئة وهو ما يفسر ميلاد المخطط الوطني للتهيئة السياحية من مخطط شامل أوسع (التهيئة الإقليمية) وتثمين التراث الثقافي التاريخي والديني باعتبار أنّ هذا التراث يمثل عصب حياة القطاع السياحي، وضمان جاذبية الجزائر كوجهة سياحية.

2.1. آليات إنعاش السياحة في الجزائر "الحركيات الخمس للتفعيل السياحي ": وهي: [(16)]

أ. مخطط وجهة الجزائر: اعتبرت الاستراتيجية الجديدة أنّ ترقية هذه الصورة يمثّل مسألة أساسية لتصبح وجهة سياحية كاملة وتنافسية تكون أبرز ملامحها الأصالة والابتكار والنوعية، وهي محاور مخطط الوجهة الذي يهدف إلى بناء صورة جديدة بالاعتماد على التسويق السياحي للمنتوجات الموجودة والمتوجّهة نحو الابتكار والإبداع.وتكمن أهمية تقويم وجهة الجزائر بالإضافة إلى زيادة التدفق السياحي إليها إلى تعزيز جلب فرص الاستثمار السياحي للرفع من العرض السياحي وزيادة الهياكل السياحية والإمكانيات المتاحة التي يخطط لتعزيزها وفقا لآلية ثانية وهي الأقطاب السياحية.

ب. الأقطاب السياحية(PoT): حدّد المخطط التوجيهي سبعة أقطاب سياحية تسعى لإنشائها وتطويرها موزّعة على مختلف مناطق الوطن. (أقطاب سياحية للامتياز في الشمال "شرق، غرب، وسط" وفي الجنوب "شرق-غرب" والجنوب الكبير "طاسيلي والأهقار".

ويهدف المخطط عبر هذه الأقطاب وقراها السياحية إلى زيادة التنوّع السياحي باعتبار كلّ قطب هو نوع من السياحة بحسب طبيعة المنطقة وتقديرات الطلب السياحي فيها: كالسياحة الصحراوية، الحموية والعلاجية...إلخ، وهو ما يساهم في تسهيل الانتشار السياحي وتعزيز فرص الاستثمار في هذا القطاع، كما تعتبر كأداة للتعريف بالجزائر كوجهة سياحية تنافسية تتوفّر على مختلف المرافق التي يمكنها تلبية مختلف الأذواق.

ج. مخطط النوعية السياحية (PQT): يمكّن مخطط الجودة من الرفع من التنافسية السياحية داخليا وخارجيا خاصة باعتماد فكرة منح العلامة الوطنية " جودة السياحة الجزائرية " للمؤسسات المطبّقة لشروط الجودة وفقا للمخطط ويبقى نجاحه مرهون بالدرجة الأولى بتكوين الموارد البشرية وتنميتها عبر مختلف مدارس ومراكز التكوين المتخصصة في مجال الفندقة والسياحة.

د. مخطط إشراك القطاع الخاص: يعتبر مخطط الشراكة بين القطاعين العام والخاص أحد أهمّ الآليات التي يمكن اعتمادها لإنعاش السياحة ورفع مساهمتها في الناتج المحلي الإجمالي استعدادا لمرحلة ما بعد النفط.

ه. مخطط تمويل السياحة (PFT): بناء على أهمية التمويل في أيّ صناعة تبرز أهمية مخطط تمويل السياحة الذي يعنى بحماية ومرافقة المؤسسة السياحية الصغيرة والمتوسّطة ومساعدتها في اتخاذ القرارات الاستثمارية وتقدير المخاطر التمويلية لضمان استمرارية المشاريع السياحية، وكذا تشجيع الاستثمار في القطاع السياحي باعتماد الحوافز المالية والجبائية وتسهيل وتكييف التمويل البنكي للنشاطات السياحية.

2.متطلّبات نجاح استراتيجية التنمية السياحية: بالنظر لضعف مساهمة السياحة في الناتج المحلي الإجمالي تتضاعف التحدّيات أمام هذا القطاع في مسيرة الإعداد لمرحلة ما بعد النفط في الجزائر لجعله قطاعا واعدا ومعوّلا على مداخيله حين تغيب عوائد البترول. ولذلك لا بدّ وأن تواجه هذه التحدّيات بمضاعفة الجهود لإنجاح استراتيجية التنمية السياحية وفق ما قدّمها المخطط التوجيهي في ظلّ تزايد المعوّقات وقلّة الإنجازات، فنجاح الاستراتيجية يتوقف على توفير جملة من العوامل المتكاملة على المستويات التالية:

أ. تنشيط الاستثمار السياحي: تعتبر السياحة في الجزائر من أقلّ المجالات استقطابا للاستثمارات، فبحسب الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار لم يتعدّ إجمالي عدد المشاريع في القطاع السياحي المصرّح به في الوكالة خلال الفترة {2002-2015} ما يقارب 789 مشروعا فقط **راجع الشكل (3)**. ولعلّ في قراءة هذا الواقع الاستثماري يتّضح أنّ التنمية السياحية لا يمكن أن تتحقق في ظلّ جمود الاستثمار السياحي وضعفه. فتصبح إذن عملية تنشيطه وتسهيل إقامة المشاريع السياحية للرفع من العرض السياحي أو في الترويج للطلب أو الوكالات السياحية ...وغيرها أولوية لإنعاش القطاع. ويمكن حصر أهم عوامل نجاح هذا المستوى من الاستراتيجية في النقاط التالية:

❖ **الجانب التمويلي**: من خلال:

- اعتماد الشراكة في العملية التمويلية لتقليل ضغوط وأعباء التمويل على القطاع العام بإشراك القطاع الخاص في الاستثمار السياحي كشريك استراتيجي للقطاع العام في تحقيق التنمية الاقتصادية، وفتح المجال أمام المستثمر الأجنبي للرفع من قدرات العرض السياحي خاصة ممّا يتيح الفرصة للرفع من التنافسية بين مختلف المؤسسات، ويفتح بذلك المجال نحو تحسين المعروض والمنتج المقدّم.

- تكييف التمويل البنكي بما يتلاءم وطبيعة الاستثمار في السياحة كالقروض طويلة الأجل و التمويل التأجيري... وغيرها؛

- إعطاء أولوية للاستثمار السياحي في تقديم التحفيزات والإعفاءات الجبائية، ممّا يسمح بتقليل التكاليف وهو ما ينعكس على أسعار المنتج السياحي التي تعتبر مرتفعة مقارنة مع مثيلتها في الدول المجاورة كالفنادق، الإطعام...إلخ.

❖**الإطار التشريعي والمؤسسي:** وفقا لما تمّ دراسته حول تقييم مناخ الاستثمار في الجزائر وخاصة الإنتاجي منه تعتبر التشريعات والقوانين المتعلّقة بالاستثمار أكثر الأسباب المعيقة لإقامة المشاريع أو توسعتها وترقيتها، ولذلك لا بدّ من إعادة النظر في هذه القوانين وجعلها أكثر مرونة وتأقلما مع المتغيّرات الخارجية ومختلف التحدّيات التي تواجه القطاع السياحي، بالإضافة إلى تدعيم الإطار المؤسسي على خطى الاقتراحات المقدّمة في الاستثمار الصناعي أيضا.

❖ **العقار السياحي:** لا تختلف السياحة عن الصناعة في جملة الصعوبات التي يواجهها المستثمر في الحصول على العقار، ومن ثمّ لا بدّ من تفعيل مخطط مناطق التوسّع السياحي عن طريق الأقطاب وقراها السياحية وتسهيل الحصول على العقار من طرف الخواص بهذه المناطق، مع تحفيز أصحاب الأراضي الواقعة داخلها لإقامة مشاريع سياحية.

❖ **التنويع الاستثماري:** تسمح الإمكانيات والمقوّمات السياحية التي تملكها الجزائر ومناخها المتعدّد من إرضاء التوجّهات المتباينة للطلب السياحي إذا ما أحسن الاستثمار في مختلف المناطق وخاصة الصحراوية منها، إذ لا بدّ من مراجعة توجّهات المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية في هذا الإطار. فنجاح استراتيجية تنمية السياحة على مستوى تنشيط الاستثمار يتطلّب تحقيق تنويع في المعروض، وأخذ ذلك بعين الاعتبار في توزيع الاستثمارات وتقديم التسهيلات وفقا لذلك (صحراوية-شاطئية– حموية...). وبقدر ما يقدّم التنويع حلا لإشكالية الاختلال الجهوي في السياحة بقدر ما يعتبر أداة لضمان استمرارية النشاط السياحي وابتعاده عن الموسمية من خلال ضمان التدفق المستمر للسياح.

ب. تحسين المنتج السياحي: لا يتوقّف إنعاش السياحة وتنميتها لتلعب دورا حيويا في النهوض بالاقتصاد والمساهمة في بناء الاقتصاد المنتج على توفير شروط تنشيط الاستثمار وحسب، وإنّما لا بدّ وأن يقدّم هذا الأخير منتجات عالية الجودة ومتوافقة مع الأذواق المختلفة للطلب السياحي من خلال:

- **الجودة:** وذلك بالعمل على تحسين جودة المنتج السياحي والخدمات المقدّمة بتبني مقاييس الجودة العالمية.
- **الترويج:** ضرورة اعتماد استراتيجية تسويقية فعّالة يمكنها الترويج الجيّد للمنتج السياحي بناء على التخطيط ودراسات السوق، خلق العلامة التجارية، تجزئة وتقسيم الأنشطة بما في ذلك زيادة تعزيز التكامل بين تكنولوجيا المعلومات في الترويج والتسويق، مع التركيز على دور الإعلام السمعي والبصري وتكنولوجيا الإعلام والاتصالات في العملية الترويجية.
- **التنوّع في المنتج السياحي:** بالنظر لتنوّع الوجهات السياحية في الجزائر لا بدّ وأن يتماشى المنتج السياحي مع خصوصية كلّ وجهة، ما يستلزم تنوّعه ترافقا مع تحسين الجودة، ولعلّ في ذلك ارتباط بما تمّ التطرق إليه سابقا حول تنويع مجال الاستثمارات السياحية. وتعتبر الصناعات التقليدية من الوسائل الهامة لإضفاء التنوّع في هذا المجال.

جـ. تأهيل المورد البشري: تعتبر السياحة من أكثر القطاعات حاجة لليد العاملة المؤهّلة والمدرّبة، وعلى هذا الأساس يصبح تأهيل المورد البشري وتطويره وتنميته ضرورة حتمية تفرضها الخصائص المتعدّدة للسياحة سواء في عملية تقديم المنتج أو في الترويج له وللوجهة السياحية وهو ما يتطلّب تكثيف البرامج التكوينية والتدريبية والتنسيق بين الشركات العاملة في السياحة ومختلف الجامعات والمعاهد لتعريف دارسي التخصصات المرتبطة بالسياحة كالفندقة بالعمل على أرض الواقع ولتفعيل مساهمة القطاع السياحي في المواءمة بين برامج التدريب وسوق العمل، لتعزيز المهارات التي يتطلّبها العمل السياحي من لغات، مواكبة تطوّرات تكنولوجيا الإعلام والإتصال...إلخ.

د. السياحة الداخلية: حلّ استعجالي للتنشيط السياحي: رغم المقوّمات السياحية للجزائر إلا أنّها من أكثر الدول التي تصدّر سياحا أكثر ممّا تستقطبه، وأمام عدم قدرة السياسات الموضوعة في الاستراتيجيات

السياحية لاستقطاب عدد أكبر من السياح والرفع من التدفق السياحي على المدى القصير، يصبح من الضروري أن تتبنّى استراتيجية التنمية السياحية حلولا استعجالية لتنشيط السياحة وتعزيز حركية المنتج في ظلّ حالة الركود والجمود التي تميّز القليل من العرض السياحي.

وبناء على ذلك تعتبر السياحة الداخلية أحد تلك الحلول المساعدة على التنشيط السياحي إلا أنّها تتطلّب بدورها توفير عرض سياحي يتوافق والطلب المحلي، تقديم منتجات وخدمات سياحية بأسعار تنافسية لمثيلتها في الدول المستقطبة للسائحين الجزائريين وتراعي قدراتهم المالية، تكثيف الرحلات السياحية كخدمة لها أولوية في برامج الخدمات الاجتماعية، ويتم ذلك بالتعريف الداخلي بمختلف الوجهات السياحية عبر وسائل الترويج الأكثر كفاءة وانتشارا في المجتمع الجزائري.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الإصلاحات على مستوى السياسة الاقتصادية لا بدّ وأن تمسّ كافة القطاعات، وأنّ نجاح البرنامج الشامل للتنويع الاقتصادي مرتبط بدرجة التكامل بين الاستراتيجيات الفرعية السابقة.

الخاتمة:

لقد أوضحت الدراسة ضعف القطاعات المنتجة في الجزائر، إذ ظهر القطاع الفلاحي يلتهم مخصّصات مالية كبيرة بلا إنتاج، تعكسه عدم القدرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي لأمنها الغذائي، وهامشية صادراته مقارنة بالصادرات الخارجية، بينما برزت في المقابل إشكالية الإنتاج المفقود في الصناعة بالنّظر لضعف مساهمة القطاع في الناتج المحلي، إذ لا تتعدّ الصناعة التحويلية 5 %، وأحيطت المشاكل بالاستثمار الصناعي من مختلف المجالات التمويلية، الضريبية، العقار...إلخ. ومن جهة أخرى فرغم المقومات السياحية التي تتميز بها الجزائر، إلاّ أنّها فشلت في جعل مدنها وجهة سياحية بامتياز، بل على العكس تماما صدّرت سيّاحها الداخليين نحو دول قريبة ومجاورة.

وأمام هذا الوضع الذي يزامن انهيار أسعار النفط والأثر السلبي على الاقتصاد الجزائري، يصبح من الضروري العمل على توفير الآليات اللازمة لتفعيل استراتيجيات وطنية لتنمية القطاعات المنتجة متكاملة فيما بينها في إطار برنامج شامل للتنويع الاقتصادي، إذ يرتبط نجاحه بنجاح الاستراتيجيات الفرعية لتنمية مختلف القطاعات الإنتاجية، مع ضرورة الاهتمام بتنمية المصادر البديلة للطاقة لضمان بقائها كفاعل أساسي في سوق الطاقة العالمي.

الهوامش

(1) : Ministère des finances, consulté le 12/03/2015
http://www.mf.gov.dz/article/48/Zoom-sur-les-Chiffres-/142/Balance-commerciale.html

(2):حصيلة التجارة الخارجية، الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار، تاريخ الإطلاع مارس 2016،
http://www.andi.dz/index.php/ar/statistique/bilan-du-commerce-exterieur

(3) : **BouzidiAbdelmadjid, , (2011),Economie Algérienne: Eclairages, Edition ENAG,, P255**.

(4) : Bosh Gerhard,(1999), Le temps de travail: tendances et nouvellesproblématique, Revue Internationale du travail,Bureau international du travail (BIT), Genève, Vol 138, N°02, P 32.

(5) : AhmedBenbitour, (1998): L'Algérie au troisièmemillénaire: défis et potentialités, Marinoor, Alger,P 198.

(6): فوزي عبد الرزاق، بوروبة كاتية، (2013)، **إشكالية الاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الجزائر بين إجراءات الدولة والتحديات الراهنة**، الملتقى الدولي حول تقييم آثار برامج الاستثمارات العامة وانعكاساتها على التشغيل والاستثمار والنمو، يومي 22/21 مارس 2013، جامعة سطيف، ص 04.

(7): فهد راشد الإبراهيمي، (2013)، ضمان الاستثمار، السنة 31، العدد الفصلي (جانفي-مارس 2013)، المؤسسة العربية لضمان الاستثمار وائتمان الصادرات، الكويت، ص 03.

(8): عماري جمعي، (2011)، **استراتيجية التصدير في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة الجزائرية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص 58.

(9) :Kada AKacem, (2008) : Des Réformes économiques pour la promotion des PME, Revue des économies nord Africaines, N° 5, P 10.

(10) : Ministère des finances, consulté le 12/03/2015 **http://www.mf.gov.dz/article/48/Zoom-sur-les-Chiffres-/143/Solde-global-duTrésor.html**

(11) : Ministère des finances, consulté le 22/07/2016 **http://www.mf.gov.dz/article/48/Zoom-sur-les-Chiffres-/143/Solde-global-du-Tr%C3%A9sor.html**

(12**) : Benabdallah.y,(2008) : Le développement des infrastructures en Algerie : Quels effets sur la croissance économique et l'environnement de l'investissement,P25,http://www.iamm.fr/ressources/opac_css/index.php?lvl=notice_display&id=26307**.

(13): تقوت وفاء، عبد الغفور مزيان، (2013): **سياسات الإنفاق الحكومي في الجزائر بين الأهداف المرجوة والانجازات الفعلية – دراسة تقييمية 2001- 2014**، الملتقى الوطني حول السياسات الاقتصادية في الجزائر ك الواقع والتحدّيات، يومي13/12 نوفمبر 2013، جامعة محمد الشريف مساعدية، سوق اهراس، ص 14 .

(14): بتصرف بالاعتماد على المراجع التالية:

-Présentation de la politique de Renouveau Agricole et Rural en Algérie et du programme quinquennal 2010-2014,(MADR), www.minagri.dz/pdf/Presentat%20rar.pd fconsulté le 27/04/2012.

- أمال حفناوي، حكيمة بوغديري، (2013)، **دور سياسة التجديد الفلاحي والريفي في تحقيق أمن غذائي مستدام**، الملتقى الوطني حول السياسات الاقتصادية في الجزائر: الواقع والتحديات، يومي 13/12 نوفمبر 2013، جامعة سوق أهراس، ص ص 9-11.

(15): المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية لآفاق 2025، كتاب رقم 01، وزارة التهيئة والاقليم والبيئة والسياحة ، ص ص 6-7.

(16): بتصرف بناء على:

- **Ahmed Sid, (2013), Elément de la stratégie de développement du tourisme en Algérie, Réunion d'experts sur la contribution du tourisme à un développement durable(ONUCED), Genève, 14/15**, P 15.
- Ministère du Tourisme et de l'artisanat, http://www.mta.gov.dz/mta/fr/StaArt.php, consulté le 25/11/2013.
- المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية لآفاق 2025، كتاب رقم 02، وزارة التهيئة والاقليم والبيئة والسياحة ، ص ص 19-60.
- لحسين عبد القادر،(2012)، **استراتيجية تنمية مستدامة للقطاع السياحي في الجزائر على ضوء ما جاء به المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية لآفاق 2025: الآليات والبرامج** ، مجلة أداء المؤسسات الجزائرية، العدد 02، ص ص 181-183 .
- نورالدين شارف، نصرالدين بوعمامة، **ترقية القطاع السياحي كبديل لاستغلال الثروة النفطية الناضبة من أجل تحقيق تنمية مستدامة في الجزائر**،(2008)، الملتقى الدولي حول التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للمواد المتاحة، أيام 08/07/ أفريل 2008، جامعة سطيف، ص ص 13-14.

المراجع:

أولا: باللغة العربية:<u>الكتب</u>

1. المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية لآفاق 2025، كتاب رقم 01، وزارة التهيئة والاقليم والبيئة والسياحة، 2008.
2. المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية لآفاق 2025، كتاب رقم 02، وزارة التهيئة والاقليم والبيئة والسياحة، 2008.

<u>أطروحات الدكتوراه</u>

1. عماري جمعي، (2011)، <u>استراتيجية التصدير في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة الجزائرية</u>، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

<u>المجلات:</u>

1. فهد راشد الإبراهيمي، (2013)، ضمان الاستثمار، السنة 31، العدد الفصلي (جانفي-مارس 2013)، المؤسسة العربية لضمان الاستثمار وائتمان الصادرات، الكويت.

2. لحسين عبد القادر، (2012)، **استراتيجية تنمية مستدامة للقطاع السياحي في الجزائر على ضوء ما جاء به المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية لآفاق 2025: الآليات والبرامج**، مجلة أداء المؤسسات الجزائرية، العدد 02.

الملتقيات

1. أمال حفناوي، حكيمة بوغديري، (2013)، **دور سياسة التجديد الفلاحي والريفي في تحقيق أمن غذائي مستدام**، الملتقى الوطني حول السياسات الاقتصادية في الجزائر : الواقع والتحديات، يومي 13/12 نوفمبر 2013، جامعة سوق أهراس.

2. تقوت وفاء، عبد الغفور مزيان، (2013)**: سياسات الإنفاق الحكومي في الجزائر بين الأهداف المرجوة والانجازات الفعلية – دراسة تقييمية 2001- 2014**، الملتقى الوطني حول السياسات الاقتصادية في الجزائر ك الواقع والتحدّيات، يومي13/12 نوفمبر 2013، جامعة محمد الشريف مساعدية، سوق اهراس

3. فوزي عبد الرزاق، بوروبة كاتية، (2013)، **إشكالية الاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسّطة في الجزائر بين إجراءات الدولة والتحديات الراهنة**،الملتقى الدولي حول تقييم آثار برامج الاستثمارات العامة وانعكاساتها على التشغيل والاستثمار والنمو، يومي 22/21 مارس 2013، جامعة سطيف.

4. نورالدين شارف، نصرالدين بوعمامة، **ترقية القطاع السياحي كبديل لاستغلال الثروة النفطية الناضبة من أجل تحقيق تنمية مستدامة في الجزائر**،(2008)، الملتقى الدولي حول التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للمواد المتاحة، أيام 08/07/ أفريل 2008، جامعة سطيف.

ثانيا: باللغة الأجنبية

1. **Ahmed Benbitour, (1998): L'Algérieau troisième millénaire: défis et potentialités, Marinoor, Alger**
2. Ahmed Sid, (2013),Elément de la stratégie de développement du tourisme en Algérie, Réunion d'experts sur la contribution du tourisme à un développement durable(ONUCED), Genève, 14/15, 3. 3. **BouzidiAbdelmadjid,, (2011),Economie Algérienne: Eclairages, Edition ENAG.**
4. Bosh Gerhard,(1999), Le temps de travail: tendances et nouvellesproblématique, Revue Internationale du travail,Bureau international du travail (BIT), Genève, Vol 138, N°02
5. Kada AKacem, (2008) : Des Réformes économiques pour la promotion des PME, Revue des économies nord Africaines, N° 5..

مواقع الأنترنت:

1. Ministère des finances, **http://www.mf.gov.dz**
2. Ministère du Tourisme et de l'artisanat, http://www.mta.gov.dz/mta
3. **Benabdallah.y,(2008) : Le développement des infrastructures en Algerie : Quels effets sur la croissance économique et l'environnement de l'investissement,P25,http://www.iamm.fr/ressources/opac_css/index.php?lvl=notice_display&id=26307**.
4. **www.minagri.dz/pdf/Presentat%20rar.pdf**

5. الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار www.andi.dz

قضية التنويع الاقتصادي في الجزائر: أيّ تقييم؟

أ.سمية بوصالح، د. سيدي محمد شكوري
بكلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير
ملحقة مغنية - جامعة تلمسان، الجزائر.

ملخص:

تهدف هذه الورقة إلى دراسة العلاقة بين التنويع الاقتصادي وأهم محدداته في الجزائر، على اعتبار أنها واحدة من أكثر الدول اعتمادا على العوائد الريعية المتأتية من تصدير الموارد الطبيعية (المحروقات)، وقد أثبتت نتائج الدراسة التطبيقية التي أجريت خلال الفترة (1985-2013) باستخدام منهجية التكامل المتزامن، أن درجة التركيز الاقتصادي تعزى بصفة كبيرة إلى طبيعة الاطار المؤسساتي في البلد الذي يشكل أقوى عائق أمام تحقيق التنويع الاقتصادي.

الكلمات المفتاحية: التنويع الاقتصادي، محددات التنويع الاقتصادي، مؤشر التركيز الاقتصادي لهرفندل هرشمان، اختبار التكامل المتزامن

Abstract :

This paper aims to examine the relationship between economic diversification and it's most important determinants in Algeria, since it's one of the most dependent countries on rentier revenue derived from hydrocarbons exports, the results of the empirical study, which was conducted during the period (1985-2013) by using the cointegration methodology, has been proven that the degree of economic concentration (which is measured by the herfindahl hirschman index) is refer to the nature of institutional framework, which is the most powerful obstacle to achieving economic diversification in this country.

Key words: economic diversification, the determinants of diversification, herfindahl hirschman index, cointegration testing.

مقدمة:

لقد أثبتت الدراسات الأدبية على مدى عقود ان أداء الاقتصادات المتنوعة يكون افضل في المدى الطويل مقارنة بالدول التي تعتمد على قاعدة اقتصادية منحصرة في إنتاج وتصدير عدد قليل من السلع، خاصة تلك التي تمتلك وفرة في الموارد الطبيعية، حيث أجمعت جل الدراسات التي عالجت موضوع العلاقة بين وفرة الموارد الطبيعية والنمو الاقتصادي أن الدول الغنية بالموارد الطبيعية تعاني بطأ في النمو مقارنة بالدول الفقيرة من هذه الموارد ((T.Gylfason (2004), Sachs & Warner (1995),(1997),(2001).

إن هذه المقاربة لا تختلف عن واقع الاقتصاد الجزائري الذي كان ولايزال رهين قطاع ذو طابع ناضب (قطاع المحروقات)، فرغم الاستراتيجيات التي طبقتها الجزائر منذ الاستقلال بداية باستراتيجية الصناعات المصنعة وصولا إلى المخططات التنموية التي ركزت على تنفيذها مطلع هذه الألفية في سبيل تنويع مصادر الدخل الوطني وضمان الاستدامة الاقتصادية، إلا أن قطاع المحروقات ظل يهيمن بنسبة تفوق 95 % من إجمالي الصادرات الوطنية، وبحصة مساهمة في تكوين الناتج الداخلي الخام لا تقل عن 30%، وحصيلة جباية بترولية تقدر بـ 60 % في المتوسّط من إجمالي الخزينة العمومية. وأمام أزمة انهيار أسعار النفط التي

طالت السوق العالمية منذ منتصف سنة 2014 حتى الآن مقابل تراجع احتياطات النقد الأجنبي (من 190.66 مليار دولار نهاية 2012 إلى 143مليار دولار في ديسمبر 2015) من جهة، وسياسة التوسع في الإنفاق التي تعرفها الجزائر كنتيجة لتطبيق برنامج التنمية الخماسي (2015-2019) من جهة أخرى، جاءت هذه الدراسة كمحاولة لتحليل بعض المعطيات المتعلقة بوضعية الصادرات الجزائرية وكذا تقصي دور بعض المحددات في تعزيز أو تثبيط مسألة التنويع الاقتصادي في الجزائر، وذلك من خلال طرح الإشكالية التالية: ماهي أهم المحددات التي تؤثّر على درجة التنويع (التركيز) الاقتصادي في الجزائر؟

وحتى يكون لهذه الدراسة بعدا تطبيقيا يدعم النتائج المتوقع الوصول إليها، سيتم الاعتماد على دراسة قياسية باستخدام اختبار التكامل المتزامن بغرض تحديد اهم المحددات ذات العلاقة بموضوع التنويع الاقتصادي في الجزائر.

بقية الورقة موزعة كالآتي: القسم الثاني مخصص للتركيز على الاطار النظري للدراسة متضمنا أهم محددات ومؤشرات التنويع الاقتصادي، القسم الثالث: يقدم بعض الدراسات التجريبية التي تناولت الموضوع من جوانب مختلفة، الجزء الرابع يتناول بالدراسة تحليل هيكل الصادرات الجزائرية، الجزء الخامس متعلق بالجانب التطبيقي وأخيرا خاتمة.

الاطار النظري للدراسة: شهدت التجارة العالمية في النصف الثاني من القرن العشرين تسارعا في أنماطها المختلفة إلى حد كبير عن تلك التي تبنتها نظريات التجارة الكلاسيكية والنيوكلاسيكية التي تتمحور حول المنافسة التامة، الميزة النسبية والعوائد الثابتة لتوسع نطاق البلد (Krugman 1980)، فاستنادا إلى نموذج هكشر- أولين ينبغي على كل بلد التخصص في انتاج السلع التي يتمتع فيها بوفرة نسبية. غير أن الأدبيات الحديثة أثبتت أن تخصص البلد في انتاج وتصدير عدد قليل من السلع يساهم بشكل رئيسي في تقلب عائدات التصدير، فالبلدان التي تعاني من تركز صادراتها تتأثر سلبا جراء تقلبات أسعار السوق من خلال آثارها التي تطيل ايرادات النقد الأجنبي. من هنا ظهرت أهمية التنويع الاقتصادي في توسيع قاعدة التصدير للحفاظ على الاستقرار في عائدات البلد وبالتالي تعزيز النمو الاقتصادي على المدي الطويل.

إن الأساس النظري لمفهوم التنويع الاقتصادي ينبثق من فحوى نظرية تنويع المحفظة المالية لـ ماركوفيز(Markowitz 1952)، الذي يرتكز على المبدأ القائل " لا تضع البيض كله في سلة واحدة"[1]، ومن هنا ينقسم التنويع الاقتصادي حسب الدراسات الأدبية إلى قسمين رئيسيين: تنويع اقتصادي وتنويع الصادرات، حيث يتم تعريف الأول على أنه العملية التي يصبح من خلالها الاقتصاد اكثر تنوعا من حيث السلع والخدمات التي ينتجها، أما تنويع الصادرات فيشير إلى سياسات معتمدة تهدف إلى تغيير مساهمة السلع في مزيج التصدير الحالي، وتقديم منتجات جديدة في محفظة التصدير و/أو اقتحام أسواق جغرافية جديدة. إن المفهوم الأساسي الذي يرتكز عليه التنويع الاقتصادي ينصب في الحد من الاعتماد المفرط على قاعدة اقتصادية ضعيفة كما هو الحال في البلدان التي تعتمد على الموارد الطبيعية، فالقيام بعملية التنويع

[1] M.M.Hossain & S.A. Chowdhury,Pattern and Determinants of Export Diversification in Bangladesh: An Empirical Assessment, D.U. Journal of Marketing, Vol. No.15, 2012, p113.

يستلزم نقل عملية الإنتاج بعيدا عن الصناعة الاستخراجية من خلال دعم التصنيع في قطاعات أخرى غير موردية (لا ترتكز على استخراج واستغلال الموارد الطبيعية)[1].

في هذا الصدد يندرج التنويع الاقتصادي ضمن نمطين بالاعتماد على السياسات المتبعة من جهة وعلى طبيعة التنويع في حد ذاته من جهة أخرى إلى تنويع أفقي وآخر عمودي (رأسي)، فالأول قد يرجع إلى السياسات ذات الأبعاد القطاعية، على وجه الخصوص القطاعات التي تتكامل فيما بينها أماميا وخلفيا على طول سلسلة قيمة الموارد، أما التنويع الرأسي فقد يعني أكثر التنويع عبر الحدود، في الزراعة والصناعة والسياحة. إن السؤال الجوهري الذي يتكرر دائما عند الحديث عن الدول الغنية بالموارد الطبيعية هو: **لماذا تضع هذه الدول هدف التنويع الاقتصادي في المقام الأول؟**

إن الإجابة على هذا الطرح تتلخص في مشكل تركز الصادرات في مجموعة محدودة من السلع التي غالبا ما تسفر عن آثار ذات أبعاد اقتصادية وسياسية غاية في الخطورة، وأمام خطر نضوب الموارد الطبيعية نجد التنويع الاقتصادي أحد اهم الاستراتيجيات المتاحة[2](A.Ahmadov,2012) لضمان تحقيق أداء أفضل على المدى الطويل [3](S.Samen,2010) بمعدلات نمو إيجابية واستدامة اقتصادية، إذن **ماهي أهم المحددات التي تؤدي إلى إحداث التنويع الاقتصادي؟**

محددات التنويع الاقتصادي:ليس هناك إطار نظري واضح يحدد العوامل التي تؤثّر على التنويع أو التخصص الاقتصادي في أي بلد. ومع ذلك، حاول الأدب التجريبي الكشف عن المحددات الرئيسية للتنويع الاقتصادي التي تأخذ أبعادا جغرافية، اقتصادية، ديمغرافية ومؤسسية، وفيما يلي عرض موجز لأهم هذه المحددات[4].

- **الموارد الطبيعية**: من بين العوامل التي لديها القدرة على دفع التنويع الاقتصادي، نجد الموارد الطبيعية التي تبرز أهميتها من خلال ثلاثة جوانب أساسية، فهي كخطوة أولى تسمح بالحصول على العملة الصعبة التي يعاد استثمارها في قطاعات أخرى، على وجه الخصوص القطاعين الصناعي والفلاحي والتجربة النرويجية في إدارة عوائد النفط لخير دليل على ذلك، كما يسمح امتلاك الموارد الطبيعية بتقليل تكاليف الإنتاج وبالتالي تعزيز صادرات البلد، في جانب آخر قد يكون تطوير قطاع الموارد الطبيعية جزءا من استراتيجية التنويع فامتلاك بعض الدول للنفط مثلا يساعد على تبني صناعات بتروكيماوية من خلال إنتاج مشتقات نفطية جديدة. وفي دراسة قام بها (A.Esanov 2011) حول محددات التنويع الاقتصادي على مجموعة من الدول أكد فيها على أهمية وفرة الموارد الطبيعية في خلق ظروف افضل للتنويع الاقتصادي.

---

[1] Akram Esanov,Economic Diversification: Dynamics, detreminents & policy implications,revenue watch institute, 2011, p4

[2] Anar Ahmadov, Political Determinants of Economic Diversification in Natural Resource-Rich Developing Countries, 2012, p 3-4.

[3] Salomon Samen,A primer on Export Diversification : Key concepts, theoretical underpinnings & emmpirical evidence, growth and crisis unit, world bank institute, 2010, p 6-7.

[4] تجدر الإشارة إلى التنويع الاقتصادي لا يقتصر على المحددات المذكورة في هذه الدراسة، فالدلائل التجريبية أثبتت أن هناك عدة عوامل تؤثر في إحداث عملية التنويع وذلك طبقا لطبيعة الاقتصاديات المختلفة.

- **نصيب الفرد من الدخل**: إن الزيادة في نصيب الفرد من الدخل في أي بلد يمنح فرصا لزيادة التنويع الاقتصادي نتيجة زيادة القدرة الشرائية وقابلية المستهلكين على تحمل تنوع سلة المنتجات، حيث أثبت (Imbs & Wacziarg 2003) على وجود علاقة على شكل U بين التنويع ومستوى الدخل، وأظهرا أن زيادة الدخل الفردي يؤدّي إلى زيادة تنوع الصادرات حتى عتبة حوالي 9000$ بعدها يأخذ تركيز الصادرات آثاره.

- **رأس المال البشري**: استكمالا لرأس المال المادي يعتبر تراكم رأس المال البشري عنصرا مهما في تحقيق التقدم التكنولوجي وتعزيز الابتكار، ومن بين المقومات الأساسية للقيام بعملية التنويع الاقتصادي، وقد أكد (Lederman & Maloney 2007) في دراستهما على ان الدول التي استخدمت بنجاح مواردها الطبيعية لمزيد من النتائج التنموية كأستراليا والنرويج، قد وصلت إلى ماهي عليه الآن نتيجة ارتفاع وتزايد مستويات رأس المال البشري، والدراسات التجريبية أثبتت أهمية هذا العنصر في تطوير هيكل الصادرات، فدراسة (Maier & Wood 1998) مثلا ميزت المناطق بالاعتماد على نسبتين هما المهارات بالنسبة للفرد الواحد والأرض (كممثل للموارد الطبيعية) بالنسبة للفرد الواحد، وقد وجدا انه كلما زاد عدد السكان تنخفض نسبة الأرض للفرد الواحد مع مرور الوقت، وكلما استثمر البلد في رأس المال البشري كلما زادت نسبة المهارات للفرد الواحد[1]. فالقيام بسياسات التنويع يستلزم الاهتمام المستمر بالعنصر البشري وجودة التعليم على نطاق واسع لتحقيق النتائج المرجوة.

- **الاستثمار المحلي والأجنبي**: من الناحية النظرية عند زيادة الاستثمار المحلي ينخفض تركيز الصادرات، فالاستثمار من طرف القطاع الخاص يعتبر دافعا هاما لتنويع الصادرات، كما أنه قد يؤدّي إلى زيادة الإنتاجية خاصة في القطاعات الجديدة. إن ازدهار القطاع الخاص غالبا ما يرتبط مع وظيفة البحث والتطوير ودوافع الابتكار والقدرة على المخاطرة إلى جانب إشراك القطاعات غير المستغلة في الاقتصاد. نفس الشيء بالنسبة للاستثمار الأجنبي المباشر الذي يؤثر بدوره على التنويع الاقتصادي من خلال تسريع عملية نقل التكنولوجيا وتحسين قدرات الإنتاج في البلد المضيف (Lwamoto & Nabeshima 2012).

لسوء الحظ أن الاستثمار الأجنبي المباشر في الدول الإفريقية غالبا ما يتجه صوب قطاع الموارد الطبيعية (كما هو الحال بالنسبة للقطاع النفطي في الجزائر) أو تركزه في قطاعات حبيسة تعاني محدودية الارتباط مع باقي القطاعات في الاقتصاد.

- **الحوكمة والاطار المؤسساتي**[2]: جل الدراسات الحديثة تؤكد على أهمية الحوكمة والترتيبات المؤسسية كشروط مسبقة للقيام بالتنويع الاقتصادي، فالحكم الرشيد شرط أساسي لتعزيز التنويع الاقتصادي من خلال حماية حقوق الملكية وتسهيل المعاملات وضمان تكافؤ الفرص لتنافس الشركات. إن قوة اعتمادية المؤسسات تؤثّر على عوامل مثل التنظيم والاستقرار السياسي وكل ما يؤثر على الاستثمار والأنشطة المقاولاتية. إن التحسينات في هياكل الحكم داخل الاقتصاد لا ترتبط فقط مع وجود قاعدة تصدير متنوعة

---

[1] Alen Gelb, Economic diversification in Resource Rich Countries, seminar on natural resources finance & development : confronting old & new challenges, organized by the central bank of Algeria & IMF ,4-5 november 2010, p10

[2] A. Elhiraika & M. Mbate, Assessing The Determinants of Export Diversification in Africa, Applied Econometrics and International Development, vol 14-1, 2014,pp148-150

وتنويع صناعي، وإنما أيضا مع انخفاض الصراعات والحروب الأهلية التي تقوض الاستثمار في التنويع الاقتصادي (Plekhanov et al 2009)، فالمؤسسات القوية التي تواجه مختلف أنواع الفساد والمصادرات التي يمارسها أصحاب المناصب الحكومية عندما يبحث المبتكرون عن رخص تجارية وتصريحات، تشكل عاملا حاسما في تعزيز روح المبادرة والابتكار(Starosta de Waldemer 2010) وبالتالي تعزيز التنويع الاقتصادي.

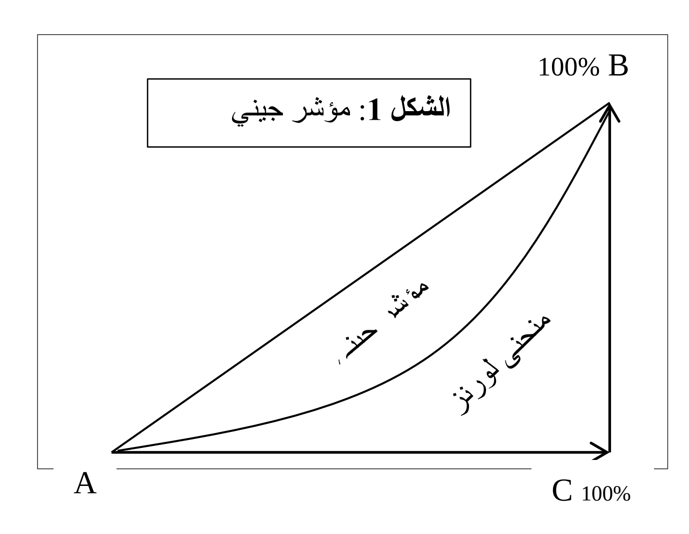
-**البنية التحتية**: إلى جانب المحددات الأخرى، تكتسي البنية التحتية دورا بالغ الأهمية في تعزيز التنويع بشقيه اقتصادي وتنويع لقاعدة التصدير، فالدراسة التجريبية لـ (A.Esanov 2011) أثبتت أن البنية التحتية إلى جانب نوعية المؤسسات تعتبر عناصر ذات أهمية حاسمة للقيام بعملية التنويع الاقتصادي، إلى جانب أهميتها في جذب الاستثمار الأجنبي المباشر وما يقدم من مزايا للبلد المضيف.

قياس التنويع الاقتصادي:

يقاس التنويع (التركيز) الاقتصادي بعدة مؤشرات إحصائية، تتفاوت في كفاءتها وملاءمتها لأغراض القياس، ومع ذلك تعطي نتائج متقاربة في اتجاهها وتغيراتها عند تقديرها الكمي لظاهرة التنويع الاقتصادي، إذن **ماهي أهم المؤشرات التي تقيس درجة التنويع (التركيز الاقتصادي) في الدولة؟**

1/ **مؤشر جيني((Gini index**: يعد هذا المؤشر من أفضل مقاييس التركز وأبسطها، ويعرف على أساس نسبة المساحة المحصورة بين منحنى لورنز ووتر المثلث القائم[1] (ABC) (انظر الشكل رقم (1))، وهناك عدة صيغ لحساب هذا المؤشر، منها:

$$G = 1 - \sum_{k=1}^{n}(x_k - x_{k-1})(y_k + y_{k+1})$$



Source: Wen-chung Lee,caracterizing exposure-disease association in human populations using the lorenz curve & Gini index,statistics in medicine, vol 16, 1997,p733

حيث يمثل x_k التكرار التجمعي النسبي التصاعدي للمتغير الكلي(الحصة القطاعية من الناتج المحلي الاجمالي) ممثلا على المحور الأفقي، y_k : يمثل التكرار التجمعي النسبي التصاعدي الذي يمثل على المحور العمودي (عدد القطاعات)، n: عدد القطاعات.

كما يمكن حسابه انطلاقا من العلاقات التالية[2](A.Maldonado R.l Pérez-Ocón & A. Herrera 2007):

[1] L.G.Bellù & P.Liberati(2007), « Analyse d'inégalité, indice de Gini », Module EASYPol 040 , Organisation des Nations-Unies pour l'alimentation et l'agriculture ,FAO, decembre 2006, www.fao.org/tc/easypol

[2] A.Maldonado, R. Pérez-Ocón & A.Herrera, Depression and cognition: New insights from the Lorenz curve and the Gini index, International Journal of Clinical and Health Psychology, vol. 7, 2007, n°1, pp38-39

$$G = \sum_{i=1}^{n} \begin{vmatrix} x_{i-1} & y_{i-1} \\ x_i & y_i \end{vmatrix} \qquad G$$

$$= \sum_{i=1}^{k} (x_{i-1}\, y_i - x_i\, y_{i-1})$$

حيث:

$$x_i = \sum_{j<i} \frac{n_i}{N} \qquad y = \sum_{j<i} \frac{d_i}{D}$$

حيث يمثل المتغير x_i التكرار التجمعي التصاعدي النسبي لعدد القطاعات، أما y_i فيمثل التكرار التجمعي التصاعدي النسبي للناتج القطاعي.

إلى جانب حساب مجموعة من السلع، يعطي هذا المؤشر فكرة عن انحراف نسبة مساهمة كل قطاع في سلة الصادرات، فمثلا إذا كان البلد يحصل على 80% من عائداته الخارجية من صادرات قطاع واحد و20 % المتبقية مقسمة بين قطاعين بالتساوي، سيكون هذا البلد أكثر تخصصا في تصدير منتجات القطاع الأول مما لو كانت عائداته متأتية من صادرات منتجات القطاعات الثلاث بشكل متساوي (يشارك كل قطاع بثلث العائدات الكلية المتأتية من التصدير)، وتتراوح قيمة هذه المؤشر بين الصفر (الذي يمثل التركيز الاقتصادي) والواحد الصحيح (الذي يعبر عن التنويع الاقتصادي)[1]

2/ **مؤشر تايل (Theil index):** يعد هذا المؤشر أيضا من أبرز مؤشرات التركيز الاقتصادي التي يقيس درجة التنويع، ويعرف بالعلاقة التالية[2]:

$$T = \frac{1}{n} \sum_{k=1}^{n} \frac{x_k}{\mu} \ln\left(\frac{x_k}{\mu}\right)$$

حيث، x_k : يمثل حصة مساهمة القطاع k في إجمالي الصادرات، μ :الوسط الحسابي لـ x_k ويكتب $\mu = \sum_{k=1}^{n}\left(\frac{x_k}{n}\right)$ ، n : عدد القطاعات

يتراوح مؤشر تايل (Theil) بين 0 (عندما تتساوى حصص كل القطاعات في التصدير) وln(N) (عند تتركز الصادرات في قطاع واحد)، وبالتالي انخفاض قيمة المؤشر تعني اقتصاد أكثر تنوعا[3].

3/ **مؤشر هرفندل – هيرشمان (Herfindahl- Hirchman index)**: ويعد هذا المؤشر من أكثر المقاييس استخداما لقياس التنويع في ظاهرة ما، حيث يعنى بتركيبة المتغير وبنيته ومدى تنوعه وابراز التغيرات الهيكلية التي طرأت عليه[1]، وهو في الأساس مقياس لدرجة تركيز السوق والصناعة[2]، ويعرف بالصيغة التالية[3]

[1] Karsten Mau, Export Diversification and Income Differences, Institute of Asian Studies, 2014, p 20.

[2] O.Cadot, C.Carrère & V.Strauss-Kahn, Trade Diversification, Income, and Growth: What Do We Know?, working paper n°33, development policies, FERDI, 2011 , p2

[3] M. Persson & F. Wilhelmsson, EU Trade Preferences and Export Diversification, working paper, 2013:32, Department of Economics, Lund University and Research Institute of Industrial Economics, 2013, p 13

$$HHI = \frac{\sqrt{\sum_{i=1}^{n}(\frac{x_i}{n})^2} - \sqrt{1/n}}{1-\sqrt{1/n}}$$

حيث (n) عدد النشاطات، x_i ناتج النشاط (i)، (x) الناتج المحلي الاجمالي لجميع النشاطات، وتتراوح قيمة معامل هرفندل– هيرشمان بين 0 و1، فاقتراب قيمته من الواحد يعني أن البلد يعتمد بشكل أساسي على مجموعة محددة من الصادرات في حين تمثل القيمة القريبة من الصفر درجة أعلى من تنويع الصادرات (تساوي حصص النشاطات بعد نسبها إلى الناتج الكلي لجميع النشاطات)

استعراض موجز للأدب التجريبي: تنقسم الدراسات التجريبية التي عالجت موضوع محددات التنويع الاقتصادي إلى اتجاهين، الأول يركز على العلاقة بين تنويع الصادرات وأهم المحددات التي تؤثّر في تعزيزها، أما الثاني فيهتم بالعوامل الأساسية لتحقيق التنويع الاقتصادي خاصة في الدول التي تعتمد على الموارد الطبيعية، فمثلا دراسة (T.Gylfason 2005[4] اهتمت بمعالجة مسألة التنويع الاقتصادي في الدول التي تعتمد على الموارد الطبيعية وذلك بالتركيز على جانبين، التنويع الاقتصادي من خلال الانتقال من النشاطات التي تعتمد على الموارد الطبيعية إلى التصنيع، التجارة والخدمات، والتنويع السياسي من خلال مناقشة مشكل تركز السلطة في أيدي نخب استبدادية، وذلك باستخدام بيانات مقطعية بطريقة المربعات الصغرى الاعتيادية على عينة تتكون من 85 دولة خلال الفترة (1965-1998)، وقد أثبتت النتائج التي تم التوصل إليها على ان المؤسسات الجيدة والبنية التحتية تشجع وتدعم الاقتصاد فضلا عن التنويع السياسي، إلى جانب ذلك يعد تراكم النوعية الجيدة لأنواع مختلفة من رأس المال التي تكمل بعضها البعض شرطا أساسيا لتعزيز التنويع الاقتصادي الذي يضمن النمو المستدام، دراسة أخرى لـ A.El kawaz (2008) ركز فيها على تحليل درجة التنويع الاقتصادي في الكويت باعتباره واحدا من أكثر الدول اعتمادا على عوائد الموارد الطبيعية من جهة، وكذا التركيز على نمذجة اهم محددات التنويع الاقتصادي في عينة تتكون من 5 دول منتجة ومصدرة للنفط خلال الفترة (1991-2001) باستخدام نموذج المدخلات والمخرجات (input-output model) وقد توصل إلى أن الاطار المؤسساتي المناسب، تنمية دور الدولة والنوعية الجيدة لرأس المال البشري عناصر ضرورية لتعزيز التنويع الاقتصادي، كذلك نجد (M.H.C Cabral & P.Veiga (2010[5] اللذان ركزا في دراستهما على العوامل الاقتصادية والمؤسساتية كمحددات لنجاح استراتيجية تنويع الصادرات وتطورها في جنوب الصحراء الإفريقية وذلك باستخدام بيانات مقطعية بتقنية OLS وIV لعينة تتكون من 48 دولة إفريقية للفترة (1960-

---

[1] ممدوح عوض الخطيب ،أثر التنويع الاقتصادي على النمو الاقتصادي في القطاع غير النفطي السعودي، المجلة العربية للعلوم الإدارية، المجلد 18، العدد 2،2011، ص212.

[2] Ahmed Al Kawaz, Economic diversification : The Case of Kuwait Reference to Oil Producing Countries, journal of economic cooperation ,29,03, 2008, p 7

[3] D.Laskiene & V.Venckuviene, Lithuania‘s Export Diversification According to Technological Classification, Mediterranean Journal of Social Sciences,Vol 5 n° 7,MCSER Publishing, Rome-Italy, 2014, p 681

[4] Tolvador Gylfason, Institutions, Human capital & Diversification of rentier economies, paper prepared foe workshop on transforming authoritarian rentier economies at the friedrich ebert foundation in bonn, 21-24 september 2005

[5] M.H.C.Cabral & P.Veiga, Determinants of Export Diversification & Sophostication in Sub-Saharan Africa, paper presented as part of the NBER project of African development described in Macedo & Pereira, july 2010

2005) ، أما النتائج التي تم التوصل إليها فقد أكدت على أهمية الاطار المؤسسي الجيد كمحدد أساسي لنجاح استراتيجية التنويع الاقتصادي وتطوره في هذه الدول وبشكل خاص مستوى الفساد، الشفافية والمساءلة كعوامل هامة في الحد أو تعزيز نطاق التنويع وتطور مستوى الصادرات، كما بينت النتائج ان زيادة رأس المال البشري يشجع كل من تطور الصادرات وتنوعها خاصة ارتفاع مستويات التعليم العالي؛ من جهة أخرى تحسين المستوى المعيشي للسكان واستغلال رأس المال البشري الذي ينعكس على تطور الصادرات يعتبر جزءا من الحل لمشكل التنمية في هذه الدول، كذلك نجد A.Esanov (2011) الذي ركز في دراسته على تقصي محددات التنويع الاقتصادي في مجموعة واسعة من الدول وبالتحديد تحليل أنماط التنويع بالتركيز على العوامل التي أثرت على التنويع الاقتصادي وتنويع الصادرات خلال الفترة (1996-2008)، وقد أظهرت النتائج أن العوامل التي تؤثّر على التنويع الاقتصادي وتنويع الصادرات تختلف فيما بينها، فمثلا التجارة وحرية الاستثمار ترتبط إيجابا مع تنويع الصادرات في حين نفس العوامل لا تعتبر محورية في عملية التنويع الاقتصادي، نتيجة أخرى هي أن البنية التحتية ونوعية المؤسسات تعتبر محددات مهمة للقيام بعملية التنويع الاقتصادي، وأخيرا الاعتماد على الموارد الطبيعية يؤثر سلبا على تنويع الصادرات ويساعد على إحداث التنويع الاقتصادي.

إلى جانب ذلك نجد دراسة A.Ahmadov (2012) الذي اهتم بالبحث في إشكالية نجاح بعض الدول المصدرة للموارد الطبيعية في تنويع اقتصادياتها مقابل فشل دول أخرى في تحقيق ذلك على عينة واسعة من الدول (أكثر من 100دولة) للفترة (1962- 2010) باستخدام نموذج GLS، وقد أثبتت النتائج أن أنواع مختلفة من الموارد الطبيعية ترتبط مع نتائج مختلفة للتنويع، على وجه التحديد، الاعتماد على النفط هو اقوى عائق أمام التنويع في حين أن الاعتماد على الموارد الطبيعية الأخرى لا يؤثر على درجة التنويع الاقتصادي، من جهة أخرى للتشردم العرق[1] آثار سلبية قوية على التنويع الاقتصادي. دراسة M.Alaya[2] (2012) هي الأخرى اهتمت بتقصي القوى المحركة وراء تنويع الصادرات في منطقة الشرق الأوسط وشمال فريقيا لعينة تتكون من 12 دولة للفترة (1984-2009) باستخدام نموذج Two Stages Generalized Least Squares Estimation (TSGLS) للكشف عن العوامل الرئيسية لتنويع الصادرات، وقد بينت نتائج التقدير أن الاعتماد على إيرادات الموارد الطبيعية تفسر درجة تركيز الصادرات في هذه المنطقة، وعلى النقيض من ذلك يؤدّي الانفتاح التجاري وتراكم راس المال المادي(المحلي والأجنبي) إلى مزيد من تنويع الصادرات. وأخيرا A.Elhiraika & M.Mbate (2014) اللذان ركزا على تقييم محددات تنويع الصادرات في المدى الطويل على عينة تتكون من 53 دولة إفريقية خلال الفترة (1995-2011) باستخدام نموذج GMM، أما نتائج الدراسة فقد أثبتت أن نصيب الفرد من الدخل، البنية التحتية والاستثمار العام إلى جانب الاطار المؤسساتي تلعب دورا جوهريا في تنويع الصادرات في هذه الدول.

تحليل درجة تركيز (تنويع) الاقتصاد الجزائري: عقب الاستقلال، اعتمدت الجزائر على إيرادات النفط كمصدر أساسي لتسيير شؤون الدولة وتمويل المخططات التنموية التي اعتمدتها بداية من نهاية الستينات، بغية تطبيق استراتيجية الصناعات المصنعة في سبيل النهوض بالاقتصاد الوطني وتنويع مصادر الدخل. لقد

---

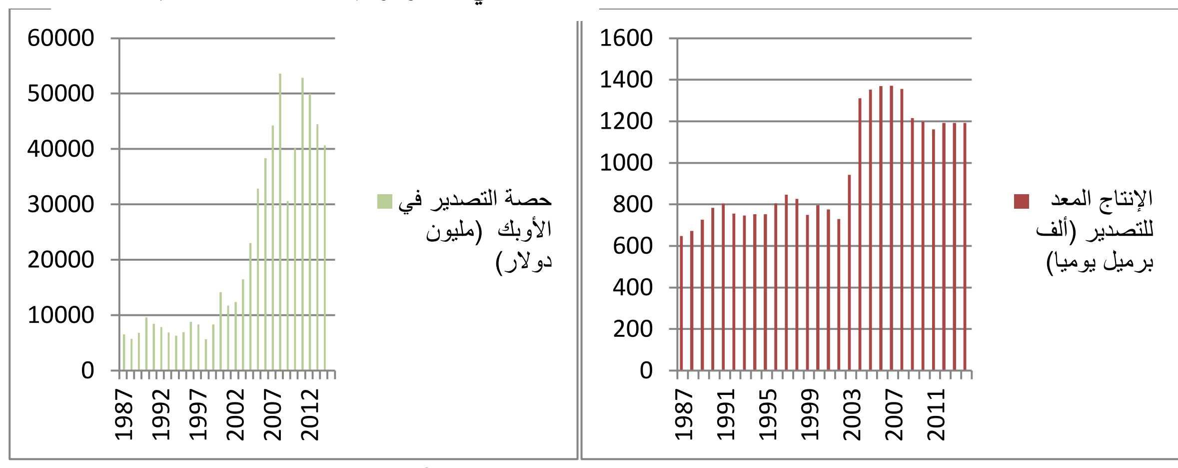
[1] هو تفرق طائفي بشكل فوضوي

[2] Marouane Malaya(2012), The Determinants Of MENA Export Diversification : Empirical Analysis, working paper n°709, economic research forum, pp 1-24

عرف إنتاج النفط في الجزائر تطورا ملحوظا منذ اكتشافه سنة 1956 حيث وصل الإنتاج من 0.4 مليون طن سنة 1958 إلى 20.7 مليون طن سنة 1962[1]، الشكلين (2) و(3) يمثلان تطور انتاج وتصدير النفط الخام للفترة 1987 -2014.

الشكل رقم2: تطور الطاقة الانتاجية للنفط الخام في الجزائر

الشكل رقم3:ايرادات تصدير النفط الخام في الجزائر (1987–2014)



المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على التقارير السنوية لمنظمة OPEC[2].

يظهر من خلال الشكلين أن الطاقة الإنتاجية والتصديرية للمحروقات الجزائرية قد حققت تطورا كبيرا وسلكت اتجاها متزايدا بشكل عام رغم الانخفاضات التي عرفتها في بعض الأوقات نتيجة تراجع إنتاج بعض الحقول النفطية في السنوات الأخيرة من جهة، وتداعيات الأزمات التي مست السوق النفطية العالمية من جهة أخرى ناهيك عن طبيعية هذه السوق التي تتميز بعدم الاستقرار.

إن المكانة التي تحتلها المحروقات في إجمالي الصادرات الجزائرية ليست بالهينة، فرغم الظروف الداخلية التي عاشتها الجزائر بعد أزمة 1986 ودخولها في إعادة هيكلة للاقتصاد قصد انتهاج المذهب الرأسمالي القائم على الخوصصة والتنويع الاقتصادي إلا أن حصة الأسد بقيت من نصيب قطاع الموارد الطبيعية (المحروقات) بنسبة تفوق 95 % من إجمالي الصادرات. هذا الوضع يدفع بالاتجاه نحو تقصي نصيب أهم القطاعات في تكوين الناتج الداخلي الخام.

لم تتعد حصة الصادرات خارج قطاع المحروقات في المتوسّط نسبة 2.9% من إجمالي الصادرات خلال الفترة (2000-2014)، وتتمثل أهم المنتجات غير النفطية في التمور والزيوت ... الجدول التالي يوضح أهم المنتجات التي تصدر إلى الخارج من حيث القيمة.

[1] BPsatistical review of world energy, june, 2008 sur lesite : http://www.bp.com/statisticalreview .
[2] OPEC: Annual statistical bulletins : 2007-2012-2015

الجدول رقم (1): أهم المنتجات المصدرة خارج قطاع المحروقات بالمليون دولار أمريكي خلال الفترة (2011-2014)

أهم المنتجات	2011		2012		2013		2014		2015	
	القيمة	%	القيمة	%	القيمة	%	القيمة	%	القيمة	%
الزيوت والمواد المستخلصة من الزفت	836.01	40.54	909.17	41.57	1066.44	49.26	988.55	36.35	588.07	28.51
الأمونياك	371.73	18.08	481.21	22.00	303.48	14.02	567.81	21.99	502.31	24.35
سكر القصب أو البنجر	265.23	12.86	207.97	9.51	272.15	12.57	228.14	8.84	149.85	21.27
فوسفات الكالسيوم	128.34	6.22	152.88	6.99	96.57	4.46	95.96	3.72	95.29	4.62
الكحول	41.75	2.02	49.03	2.24	45.19	2.09	47.32	1.83	35.30	1.71
غاز الهيدروجين، وغازات نادرة	39.14	1.90	36.04	1.65	38.96	1.80	47.01	1.82	24.95	1.21
مياه (بما فيها المياه المعدنية)	25.72	1.25	31.13	1.42	33.67	1.56	-	-	-	-
التمور	23.37	1.13	24.71	1.13	29.49	1.36	38.79	1.50	34.44	1.67
جلود مدبوغة	20.33	0.99	14.87	0.68	-	-	-	-	-	-
الزنك الخام	19.05	0.92	14.85	0.68	-	-	-	-	-	-
الأسمدة المعدنية	-	-	9.33	0.45	38.32	1.77	292.42	11.33	438.85	21.27
خضر وفواكه	-	-	7.71	0.37	18.24	0.84	-	-	-	-
الهيدروكربونات	-	-	-	-	-	-	123.74	4.79	37.01	1.79
ثلج على شكل صفائح أو الواح	-	-	-	-	-	-	11.80	0.46	9.89	0.48
المجموع الفرعي	1771	85.87	1939	88.67*	1943*	89.72	2392	92.62	1916	92.87
المجموع الكلي	2062	100	2187	100	2165	100	2582	100	2063	100

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على التقارير السنوية لمديرية الجمارك

إن النتائج التي يقدمها التحليل الأولي لهيكل تكوين الناتج الداخلي الخام بما فيه أهم المنتجات المكونة لسلة الصادرات الجزائرية، تدفعنا للوقوف على أهم المحددات التي تؤثّر في فرص تحقيق التنويع الاقتصادي في هذا البلد. القسم التالي سيعنى بدراسة تطبيقية لتقصي اهم هذه المحددات.

الاطار التطبيقي:

1/ منهجية الدراسة: غالبا ما تشير النظرية الاقتصادية إلى وجود علاقة في المدى الطويل بين متغيرين أو أكثر، وحتى لو ابتعدت هذه المتغيرات عن قيمتها التوازنية، توجد قوى تعيدها إلى حالة التوازن وتضمن تحقيق العلاقة في المدى الطويل. إن دراسة هذه العلاقة تضعنا أمام مشكل عدم استقرار معظم السلاسل الزمنية (خاصة التي تمثل متغيرات اقتصادية كلية)، وفي هذه الحالة غياب صفة الاستقرار يؤدّي غالبا إلى الحصول على نتائج تقدير زائفة وهو ما بينته دراسة C.W.J.Granger وP.Newbold (1974). صحيح أن المفاضلة تسمح بإعادة الاستقرار لهذه السلاسل الزمنية، غير أنها في هذه الحالة، قد تفقد كل المعلومات المرتبطة بسلوك هذه المتغيرات في المدى الطويل، الأمر الذي يشكل عقبة إذا كان اهتمامنا منصبا في دراسة هذه العلاقة، لذلك يستخدم في هذه الحالة اختبار التكامل المتزامن (Cointegration test) الذي أدخل من طرف C.W.J.Granger (1981)، والذي يسمح بدراسة العلاقة في المدى الطويل بين السلاسل الزمنية غير المستقرة والمتكاملة من نفس الدرجة، كما يسمح بالتغلب على مشكلة الانحدار الزائف الذي يمكن أن يظهر بين السلاسل الزمنية غير المستقرة. اقترح كل من R.F.Engle وW.J.Granger

(1987) طريقة لاختبار علاقة التكامل المتزامن على مرحلتين، تقوم المرحلة الأولى على تقدير علاقة الانحدار التالية باستخدام طريقة المربعات الصغرى العادية: $X_t = \alpha + \beta Y_t + e_t ....(1)$

في حين تقوم المرحلة الثانية على اختبار استقرارية حد الخطأ العشوائي U_t لمعادلة الانحدار السابقة. فإذا كانت هذه الأخيرة مستقرة عند المستوى (0)I، فهذا يعني وجود علاقة تكامل متزامن بين المتغيرين X وY.

ولدراسة علاقة المدى الطويل بين مجموعة متغيرات متكاملة من نفس الدرجة، هناك أيضا إختبار التكامل المتزامن لـ Johansen (1988)، الذي يسمح بحساب عدد علاقات التكامل المتزامن من خلال حساب عدد أشعة التكامل المتزامن، والمسماة برتبة مصفوفة التكامل المتزامن. ويقوم هذا الاختبار على تقدير النموذج التالي:

$$\Delta Y_t = A_0 + A_1 \Delta Y_{t-1} + A_2 \Delta Y_{t-2} + ...\ .... + A_p \Delta Y_{t-p+1} + \pi Y_{t-1} + \varepsilon \quad ..(2)$$

حيث أن: المصفوفة π تكتب على الشكل التالي: $\pi = \sum_{i=1}^{p} A_{i-1}$ ، p: عدد التباطؤات في النموذج، $R_g(\pi_p) = r$ رتبة المصفوفة π التي تمثل عدد علاقات التكامل المتزامن.

في هذا الصدد، أثبت كل من R.F.Engle وC.W.J.Granger (1987) أنه يمكن تقدير العلاقة الحقيقية بين السلاسل الزمنية التي تربط بينها علاقة تكامل متزامن من خلال تمثيلها بنموذج لتصحيح الأخطاء *ECM*، ويمكن تمثيل نموذج تصحيح الأخطاء ما بين متغيرين مثلا بالمعادلة التالية:

$$\Delta X_t = \alpha_0 + \alpha_1 e_{t-1} + \sum_{i=1}^{m} \alpha_i \Delta X_{t-i} + \sum_{j=1}^{n} \alpha_j \Delta Y_{t-j} + \varepsilon_t ....\ ..(3)$$

حيث يمثل e_{t-1} حد تصحيح الخطأ المقدر في المعادلة (2)، والذي يشير ضمنيا إلى سرعة التكيف من الأجل القصير إلى الأجل الطويل، أي أنه يقيس مقدار التغير في المتغير التابع نتيجة لانحرافات المتغيرات المستقلّة في الأجل القصير عن قيمها التوازنية في الأجل الطويل بمقدار وحدة واحدة.

وكما جرت العادة عند استخدام السلاسل الزمنية، خصوصاً في تحليل الحالات القطرية، يتم أولا اختبار استقرار السلاسل الزمنية للمتغيرات المشمولة بالتحليل وذلك باستخدام اختبار ديكي- فولر المطور للجذور الوحدية (ADF)، من أجل القيام بهذا الاختبار، نستعمل طريقة المربعات الصغرى لتقدير النموذج التالي بالنسبة لكل متغير مدروس، حيث أن : j: عدد التأخرات في النماذج التي تحدد باستعمال معامل Schwarz وAkaike. وكما هو معروف يمكن تطبيق هذا الاختبار لمستويات المتغيرات، أو للفرق بين القيم المتتالية لكل متغير.

$$\Delta X_t = \alpha + \beta X_{t-1} + \sum_{j=1}^{k} \delta_i \Delta X_{t-j} + U_t ....\ ...(4)$$

2/النتائج التطبيقية: استنادا إلى المقاربات النظرية والدراسات التطبيقية سابقة الذكر، يأخذ نموذج الدراسة الشكل التالي:

$$HHI = f(RENT, ICRG, HUCAP, FDI, , INFRA)$$

حيث يمثل: HHI مؤشر التركيز الاقتصادي كممثل لدرجة التنويع الاقتصادي كمتغير تابع (المصدر:UNCTAD[1] و(H.B.Hammouda,N.Oulmane & S.Jallab(2009)[2]، أما المتغيرات المستقلّة فهي: RENT: الريع النفطي(المصدر:

[1] http://www.unctad.org

[2] H.B.Hammouda,N.Oulmane & M.S.Jallab(2009), D’une Diversification Spontanée à une Diversification Organisée : Quelles politiques pour diversifier les économies d’Afrique du Nord ?, revue economique, vol 60,n° 1,p145

(المصدر: INDEX MUNDI[1]، ICRG: المؤشر المرطب لدليل المخاطر القطرية للبلد (ممثلا للاطار المؤسسي للبلد) (المصدر: دليل المخاطر القطرية للبلد ICRG[2])، HUCAP: التعليم الثانوي (طلاب الثانوية العامة) كممثل لرأس المال البشري (المصدر:WDI[3])، FDI: الاستثمار الأجنبي المباشر الوافد إلى الجزائر(المصدر: WDI)، وINFRA: معدل استهلاك الهاتف الثابت لكل 100شخص (المصدر:WDI).

- **اختبار جذر الوحدة :** يهدف هذا الاختبار إلى فحص استقراريه السلاسل الزمنية ، ورغم تعدد اختبارات جذر الوحدة إلا أنه سيتم الاعتماد على اختبار كل من (ADF)، اختبار phillips – perron (PP)، وإختبار Kwiatowski, Phillips Schmidt and Shin(KPSS)

الجدول رقم(2): نتائج اختبار استقرار السلاسل الزمنية

المتغيرات	القرار (الرتبة)	ADF		PP		KPSS	
		عند المستوى	الفرق الأول	عند المستوى	الفرق الأول	عند المستوى	الفرق الأول
HHI	I(1)	-0.111	-4.864	-0.105	-4.854	0.123	0.073
RENT	I(1)	-0.236	-6.057	-4.412	-6.445	0.560	0.130
ICRG	I(1)	-0.508	-4.663	-0.505	-4.647	0.148	0.097
HUCAP	I(1)	-0.143	-4.340	6.556	-3.202	0.679	0.154
FDI	I(1)	-2.241	-6.186	0.767	-7.362	0.554	0.311
INFRA	I(1)	3.398	-4.521	1.974	-4.394	0.664	0.184
E	I(0)	-4.079	-	-4.036	-	0.060	-

The 5% Critical Value : ADF :-1.95 , PP : -1.95 , KPSS: 0. 146

من خلال الجدول رقم(3) تم قبول الفرضية العدمية القائلة بوجود جذر الوحدة بالنسبة لكل متغيرات الدراسة عند المستوى بينما تم رفض هذه الفرضية بالنسبة للفرق الأول، مما يعني ان هذه المتغيرات متكاملة عند الفرق الأول I(1) وعند مستوى معنوية 5%. إذن يمكن إجراء اختبار التكامل المتزامن

- **اختبار التكامل المتزامن:** يسمح هذا الاختبار بتحديد عدد متجهات التكامل المتزامن ،أين يتم من خلاله اختبار ما إذا كانت هنالك علاقة بين متغيرات النموذج في المدى الطويل. الجدول رقم(4) يظهر نتائج هذا الاختبار.

الجدول رقم(3): نتائج اختبار التكامل المشترك لـ Johansen

الافتراض (عدد المتجهات المتزامنة)	الجذور المميزة (eigenvalues)	الأثر الاحصائي (trace statistic)	القيمة الحرجة عند5%	الاحتمال Prob**
لا يوجد اتجاه متزامن*none	0.726111	100.2544	95.75366	**0.0236**
على الأكثر اتجاه 1	0.674552	65.28849	69.81889	**0.1090**
على الأكثر اتجاهين 2	0.482890	34.97959	47.85613	**0.4491**
على الأكثر 3 اتجاهات	0.246569	17.17309	29.79707	**0.6272**
على الأكثر 4 اتجاهات	0.219862	9.528925	15.49471	**0.3187**
على الأكثر 5 اتجاهات	0.099350	2.825234	3.841466	**0.0428**

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج eviews 9.

[1] http://www.indexmundi.com/
[2] www.prsgroup.com
[3] www.worldbank.org

من الجدول أعلاه يتضح أن λ_{trace} أصغر من القيم الحرجة عند مستوى معنوية 5% وبالتالي نقبل الفرضية العدمية H_0، أي وجود علاقة للتكامل المتزامن. من جهة أخرى، يتضح أن عدد متجهات التكامل المتزامن هو r= 1 عند مستوى معنوية 5%، وهذا يعني أن مؤشر التركيز الاقتصادي متكامل تكاملا متزامنا مع بقية المتغيرات المفسرة، أي وجود توليفة خطية ساكنة بين درجة التركيز الاقتصادي ومحدداته، مما يدل على وجود علاقة توازنية طويلة الأجل بين المتغيرات، أي أنها لا تبتعد كثيرا عن بعضها البعض في المدى الطويل بحيث تظهر سلوكا متشابها.

و للقيام باختبار التكامل المتزامن لكل من Engel وGranger (1987)، فإنه يمكن تقدير علاقة الانحدار الممثلة بالمعادلة (1)، النتائج موضحة في الجدول التالي:

الجدول رقم (4): نتائج اختبار التكامل المتزامن لـ Engle وGranger

المتغيرات المستقلّة	المتغير التابع HHI			
	المعلمة	الانحراف المعياري للأخطاء	احصاءة- t	الاحتمال
C	0.438182	0.034860	12.56958	0.0000
FDI	-0.001996	0.010255	-0.194629	0.8474
RENT	-0.000746	0.001769	-0.421637	0.6772
HUCAP	-4.53E-08	1.74E-08	-2.612856	0.0156
INFRA	0.021714	0.010209	2.126932	0.0444
ICRG	0.002409	0.000661	3.646646	0.0013
FDI	0.438182	0.034860	12.56958	0.0000
RENT	-0.001996	0.010255	-0.194629	0.8474
معامل التحديد	0.578565	قيمة D-W	1.882755	
قيمة احصاءة F	6.315099	احتمال احصاءة F	0.000794	

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج eviews 9.

من خلال الجدول أعلاه، يتضح أن قيمة معامل التحديد قد بلغت 0.5785، وهو ما يدل على أن 57.85% من التغيرات التي تحدث في مؤشر التركيز الاقتصادي تفسر من قبل المتغيرات المستقلّة. كما أن احصاءة -Durbin Watson لا توحي بوجود ارتباط ذاتي بين الأخطاء، هذا ويظهر احتمال F-Statistic لفيشر اصغر من 1 % وبالتالي النموذج ملائم لتمثيل العلاقة بين درجة التركيز الاقتصادي ومحدداته في المدى الطويل.

أما من ناحية التأثير فنجد أن معامل هرفندل هرشمان يتأثر معنويا في المدى الطويل بكل من رأس المال البشري بعلاقة سالبة، ومؤشر الاطار المؤسساتي والبنية التحتية بعلاقة إيجابية. أما فيما يخص كل من الريع البترولي والاستثمار الأجنبي المباشر فلم يكن لها تأثير معنوي على درجة التركيز الاقتصادي في المدى الطويل.

في نفس السياق، ومن خلال نتائج الجدول رقم(3) المتضمن نتائج الاستقرارية تم قبول الفرضية البديلة القائلة بعدم وجود جذر الوحدة في سلسلة بواقي معادلة الانحدار (1) مما يعني أنها متكاملة عند المستوى I(0) ، وهذا ما يدل على وجود علاقة طويلة الأجل، أي يوجد علاقة تكامل متزامن بين مؤشر التركيز الاقتصادي وبقية محدداته. وعليه، يمكن تقدير العلاقة الحقيقية بين السلاسل الزمنية التي تربط بينها علاقة تكامل متزامن، من خلال تمثيلها بنموذج لتصحيح الأخطاء. في هذه الحالة سيأخذ هذا النموذج الصيغة التالية:

$$\Delta HHI_t = \alpha + \beta\, e_{t-1} + \sum \delta_{it} \Delta X_{it} + \sum \phi_{it} \Delta X_{i_{t-1}} + \gamma\, \Delta HHI_{t-1} + \varepsilon_t ....(2)$$

حيث يمثل X المتغيرات المفسرة. نتائج تقدير هذه المعادلة باستخدام طريقة المربعات الصغرى العادية.

من خلال الجدول أعلاه، يتضح أن قيمة معامل التحديد قد بلغت 0.5222 ، وهو ما يدل على مقدرة النموذج على تفسير 52.23% من التغيرات التي تحدث في مؤشر التركيز الاقتصادي من طرف المتغيرات المستقلّة، كما أن احصائية Durbin-Watson لا توحي بوجود ارتباط ذاتي ما بين الأخطاء.

من جهة أخرى تظهر معلمة حد تصحيح الخطأ ECM معنوية عند مستوى دلالة 5% وذات إشارة سالبة (-0.615) وبالتالي يتم التحقق من صحة تصحيح الخطأ، وهذا يعني أن سلوك المتغير التابع يستغرق فترة واحدة حتى يصل إلى وضع التوازن في الأجل الطويل، وأن آلية تصحيح الخطأ الموجودة بالنموذج تقيس عن طريق معلمتها سرعة العودة إلى وضع التوازن في الأجل الطويل.

أما من ناحية التأثير فنجد أن مؤشر التركيز الاقتصادي الذي يعبر عن درجة التنويع في الجزائر لا يتأثر بأي متغير في المدى القصير، وهذا صحيح من الناحية النظرية لأن التنويع الاقتصادي لا يمكن أن يحدث في فترة قصيرة.

3/تحليل النتائج:

- بالنسبة للاستثمار الأجنبي المباشر فقد أظهرت النتائج وجود علاقة عكسية مع مؤشر التركيز الاقتصادي (-0.0019) وهذا إن كان يدل على شيء إنما يدل على طبيعة العلاقة الايجابية التي تربط بين هذا المتغير والتنويع الاقتصادي كأحد المحددات التي تؤثّر في تعزيزه من الناحية النظرية، غير ان غياب معنوية هذا المحدد في حالة الاقتصاد الجزائري قد تعزى إلى خاصية الاستثمار الأجنبي المباشر الذي يوجه بنسبة كبيرة نحو قطاع المحروقات.
- ظهور متغير الاطار المؤسساتي ICRG بإشارة موجبة وعند مستوى معنوية 1 % (0.0024)، يعود الى طبيعة الجانب المؤسساتي الذي يؤثر في بقاء درجة التركيز الاقتصادي في حالة الجزائر مرتفعة وهو ما يتوافق وجل الدراسات التطبيقية التي عالجت مسألة التركيز الاقتصادي في الدول الغنية بالموارد الطبيعية.
- ظهور متغير الريع الاقتصادي بإشارة سالبة غير معنوية قد يعزى إلى أن إيرادات القطاع النفطي في الجزائر لا تؤثّر في درجة التركيز الاقتصادي وإنما في طبيعية الاطار المؤسسي الذي يحكم طريقة تسيير هذه العوائد.
- فيما يتعلق بمتغير راس المال البشري فقد ظهر بإشارة سالبة وعند مستوى معنوية 5 % وهو ما يثبت أهمية الاستثمار في رأس المال البشري كعامل لتعزيز التنويع الاقتصادي، وهذا إن كان يدل على شيء إنما يدل على مجهودات الدولة في الاهتمام بهذا العنصر الجوهري في مخططاتها التنموية الأخيرة في سبيل النهوض بالاقتصاد الوطني وبناء قاعدة متينة لتعزيز فرص التنويع الاقتصادي.
- أما ظهور متغير البنية التحتية بإشارة موجبة عند مستوى معنوية 5 % ، فقد يعزى إلى اهتمام الدولة بهذا الجانب في المخططات التنموية خلال السنوات الأخيرة التي ركزت فيها على تعزيز البنى التحتية والاسكان والتعليم والصحة بالدرجة الأولى .

خاتمة:

بعدما تم تسليط الضوء على حيثيات الموضوع ، بدءا بدراسة الإطار النظري لموضوع التنويع الاقتصادي واهم محدداته ومؤشرات قياسه، وتحليل أهم المتغيرات المتعلقة بالصادرات الجزائرية بما فيها حصة مساهمة كل قطاع

في تكوين الناتج الداخلي الخام، إلى جانب تقدير نموذج قياسي لدراسة العلاقة بين مؤشر التركيز الاقتصادي وأهم محدداته خلال الفترة (1985-2013) باستخدام منهجية التكامل المتزامن، أثبتت النتائج ان تحقيق التنويع الاقتصادي في الجزائر لا يزال بعيد المنال ويحتاج إلى مجهودات جبارة خاصة في فيما يتعلق بالجانب المؤسساتي والاطار التنظيمي، إلى جانب الاهتمام بقطاعات حيوية قادرة على خلق قيمة مضافة في الاقتصاد في مقدمتها القطاع الصناعي والفلاحي، والقطاع السياحي لما تقدمه من فرص تسمح للاقتصاد الوطني بالانتقال من وضعية التبعية الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية إلى طور التنمية والاستدامة بمختلف أشكالها.

قائمة المراجع:

- **باللغة العربية:**

1 - ممدوح عوض الخطيب، أثر التنويع الاقتصادي على النمو الاقتصادي في القطاع غير النفطي السعودي، المجلة العربية للعلوم الادارية، المجلد 18، العدد 2، 2011، ص212.

- **باللغة الأجنبية :**
- **المقالات العلمية:**

1- A. Elhiraika & M. Mbate, Assessing The Determinants of Export Diversification in Africa, Applied Econometrics and International Development, vol14-1, 2014

2- Ahmed Al Kawaz, Economic diversification : The Case of Kuwait Reference to Oil Producing Countries, journal of economic cooperation ,29,03, p 7

3- Akram Esanov(2011), Economic Diversification: Dynamics, detreminents & policy implications,revenue watch institute, 2011.

4- Alen Gelb, Economic diversification in Resource Rich Countries, seminar on natural resources finance & development : confronting old & new challenges, organized by the central bank of Algeria & IMF ,4-5 november 2010.

5- A.Maldonado, R. Pérez-Ocón & A.Herrera, Depression and cognition: New insights from the Lorenz curve and the Gini index, International Journal of Clinical and Health Psychology, vol. 7, n°1, 2007.

6- Anar Ahmadov, Political Determinants of Economic Diversification In Natural Resource-Rich Developing Countries, 2012.

7- D.Laskiene & V.Venckuviene, Lithuania‘s Export Diversification According to Technological Classification, Mediterranean Journal of Social Sciences,Vol 5 n° 7,MCSER Publishing, Rome-Italy, 2014.

8- H.B.Hammouda,N.Oulmane & M.S.Jallab, D’une Diversification Spontanée à une Diversification Organisée : Quelles politiques pour diversifier les économies d’Afrique du Nord ?, revue economique, vol 60,n° 1,2009.

9- Karsten Mau, Export Diversification and Income Differences, Institute of Asian Studies, 2014.

10- L.G.Bellù & P.Liberati, Analyse d’inégalité, indice de Gini, Module EASYPol 040 , Organisation des Nations-Unies pour l’alimentation et l’agriculture ,FAO, decembre 2006, www.fao.org/tc/easypol

11- Luc Désire Omgba, Institutional Foundations of Export Diversification Patterns in Oil Producing Countries, EconomiX, Université de Paris Ouest Nanterre la Défense,2013.

12- Marouane Malaya, The Determinants Of MENA Export Diversification : Empirical Analysis, working paper n°709, economic research forum, 2012.

13- M.H.C.Cabral & P.Veiga, Determinants of Export Diversification & Sophostication in Sub-Saharan Africa, paper presented as part of the NBER project of African development described in Macedo & Pereira, july 2010

14- M.M.Hossain & S.A. Chowdhury,Pattern and Determinants of Export Diversification in Bangladesh: An Empirical Assessment, D.U. Journal of Marketing, Vol. No. 15, 2012.

15- M. Persson & F. Wilhelmsson, EU Trade Preferences and Export Diversification, working paper, 2013:32, Department of Economics, Lund University and Research Institute of Industrial Economics, 2013.

16- O.Cadot, C.Carrère & V.Strauss-Kahn , Trade Diversification, Income, and Growth: What Do We Know?, working paper n°33, development policies, FERDI , 2011.

17- Salomon Samen, A primer on Export Diversification : Key concepts, theoretical underpinnings & emmpirical evidence, growth and crisis unit, world bank institute, 2010.

18- Tolvador Gylfaso, Institutions, Human capital & Diversification of rentier economies, paper prepared foe workshop on transforming authoritarian rentier economies at the friedrich ebert foundation in bonn, 21-24 september 2005

19- Wen-chung Lee,caracterizing exposure-disease association in human populations using the lorenz curve & Gini index,statistics in medicine, vol 16, 1997.

- التقارير:

1- BPsatistical review of world energy, june, 2008 sur lesite : http://www.bp.com/statisticalreview

2- Bulletins statistiques de la banque d'Algérie : n°5(2008), n°13 (2011), n° 32 (2015).

3- Centre national de l'information et des statistiques du commerce extérieur d'Algérie période: année 1995 à 2004.

4- OPEC: Annual statistical bulletins : 2007-2012-2015

5- Rapports annuel de la banque d'Algérie : annexes : tableaux statistiques :2008-2011-2014

6- Rapports annuels de direction générale des douanes, Centre national de l'informatique et des statistiques, statistiques du commerce extérieur de l'Algérie, période : années: 2012-2013-2014.

- المواقع الإلكترونية:

7- http://www.unctad.org

8- http://www.indexmundi.com/

9- www.prsgroup.com

10- www.worldbank.org

المرض الهولندي: دراسة قياسية حالة الجزائر

أ.بوالشعور شريفة
قسم الاقتصاد
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

الملخص:

الهدف الرئيسي لهذا البحث هو تحرى أعراض المرض الهولندي في الاقتصاد الجزائري خلال الفترة 1985-2013، وذلك انطلاقا من النموذج الأساسي ل (1999) ,(Spatafora et Warner (1995، بهدف التأكد من فرضية أن التحسن في معدل التبادل TOT بعد ارتفاع سعر النفط OP يؤدي إلى ارتفاع سعر الصرف الحقيقي الفعلي REER. ولتحقيق من هذا الهدف واختبار فرضية البحث تم استخدام نموذج الانحدار الذاتي VAR.

وتوصلت الدراسة إلى أنه بالرغم من أن المؤشرات الإقتصادية الكلية في الجزائر تشير إلى وجود أعراض المرض الهولندي إلا أن هذه الأعراض لا تظهر على مستوى سعر الصرف الحقيقي الفعلي. وعليه أوصت الدراسة بضرورة تهيأت السياسات الاقتصادية المناسبة، لتحقيق الاستقرار، وتلافي الآثار السلبية التي تسببها التدفقات النقدية المفاجئة الناجمة عن ارتفاع أسعار النفط، وتخفيف وتجاوز أعراض هذا المرض.

الكلمات المفتاحية: معدل التبادل الدولي TOT، أسعار النفط OP، سعر الصرف الحقيقي الفعلي REER، نموذج الانحدار الذاتي VAR، المرض الهولندي DD، الجزائر.

The Abstract:

The main objective of this study is to investigate the symptoms of the Dutch disease in the Algerian economy during the period 1985- 2013. The basic model of Spatafora and Warner (1995) is used in this study to confirm the hypothesis that the improvement in the term of trade after the increase of oil prices leads to an appreciation in the real effective exchange rate. An econometric approach (using Vector Auto-Regression VAR approach) is followed to realize this study. The results show that the macroeconomic indicators in Algeria point to the presence of the symptoms of the Dutch disease, but these symptoms do not appear on the real effective exchange rate. The study recommends the need for the creation of appropriate economic policies to achieve stability, to avoid the negative effects caused by the windfall resulting from the increase of oil prices and to avoid the disease.

Key Words: Term Of Trade TOT, Oil Prices OP, Real Effective Exchange Rate REER, Vector Auto-regression VAR Model, The Dutch Disease, Algeria.

مقدمة :

ان تقلبات أسعار النفط الدائمة يمكن أن تسبب نتائج اقتصادية كلية حادة، حيث عادة ما يصاحب ارتفاع أسعار النفط في الدول المصدرة للنفط زيادة تدفق النقد الأجنبي إلى الاقتصاد الوطني وتراكم فوائض مالية كبيرة لديها، وبالرغم من النواحي الإيجابية الواضحة لتلك الفوائض في تحسين بعض المؤشرات الاقتصادية لهذه الدول، الا أن الاقتصاديين لاحظو بأن لهذه الفوائض مخلفات سلبية ناجمة عن التدفق السريع والمفاجئ للثروة (windfall) في العديد من الدول المنتجة والمصدرة للنفط خاصة النامية منها، والتي تعاني من مشاكل وتشوهات اقتصادية عديدة، إضافة إلى تحقيقها معدلات نمو بطيئة مقارنة بالدول الفقيرة من الموارد، وهذا ما يبدو غير منطقي، ويعود

ذلك حسب بعض المحللين إلى أن وفرة الموارد الطبيعية تؤدي الى عرقلة التقدم الإقتصادي نتيجة ما يعرف بأثر "المرض الهولندي" أو "Dutch Disease ".

المرض الهولندي "The Dutch Disease" العلة الهولندية "Dutch Syndrome"، اللعنة الهولندية "Dutch cruse" لعنة الموارد "Resource Cruse"، كل هذه المصطلحات تشير إلى الظاهرة الاقتصادية التي ترافق مرحلة إزدهار الموارد وما يترتب عليها من آثار سلبية على الاقتصاد المحلي، وهذه الظاهرة الاقتصادية أو المرض الاقتصادي تم الإشارة إليها لأول مرة وتسميتها كذلك من قبل مجلة الايكونوميست "**the economist**"[1]، وتشير هذه الظاهرة حسب غوردن CORDEN (1984) إلى الأثر العكسي الذي خلفه إكتشاف الغاز الطبيعي على الصناعة الهولندية خلال الستينات، خاصة بعد الارتفاع الكبير في قيمة العملة الهولندية.

وعلى غرار باقي الدول التى كان لها تجربة مع المرض الهولندي فإن التركيز على انتاج قطاع النفط المزدهر في الجزائر سبب تراجع الانتاجية في قطاعات أخرى، وهذا ما أدى الى تراجع الصناعات التصديرية المحلية وتفاقم بعض المشاكل الاقتصادية التي تعزى في بعض الأحيان الى أعراض المرض الهولندي. وتسعى هذه الدراسة إلى تشخيص أعراض المرض الهولندي في الاقتصاد الجزائري من خلال صياغة نموذج قياسي يعكس العلاقة الديناميكية طويلة المدى بين تقلبات أسعار النفط ومجموعة من المتغيرات الاقتصادية الكلية ذات العلاقة المباشرة مع المرض الهولندي على غرار سعر الصرف الحقيقي الفعال، ومعدل التبادل الدولي.

في حالة ارتفاع أسعار النفط بشكل مستمر فإن أثر ذلك على الاقتصاد الجزائري لابد أن يكون معنوي اذ يتوقع أن ذلك سيحقق أرباح مفاجئة في الاقتصاد المحلي ويسمح بتحسن ميزان المدفوعات، كما أن ارتفاع أسعار النفط يتوقع أن يؤدي إلى ارتفاع سعر الصرف الحقيقية، كما أن ذلك من شأنه أن يؤثر على معدل التبادل الدولي ايجابيا وهو ما يسمح بانتقال الثروة من الدول المستوردة للنفط الى الاقتصاد المحلي الجزائري. وفي هذا السياق يتبادر إلى الذهن التساؤل حول :

ما إذا كان الاقتصاد الجزائري يعاني من أعراض المرض الهولندي خلال فترة الدراسة ؟

وخدمة لهدف البحث فقد تم صياغة الفرضية الرئيسية التالية:

الاقتصاد الجزائري يعاني من أعراض المرض الهولندي:

- يوجد أثر ذو دلالة احصائية لأسعار النفط على معدل التبادل الدولي عند مستوى معنوية 5%.
- يوجد أثر ذو دلالة احصائية لأسعار النفط على سعر الصرف الحقيقي الفعلي عند مستوى معنوية 5%.
- يوجد أثر ذو دلالة احصائية لمعدل التبادل الدولي على سعر الصرف الحقيقي الفعلي عند مستوى معنوية 5%.

الاطار النظري للدراسة Theoretical Framework :لتحري أعراض المرض الهولندي في الجزائر نظريا يجب:

أولا: تحليل الأهمية النسبية للقطاعات الرئيسة في الناتج المحلي الإجمالي .

ثانيا: تحليل معدل التبادل الداخلي في الجزائر.

ثالثا: تحليل أثر سعر النفط على سعر الصرف في الجزائر.

1 تحليل الأهمية النسبية للقطاعات الرئيسية في الناتج المحلي الاجمالي Gross Domestic Product :

[1]- استخدم مصطلح المرض الهولندي "The Dutch Disease" لأول مرة في مجلة " The Economist" في 26 نوفمبر 1977 ص 3-82.

الجزائر كغيرها من الدول المصدرة للنفط، القطاع النفطي يسهم بشكل كبير في الناتج المحلي الاجمالي، وهو ما يوضحه الشكل رقم (-1) (أنظر الملحق رقم 01) فان القطاع النفطي شكل سنة 2013 حوالي 34.7% من الناتج المحلي الاجمالي في مقابل 59.2% بالنسبة للقطاعات المختلفة الأخرى مجتمعة، و 6.1% فقط بالنسبة لحقوق ورسوم على الواردات.

وحسب الشكل يلاحظ أن هيكل الاقتصاد الجزائري يتميز بتركيبة قطاعية تتوافق مع الطرح المقدم من قبل نظرية المرض الهولندي، حيث يلاحظ أن القطاع المهيمن على تركيبة الناتج المحلي الإجمالي هو قطاع المحروقات (القطاع المزدهر) والذي يمثل 34.1% من اجمالي الناتج المحلي الاجمالي، كما يلاحظ المكانة المعتبرة التي يحتلها قطاع السلع غير القابلة للتبادل (البناء والأشغال العمومية والخدمات) بنسبة تقدر ب حوالي 29.5%، بينما يلاحظ تدهور القطاع الزراعي والصناعي (السلع القابلة للتبادل)، إذ لا يساهمان في الناتج المحلي الاجمالي الا بنسب هامشية. الظاهرة يمكن أن تترجم ب تفكك زراعي "désagriculturation" أو تفكك صناعي "désindustrialisation"، اذ أن هناك تخصص مفرط "hyperspécialisation " أدى إلى اختلالات وظيفية خطيرة في الاقتصاد الكلي[1].

تحليل معدل التبادل التجاري (أو الدولي) في الجزائر Term Of Trade (TOT): يعبر معدل التبادل الدولي عن نسبة مؤشر سعر الصادرات إلى مؤشر سعر الواردات[2]، وبالتالي فانه في حالة ارتفاع أسعار الصادرات بمعدل أكبر من ارتفاع أسعار الواردات فإن ذلك يؤدي إلى تحسن معادل التبادل الدولي لصالح الدولة المصدرة، وفي الحالة المعاكسة حيث تنخفض أسعار الصادرات فإن ذلك يكون في غير صالح الدولة المصدرة ويؤدي ذلك إلى تدهور في معدل التبادل. وعليه فإن ال TOT يتأثر بتقلب أسعار الصادرات والواردات، ومنه فإن سعر الصرف والتضخم يمكن أن يؤثرا على اتجاه تغير معدل التبادل الدولي للبلد. كما يتوقع أن يؤدي التحسن في معدل التبادل التجاري إلى تحسين الميزان الجاري في ميزان المدفوعات مما سيترتب عليه إرتفاع في سعر الصرف الحقيقي التوازني. (وهذه العلاقة التبادلية بين متغيرات الدراسة سيتم التطرق إليها في الجانب العملي للبحث).وبما أن الجزائر تعتمد كما سبق توضيحه بشكل كبير على تصدير النفط، ولهذا فإن التقلبات في أسعار النفط تؤثر بشكل كبير على معدل التبادل التجاري. والشكل البياني رقم (-2) (في الملحق رقم 02) يوضح العلاقة الوثيقة بين معدل التبادل التجاري TOT وسعر النفط خلال فترة الدراسة (1985-2013). فعلى سبيل المثال خلال الفترات التي عرفت انهيار أسعار النفط (سنة 1986، 1998، 2009) يلاحظ حدوث تدهو وانخفاض معدل التبادل الدولي، وفي هذه الفترات عرفت الجزائر على غرار باقي الدول المصدرة للنفط مشكلة كبيرة قامت بمواجهتها من خلال تصديركمية أكبر من النفط وذلك حتى تتمكن من تغطية وارداتها، الأمر الذي كان له بالغ الأثر على مستوى الامدادات النفطية في السوق الدولي.

تحليل أثر سعر النفط على سعر الصرف في الجزائر Real Effective Exchange Rate (REER): أثبتت العديد من الدراسات الأثر الهام لسعر النفط على أسعار الصرف، كما يمكن ان يكون سعر النفط كاف لتفسير كل التحركات التي تحدد سعر الصرف الحقيقي على المدى البعيد[3]، وقد استخدمت هذه الدراسة سعر الصرف الحقيقي الفعلي

[1]-Nakoumdé Ndoumtar, "Boom PETROLIER ET RISQUES D’UN SYNDROME HOLLANDAIS AU TCHAD : UNE APPROCHE PAR LA MODELISATION EN EQUILIBRE GENERAL CALCULABLE", Thèse de Doctorat Nouveau Régime en Sciences Economiques, Faculté des Sciences Economiques et de Gestion, Université d’Auvergne Clermont - Ferrand I, France, 2007, p 59.

[2]- يتم حساب معدل التبادل الدولي من خلال العبارة: معدل التبادل التجاري=(أسعار الصادرات/أسعار الواردات)×100 أو $TOT = (Px / Pm) \times 100$.

[3] - Leili Nikbakht, "Oil Prices and Exchange Rates: The Case of OPEC", Business Intelligence Journal, Vol 03, N 01, p p 83-92, 2010, p 84.

REER، والذي يعتمد في الحقيقة على تقلبات أسعار النفط، عادة ارتفاع أسعار النفط يتبعها ارتفاع في عملات الدول المصدرة للنفط، وهذا ما يخفض تنافسية السلع الصناعية والخدمات في السوق العالمية[1].

عرف سعر الصرف الحقيقي الفعلي نوع من الاستقرار خلال الفترة 1995- 2005. وحسب تقرير صندوق النقد الدولي لسنة 2011[2] فقد عرف سعر الصرف الحقيقي الفعلي ارتفاعا مهما انطلاقا من سنة 2007، ليرتفع خلال الأشهر السبعة الأولي لسنة 2010 ب 6.5%، بعد هبوط قدر ب 7% سنة 2009، ويبقى سعر الصرف الحقيقي الفعال قريبا من مستواه التوازني، وهذا يعكس التطور في العوامل التحتية خاصة فيما يخص ارتفاع أسعار النفط وكذا ارتفاع الانفاق الحكومي الناتج عن ارتفاع أسعار النفط وتوفر فوائض مالية. (أنظر الشكل البياني في الملحق رقم 03).قد واصل البنك الجزائري تطبيق سياسة نشطة لسعر الصرف المعوم المدار، بهدف ابقاء سعر الصرف الحقيقي الفعال قريبا من مستواه التوازني والتقليل من أخطار الاختلالات الناجمة عن عدم ثبات أسعار صرف اليورو Euro والدولار US$، وبعد انكماش يقدر ب 1.7% سنة 2013، تراجع سعر الصرف الحقيقي الفعلي أكثر سنة 2014 ب 0.9% خلال السبع أشهر الأولى للسنة. ولقد صاحب ذلك انخفاض في سعر الصرف الاسمي الفعلي ب 0.3%، الا أن سعر الصرف الحقيقي الفعلى يبقى مرتفع وهو ما يؤذي تنافسية الاقتصاد الجزائري[3]. وتوازن سعر الصرف الحقيقي الفعال في السنوات القليلة الماضية ارتفع، مما يعكس الزيادة الجوهرية في الانفاق الحكومي، مما ينطوي على مخاطر أثار المرض الهولندي Dutch disease في تقليل الرفاهية[4].

الاطار القياسي للدراسة Econometric Framework: في نماذج ال VAR تعالج كل المتغيرات بصفة مماثلة وبدون شرط إقصاء، مع إدخال عامل التباطؤ لكل المتغيرات في كل المعادلات ليعطي للنظام الطبيعة الحركية، وهذه النماذج عبارة عن تعميم لنماذج الإنحدار الذاتي إذ يتكون من نظام لجملة معادلات بحيث كل متغيرة هي عبارة عن توليفة خطية لقيمها الماضية والقيم الماضية لمتغيرات أخرى بالإضافة إلى الأخطاء العشوائية[5]، ولهذا عادة ما تكون المتغيرات غير معنوية إحصائيا كما يصعب تفسيرها وعليه يتم الإعتماد على إختبارF للمعادلة ككل لتحديد قبول النتائج، كما يصعب تفسير وتحليل معاملات المتغيرات المستخدمة مما يوجب إستخدام إختبار السببية Granger Causality، وإختبار دالة الإستجابة الفورية Impulse–response function وإختبار تحليل مكونات التباين Variance Decomposition، لتوضيح العلاقة طويلة الأجل بين المتغيرات المدروسة.

- 1 عرض بعض الأدبيات التطبيقية للدراسة An Overview of the Empirical Literature تم تشخيص مفارقة ضعف النمو الاقتصادي في الدول النامية الغنية بالموارد الطبيعية لأول مرة في مجلة الايكونوميست "**the economist**"، حيث فسرت هذه المفارقة لأول مرة بما يعرف بالمرض الهولندي "Dutch disease"، وتعود تسمية الظاهرة كذلك كونها لوحظت لأول مرة خلال سنوات الستينات نتيجة الآثار السلبية التي ظهرت في الاقتصاد الهولندي بعد اكتشاف الغاز الطبيعي. بعد ذلك خلال السبعينات تزايد إهتمام الباحثين في الميدان الإقتصادي بدراسة أثر الصدمات النفطية على اقتصاد الدول المصدرة للنفط، وفي هذا الصدد نجد العديد من الدراسات التي تناولت الموضوع على

[1] - Mammad Babayuv, " The Impact of Oil Price Shock On Economy: Empirical Evidence From Azerbaijan", Unpablished thesis for the Degree of Master of Arts, Budapest, Hungary, 2010, P 12.
[2] - IMF Country Report No. 11/39, febrary 2011, p 06.
[3]-INTERNATIONAL MONETARY FUND, IMF Country Report, "New Estimates of the Equilibrium Real Effective Exchange Rate for Algeria ", No. 14/341, 2014, p 05.
[4] - IMF Country Report, Op.cit, p 09.
[5]- شيخي محمد، "**طرق الاقتصاد القياسي: محاضرات وتطبيقات**"، دار الحامد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الأردن، 2012، ص 269.

غرار الدراسة التي قام بها Mabro et Munroe (1974)، وتواترت بعدها الأبحاث خلال فترة الثمانينات وهي الفترة التي تزامنت مع الإزدهار النفطي وتحقيق الفوائض المالية في الدول النفطية، لتعقبها بعد ذلك فترة إنهيار أسعار النفط منتصف الثمانينات، ومن أهم الدراسات التي تطرقت لظاهرة المرض الهولندي خلال هذه الفترة نجد دراسة ل Neary et van Wijinbergen (1984) الذي قام بتحرى الأثر القصير المدى لأسعار النفط والسياسة الاستخراجية، وكيف يؤثر سعر النفط على التشغيل والتضخم، وقد تم استخدام نموذج سالتر-ساون لتحليل ظاهرة المرض الهولندي، وقد تكونت عينة الدراسة من العينة هي دول الخليج، أمريكا اللاتينية، بريطانيا، مصر، اندونيسيا خلال الفترة 1973-1974 و 1979-1980، وأظهرت نتائج الدراسة أن العوائد النفطية المرتفعة يمكن أن ترتبط مع الانتقال الذي يخلق نوع من الضغط على أسعار السلع الغير تجارية، وانتقال الموارد الى خارج القطاع التجاري.

هذه الظاهرة تم تفسيرها بشكل أوضح من خلال نظرية Corden et Neary (1982) و corden (1984). حيث تم التحقق من النظرية بشكل تجريبي. هذا "المرض" يستخدمه الاقتصاديون ليس فقط للتعبير عن نتائج تصدير النفط وانما للتعبير عن النتائج التي يخلفها تصدير أي منتج أولي آخر: النحاس، الكاكاو...الخ.

ومن أهم الدراسات كذلك خلال فترة التسعينات نجد يمكننا احصاء دراستين ل Spatafora et Warner (1995، 1999) الّذين قاما بمعالجة الموضوع من خلال استخدام بيانات مدمجة panel. خلال الفترة 1973 الى 1989 ل 18 بلد مصدر للنفط، وتوصلت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن صدمة إيجابية على معدل التبادل تزيد الإنتاج وأسعار السلع الغير تبادلية تؤدي إلى إرتفاع العملة المحلية. مع ذلك الأثار السلبية للمرض الهولندي على الانتاج غير ظاهرة. حيث لا ينكمش الانتاج الزراعي والصناعي كرد فعل لإرتفاع سعر النفط.

وقد شهدت فترة التسعينات ظور نظرية جديدة تفسر أثر عوائد النفط والغاز، وقطاع المعادن عموما على سلوك الحكومة وفي هذا الصدد نجد دراستين لكل من Auty (1990)، و Ascher (1999) الذين تطرقا إلى نظرية rent-seeking الدولة الباحثة عن الريع. حديثا يلاحظ تزايد الاهتمام الكبير من قبل الاقتصاديين وصناع السياسات بخصوص الأثار السلبية التي يمكن أن تخلفها صدمة إيجابية في أسعار النفط على الدول النفطية، أو ما يعرف بأثر المرض الهولندي، حيث نجد زخم كبير من الدراسات والأبحاث المتأخرة بداية سنتكلم على الدراسات التي اهتمت بأثر معدل التبادل على معدل الصرف الحقيقي في سياق المرض الهولندي، عنصر من عناصر الدراسة. Roemer (1985)، حول المكسيك، نيجيريا، فينزويلا، (1988) Looney حول المملكة السعودية، و (1991) Looney حول الكويت، كل هذه الأعمال أكدت وجود ظاهرة المرض الهولندي بالنسبة لكل هذه الدول. بالنسبة للدراسات الأكثر حداثة، Kuralbayeva et al (2001) في دراسة وبالرغم أنها حول كزاخستان الا أن النتائج أظهرت أن تحسن معدل التبادل له أثر سلبي على معدل الصرف الحقيقي (ارتفاع عملة الطونج tenge) بعد 1996 أثبت حسب البقية أن هناك بديهية المرض الهولندي. اضافة إلى دراسة Fabrizio وGermán (2013) حيث قاما بدراسة قياسية حول الشيلي، أستراليا، البيرو، كندا، خلال الفترة 1994-2012 باستخدام دوال نبضات الاستجابة، توصلت الدراسة الى أن القطاع المزدهر المستفيد من الأسعار العالمية المرتفعة، يحفز المرض الهولندي، حيث ينخفض القطاع التجاري، ويرتفع سعر الصرف الحقيقي. كما أثبثت الدراسة التي قام بها Andreas, Daniel وOle (2013) أعراض المرض الهولندي في الاقتصاد الروسي خلال الفترة الممتدة من الربع الأول 1995 إلى الربع الأول 2008. كما نجد دراسة ل Fariba (2014) والتي توصلت أن الصدمات الايجابية في أسعار النفط تؤدي إلى ظهور أعراض المرض الهولندي في الاقتصاد الإيراني.

- 2 نموذج ومنهجية الدراسة:من أجل تحرى أعراض المرض الهولندي، وبعد الإطلاع على الدراسات السابقة وإنطلاقا من النموذج الأساسي ل Spatafora et Warner (1999)[2],(1995)[1] حيث قام الباحثان بدراسة قياسية لأثر صدمة إيجابية في معدل التبادل على مجموعة من المتغيرات الكلية بإستخدام سلاسل زمنية من نوع بانل (Panel) لعينة مكونة من 18 دولة نامية مصدرة للنفط.

$$y_{it} = \alpha_i + \beta TOT_{it} + \varepsilon_{it} \qquad (01)$$

وقد تم تطوير هذا النموذج من قبل Marc-Antoine (2003)[3] وذلك باضافة المتغيرتين IDE و Aide للنموذج كالتالي:

$$RER_{it} = \beta_0 + \beta_1 Aide_{it} + \beta_2 IDE_{it} + \beta_3 TOT_{it} + u_{it} \qquad (02)$$

حيث:RER : معدل أو سعر الصرف الحقيقي، Aide: المساعدات الخام للفرد بالدولار الأمريكي الثابت، IDE: حجم الاستثمار الأجنبي المباشر كنسبة من الناتج المحلي الاجمالي PIB، TOT: مؤشر معدل التبادل.

وسيتم استخدام العلاقة الديناميكية في المدى الطويل بين أسعار النفط وسعر الصرف الحقيقي الفعال، ومعدل التبادل الدولي في الجزائر لتحرى أعراض المرض الهولندي، وذلك بالاعتماد على مجموعة من الدراسات السابقة اضافة الى النموذج الأساسي ل Spatafora et Warner ، والمطور من قبل Marc-Antoine.

وحسب كل من Mendoza (1995) و Kose (2002) فان معدل التبادل الدولي أو التجاري للدول النامية متغير خارجي (exogenous) وبشكل كبير، كما يعتبر سعر النفط كذلك، بمعنى أنهما يتحددان من خلال قوى خارج سيطرة وتحكم هذه الدول، الا أن نماذج متجه الانحدار الذاتي تعتبر جميع المتغيرات المستخدمة متغيرات داخلية (Endogenous). حيث يصف نموذج VAR نظام معادلات، يكون فيه كل متغيردالة في ابطائه وابطاء المتغيرات الأخرى في النظام[4]، ومنه يمكن كتابة النموذج القياسي للدراسة كالتالي:

$$X_t = \sum_{i=1}^{k} A_i X_{t-1} + \varepsilon_t \qquad (03)$$

حيث أن:

$$X_t \begin{bmatrix} REER \\ TOT \\ Op \end{bmatrix}$$

X_t: هو متجه المتغيرات الداخلية (يجب أن تكون المتغيرات مستقلة)، A_i : مصفوفة المعملات، k: عدد فترات الإبطاء المستخدمة في النموذج، ε_t متجه عمودية من المتغيرات العشوائية ويتميز بخاصية الضجيج الأبيض white noise، أي أن الأخطاء العشوائية مستقلة وغير مرتبطة ذاتيا، وموزع توزيع طبيعي وسطه صفر وتباينه معلوم $(0,\Omega)$ وهي تمثل الجزء الغير متوقع. Op: سعر النفط الحقيقي، REER: سعر الصرف الحقيقي الفعال، TOT: معدل التبادل الدولي.

[1]- Nikola Spatafor, Andrew Warner, " Macroeconomic Effects of Terms-of-Trade Shocks: The Case of Oil-Exporting Countries", Poi.icy RESIEARC(IW-I ORKIN;P AI'hiR 1410, The World Bank, January 1995.

[2] - _______________, " Macroeconomic and Sectoral Effects of Terms-of-Trade Shocks: The Experience of The Oil-Exporting Developing Countries ", Working Paper of International Monetary Fund, 99, 134, 1999

[3]- Marc-Antoine Adam, "La maladie hollandaise: une etude empirique appliquee a des pays en developpement exportateurs de petrole", universite de montreal, 2003.

[4]- خالد محمد السواعي، **أساسيات القياس الاقتصادي: باستخدام Eviews**، مرجع سابق، ص ص 206، 205.

في هذه الدراسة سيتم إستخدام سعر النفط الحقيقي، حيث أن النظرية الاقتصادية تقترح إستخدام أسعار النفط الحقيقية بدلا من الإسمية لأن الأسعار الحقيقية تعد أكثر أهمية فيما يخص إتخاذ القرارات الاقتصادية[1]، وقد تم تحصيل بيانات أسعار النفط للسلسلة الزمنية السنوية (1985- 2013) من منظمة الأوبك OPEC، بينما تم الحصول على بيانات كل من REER، و TOT من بيانات البنك الدولي WB.و قد تم أخد اللوغارتم الطبيعي العشري Log لتلافي مشكلة عدم ثبات التباين، وكذلك من أجل إبراز النسب التي تتغير بها المتغيرات التابعة نتيجة للتغيرات التي تحدث للمتغيرات المستقلة[2] وللحصول على نتائج إختبار النموذج والإختبارات الأولية لبيانات الدراسة تم إستخدام الرزنامة الاحصائية Eviews في تقدير نموذج الانحدار الذاتي VAR، للوقوف على الأثر القصير والطويل المدى لسعر النفط وتحري أعراض المرض الهولندي في الاقتصاد الجزائري من خلال سعر الصرف ومعدل التبادل الدولي.

- 2 نتائج الاختبارات :معظم الدراسات القياسية تفترض استخدام بيانات سلسلة زمنية مستقرة Stationary، اذ أنه في حالة غياب صفة الاستقرار فان الانحدار الذي نحصل عليه يكون غالبا زائفا Spurious بالرغم من ارتفاع معامل التحديد (R^2) ويرجع ذلك الى وجود عامل الاتجاه Trend الذي يؤثر على المتغيرات في نفس الاتجاه أو الاتجاه المعاكس[3]. ويمر اختبار النموذج بالمراحل التالية:

- 3 – 1 اختبار جذر الوحدة :من الأهمية بمكان معرفة طبيعة السلاسل الزمنية هل هي مستقرة Stationary أم غير مستقرة Nonstationary قبل البدء باجراء تحليل للانحدار لتجنب الحصول على الانحدار الزائف (Spurious Regression)، ورغم تعدد اختبارات جذر الوحدة، الا أنه في هذه الدراسة تم الاعتماد على اختبارين، وهما اختبار ديكي-فولر الموسع (Dickey and Fuller, 1979)، واختبار فيلب-بيرن (Pillip-Perron, 1988). وفي حالة تضارب وعدم انسجام نتائج الاختبارين فان الأفضل الاعتماد على نتائج اختبار (PP test) (Obben J, 1998)[4].

تشير نتائج اختبارات جذر الوحدة الموضحة في الجدول رقم (- 1) (أنظر الملحق رقم 04)، باستخدام اختبار دكي–فولر الموسع (ADF) واختبار فيلب بيرون (PP) لكل من سعر النفط (LOP)، سعر ومعدل التبادل الدولي (LTOT)، إلى عدم إمكانية رفض فرضية العدم، وذلك لوجود جذر الوحدة لمستويات السلاسل الزمنية عند مستوى معنوية (5%) . أي أنه حسب نتائج اختباري (ADF و PP) والتي جاءت متوافقة، أن المتغيرات سعر النفط ومعدل التبادل الدولي مستقرة عند فرقها الأول وهذا ما يؤدي إلى رفض فرضية العدم، أي عدم وجود جذر وحدة لسلاسل متغيرات الدراسة عند فرقها الأول أي أنها متكاملة من الدرجة الأولى (1)I، بينما كان سعر الصرف الحقيقي الفعلي مستقر عند المستوى (0)I.

- 3- 2 تحليل التكامل المشترك: حسب (Engle & Granger) ان عدم سكون السلاسل الزمنية عند المستوى لا ينفي وجود علاقة خطية طويلة الأجل بين المتغيرات، ومنه يمكن اجراء اختبار التكامل المشترك وفق طريقة "جوهانسن و جيسلس"، والجدول رقم (- 2) في الملحق رقم (05) يبين نتائج اختبار التكامل المشترك.

---

[1] -James Hamilton, " Oil and Macroeconomy ", prepared for: Palgrave Dictionary of Economics, 2005. P 2.
[2]- Sulaiman D.Mohamad, " The Impact of Oil Price Volatility On Export Earning in Pakistan", Op.Ct, p 546.
[3]- الشارف عتو، " دراسة قياسية لاستقطاب رأس المال الأجنبي للجزائر، في ظل فرضية الركن لنظام سعر الصرف"، مجلة اقتصاديات شمال افريقيا، العدد 06، جامعة الشلف، 2009 ، ص131.
[4]- عابد بن عابد راجح العبدلي الشريف، " تقدير محددات الطلب على واردات المملكة العربية السعودية في إطار التكامل المشترك وتصحيح الخطأ "، مجلة مركز صالح عبدالله كامل للاقتصاد الإسلامي ، العدد 32 ، جامعة الأزهر، 2007، ص 20.

وتشير نتائج اختبار التكامل المشترك الموضحة في الجدول رقم (-2) من الملحق رقم (05)، يتضح أن القيمة المحسوبة لنسبة الإمكانية أكبر Max-eigenvalue واحصائية الأثر Trace Statistic، أكبر من القيم الحرجة Critical Value عند مستوى معنوية 5%، أي وجود علاقة للتكامل المشترك، وبالتالي نقبل الفرضية العدمية H_0، حيث أن عدد متجهات للتكامل المشترك هو r = 1 عند مستوى معنوية 5 %، مما يدل على امكانية وجود علاقة توازنية طويلة الأجل على الأقل بين بعض المتغيرات على الرغم من وجود اختلال في الأجل القصير، أي أنها لا تبتعد كثيرا عن بعضها البعض في المدى الطويل بحيث تظهر سلوكا مشابها.

- **3- 3 تحديد فترات الإبطاء المثلى: VAR Lag Order Selection Criteria:** من خلال هذا الاختبار تم تحديد فترات الإبطاء المناسبة في نموذج (VAR) والتي تعطي أقل قيمة لمؤشرات AIC، SC وHQ فان فترة الابطاء المثلى لمتغيرات الدراسة (LREER, LTOT, LOP)، تقدر بست فترات زمنية، كما هو مبين في الجدول رقم (- 3) (أنظر الملحق رقم 06).

حسب Juselius (2006)[1] حتى نقوم بإختبار دوال نبضات الاستجابة وإختبار تحليل مكونات التباين يجب التأكد من تحقق استقرار النتائج، وذلك من خلال تطبيق إختبار الجذور متعددة الحدود(Roots of Characteristic Polynomial) وطبقا لهذا الاختبار فان النتائج تكون مستقرة اذا لم يكن هناك جذور تساوي الواحد وبمعنى آخر لا يوجد أي جذر يقع على حد دائرة الوحدة.

ويوضح الشكل رقم (III-1) (أنظر الملحق 07) بأن النموذج المقدر يحقق شروط الاستقرار (VAR satisfies the stability condition)، إذ أن جميع المعاملات أصغر من الواحد، وجميع الجذور تقع داخل دائرة الوحدة، ما يعني أن النموذج لا يعاني من مشكلة في ارتباط الأخطاء أو عدم ثبات التباين.

- **3- 4 اختبار السببية** Granger Causality: إن وجود التكامل المشترك بين متغيرات الدراسة يتضمن حسب قرينجر (Granger) وجود علاقة سببية في اتجاه واحد على الأقل، الا أنه لا يمكن تحديد اتجاه العلاقة من خلال التكامل المشترك (co-integration). ولذلك تم استخدام اختبار السببية لقرينجر لتوضيح اتجاه العلاقة اليببسة. ويوضح الجدول رقم (III- 4) (أنظر الملحق رقم 08) نتائج اختبار سببية قرينجر.

ويتم الحكم على نتائج اختبار السببية بالاعتماد على القيمة الاحتمالية، ومن خلال استقراء نتائج الموضحة في الجدول رقم (III- 4)، فان هناك علاقة سببية في اتجاه واحد من سعر النفط الى معدل التبادل الدولي، وعلاقة سببية في اتجاه واحد من سعر الصرف الحقيقي الفعال باتجاه معدل التبادل الدولي وهذا يتوافق مع اختبارات المدى الطويل (تحليل مكونات التباين، ودوال نبضات الاستجابة)، وعلاقة سببية في اتجاه واحد من سعر الصرف الحقيقي الفعال إلى سعر النفط.

- **3- 5 تحليل مكونات التباين:** Variance Decomposition:تختلف الأهمية النسبية في المدى القصير والطويل لأثر أسعار النفط على سعر الصرف الحقيقي الفعال ومعدل التبادل الدولي، جاءت نتائج تحليل مكونات تباين أسعار النفط على المتغيرات الكلية متسقة مع النظرية الاقتصادية ومع اختبار دوال الاستجابة لردة الفعل IRF. وبعد تطبيق اختبار تحليل مكونات التباين كانت النتائج كما يلي:

---

[1]- Katarina Juselius, «The Co integrated VAR Model: Methodology and Applications», OXFORD University Press, 2006, P51.

وحسب ما تشير إليه نتائج تحليل تباين الأخطاء VDcs الموضحة في الجدول رقم (III- 5) (أنظر الملحق 09)، يتضح بأن معظم التقلبات الظرفية التي تحدث على مستوى أسعار النفط في المدى القصير تتعلق بصدمات في متغير سعر النفط نفسها بنسبة كبيرة جدا، من خلال قيمة الانحراف المعياري فان مقدار آثار عدم التأكد للتنبؤ للفترات الزمنية السابقة للمتغيرات المستقلة في النموذج منخفضة.

تشير النتائج المبينة في الجدول أعلاه أن أكبر مكون لتباين خطأ التنبؤ لأسعار النفط في المدى القصير هو سعر النفط، وعلى وجه التحديد تسهم الصدمات في سعر النفط في تفسير التباين في خطأ التنبؤ بسعر النفط ذاته بنسبة 100%في الأجل القصير (فترة توقع واحدة في المستقبل) ثم تتراجع إلى أدنى مستوى لها لتصل إلى نسبة 70.90% في فترة تنبؤ لعشر سنوات في المستقبل. وعليه فإن الصدمات في سعر النفط تفسر التباين في خطأ التنبؤ لأسعار النفط ذاتها في الأجلين القصير والطويل في حين يسهم معدل التبادل الدولي في تفسير خطأ التباين لأسعار النفط في المدى البعيد حيث تشير نتائج الاختبار، بينما لا يسهم سعر الصرف الحقيقي الفعلي في تفسير التباين في خطأ التنبؤ لأسعار النفط.كما تشير نتائج اختبار اختلاف التباين لسعر الصرف الحقيقي الفعال أن أكبر مكون لتباين خطأ التنبؤ ل LREER في المدى القصير هو سعر الصرف الحقيقي الفعال ذاته حيث يمثل 70.94% من مكونات ال LREER بينما تنخفض تلك النسبة في المدى الطويل حتى تصل إلى أدنى قيمة لها في السنة العاشرة قدرت بحوالي 51.50%، ثم يتأتي بعد ذلك سعر النفط حيث يسهم بتفسير التباين في خطأ التنبؤ في المدى القصير بنسبة 29.05% ثم يبدأ بالتزايد ليصل في السنة العاشرة 38.73% من التباين في خطأ التنبؤ لسعر الصرف الحقيقي الفعال، وبذلك يمكن القول ان الصدمات في سعر النفط تسهم في تفسير التباين في خطأ التنبؤ لسعر النفط الحقيقي الفعال في الأجل الطويل بشكل أكبر منه في الأجل القصير ولكن بشكل محدود، بينما لا يؤدي معدل التبادل الدولي أي دور في تفسير تباين خطأ التنبؤ ل LREER.

وأخيرا أثبتت نتائج تحليل مكونات التباين لمعدل التبادل الدولي أن أكبر مكون لتباين خطأ التنبؤل LTOT في المدى القصير هو سعر النفط حيث يمثل حوالي 87.87% من مكونات ال LTOT وتنخفض نسبة مساهمة سعر النفط في تباين خطأ التنبؤ خلال السنة الثالثة لحدود 80% وتستمر هذه النسبة لغاية السنة الخامسة، ويلاحظ أن مساهمة صدمات أسعار النفط في تفسير تباين خطأ التنبؤ لمعدل التبادل الدولي ثابتة نسبيا في المدى القصير والطويل.

- 3- 6 اختبار دوال نبضات الاستجابة: Impulse–Response Functions :على الرغم من أن تحليل مكونات تباين خطأ التنبؤ يفيد في تحديد الإسهام النسبي لكل متغير من متغيرات النموذج في تفسير التباين في خطأ التنبؤ، إلا أنه لا يوضح اتجاه العلاقة بين متغيرات النموذج المستقلة والتابعة، لكن استخدام دوال نبضات الاستجابة IRF يسمح بتحديد سلوك متغيرات النموذج الحركي وتحديد اتجاه العلاقة، إذ تبين دوال نبضات الاستجابة استجابة متغير في نموذج تصحيح متجهات الخطأ لتغير متغير آخر بنسبة 1% و الشكل (III– 2) (أنظر الملحق رقم 10) يوضح استجابة سعر الصرف الحقيقي الفعال، ومعدل التبادل الدولي لصدمة في أسعار النفط في نموذج VAR واتجاه العلاقة.إن حدوث صدمة مقدارها 1 بالمئة في أسعار النفط (LOP) لها أثر سالب على سعر الصرف الحقيقي الفعلي في الجزائر، أي أن صدمة في أسعار النفط بنسبة 1% تؤدي الى انخفاض سعر الصرف الحقيقي الفعال بمقدار - 0.0163 بالمئة (أنظر الملحق)، وهذا الأثر أثر مباشر يظهر خلال السنة الأولى، وهذا يدل على أن أي تغير مفاجئ في

أسعار النفط مقداره انحراف معياري واحد يؤثر بشكل سلبي ومباشر على سعر الصرف الحقيقي الفعال ويستمر هذا الأثر خلال باقي السنوات مع ملاحظة اختفاء الأثر خلال السنة الثالثة وظهور أثر موجب خلال السنة التاسعة والعاشرة.إن حدوث صدمة مقدارها1% في معدل التبادل الدولي LTOT، تؤدي إلى حدوث صدمة سلبية في سعر الصرف الحقيقي الفعلي LREER للجزائر وبنسبة ضئيلة تصل 0.0063-% كأقصى حد خلال السنة الثالثة ومنه فان أثر ال LTOT على LREER غير مباشر.

ان حدوث صدمة في أسعار النفط بمفدار 1% لها أثر موجب ومباشر على معدل التبادل الدولي حيث يقدر هذا الأثر خلال السنة الأولى ب 0.04% خلال السنة الأولى ليرتفع الى 0.06 بالمئة خلال السنة الثانية ويلاحظ أن أي تغير مفاجئ في أسعار النفط مقداره انحراف معياري واحد يؤثر بشكل موجب ومباشر على LTOT ويستمر هذا الأثر خلال باقي السنوات مع ملاحظة اختفاء الأثر خلال السنة الثالثة والرابعة كما تم تسجيل أثر سالب خلال السنة الثامنة يقدر ب 0.02-%، ويستمر هذا الأثر السالب خلال السنة التاسعة والعاشرة.

أما حدوث صدمة مقدارها 1% في سعر الصرف الحقيقي الفعال فتؤثر بشكل سلبي ومباشر على LTOT ولكن بشكل جد ضعيف حيث يقدر خلال السنة الأولى ب 0.0094- بالمئة، ويصبح الأثر موجب خلال السنة الخامسة ويقدر ب 0.024%، لينخفض هذا الأثر على المدى الطويل هذا يختفي تماما.

-1مناقشة النتائج:

هذا الجزء من البحث يتطرق لمناقشة النتائج التي توصلت اليها الدراسة، والتي يمكن عرض أهمها كالآتي:

أظهرت النتائج وجود أثر ذو دلالة احصائية لأسعار النفط على سعر الصرف الحقيقي الفعال REER في المدى القصير والطويل، وهذه النتيجة تتعارض مع دراسة Mohammad Reza (2009) الذي وجد بأن أثر أسعار النفط على سعر الصرف الحقيقي الفعال موجب، ويمكن تفسير ذلك انطلاقا من تعريف سعر الصرف الحقيقي الفعال الذي لا يعبر فقط عن قيمة العملة المحلية مقابل عملة أجنبية واحدة، حيث أنه يأخد بعين الاعتبار التجارة الخارجية للدولة، وهو يمثل العملة المحلية مقابل سلة من العملات لأهم الشركاء التجارين للدولة، فانه عند ارتفاع أسعار النفط تنخفض أسعار صرف الدولار أمام اليورو، ومنه فان الدينار الجزائري سينخفض أمام اليورو بالرغم من ارتفاع قيمته أمام الدولار، بالاضافة الى ذلك فان السبب يعود لنظام سعر الصرف المطبق في الجزائر وهو سعر الصرف المعوم المدار والذي يتميز بدرجة أقل من المرونة، حيث تسعى السلطات النقدية دوما لابقائه قريبا من قيمته التوازنية مما يحول دون ارتفاعه بشكل كبير وذلك من أجل تحقيق بعض الأغراض الاقتصادية.

أبرزت النتائج القياسية وجود أثر ذو دلالة احصائية لأسعار النفط على معدل التبادل الدولي بشكل يتوافق مع الافتراضات الاقتصادية، حيث كانت نتائج كل من اختبار السببية ودوال نبضات الاستجابة متسقة وتشير إلى وجود أثر على المدى القصير والطويل بيحث يكون هذا الأثر موجبا على المدى القصير ويتحول إلى أثر سالب في المدى القصير ويمكن تفسير ذلك بأنه ويعود ذلك إلى أن استمرار ارتفاع أسعار النفط على المدى الطويل يؤدي إلى ارتفاع تكاليف الصناعة في الدول المتقدمة، وهو ما ينعكس على أسعار الواردات التي سترتفع مما يؤثر سلبا على معدل التبادل الدولي.

النتائج المحصلة أظهرت لنا أن معدل التبادل ليس له أثر معنوي على سعر الصرف الحقيقي الفعلي في المدى الطويل وهذا يتوافق مع الدراسة التي أجراها صندوق النقد الدولي سنة (2014)[1] على سعر الصرف الحقيقي. بينما أثبتت الدراسة أن الأثر في المدى القصير مباشر يظهر خلال السنة الأولى بشكل سلبي الا أنه يصبح الأثر موجب خلال السنة الثالثة، واتجاه العلاقة (الاشارة المحصلة) يمكن أن تفسر كالآتي: شرط أو معدل التبادل التجاري يمكن أن يكون له أثرين مختلفين على سعر الصرف الحقيقي، اما أثر أدخل، أو أثر الاحلال[2]. أثر الدخل ينتج عندما يحدث ارتفاع في سعر الصادرات أو انخفاض في سعر الواردات، حيث أن نمو الدخل المتاح في الاقتصاد مترافق مع ارتفاع الطلب على السلع الغير تبادلية. هذه الحالة تؤدي الى تقليص سعر السلع التبادلية مقارنة مع السلع الغير تبادلية وتؤدي إلى نمو النقد المحلي. ويمكن أيضا ملاحظة أثر الاحلال، اذا كانت السلع الغير تبادلية مكلفة أو غالية نسبيا. في هذه الحالة تحسن في معدل التبادل ناتج بسبب نمو في سعر الصادرات يخلق انخفاض depreciation في سعر صرف العملة المحلية على مستوى سعر الصرف الاسمي، وعلى سعر السلع الغير تبادلية، إضافة إلى عدم وجود أي أثر معنوي على سعر الصرف الحقيقي يبدو أن أثر الاحلال كان أكبر من أثر الدخل.

كما لم يكن هناك أي أثر لسعر الصرف الفعلي على معدل التبادل التجاري ويعود ذلك إلى كون معدل التبادل الدولي للجزائر متغير خارجي (exogenous) حيث يعاني الاقتصاد الجزائري من تبعية شديدة للخارج سواء بالنسبة للصادرات والتي تهيمن عليها الصادرات النفطية وكما هو معروف فإن سعر النفط يحدد في السوق النفطي العالمي أي خارج الإقتصاد المحلي الجزائري، كما تعاني الجزائر من تبعية شديدية للخارج لتوفير حاجياتها المحلية من خلال الواردات وهذا ما يجعل أي تغير في معدل التبادل التجاري خاضع للسوق العالمي ولايتأثر بالتقلبات الحاصلة في سعر الصرف اذ أن الجزائر لاتملك صناعة تصديرية تنافسية تتأثر بتقلبات سعر الصرف، كما أن الطلب المحلي على الواردات غير مرن للتقلب في أسعار الصرف كذلك.

الخلاصة :

من خلال النتائج يمكن استنتاج أنه بالرغم من أن المؤشرات الإقتصادية الكلية في الجزائر تشير إلى وجود أعراض المرض الهولندي إلا أن هذه الأعراض لا تظهر على مستوى سعر الصرف، وهذا ما أشار إليه Koutassila (1997) في دراسة حول الكامرون والغونغو حيث أوضح بأن أعراض المرض الهولندي التي تظهر على سعر الصرف يمكن ملاحظتها في اقتصادات البلدان المتقدمة (مثلا بريطانيا العظمى) أين تعكس الأسعار ملامح الندرة ويتميز النظام الاقتصادي بالتجانس، بينما لايكون ذلك بالنسبة للدول المتخلفة. أو يظهر بشكل هامشي لأن اقتصاد هذه الدول مفكك (désarticulées) أو يتميز بعدم كفاءة كبيرة.

وفي هذه الحالة عندما لايظهر المرض بصورة واضحة، أو يظهر بشكل ضعيف، أو مختفى خلف هيكل الاقتصاد (هيمنة القطاع الواحد، أو تفكك الاقتصاد). في هذه الحالة الأخيرة، من المحتمل أن يظهر المرض لاحقا بشكل أكثر حدة، وهو ما توصل إليه Ndoumtara Nakoumdé (2007) في دراسته حول أثر الازدهار النفطي وخطر المرض الهولندي على الاقتصاد التشادي.

[1]- IMF Country Report, 2014, OpCit, p 34.
[2]- explication tirees de Chowdhury, 1999, en line, http://ncdsnet.anu.edu.au/pdf/ .

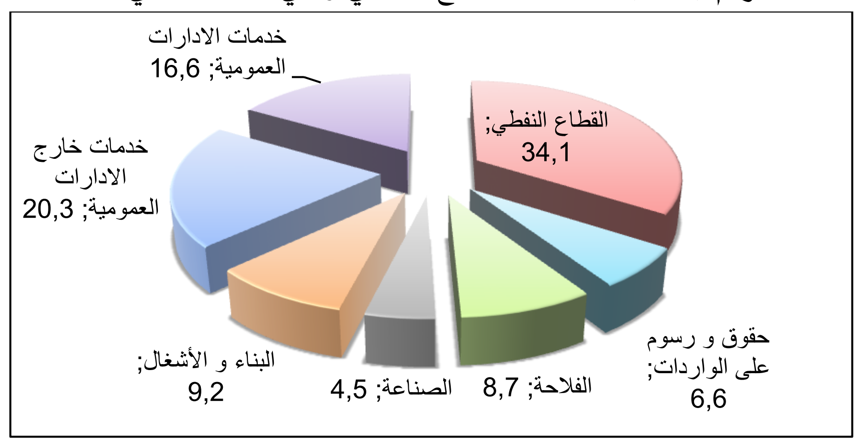
وقد سمح تطبيق الجزائر لسياسة سعر صرف معوم مدار بظهور أثر سلبي لأسعار النفط على سعر الصرف الحقيقي الفعال، وذلك أن السلطات النقدية تسعى دوما لابقاء سعر الصرف قريبا من مستواه التوازني، وبما أن الجزائر تصدر النفط بالدولار الأمريكي وتعتبر من أهم المستوردين من الاتحاد الأوربي فان أغلب مستورداتها تتم باليورو وهذا ما يسبب الأثر السلبي لسعر النفط على سعر الصرف الحقيقي الفعال، كما أدى ذلك إلى مشكل خطيرة على مستوى معدل التبادل الدولي.

وعموما فإن ظهور أعراض المرض الهولندي في البلد المصدر للموارد الطبيعية بشكل عام، والنفط بشكل خاص ليس بالأمر الحتمي، ولكن عادة ما يعتبر ظهور هذه الأعراض نتيجة لصدمة والتي يمكن أن تكون مصدر للتشوهات التي تحدث في ذلك الاقتصاد، لدى توصي الدراسة بضرورة الوعي وادراك الأثر الحقيقي للصدمات التي تحدث على مستوى أسعار النفط في السوق النفط وذلك لتهيأت السياسات الاقتصادية المناسبة، لتحقيق الاستقرار، وتلافي الآثار السلبية التي تسببها التدفقات النقدية المفاجئة الناجمة عن ارتفاع أسعار النفط، ما يساعد على تخفيف وتجاوز أعراض هذا المرض، وذلك من خلال البحث الجاد عن سبل للخروج من التبعية الشديدة لقطاع النفط وهيمنته على مصادر الدخل في الجزائر.

ملحق الأشكال والجداول :

الملحق رقم (01) :

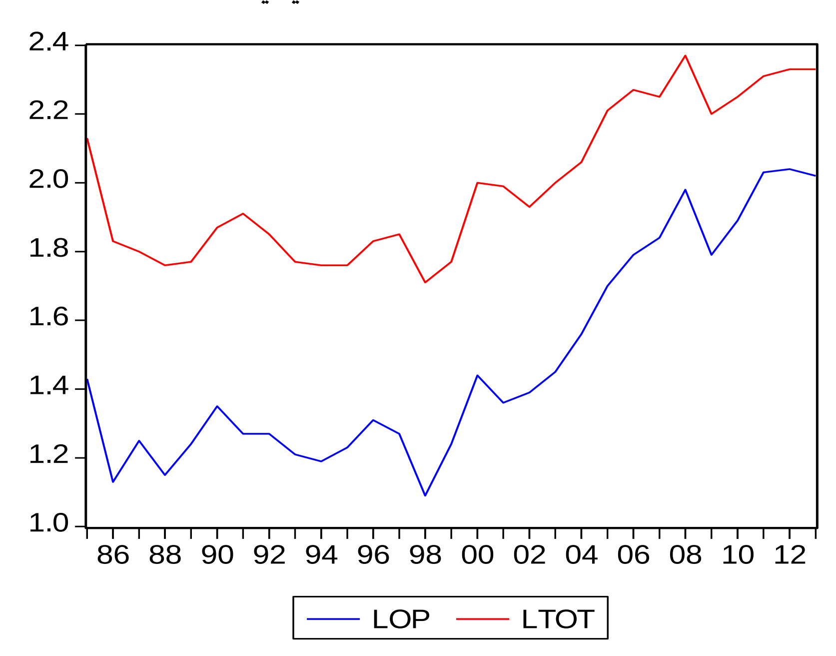
الشكل رقم (II-1):مساهمة القطاع النفطي و باقي القطاعات في الGDP.



المصدر: من اعداد الباحثة بالاعتماد على بيانات البنك المركزي.[1]

الملحق رقم (02) :

الشكل رقم (II-2) : تطور أسعار النفط ومعدل التبادل الدولي في الجزائر خلال الفترة 1985-2013

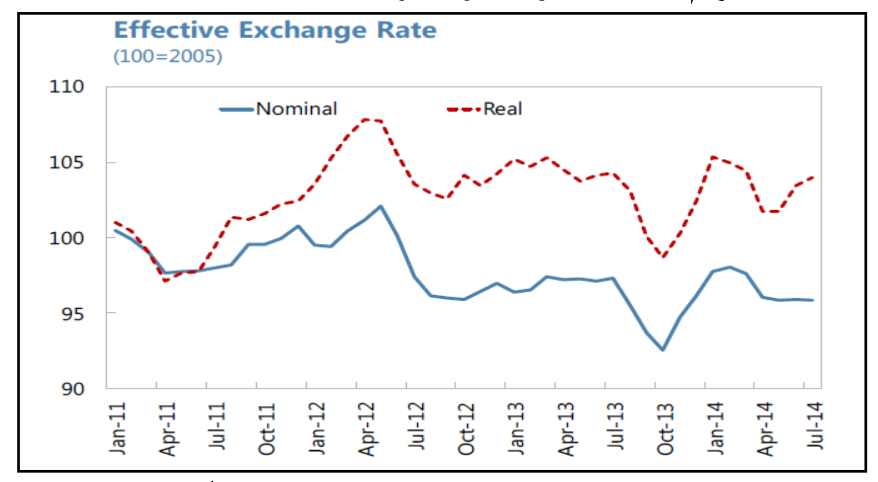


المصدر: من اعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات E-views.

[1]- النشرية الثلاثية الاحصائية، بنك الجزائر، رقم 32 ديسمبر 2015، ص 26. www.bankcentral.dz.

الملحق رقم (03) :

الشكل رقم (II-3): تطور سعر الصرف خلال الفترة 2011- 2014.



المصدر: تقرير صندوق النقد الدولي 2014[1].

الملحق رقم (04) :

الجدول رقم (III- 1):نتائج اختبار الاستقرار لديكي-فولر) Augmented duky fuller (ADF test) وفيليب-بيرون :(PP test) Philips perron

Pp test		ADF test		المتغيرات
1stDifferance	level	1stDifferance	level	
-6.596148***	1.217333	-6.567055***	0.883749	سعر النفط LOP
-3.805228***	-2.384114**	-3.734704***	-2.005876**	سعر الصرف lREER
-6.064123***	0.303084	-5.956776***	0.281065	معدل التبادل الدولي LTOT

المصدر: من اعداد الباحثة باستخدام برنامج Eviews-5.

الملحق رقم (05) :

الجدول رقم (III- 2): نتائج اختبار التكامل المشترك (Co integration) ل johansen (1995).

قيم المتجه Eigenvalue. $\widehat{\lambda_1}$	القيمة العظمى $\lambda_{trace} = -T\sum Ln(1-\widehat{\lambda_1})$	الأثر $\lambda_{max} = -TLn(1-\widehat{\lambda_1})$	القيمة الحرجة لاختبار القيمة العظمى5%	القيمة الحرجة لاختبار الأثر 5%	الفرضية
0.431912	15.26793	24.32711	17.79730	24.27596	r ≤ 0*
0.282443	8.961388	9.059182	11.22480	12.32090	r ≤ 1
0.003615	0.097794	0.097794	4.129906	4.129906	r ≤ 2

Trace Max-eigenvalue test indicates 1 cointegrating eqn(s) at the 0.05 level
* denotes rejection of the hypothesis at the 0.05 level
**MacKinnon-Haug-Michelis (1999) p-values

المصدر: من اعداد الباحثة باستخدام برنامج Eviews-5.

[1]- IMF Country Report No. 11/39, 2014, p 22.

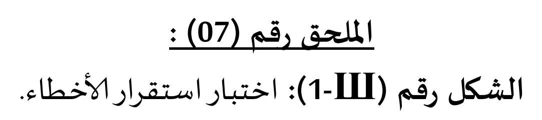
الملحق رقم (06) :

الجدول رقم (III- 3): تحديد فترات الابطاء المثلى.

Lag	LogL	LR	FPE	AIC	SC	HQ
0	80.00296	NA	2.48e-07	-6.695909	-6.547801	-6.658661
1	114.7686	57.43885*	2.67e-08	-8.936398	-8.343966	-8.787403
2	125.5142	14.95047	2.41e-08	-9.088194	-8.051438	-8.827453
3	139.8797	16.23927	1.71e-08	-9.554760	-8.073681	-9.182273
4	149.5100	8.374159	2.11e-08	-9.609567	-7.684164	-9.125334
5	165.5227	9.746845	1.95e-08	-10.21937	-7.849638	-9.623385
6	213.0379	16.52703	2.09e-09*	-13.56851*	-10.75446*	-12.86079*

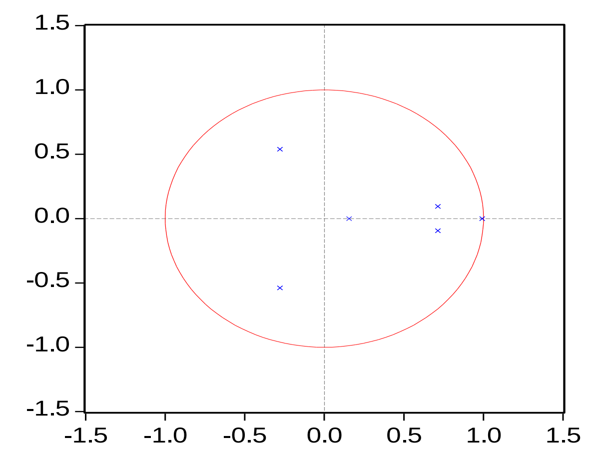
* indicates lag order selected by the criterion
LR: sequential modified LR test statistic (each test at 5% level)
FPE: Final prediction error
AIC: Akaike information criterion
SC: Schwarz information criterion
HQ: Hannan-Quinn information criterion

المصدر: من اعداد الباحثة باستخدام برنامج Eviews-5.



الملحق رقم (07) :

الشكل رقم (III-1): اختبار استقرار الأخطاء.



المصدر: من اعداد الباحثة باستخدام برنامج Eviews-5.

الملحق رقم (08) :

الجدول رقم (III- 4): نتائج اختبار السببية (Granger Causality).

Null Hypothesis:	Obs	F-Statistic	Probability
LREER does not Granger Cause LOP	28	4.30168	0.04853
LOP does not Granger Cause LREER		0.04386	0.83581
LTOT does not Granger Cause LOP	28	3.12720	0.08920

LOP does not Granger Cause LTOT		12.7019	0.00150
LTOT does not Granger Cause LREER	28	0.37870	0.54386
LREER does not Granger Cause LTOT		8.71411	0.00677

المصدر: من اعداد الباحثة باستخدام برنامج Eviews-5.

الملحق رقم (09) :

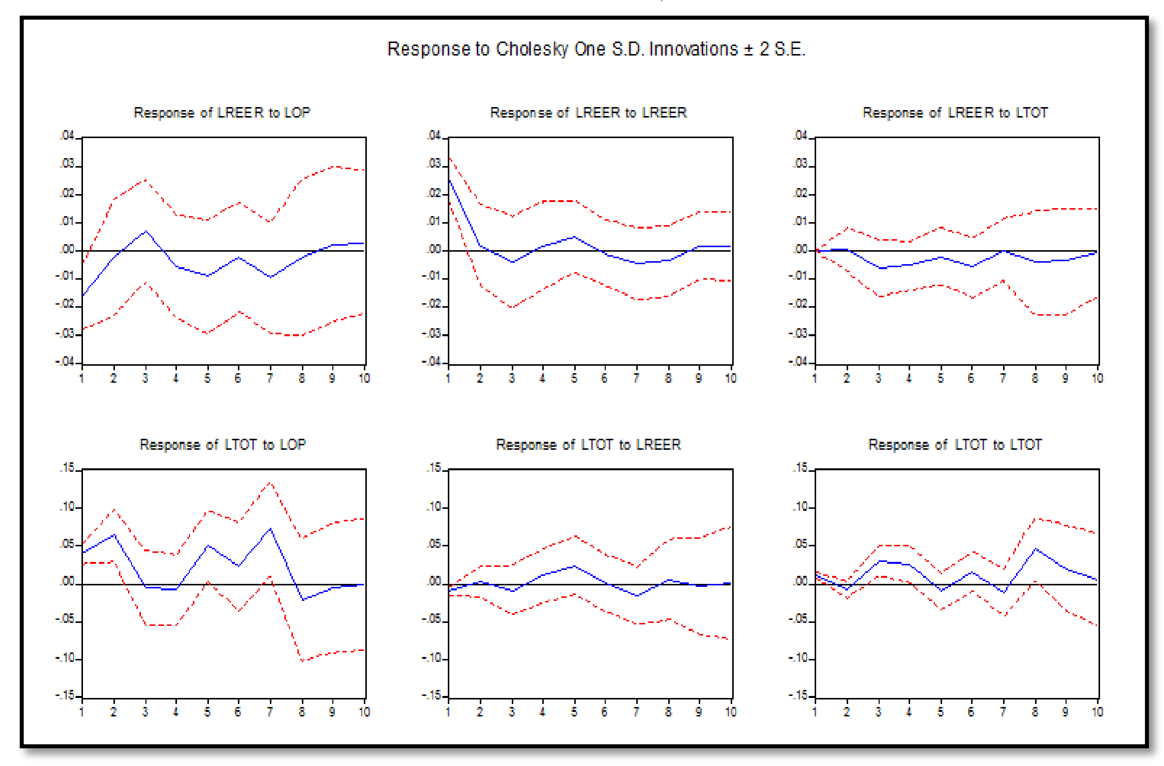
الجدول رقم (III- 5): تحليل مكونات التباين

		Percentage of the forecast error of	Explained by shocks in:		
Dependent variable	Period	SE	LOP	LREER	LTOT
LOP	1	0.064583	100.0000	0.000000	0.000000
	5	0.118353	77.97442	7.347326	14.67826
	10	0.165706	70.90100	4.539171	24.55983
LREER	1	0.030299	29.05390	70.94610	0.000000
	5	0.034801	36.33470	57.79530	5.870001
	10	0.037919	38.73337	51.50031	9.766323
LTOT	1	0.042232	87.87347	5.031611	7.094916
	5	0.104807	74.89668	7.911829	17.19149
	10	0.143213	70.74037	5.685420	23.57421

المصدر: من اعداد الباحثة باستخدام برنامج Eviews-5.

الملحق رقم (10) :

الشكل رقم (III-2): اختبار استقرار الأخطاء.



المصدر: من اعداد الباحثة باستخدام برنامج Eviews-5.

الوظائف السياسية لوسائل الإعلام من التنشئة إلى تشكيل الثقافة السياسية

أ.امال فضلون
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
جامعة العربي بن مهيدي – أمّ البواقي –

الملخص :

تتناول هذه الورقة موضوع الوظائف السياسية لوسائل الإعلام انطلاقا من التنشئة السياسية وصولا إلى تشكيل الثقافة السياسية حيث تتعد وتتنوع هذه الوظائف التي تذهب ابعد من وظيفة الإخبار والإعلام ومراقبة البيئة بل تقوم بالعمل على تشكيل الآراء والمواقف وتوجيه الرأي العام وحتى غرس أو تغيير سلوكاته السياسية. أيضا تحديد العلاقة بين وسائل الإعلام والفضاء السياسي عبر امتدادها التاريخي حيث تزامن تطور وتقدم هذه الوسائل مع الممارسات السياسية التي شهدتها مختلف مراحل هذه العلاقة، أيضا توضيح سماتها وخصائصها ومختلف أبعادها (القانونية، الإعلامية، السياسية، المؤسساتية)، كذلك إبراز الوظائف السياسية التي تقوم بها وسائل الإعلام حسب مختلف اتجاهاتها (الرقابية، التسهيلية، التغيرية، التعاونية)، ثم تبيان كيفية مساهمة وسائل الإعلام في عملية التنشئة السياسية هذه التنشئة التي تتأثر بوسائل الإعلام سواء من الناحية المعرفية نتيجة التعرض لوسائل الإعلام وزيادة الوعي المعرفي والثقافي بالبيئة السياسية . أو من الناحية العاطفية عبر تحديد المواقف وتشكيل الاتجاهات التي يتبناها الأفراد تجاه القضايا السياسية والتي تنعكس سلوكيا من خلال المشاركة الحقيقية والفعالة في نشاطات الحياة السياسية التي ترتكز على الثقافة السياسية لأفراد المجتمع.

الكلمات المفتاحية :الوظائف السياسية، وسائل الإعلام، التنشئة السياسية، الثقافة السياسية

Abstract :

This paper tackles the issue of media’s political functions ,from political socialization to political culture construction , these functions are multiple and nuanced and go beyond delivering News and environment control, to work on the formation of opinions and attitudes, and even changing political behaviour.It determine also the relationship between the media and political space through the historic extension by following their development and synchronize the progress of these means with the political practices, also illustrate its features and its different dimensions (legal, media, political, and institutional). As well as highlighting the media ‘s political functions according to their various trends (monitoring, facilitative, radical, colaborative), and demonstrate the contribution of the media in the political socialization process, which is influenced by the media, both in terms of knowledge as a result of media exposure that increases cognitive and cultural awareness of individuals towards the political environment ,and on the affective level identifying positions and shaping trends adopted by these individuals towards political issues which are reflected through a real and effective participation in political life, based on political culture of the different parts of society.

key words: political functions, the media, political socialization, political culture.

مقدمة: كثيرا ما نسمع في الوقت الراهن عن الدور المتنامي لوسائل الإعلام في تفعيل حركية الحياة السياسية سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، وعن العلاقة بين كل ما هو سياسي ووسائل الإعلام، حيث يولي محترفي العمل السياسي قدرا كبيرا من الاهتمام بالبعد الإعلامي للظاهرة السياسية وذلك ينعكس على تحضير وبناء

استراتيجياتهم الإعلامية، ولا يمكن القول أن هذا الاهتمام ينحصر فقط على هذه الفئة، وإنما يمتد أيضا إلى المحكومين، ذلك الطرف الثاني من المعادلة السياسية في أي نظام سياسي، حيث تشكل وسائل الإعلام مصدرا أساسيا لمعلوماتهم ومكتسباتهم السياسية. ويعد الدور البارز لوسائل الإعلام نتيجة حتمية للتطور التكنولوجي لوسائل الإعلام والاتصال الذي كان له نتائج مباشرة على السلوكات والممارسات السياسية من خلال الوظائف السياسية، التي لا يمكن تجاهل أهميتها أو نفي الآثار التي يمكن أن تحدثها على مستوى الفضاء السياسي التي تنتقل من مجرد الوظائف الرقابية للبيئة السياسية إلى عملية التنشئة السياسية وتشكيل الثقافة السياسية.

1 - **ضبط المصطلحات:**

ا - وسائل الإعلام: تضم كل الوسائل التقليدية والحديثة من صحافة مكتوبة، السمعية والسمعية- بصرية وكل تكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة، منها المواقع التابعة للوسائل التقليدية التي تمثل الامتداد الإلكتروني لهذه الوسائل الإعلامية مثل الفضائيات، الراديو والصحف الورقية ((Benett Tony,1982,p30، زيادة على الإلكترونية كالصحافة الإلكترونية، المنتديات، المدونات ومواقع الإعلام الحر مثل: "*الوكيليكس* wikileaks " وهي مخصصة لجمع وتغطية و(*التنقيب*) عن الأخبار والقضايا السياسية والتعليق عليها، ومواقع التواصل الاجتماعي مثل الفايسبوك وتويتر...التي تسمح لمستخدمي الأنترنيت تبادل الأخبار بسرعة فائقة سواء كان ذلك في الأنظمة السياسية الديمقراطية وحتى غير الديمقراطية منها، حيث تقوم وسائل الإعلام بنقل مضامين الاتصال السياسي الحاصل خارج نطاق المؤسسة الإعلامية كمرسل لهذه الرسائل السياسي(Brian McNair,2011,p11)، حيث بينت العديد من الدراسات الإعلامية أن تغطية الأحداث السياسية (مثلها مثل بقية المواضيع الأخرى) مشبعة ومليئة بالإحكام الذاتية والتوجيهية (Brian McNair ,Ibid,p120)، حيث أن الواقع السياسي يظهر في ثلاثة أشكال:

***أولا:** يمكننا الحديث عن واقع سياسي موضوعي يضم الأحداث السياسية كما تحدث وتظهر على ارض الواقع.

***ثانيا:** واقع ذاتي أي واقع سياسي كما يدركه ويراه الفاعلين والمواطنين.

***ثالثا :**واقع نقدي كما يدركه ويراه المواطنين والفاعلين وهو مبني على أساس التغطية الإعلامية للأحداث السياسية.

ب- الوظائف السياسية لوسائل الإعلام: تمثل مخرجات وسائل الإعلام السياسية التي تلعب دورا مهما في العملية السياسية كوسيط مساعد ومسهل لأدراك وفهم ، نقل وتفسير ، نقد ومساءلة هذا الواقع للجماهير العريضة وهي تعكس في كثير من الأحيان الاتجاه السياسي لوسائل الإعلام (Cathrine Happer & Greg Philo,2013,p). تتنوع هذه الوظائف من وسيلة إعلامية إلى أخرى ومن نظام سياسي إلى آخر ويمكن تفسير ذلك على أساس عدة اعتبارات منها : الضغوطات والتضييقات الممارسة على وسائل الإعلام أثناء عملية جمع الأخبار، معالجتها ونشرها مما يحد من وظائفها السياسية ومنها من يعود إلى خيارات إعلامية متمثلة في مساندة، معارضة جهة سياسية معينة أو التزام الحياد تجاهها، وأخرى ترتبط بالأهداف التي تسعى الوسائل إلى تحقيقها فمن تشكيل الآراء والتأثير عليها إلى دعمها، توجيهها أو تغييرها جذريا.

تدفعنا هذه الوظائف إلى اعتبار وسائل الإعلام جزءا لا يتجزأ من العملية السياسية لكونها احد الفاعلين الأساسيين في هذه العملية، فبين جمع ومعالجة وإرسال الرسائل السياسية واستقبالها من طرف الجمهور يطرأ

عليها تغيير معين من خلال طرق وأساليب متعددة سواء بشكل إرادي مقصود أو نتيجة لعملية المعالجة الإعلامية التي قد تؤدي إلى تغير معنى الرسالة وبذلك وظيفتها وأثرها على الجمهور المتلقي.

وعليه تبرز أهمية هذه الوظائف السياسية على مستوى وسائل الإعلام حيث تسمح لها بان تكون عضوا فعالا في العملية السياسية ووسيط بين السلطة والرأي العام أما بالنسبة للنظام السياسي آو الجهة السياسية فهي تربطه بالرأي العام وتنقل رسائله ومواقفه إلى هذا الأخير بينما تخدم الجمهور المتلقي بالمعلومات السياسية والأخبار التي تغطي الحياة السياسية، تنشئه وتوعيه وتساعده على تشكيل ثقافة سياسية.

ج - التنشئة السياسية:ليس هناك إجماع على تحديد مصطلح التنشئة السياسية لان هذا المصطلح يمثل نقطة التقاء للعديد من التخصصات في علم الاجتماع، العلوم السياسية وعلوم الإعلام والاتصال، فلكل منها مفهوم يتناسب مع طبيعة التخصص، غير أن هذا الاختلاف لا ينفي حقيقة وجود مجموعة من المتغيرات المشتركة مثل الأسرة، المدرسة، الأقران ووسائل الإعلام التي تمثل المصادر والروافد الرئيسية للتنشئة السياسية وعليه سوف نحاول استعراض مجموعة من التعريفات التي تتناسب مع موضوع ورقتنا هذه، حيث يعرف *اتكن* Atkin *وجانتز* Gantz التنشئة السياسية على أنها " عملية تطورية يكتسب من خلالها الأطفال والناشئة معلومات ومواقف وسلوك من البيئة السياسية المحيطة بهم " (محمد بن سعود البشر،1997،ص131)

أما *روبن Rubin* فقدم تعريفا أكثر عمقا يوضح من خلاله المقصود بالبيئة السياسية ويقول " التنشئة السياسية هي عملية تطورية من خلال وسائل اجتماعية متعددة يكتسب بها الفرد معلومات ويكون بها مواقف تمكنه من فهم الأشخاص، والمؤسسات، والأشياء الأخرى في البيئة السياسية ".

لم تركز التعاريف السابقة على مصادر أو مؤسسات التنشئة السياسية بقدر ما ركزت على مضمون التنشئة السياسية وعليه فالتنشئة السياسية هي عملية تطورية ليست ثابتة يكتسب فيها الناشئة معلومات ومعارف وسلوكات عن البيئة السياسية من خلال مصادر اجتماعية متعددة مثل الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام بطريقة تساعدهم على فهم عناصر وسيرورة هذه البيئة التي تؤثّر في معارفهم، مواقفهم، اتجاهاتهم وسلوكاتهم.

د - الثقافة السياسية : يعتبر مفهوم الثقافة السياسية في الوقت الراهن من بين المصطلحات التي تطرح جدالا واسعا في الأوساط الأكاديمية، سواء من حيث ضبط المفهوم وصياغته في تعريف محدد، أو من حيث الدور الذي تلعبه الثقافة السياسية في السيرورة أو العملية السياسية. لكن بالرغم من الغموض الذي يطرحه مفهوم هذا المصطلح، نلاحظ انه قد اكتسب حضورا بارزا في العديد من الميادين العلمية، السياسية والإعلامية (Brechon Pierre et al ,2000,p11)،كما حظي بالمقابل بنصيبه من الانتقادات التي أدت إلى العديد من المحاولات لتوضيحه في مجمل أدبيات العلوم الاجتماعية والإنسانية.

ترى منظمة *اليونسكو* أن الثقافة هي كل مركب من الخصائص الروحية، المادية والفكرية والشعورية المتميزة الخاصة بكل مجتمع أو مجموعة، فهي لا تضم فقط الفن والآداب وإنما أيضا أنماط العيش، الحقوق الأساسية أو الأولية للإنسان، نظام القيم، العادات والمعتقدات، وعندما ترتبط هذه العادات والمعتقدات بالسلوكات بالسياسية، يطلق عليها الثقافة السياسية . أين يركز العديد من الباحثين الذين تطرقوا إلى هذا الموضوع على الاتجاهات نحو الظاهرة السياسة بكل تجلياتها (Richard J.Payne & Jamal R.Nassar,p08) .

وعليه يمكننا القول أن الثقافة السياسية مرتبطة اشد الارتباط بالثقافة ككل من حيث إسقاط كل ما يتعلق بهذه الأخيرة على الفضاء السياسي ويجد هذا التعريف معناه أكثر في تعريف *كافاناغ D.Kavanagh* بأنها " جزء من الثقافة العامة التي تؤثّر بشكل مباشر في تحليل المعلومات وتجريدها من خلال الإحاطة بالمعارف ومدى تأثيرها على التوجهات السياسية للأفراد تجاه السياسية العامة"(Stephen Chilton,1988,p 422) .

بمعنى أنها ليست كل ثقافة المجتمع وإنما الجانب السياسي من ثقافة المجتمع ومما تقدم من تعاريف لا يتضح لنا بشكل دقيق أين تبدأ كل من الثقافة والسياسة وأين يلتقيان في الثقافة السياسية، فهل الثقافة السياسية هي جملة من القيم والمعارف السياسية؟ أم هي الأثر الذي تخلفه على التوجهات السياسية للأفراد تجاه كل ما هو سياسي أو كل ما يسقط في الفضاء السياسي العام ؟

ويظهر مفهوم الثقافة السياسية أكثر من خلال الأعمال الأولى *لالموند وفيربا Almond & Verba* (1965) الذي يعود الفضل لهما في وضع اللبنات الأولى لمفهوم الثقافة السياسية بقولهم أنها : "التوزيع الخاص أو المتميز لأنماط الاتجاهات السياسية نحو المواضيع السياسية بين أفراد المجتمع "(Gabriel Almond & Sidney Verba,1965,p 11) ، حيث يعتبران أن الثقافة السياسية هي العلاقة الرابطة بين السياسة الجزئية والكلية مع إدراك التوجهات السياسية للمجتمع والتي لها تأثير على المؤسسات السياسية للمجتمع والنماذج السياسية المسيطرة وعليه تأثر على الأفراد فيما يتعلق بأدوارهم السياسية ومحتوى آو مضمون مطالبهم السياسية وإتباعهم واحترامهم للقانون.

2 - **الإشكالية** :تشكل وسائل الإعلام من صحافة، إذاعة وتلفزيون ومجمل التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال احد عناصر المشهد السياسي المتكون من الفاعلين السياسيين، المؤسسات السياسية والرأي العام، فمنذ البدايات الأولى لوسائل الإعلام ارتبطت هذه الوسائل بالظاهرة السياسية، سواء كانت هذه العلاقة علاقة تبعية تسيطر فيها السلطة السياسية على كيفية عمل وسائل الإعلام وتوجيهها لخدمة النظام القائم آو علاقة تبادلية يعمل كل طرف فيها على خدمة الطرف الأخر من خلال منطلق التأثير والتأثر، أو علاقة صراع وتنافس يحاول كل طرف منهما فرض نفوذه على الطرف الآخر للتحكم والمراقبة، الاستغلال أو التلاعب بالطرف الأخر وتطويعه من اجل تحقيق مصالحه.

مرت هذه العلاقة بمراحل كانت انطلاقتها مع الصحافة الحزبية التي عملت على نشر أفكار ومبادئ الحزب ودعم سياسته وتوضيح مواقفه وتفسير تصريحات قادته للجمهور المتلقي، لتنتقل فيما بعد لتغطية الحدث والقضايا السياسية العامة مستقلة بذلك عن تمثيل الأحزاب السياسية أو النظام السياسي والتأكيد على رفع شعار الحيادية والموضوعية في معالجة القضايا السياسية، غير أن المتتبع للمضامين الإعلامية المتعلقة بالحياة السياسية من باحثين ومختصين في مجال الإعلام والسياسة يؤكدون على أن مسالة موضوعية وحيادية وسائل الإعلام هي مسالة نسبية بقدر ما هي مسالة وجهة نظر فلكل مؤسسة إعلامية زاوية معالجة للحدث السياسي تتماشى مع طبيعة المؤسسة بحد ذاتها، والسياسة التحريرية للمؤسسة والأهداف الإعلامية التي تسعى إلى تحقيقها من خلال وظائفها الإعلامية التي تتنوع بين الوظائف التقليدية والحديثة وخاصة تلك المتعلقة بالوظائف السياسية التي هي مجموعة من الوظائف المرتبطة أساسا بتغطية الأحداث والقضايا السياسية.

تتجه هذه الوظائف إما لمراقبة ونقد النشاط السياسي، توضيحه وتبسيطه أو دعمه ومساندته، بمعنى نقل الأخبار والمعلومات المحيطة بالعملية السياسية والفاعلين فيها، شرح وتفسير العملية السياسية، التأثير وتشكيل الآراء

والمواقف حول هذه العملية ، فهي تنتقل في وظائفها من مؤسسة تتولى مهمة الإعلام والإخبار وتزويد المتلقي بالمعلومات الضرورية إلى مؤسسة تكوينية تساهم في التنشئة السياسية وتشكيل الثقافة السياسية، هذه الثقافة التي تعد القاعدة الأساسية التي ينطلق منها الوعي السياسي وتتوجها المشاركة السياسية التي تتدرج من مرحلة الاهتمام السياسي إلى المعرفة السياسية ثم التصويت السياسي وأخيرا الخروج بالمطالب السياسية كون الثقافة السياسية بأبعادها المختلفة اللبنة الأساسية لتكوين الرأي العام والمشاركة السياسية الفعالة خاصة وان المشاركة السياسية اليوم أصبحت تعد من الرهانات الأساسية التي تواجه المجتمعات والأنظمة السياسية بما فيها الديمقراطية منها. ولان اكتساب الفرد للثقافة السياسية يعني اكتساب التوجهات السياسية والأنماط السلوكية التي يحملها الفرد تجاه النظام السياسي ومكوناته المختلفة من مدخلات ومخرجات واتجاه دوره كفرد في النظام السياسي فهي عملية متواصلة تبدأ وتستمر حتى الشيخوخة لخلق مواطن يؤمن بحرية الرأي وبالتعددية السياسية وبشكل عام تكوين إنسان ديمقراطي.

و بما أن عملية اكتساب وتكوين هذه الثقافة السياسية لا يتم إلا من خلال عملية التنشئة السياسية التي تشكل وسائل الإعلام إحدى مصادرها لكونها مؤسسة ثقافية فاعلة تساهم في صياغة موقف الرأي العام المتوافق مع الطبيعة الثقافية للمجتمع وبلورة قيمه واتجاهاته ومعارفه السياسية وتجديد وجهة تفكيره السياسي من خلال وظائفها الإعلامية والسياسية. وعليه نتساءل عن:

- حدود العلاقة بين وسائل الإعلام والسياسية.
- الوظائف السياسية التي تؤديها وسائل الإعلام.
- ومساهمة وسائل الإعلام في عملية التنشئة السياسية وتكوين الثقافة السياسية.

3 - العلاقة بين وسائل الإعلام والسياسة

1.3 -الامتداد التاريخي لعلاقة الإعلام بالسياسة :إن ملاحظة تأثير وسائل الإعلام على الحياة السياسية الراهنة هو من بين المواضيع التي تحتل الصدارة في ترتيب قائمة المواضيع التي تطرح الكثير من الجدل في الأوساط الإعلامية، السياسية والعلمية والتي تستدعي التمعن والتعمق في تفاصيل الموضوع وتطوره وتوضيح حدوده وأثاره.

فالعديد من المختصين قدموا نظرة ثلاثية لتاريخ وسائل الإعلام في علاقاتها مع السياسة بوصف ثلاث مراحل متتالية انطلاقا من القرن التاسع عشر، القرن العشرون ثم وصولا إلى القرن الواحد والعشرين.

أولا مرحلة صحافة الرأي وصحافة الأخبار ثم صحافة التمشهد والإثارة وبالموازاة مع الممارسات السياسية فإننا نحدد مرحلة ما قبل الحديث، الحديث وما بعد الحديث، ففي فترة ما قبل الحداثة تميزت السياسة باستخدام الاتصال السياسي والحملات على المستوى المحلي من طرف الأحزاب السياسية من خلال المناشير السياسية، التجمعات والصحافة الحزبية ((Pascal Delvit,Lean-Benoit Pilet & Nicolas de Becker,2009,p20.

بعد هذه المرحلة تأتي الحقبة الحديثة التي تتميز بحياة سياسية مبنية على وسائل الإعلام المستقلّة . الصحافة وخاصة التلفزيون ، حيث أن الحملات تتسع لتمس البعد الوطني مع استعانتها بالعديد من الوسائل الإعلامية التي تعوض غياب الصحافة الحزبية التي تشهد تراجعا كبيرا وأخيرا يتطرق نوريس*Pippa Noris* إلى المظاهر الأولى من طلائع مرحلة ما بعد الحديثة أين تعوض تكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة وسائل الإعلام التقليدية وتسمح

بالانفتاح ولا مركزية الحملة الانتخابية لتتكيف الوسيلة والرسالة مع الناخبين (Pascal Delvit,Lean-Benoit Pilet& Nicolas de Becker, Loc.cit).

2.3 - سمات العلاقة بين وسائل الإعلام والسياسة: يمكن وصف العلاقة بين النظام السياسي ووسائل الإعلام بأنها علاقة تأثير متبادل ويقاس مدى ودرجة التأثير المتبادل بينهما على أساس اعتبارات تتعلق بطبيعة العلاقة بينهما، درجة الديمقراطية التي يتمتع بها المجتمع، ونسبة الحرية التي تتمتع بها وسائل الإعلام في معالجة وتناول قضايا المجتمع ودرجة استجابة النظام السياسي لملاحظات وانتقادات وسائل الإعلام للنظام السياسي (رباب عبد الرحمن هاشم،2010،ص90). تعكس المقولة الشهيرة " كل شيء في السياسة اتصال" عن أهمية الأدوار والوظائف المتعددة التي تقوم بها وسائل الإعلام في خدمة النظام السياسي، حيث لم يعد بإمكان النظم السياسية التواجد والاستمرار والعمل دون الاعتماد على وسائل الإعلام، حيث تعمل هذه الأخيرة كسلطة رابعة السيرورة الديمقراطية باعتبارها مصدرا للمعلومات المستقلّة عن السلطة السياسية، حيث يصفون العلاقة بينهما بالوثيقة والتبادلية، ولا يمكننا القول أن سمات العلاقة بين كل من السياسية والإعلام تقتصر فقط على التأثير المتبادل والصراع بل تقوم أيضا على سعي كلا النظامين الحفاظ على الطرف الأخر،حيث تحافظ الأنظمة السياسية على النظام الإعلامي باعتباره الوسيط الذي ينقل وينشر أفكار وأراء ومواقف الفاعلين السياسيين، بغية التأثير على الجمهور وكسب التفاف وتأييد الرأي العام. كما أنها وسيلة أساسية للحفاظ على شرعية النظام السياسي، ويركز العديد من الباحثين على الجانب المعقد الذي يكتسي الكثير من الغموض والتعقيد في وصف العلاقة الموجودة بين كل من النظام السياسي ووسائل الإعلام. فمن ناحية تسعى وسائل الإعلام إلى خدمة والحفاظ على مصالح الجمهور بالدرجة الأولى وتلبية احتياجاتهم وتوخي المصلحة العامة فيما تقدمه من رسائل إعلامية، وفي نفس الوقت تقوم بإضفاء الشرعية والموضوعية على النظام السياسي القائم وإقناع الجماهير بأحقيته في السلطة، وبيان ودعم القرارات والممارسات المختلفة للسلطة السياسية.

3.3 - أبعاد العلاقة بين وسائل الإعلام والسياسة:

تتبلور العلاقة بين النظام السياسي والنظام الإعلامي من خلال الأبعاد التالية :

البعد القانوني : يؤثر النظام السياسي على وسائل الإعلام المختلفة، من خلال مجموعة من الوسائل الرسمية والغير رسمية، التي يستخدمها النظام السياسي في التأثير على وسائل الإعلام، ومن بينها التشريعات والقوانين، تراخيص العمل، التحكم، الاحتكار والسيطرة على مصادر المعلومات، حجب المعلومات، الرقابة القبلية والبعدية، وغيرها من الممارسات والوسائل التي يسيطر بها النظام السياسي غلى ما تقدمه وسائل الإعلام للجمهور.

البعد الإعلامي : بينما تؤثّر وسائل الإعلام على النظام السياسي من خلال التغطية التي تخص بها الحدث السياسي وزاوية المعالجة والتقديم والعرض في شكله النهائي إلى الجماهير المستقبلة، ونقل ردود أفعال الجمهور وأرائه حول نشاط السلطة وقراراتها، مما يساعد ويساهم في صنع واتخاذ القرار السياسي.

البعد السياسي : كما يؤثر النظام السياسي من جهة أخرى على الجمهور من خلال وسائل الإعلام عندما تقوم وسائل الإعلام المختلفة بزيادة درجة الاهتمام السياسي، وترتيب أولوياته، وتدريب المواطنين على مهارات المناقشة السياسية، وتكوين الصورة السياسية تجاه النظام السياسي، والتأثير على المشاركة السياسية، وزيادة درجتها، بالإضافة إلى تعبئة الجماهير لتأييد قرارات أو سياسات معينة. كما تساهم وسائل الإعلام المختلفة في نقل وتحليل

النشاط السياسي الذي تقوم به النخبة الحاكمة، مما يجعل الجمهور قادرا على تكوين معارفه واتجاهاته تجاه الأحداث والقضايا المختلفة، وبالتالي اتخاذ السلوكيات المطلوبة تجاهها.

البعد المؤسساتي : ينطلق من طبيعة وسائل الإعلام نفسها التي تعتبر مؤسسات قائمة بذاتها، يتأثر مضمون وسائلها وأسلوب عملها، وموقف القائمين بالاتصال فيها بالعوامل المهنية والتكنولوجية، ونمط الملكية الذي يسيطر على تلك الوسائل ولا يمكن أن نحدد بدقة أبعاد العلاقة بين وسائل الإعلام والسياسية إلا من خلال الوظائف السياسية التي تقوم بها وسائل الإعلام (رباب عبد الرحمن هاشم،2010،ص ص 19-92).

4 - الوظائف السياسية لوسائل الإعلام:

يعتبر العديد من الباحثين أن محاولة فهم وتفسير الحياة السياسية وظواهرها لا يكون إلا من خلال العملية الإعلامية كوظيفة اتصالية تمثل عصب الحياة السياسية. فالإعلام السياسي يجمع بين النظام الإعلامي والنظام السياسي (مجد الهاشمي،2009،ص80)، فكل القرارات السياسية، التصريحات، البيانات والأخبار المرتبطة بالعملية السياسية يجب أن تكون معلومات دقيقة وموثوقة وأكثر من ذلك حديثة ومرتبطة بموضوع القرار السياسي والتي لا يمكن الحصول عليها من خلال وسائل الإعلام التي تعبر عن وتعكس الواقع والأحداث الجارية، مما يزيد من فعالية أداء العملية السياسية ومؤسساتها، حيث تستخدم هذه الوسائل المعلومات التي تنقلها كمدخلات للنظام السياسي ووسائط لنقل نبض الجماهير، مطالبها، تطلعاتها، مواقفها واتجاهاتها الحقيقية، وفي المقابل تنقل للجمهور تعليمات وأوامر وقرارات الهيئة السياسية (Jacques Gestlé ,1992,pp 36-37):

ولقد تعاظم دور وسائل الإعلام والاتصال إلى درجة أصبح يصعب فيها فصل الإعلام عن البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، فلقد أثبتت معظم الدراسات الحديثة في مجال الإعلام السياسي أن لوسائل الإعلام قوة مستقلة في المجتمع، وأنها تلعب أدوارا سياسية من خلال ما تقدمه من رسائل إعلامية وما توفره كأرضية مشتركة للعرض والنقاش والحوار السياسي (Charles de Mestral,2001,p10) ، كما أنها تلعب دورا مؤثرا في عملية صنع القرار السياسي ولقد اتبعت دراسات وبحوث العلاقة بين وسائل الإعلام والسياسية اتجاهين أساسيين في تحديد الوظائف السياسية لوسائل الإعلام :

اتجاه ركز على وظائف وسائل الإعلام في النظام السياسي والاتجاه الثاني ركز على تحليل ودراسة اثر وسائل الإعلام على الحياة السياسية في ظل الأنظمة الديمقراطية(John Street ,2005,p17).

و يمكننا أن نميز أربعة اتجاهات أساسية لوظائف وسائل الإعلام السياسية في المجتمع والتي لها علاقة بالقوى السياسة- الاقتصادية من جهة، وبأفراد المجتمع المدني من جهة أخرى والتي صنفنا وفقها الوظائف السياسية لوسائل الإعلام تتمثل في (Kaarle Nordenstreng,p02):

- الاتجاه الرقابي لوظائف وسائل الإعلام Monitoring
- الاتجاه التسهيلي لوظائف وسائل الإعلام Facilitative
- الاتجاه التغييري لوظائف وسائل الإعلام Radical
- الاتجاه التعاوني لوظائف وسائل الإعلام **Collaborative**

1.4– الاتجاه الرقابي للوظائف السياسية لوسائل الإعلام :

تركز الوظائف السياسية في هذا الاتجاه على مهمة نقل الأخبار والمعلومات المختارة والمنتقاة التي تغطي الأحداث والمجريات السياسية وتعرض أرقاما وإحصائيات لها علاقة بالفضاء السياسي وفاعليه من سياسيين ومسئولين، ومن هذه الزاوية يحتل التلفزيون المرتبة الأولى حيث يتقدم على كل من الصحافة والراديو، ويطلق عليها أيضا الوظيفة الإخبارية ومراقبة البيئة، حيث تؤدي وسائل الإعلام دور المراقب المحايد الذي يغطي كل الأحداث المحيطة بكل موضوعية، وهو دور يشبه ما عهدته القبائل القديمة من مراقبة المجال الحيوي للمنطقة التي يعيشون فيها من أي خطر قد يحدق باستقرار وسلامة أفراد القبيلة وممتلكاتهم.إ ذ تعهد المهمة لمجموعة من أعضاء القبيلة التي تتوفر فيهم بعض الشروط الضرورية لتأدية هذا الدور، وكان يطلق عليهم اسم حراس البوابة وليس بعيد عن هذه الفكرة تقوم وسائل الإعلام اليوم بالدور نفسه في المجتمع، حيث أن حراس البوابة في المجتمعات الحديثة هم جامعوا الأخبار والقائمون عليها، والعاملون في المؤسسات الإعلامية المختلفة، ويمكن دراسة وظيفة المراقبة على مستويين(مجد الهاشمي، مرجع سابق،ص 73) :

أولا :وظيفة المراقبة الإعلامية على المستوى العام.

ثانيا :وظيفة المراقبة الإعلامية على المستوى الخاص.

و تعني الوظيفة الأولى أن وسائل الإعلام لا تعدنا فقط بالمواد الإعلامية، ولكنها تلعب دورا سياسيا في المجتمع، من خلال تدخلها في برامج العمل السياسي سواء بشكل مباشر أو غير مباشر ،كما أنها تساعد على تحديد المطالب السياسية التي تثار في الفضاء العام.

أما المراقبة على المستوى الخاص، فان لوسائل الإعلام تأثيرا واضحا على المواطن العادي تقوم وسائل الإعلام بنقل الأخبار التي تؤكد أن النظام السياسي يعمل لمواجهة الأزمات المتجددة والأخطار المفترضة، أن تأكيد هذا المعنى آمر هام جدا للاحتفاظ بالتماسك الاجتماعي للشعب، وهو ما يعني توفير الظروف المواتية للاستقرار السياسي للنظام السياسي القائم طالما أن الحكومة قادرة على القيام بوظائفها.

2.4– الاتجاه التسهلي للوظائف السياسية لوسائل الإعلام: ويطلق عليها أيضا بالوظيفة التفسيرية للأحداث يعتبر هذا الدور بعيدا عن مراكز السلطة، لأنه يسعى لتوفير أساسات ومنطلقات للمواطنين والرأي العام للتعبير والمشاركة في العملية السياسية. حيث تقوم وسائل الإعلام بتفسير وقائع الأحداث، ووضعها في سياقها العام، وتوقع نتائجها، وليس مجرد نقلها(Thomas E.Patterson,2008,p298) إذ أن وسائل الإعلام تحولت شيئا فشيئا إلى قراءة وتفسير المختار من الأحداث بشكل يؤثر على النتائج السياسية، ومن ثم فالمصطلحات التي تستخدمها والتأويلات التي تختارها لإعطاء معنى للأحداث مادامت تلتزم وتمتنع عن اتخاذ موقف أو مساندة طرف ما، لإيضاح نقطة ما أو تشخيصها أو وصف الفاعل السياسي هامة في تشكيل الآراء وتطورها.

و تبدأ الوظيفة التفسيرية عادة عندما تختار وسائل الإعلام زاوية معالجة للحدث السياسي فالعديد من وسائل الإعلام اليوم لديها برامج خاصة تقوم فيها بالتحليل وتناول المواضيع بشكل معمق ومفصل، حيث يتخذ أشكالا وقوالب متعددة، كاختيار الأخبار آو ترتيها أو توزيعها بطريقة معينة أو مقصودة، وقد تتمثل في التعليق عليها، تفسيرها، شرحها، وصفها وتوضيح مغزاها وأبعادها من وجهة نظر القائم بالاتصال (Thomas R Dye& Harmon Ziegler,1989,p184).ولهذه الوظيفة جوانبها الإيجابية والسلبية أيضا (عبد الله زلطة،2002،ص20)، فقد تساعد على تعبئة الجماهير، وترتيب أولوياته، ولكن من جهة أخرى هي تعمل على زيادة التماثل والتطابق بين أفراد

المجتمع، وتقلل من فرص إحداث التغيير في المجتمع، وفي ظل هذه الاتجاه نجد وظيفة الحوار والنقاش حيث تعمل هذه الوظيفة على فتح المجال لأفراد المجتمع لاكتساب مهارات الحوار والنقاش والاتصال والاختلاف والتعايش وذلك من خلال توفير المساحات الإعلامية (عزام أبو الحمام،2011،ص100) من خلال استقبال، نقل وإثارة النقاش العام. كما يمكن إدراج وظيفة التسويق السياسي تحث هذا الاتجاه كون وسائل الإعلام تقوم بترتيب الأولويات وتحديد الاتجاهات في أجندة كل ناخب تجاه القضايا السياسية المطروحة ومواقف المرشحين منها (محمد حمدان المصالحة،1996،ص40).

3.4– الاتجاه التعاوني للوظائف السياسية لوسائل الإعلام: يندرج تحت هذا الاتجاه مجموعة من الوظائف يمكن أن نصفها على أنها تربوية وتعليمة تتمثل في نشر المعرفة على نحو يعزز النمو الثقافي، وتكوين الشخصيات واكتساب المهارات والقدرات في كافة المراحل العمرية، وهي اقرب إلى التعليم والتربية السياسية، فالوسائل الإعلامية بإمكانها تقديم الكثير من المعلومات للنشء الجديد وللطلبة في مختلف المراحل العمرية فوظيفة التنشئة السياسية تعمل على خلق أفراد فاعلين إيجابيين في هذا المجتمع.و السمة الأساسية للتنشئة السياسية أنها عملية مستمرة وعادة ما تتكلل هذه الأخيرة بتكوين الثقافة السياسية. حيث تحرص الأنظمة السياسية وخاصة الشمولية منها التي تخضع لمركزية السلطة (حكم فردي أو حكومات الحزب الواحد) على الاستعمال المكثف لوسائل الإعلام من اجل تنشئة وتعبئة جماهيرها سياسيا، لهدف خلق وعي سياسي يتماشى ويدعم السلطة الحاكمة التي توجهه وتملي عليه مواقفه السياسية نحو القضايا والمواضيع السياسية الاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية. فالتثقيف السياسي هنا يكون موجه، بينما يكون التثقيف السياسي مختلفا في الأنظمة الديمقراطية أين تكون وسائل الإعلام أرضية للنقاش والحوار متنوعة الأفكار والمنطلقات تفسح المجال للجمهور بالقيام باختيارات سياسية ليست فقط مبنية على مصدر أو مؤسسة واحدة.

4.4– الاتجاه التغييري للوظائف السياسية لوسائل الإعلام: تركز الوظائف التي تعكس هذا الاتجاه على تبني منطلقات معارضة ومخالفة لكل ما تمثله السلطة وتنطلق في ذلك من خلال وظيفة تقييم الواقع السياسي الذي يمثل حقلا لنشاط وسائل الإعلام التي تستطيع أن تجذب آو تنفر الجماهير منه، ويرجع عادة عدم استقرار الواقع السياسي وقدرته في جذب الجماهير وإثارة انتباههم إلى التصورات التي يكونها الأفراد من مصادر الاتصال عن المؤسسات السياسية. إذ تشجع وسائل الإعلام أفراد المجتمع إما على المشاركة وأداء واجباتهم السياسية أو تنشر روح اللامبالاة والعزوف السياسي من خلال الطريقة التي تقدم أو تعرض بها الحياة السياسية الأمر الذي قد يقلل من شان العملية السياسية وشرعيتها آو العكس، ويكون ذلك سواء من خلال المساحة المخصصة للنشاط السياسي في وسائل الإعلام، زاوية المعالجة، الجدية آو البساطة والسطحية ، المحتوى والمواضيع المختارة. وقد تعمل وسائل الإعلام على التلاعب المباشر بالعملية السياسية ، فقد يكون الغرض من وراء بعض الأخبار السياسية إثارة ردود الأفعال العامة وخلق مطالب سياسية جديدة، أو قد يكون الهدف هو إثارة النخبة السياسية الحاكمة من اجل القيام ببعض الإصلاحات، وقد يكون الهدف هو التعاون بين موظفي الحكومة، الإداريين والصحفيين لإثارة موضوع من الموضوعات العامة. وذلك من اجل التأثير في اتجاهات الرأي العام ،حيث تستخدم الأنظمة السياسية وسائل الاتصال في هذا الشأن من اجل توجيه الرأي العام وتحديد مواقفه المؤيدة لسياسته وبرامجه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية...و محاولة إضعاف منطلقات الرفض والمعارضة والانتقاد لنشاط مؤسسات

النظام السياسي. ويعتبر كسب الرأي العام من المفاتيح القوية التي تسعى السلطة لامتلاكها والسيطرة عليها ولا يكون ذلك إلا بالاستعانة بوسائل الإعلام.

كما لا يتوان العديد من الباحثين في اعتبار وظائف وسائل الإعلام من الأدوات التنفيذية في عملية صنع القرار السياسي، ويتضح تأثير وسائل الإعلام فيما يلي (Thomas E.Patterson,Op.Cit,p308):

أولا :إن وسائل الإعلام تؤثّر على القرارات السياسية لأنها تروج لها أو تحجبها عن صانع القرار السياسي.

ثانيا : إن صانع القرار يعتقد أنها هامة، فهو ينظر إليها كمقياس لجس النبض وردود فعل الناس تجاه سياسته وقراراته.

5 - وسائل الإعلام من التنشئة إلى تكوين الثقافة السياسية:

تبرز أهمية الإعلام في التنشئة السياسية من المكانة المركزية التي تتربع عليها وسائل الإعلام اليوم كقوة أو كسلطة نظرا للتأثير الذي تمارسه على توجهات الأفراد، مواقفهم وسلوكهم السياسي بما فيها التأثير على أذواقهم وأسلوب حياتهم وحتى على قيمهم، معتقداتهم وإيديولوجياتهم السياسية (Philippe Braud,2006,pp.296-297).

هذه الأهمية دفعت الكثير من الأنظمة السياسية والحكومات للسعي إلى السيطرة على وسائل الإعلام ومراقبتها والتحكم في مداخلاتها ومخرجاتها وتوجيهها لخدمة مصالحها والحفاظ على هيمنتها السياسية. مما دفع بالتيارات السياسية المتنافسة في النظام السياسي الواحد إلى المطالبة باليات قانونية للمشاركة في استخدام وسائل الإعلام والاستفادة مما توفره وظائفها السياسية من اجل الوصول إلى الرأي العام. فلا يمكن إغفال ما لوسائل الإعلام من دور في عملية التنشئة السياسية وتكوين الثقافة السياسية فهي تعد احد المصادر الرئيسية للأخبار والمعلومات التي تغطي الأحداث والقضايا السياسية، كما تعمل على تشكيل الأفكار وبلورة الآراء والمواقف السياسية للأفراد على المدى الطويل، زيادة على كونها توفر أرضية للنقاش وتبادل الآراء بين مختلف الأطياف السياسية وبين مختلف أفراد المجتمع كل هذا لا يحدث بأسلوب خال من التوجيه والذاتية التي تفرضها وسائل الإعلام على المضامين التي تقدمها سواء بطريقة مقصودة أو غير مقصودة، فهي تعالج الأحداث إعلاميا وتغلفها في شكل لتحقيق هدف معين قد يكون ببساطة الإخبار والإعلام آو التأثير وتغيير الاتجاهات السياسية.

فلوسائل الإعلام القدرة على أن تنتقل من وظيفة نقل الأخبار وتوزيع المعلومات إلى وظيفة تشكيل وتكوين المعتقدات من خلال الأفكار والمبادئ السياسية والقيم التي تبثها بين السطور أو عبر الصور والتسجيلات من اجل الحفاظ على الثقافة السياسية للمجتمع، إذ تستطيع وسائل الإعلام إكساب الجمهور اتجاهات جديدة آو تعديل وتدعيم اتجاهات قديمة مع توخي الظروف الملائمة لهذه العملية سواء على مستوى مضمون المادة الإعلامية، الوسيلة الإعلامية والفترة الزمنية المناسبة (قزادري حياة،2008،ص50). وقد أشادت الكثير من البحوث العلمية الامبريقية على التأثير والدور الذي تمارسه وسائل الإعلام في التنشئة السياسية وبالتالي في تكوين الثقافة السياسية، وعليه سوف نحاول استعراض أهم المراحل التي تمر بها عملية التنشئة السياسية للأفراد من خلال وسائل الإعلام وتشكيل الثقافة السياسية التي تتكلل بها هذه العملية. إذ يلاحظ وجود علاقة بين التغير الإعلامي والتغير السياسي (عزيزة عبده،2004،ص75)، فالإعلام وما يرتبط به من وسائل ومضمون وأدوات يؤثر في التغيير السياسي، وذلك بتطوير القيم والمعتقدات السياسية، أي أن أنماط الإعلام من خلال الدور السياسي الذي يلعبه على صعيد الوظيفة السياسية –تؤثّر في عملية التغيير السياسي. فانطلاقا من السنوات الأولى تبدأ عملية التنشئة

السياسية وتكون الأسرة هي أول مؤسسة اجتماعية للتنشئة حيث يكون تأثيرها قوي ودائم، وأثناء ذلك تتكون الاتجاهات الأولى نحو السلطة السياسية وكل ما هو سياسي وتغرس في الطفل من خلال النقاشات السياسية التي تتطرق إليها الأسرة وتبرز هنا بالتحديد أهمية القرارات والاتجاهات والمواقف والسلوكات السياسية التي تتوصل إليها الأسرة جماعيا، مما يساهم في الاقتدار والخبرة السياسية أي مهارات التفاعل السياسي داخل وخارج الأسرة من خلال المشاركة السياسية، وتعد المدرسة ثان مؤسسة لهذه العملية ويؤثر النظام التعليمي ومحتوياته على عملية التنشئة السياسية من اجل خلق نوع معين من الأفراد يندمجون ويتواءمون مع النظام السياسي الذي يعيشون في ظله، والأشخاص الأكثر تعليما ووعيا بدور السلطة السياسية، وللمدرسة دور معترف به في تشكيل الاتجاهات، القيم السياسية، السلوك السياسي، وترسيخ رموز النظام السياسي، قيم المواطنة، تحية العلم، المناسبات الوطنية خاصة التاريخية والسياسية منه. كما انه لا يمكن إهمال جماعة الرفاق والجماعات المرجعية الأخرى مثل المسجد، الجمعيات، النقابات والأحزاب السياسية وصولا إلى وسائل الإعلام بأشكالها المتعددة التقليدية منها والحديثة والتي تواصل عملية التنشئة السياسية التي لا تتحدد بزمن أو عمر محدد بل تستمر مع استمرار استقرار النظام السياسي(رعد حافظ سالم الزبيدي،2011،ص40)، مما يزيد من ترسيخ التوجهات السياسية بوجه عام ويؤدّي ذلك إلى بروز ثقافة سياسية التي هي عبارة عن نمط من الاتجاهات والتوجهات الخاصة بالإفراد تجاه السياسة، الأمر الذي يعطي معنى للأفعال السياسية، ويشمل ذلك التوجهات الخاصة بالمعرفة وعلاقاتها بالأهداف والمعتقدات السياسية، أما التوجهات التقييمية فتتناول الأحكام والآراء ذات الصلة بالأهداف السياسية، إذ أن المعايير القيمية تتعلق بالقضايا والأحداث السياسية التي تطرحها وسائل الإعلام للنقاش. و يقسم أساتذة الاتصال السياسي تأثير وسائل الإعلام في عملية التنشئة السياسية إلى ثلاثة أنواع : التأثير المعرفي، التأثير العاطفي والتأثير السلوكي :

ا - **التأثير المعرفي** : تؤكد الدراسات التي تناولت العلاقة بين وسائل الإعلام وزيادة الوعي المعرفي بالقضايا والأحداث السياسية، أن هذه الوسائل تمثل مصدرا مهما من مصادر التنشئة السياسية، حيث أن وسائل الإعلام ومن خلال الوظيفة الإخبارية والتعليمية اللتان تعتبران من وظائفها التقليدية تستطيع أن تؤثّر على التوجهات المعرفية للفرد وتنمي ثقافته السياسية الخاصة ببيئته السياسية المحيطة وبكل الفاعلين السياسيين الذين ينشطون في سياقها.

فتنمية الوعي المعرفي السياسي هو نتيجة لعملية تعليمية يمر بها الفرد فقد ركز العديد من الباحثين في دراساتهم على مدى تأثير وسائل الإعلام في تنمية هذا الوعي المعرفي السياسي لدى الأفراد، حيث أن وسائل الإعلام توفر المعلومات الضرورية المتعلقة بالمتغيرات الأساسية للبيئة السياسية مثل النظام السياسي، الأعراف والقيم السياسية السائدة في المجتمع، والكيفية التي تمارس بها السياسية في هذا النظام أو ذاك، وعن المؤسسات السياسية الهامة في المجتمع(محمد بن سعود البشر،1997،ص137).

ب – **التأثير العاطفي** :النوع الثاني من التأثير السياسي الذي تحدثه وسائل الإعلام على الناشئة هو التأثير العاطفي أو الشعوري ففي هذا الموضوع تم التركيز على متغير الاهتمام بالبيئة السياسية، حيث أن التعرض لوسائل الإعلام يزيد من اهتمام الفرد بالقضايا السياسية التي تحدث في بيئته وتدفعه إلى البحث عن المعلومات التي تشبع فضوله، وهذا الاهتمام بدوره ينعكس أيضا على حجم التعرض لهذه الوسائل الإعلامية (وليد عبد الهادي العويمر،2013،ص59). وكما حدث مع مرحلة الوعي المعرفي والانتقال إلى مرحلة الاهتمام ومتابعة القضايا

والأحداث السياسية تكلل هاتين المرحلتين بمرحلة أكثر تقدما وهي مرحلة الفعل، أي المشاركة الفعلية في نشاطات الحياة السياسية، هذه المشاركة يصفها الباحثون في الاتصال السياسي بالمشاركة السياسية، وهي نتيجة تأثير وسائل الإعلام على السلوك الذي هو النوع الثالث من تأثير وسائل الإعلام في عملية التنشئة السياسية.

3 – **التأثير السلوكي** :مرحلة التأثير السلوكي تعد أهم مرحلة في عملية تأثير وسائل الإعلام في عملية التنشئة السياسية، إذ هي الانعكاس الفعلي لكل ما اكتسبه الفرد من معارف ومعلومات لها علاقة بالبيئة السياسية التي ينتمي إليها، وما أفرزته هذه المعارف والمعلومات من مواقف واتجاهات تساعد على المشاركة الفاعلة في العملية السياسية، أن وسائل الإعلام وخاصة في ظل التطورات التكنولوجية الحديثة في مجال الإعلام والاتصال توفر للفرد المعلومات والأخبار السياسية في الوقت الفعلي للحدث السياسي مما يدفع به إلى الاهتمام أكثر ومتابعة الموضوع في الوقت الحقيقي والمساهمة في صناعة هذا الحدث من خلال مشاركته والتعليق عليه وأحيانا تغيير مساره وخير دليل على ذلك شبكات التواصل الاجتماعي وقدرتها الكبيرة في تجنيد وتحريك الشارع العام(محمد بن سعود البشر، مرجع سابق،ص141).

الخاتمة:

من خلال ما تقدم في هذه الورقة يمكننا القول أن التنمية السياسية ليست مجرد إقامة مؤسسات تتقاسم فيها السلطة وتسير على مستواها العملية السياسية، وإنما تقتضي وجود ثقافة تحكم وتراقب ممارسات هذه المؤسسات، سواء على المستوى الداخلي أو على المستوى الخارجي بمعنى فيما بينها وبين السلطة السياسية والجماهير وتمكنها بذلك من أداء وظائفها بفاعلية.

و هذا الأمر لا يكون إلا من خلال تكوين فرد فاعل في المجتمع يتمتع بالمعارف السياسية ومساحة من حرية الرأي والتعبير تمكنه من اتخاذ مواقف مستقلة عن المؤسسات السياسية ووسائل الإعلام ومسائلة الواقع السياسي، وهو الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام من خلال الوظائف السياسية التي تؤديها داخل المجتمع وينعكس ذلك سواء من خلال المشاركة السياسية أو العزوف السياسي .

غير أن النمو السريع المرتبط بتعدد التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال واستخداماتها السياسية دفع بالأفراد إلى الاقتراب أكثر من الواقع السياسي وزيادة المدركات السياسية للجماهير، وينعكس ذلك بالضرورة على تفاعلهم في الحياة السياسية بعيدا عن الدور التوجيهي لوسائل الإعلام من خلال مختلف وظائفها السياسية وتضييق الأنظمة السياسية للمساحات التعبيرية.

قائمة المراجع :

1 – أبو الحمام، عزام. (2011).الإعلام والمجتمع. الأردن :دار أسامة للنشر والتوزيع.

2 – بن سعود البشر، محمد.(1997).مقدمة في الاتصال السياسي. الرياض : مكتبة العبيكات.

3 – الزبيدي، رعد حافظ سالم.(2011).مبادئ الثقافة السياسية دراسة اجتماعية سياسية تحليلية مقارنة. القاهرة :المكتب المصري للمطبوعات.

4 – زلطة، عبد الله.(2002).الراي العام والإعلام. القاهرة : دار الفكر العربي.

5 – عبده، عزيزة.(2004).الإعلام السياسي والري العام دراسة في ترتيب الأولويات. القاهرة : دار الفجر للنشر والتوزيع.

6 – عبد الرحمن هاشم، رباب.(2010).الإعلام والإصلاح السياسي في مصر. القاهرة :دار العالم العربي.

7 –العويمر، وليد عبد الهادي.(2013).دور الإذاعة والتلفاز الأردني في التنمية السياسية دراسة تحليلية ميدانية. المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية.المجلد6.العدد1.

8 – قزادري، حياة.(2008).الصحافة والسياسة او الثقافة السياسية والممارسة الإعلامية في الجزائر. الجزائر: طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع.

9 – المصالحة، حمدان.(1996).الاتصال السياسي مقترب نظري تطبيقي. عمان: دار وائل للنشر.

10 – الهاشمي، مجد.(2009).الإعلام الدبلوماسي والسياسي. عمان. دار أسامة.

11 – Almond ,Gabriel and Verba,Sidney.(1965).The civic culture.boston :little brown company.

12- Benett,Tony.(1982).Theories of the media theories of society and the media.London:edited by Michael Gurevich and al.

13 – Braud ,Philippe.(2006).Sociologie politique.8 édition.Paris :L.G.D.J.

14 – Brechon ,Pierre et al(2000).les culture politiques des francais .france :presses de science politique académique.

15- Chilton,stephen.(1988).defining political culture.(electronic version).the western political quarterly.vol(41).No3.september.http://links jestor.org.

16 – delwit ,Pascal.Pilet ,Jean – Benoit and De deecker ,Nicholas.(2009).transformation du politique sous le regard des médias Bruxelles :centre d'étude de la vie politique.Université libre de Bruxelles.

17 –De Mestral , Charles.(2011).Appropriation politique des réseaux sociaux et ses effet sur la participation politique.http://www.academia.edu.

18 – Dye,Thomas R and Ziegler ,Harmon.(1989).the irony of democracy an uncommon introduction of American politics ,California:Cole publishing company pacific grove.

19 –Happer ,Catherine and Philo, Greg.(2013).The role of the media in the construction of public belief and social change.Journal of society and political psychology.Vol1(1).Uk:Galasgow university media group.

20 – Gerstlé ,Jacques.(1992).la communication politique ,que sais –je ?.Paris :presses universitaires de France.

21 – McNair,Brian.(2011).An introduction to political communication.5thedition.London :Routledge Taylorand francis Group.

22 – Nordenstreng,Kaarle.Media and society ,department of journalism and mass communication.University of Tampere.http://www.uta.fi.20/02/2016.

23 – Patterson ,Thomas E.(2008).The American democracy.USA :McGraw hill higher education university of Maryland.

24 – Payne,Richard Jand Nassar,Jamal R.(2011).Politics and culture in the developing world the impact of globalization.5th edition.USA:longman.

25 –Street,John.(2005).Politics lost politics transformed politics colonized theories of impact of mass media.Polititical study review.vol13.Uk:Blackwell publishing LTD.

صعوبات التعلّم وانعكاساتها على التحصيل الدراسي

– قراءة في المظاهر، الأسباب وسبل العلاج–

د. روقاب جميلة

جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف

الملخص:

نسعى من خلال هذا البحث إلى إبراز الفروق بين صعوبات التعلم وبطء التعلم والتّأخر الدراسي، وذلك من خلال رصد مختلف الآراء العلمية للمتخصصين في مجال التربية والتعليم، وهذا بتعريف صعوبات التعلم وأهمّ خصائصها، ومن ثمّ توضيح العلاقة بينها وبطء التعلم والتأخر الدراسي مع تحديد مظاهرها اللغوية والتربوية الاجتماعية والسلوكية، ثمّ الحديث عن الأسباب الوراثية والبيئية مع اقتراح الحلول الكفيلة للحدّ من مشاكلها.

الكلمات المفتاحية: صعوبات التعلم، بطء التعلم، التأخر الدراسي ، التعلم، الفروق.

Abstract:

we seek through this research to highlight the contrast between learning difficulties and the slow learning and under achievement through monitoring the various scientific opinions of specialists in the field of education, this definition of learning disabilities and most important characteristics, and then clarify the relationship between her and slowly learning and under achievement identifying linguistic and pedagogical manifestations of social and behavioural, and then talk about the genetic and environmental causes while suggesting solutions to reduce problems.

Keywords: learning difficulties, slow learning ,under achievement, learning ,differences .

مقدمة:

من المسلّم به أنّ عملية التعلم تهدف إلى بناء شخصية الإنسان في جوانب عدة لعل أبرزها الجوانب العقلية، والخلقية، الكمالية، والصحية، والمهنية، والعملية التي تتعامل مع العقول البشرية على اختلاف ما فيها من فروقات فردية وحاجات أيضا، وتخضع للعديد من المتغيرات والمستجدات التي تطرأ على ساحة العولمة والتي هي في تغيّر وتجدد دائمين، لذا يمثل موضوع صعوبات التعلم أو ما يصطلح عليه بـ (learning difficulties) أحد أهمّ المحاور المتعلقة بمجال التربية الخاصة، وقد بدأت العناية به في النصف الثاني من القرن العشرين وبالتحديد في بداية الستينات، حيث تعتبر ظاهرة صعوبات التعلم من الأمور النفسية المستحدثة التي استقطبت انتباه الباحثين والمربين والمتتبعين للمصطلح وآثاره السلبية على التحصيل العلمي، فهناك العديد من ردود الأفعال المثيرة والسلوكيات المتنوعة التي يمكن أن تصدر عن المتعلم والتي يتضح منها أنّه يعاني من صعوبات في التواصل أو التفكير أو القراءة أو الفهم ... إلخ.وبالتالي سنحاول في هذه الورقة البحثية إبراز المفارقة بين بطء التعلم والتأخر الدراسي وصعوبة التعلم، وذلك من خلال رصد مختلف الآراء العلمية للمهتمين بمجال التعليم والتربية لتعرية الأسباب الناجم عنها هذا المشكل التعليمي العويص الذي بات يؤرّق المعلم والمتعلّم معا، كما لم يسلم منه حتّى المحيط الأسري والاجتماعي لكونه يقف كحاجز متين في مسار التحصيل العلمي والمعرفي, لذا اختلف الباحثون في تحديد تعريف دقيق لصعوبات التعلم وذلك لصعوبة تحديد هؤلاء المتعلمين الذين يعانون مشاكل كبيرة في التعلم وكذلك صعوبة اكتشاف هؤلاء التلاميذ أو الأطفال على الرغم من وجودهم بكثرة في العديد من المؤسسات التربوية

فهم حقا فئة محيّرة من المتعلّمين إنّها فئة- وبكلّ بساطة - تعاني مفارقة شديدة بين المستوى الفعلي والمستوى المتوقع الوصول إليه، ولعل الإشكال المطروح في هذا المقام هو : كيف تتمّ عملية التشخيص لصعوبات التعلم وفيم تتجلى أهمّ مظاهرها؟ وهل هناك تباين بينها وبطء التعلم و كذا التأخر الدراسي أم هي مصطلحات مترادفة لمفهوم واحد؟ وما هي الأسباب الحقيقية لصعوبات التعلم؟ ثمّ كيف السبل لعلاج الظاهرة صعوبات التي استفحلت في مؤسساتنا التربوية التعليمية في الآونة الأخيرة؟

1- مفهوم صعوبات التعلم: في الحقيقة لا توجد تعاريف مضبوطة لصعوبات التعلم كما لا توجد خصائص مشتركة للمصابين بها، لأنّه وبكلّ بساطة ليست لدى من يعانون صعوبة في التعلم نفس نقاط الضعف والقوة فهي تختلف من متعلم لآخر، ومن مرحلة عمرية لأخرى ومع هذا حاول بعض الباحثين المشتغلين في حقل التربية والتعليم وضع بعض المفاهيم التي قد توجد في الطفل الذي يعاني المشكل نجملها في القول التالي:" صعوبات التعلم مصطلح عام يصف مجموعة من التلاميذ في الفصل الدراسي العادي يظهرون انخفاضا في التحصيل الدراسي عن زملائهم العاديين مع أنّهم يتمتعون بذكاء عادي فوق المتوسّط، إلاّ أنّهم يظهرون صعوبة في بعض العمليات المتصلة بالتعلم: كالفهم، أو التفكير، أو الإدراك، أو الانتباه، أو القراءة، أو الكتابة، أو التهجي، أو النطق، أو إجراء العمليات الحسابية أو في المهارات المتصلة بكلّ من العمليات السابقة ويستبعد من حالات صعوبات التعلم ذوو الإعاقة العقلية، والمضطربون انفعاليّا والمصابون بأمراض وعيوب السمع والبصر وذوو الإعاقات المتعددة ذلك حيث أنّ إعاقتهم قد تكون سببا مباشرا للصعوبات التي يعانون منها"[1].

في حين قدّم عادل الأشول تعريفا تربويّا لصعوبات التعلم ينصّ على أنّها" نقص في الإنجاز أو القدرة عند بعض الأفراد في مجال تعليمي معيّن مقارنة بإنجاز أو قدرة ذو القدرة العقلية المتشابهة معهم، ويرجع ذلك إلى وجود اضطرابات في العمليات النفسية التي تتضمن فهم استخدام اللغة سواء المكتوبة أو المنطوقة"[2].

ويعرف عبد الوهاب محمد كامل صعوبات التعلم بأنّها اضطراب في عملية أو أكثر من العمليات النفسية الأساسية التي تشمل الفهم أو استخدام اللغة نطقا وكتابة، وتظهر في اضطراب القدرة على الاستماع والتفكير والكلام والقراءة والكتابة وإجراء العمليات الحسابية، ويشمل المصطلح مظاهر الإعاقة الإدراكية وإصابات المخ والحدّ الأدنى لخلل المخ والعسر القرائي والأفازيا النمائية[3].

وتأسيسا على ما ورد ذكره في ثنايا التعريفات السابقة لصعوبات التعلم، نرى أنّ المصطلح مازال يشكل عبئا ثقيلا على المشتغلين بهذا الحقل المعرفي للوصول إلى تعريفات أكثر دقة وشمولا، ولعل المفاهيم حول ظاهرة صعوبات التعلم التي باتت تؤرق الأولياء والمربين على حدّ السواء، هي ليست ناتجة عن أيّ إعاقة من الإعاقات الأخرى أو الحرمان البيئي أو فرص التعلّم التي نشهدها في محيطنا الاجتماعي، لعلّ أبرزها: الغياب الذهني للمتعلم وتتجلى في واحدة أو أكثر من العمليات الفكرية، على غرار الذاكرة والانتباه والإدراك والتفكير، مع القصور في الذكاء في النطاق العادي أو دونه بقليل أو أعلى منه وعدم الملاءمة فقد تكون مصاحبة لأيّ إعاقة أخرى أو للتفوق والموهبة.

---

[1] - ينظر: ميسون نعيم مجاهد، صعوبات التعلم، دار الزهراء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1432هـ- 2011م، ص: 114.

[2] - عادل عز الدين الأشول، موسوعة التربية الخاصة، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 1987ص:540.

[3] - ينظر: عبد الوهاب محمد كامل، الخصائص النيروسيكولوجية لدى بعض الأطفال ذوي الخلل الوظيفي البسيط بالمخ، المجلة المصرية للدراسات النفسية، العدد الثامن، أبريل 1994م، ص: 14.

وعليه يمكننا القول أنّها مؤثرة اجتماعيا على النواحي المهنية والأنشطة الحياتية اليومية للفرد، وتتجلّى في سبعة مجالات أساسية في التعلم ألا وهي: المهارات الأساسية للقراءة، الرياضات، والاستدلال الرياضي، التعبير، فهم المسموع، فهم المقروء، الكتابة، التعبير، الإملاء والخط[1]، فليست مقتصرة على مرحلة عمرية واحدة فقط كالطفولة مثلا؛ بل هي مسايرة للفرد في جميع مراحله العمرية، إنّها إعاقة مستقلة كغيرها من الإعاقات، وصعوبات التعلم لها تأثيرها الخاص على حياة الأشخاص الاجتماعية والنفسية والمهنية حتّى على أنشطة حياتهم اليومية.

2- صعوبات التعلم والمصطلحات المحايثة (مقاربة مقارنة في المفاهيم):

لصعوبات التعلم مصطلحات أخرى متصلة بالتعلم تضارعه على غرار بطء التعلم والتأخر الدراسي والتخلف العقلي ..إلخ مع بعض الفوارق التي سنتبيّن أهمّ مظاهرها وأسبابها مع تحديد الفروق المفهومية بينها على النحو التالي:

أ- بطء التعلّم(slow learning): هو إصابة أو تلف في أكثر من جزء من الدّماغ البشري، يسبب ضعفا واضحا في بعض القدرات العقلية لدى المصاب، وقد يكون أيضا وراثيّا يحدث له مشاكل نمائية واسعة حسب تعريف الخبراء والمختصّين؛ أي انخفاض في معدل الذكاء وهذا أكبر عائق أمام عملية التعلّم، والملاحظ أيضا أنّه من يعاني المشكلة يكون لديه انخفاض في المستوى الدراسي ممّا يصّعب عليه مهمة إكمال مشواره الدراسي، وهذا راجع في الأساس إلى بعض العوامل الفيزيولوجية، والكبت الوجداني، مع ضعف الدافع والرغبة في التعلّم، إضافة لطرائق التدريس وبرامج ووسائل التعليم غير المناسبة له، ممّا يخلق في نفسيته نفورا من الجهد والنشاط والعمل وبالتالي الشعور بالكسل فنراه يتّجه بعد فشله أو رسوبه لأكثر من مرّة إلى التكوين المهني كحلّ بديل باعتباره نمطا من التعليم الهادف إلى إعداد الشخص قصد مزاولة مهنة أو حرفة ينتفع بها في المستقبل.

وينظر الباحثون إلى الأشخاص الذين يعانون من بطء في التعلم من ثلاث زوايا مختلفة وهي الجانب العقلي، الجانب النفسي والجانب الاجتماعي بحيث يجمعون على التعريف التالي: بطيء التعلم هو كلّ طفل يكون قادرا على مجاراة الآخرين من زملائه في التحصيل العلمي والمعرفي، لأسباب نفسية أو اجتماعية أو عقلية.

أ- الجانب العقلي:

هو نتيجة تدني القدرات العقلية للطفل، والعامل الأساسي لتصنيف هذا البطء في التحصيل هو انخفاض معامل الذكاء، وهذا التأخر يظهر قبل سنّ الثامنة عشر.

ب- الجانب النفسي:

هو نتيجة العوامل والظروف والمثيرات الخارجية التي تؤدي إلى الاضطرابات في شخصية الطفل، فتسبب له القلق والخوف والانطواء...وكلّ صعوبة في الاندماج الاجتماعي للأولياء ينتج عنه صعوبة في الاندماج المدرسي للطفل.

ج- الجانب الاجتماعي:

هو نتيجة أوضاع اجتماعية صعبة تنعكس سلبا على شخصية الطفل، كالطلاق والتفكك الأسري، وعدم انسجام الطفل مع طبيعة البيئة المدرسية التي ينتمي إليها[2].

---

[1] - ينظر: إبراهيم بن سعد أبو نيان، صعوبات التعلم، طرق التدريس والاستراتيجيات المعرفية، ط1، 2001، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص:54.

[2] - ينظر: عثمان أحمد مهدي، بطء التعلم أسبابه وطريقة التعامل معه، دار الكتاب الجامعي، العين، ط1، 2004، ص:109-110.

رغم هذه الاختلافات الجوهرية بين الباحثين، إلاّ أنّ "بطيئ التعلم تعدّ قدراتهم على التعلم في كلّ المقررات الدراسية متأخرة بالمقارنة بأقرانهم في نفس العمر الزمني، كما أنّ لديهم مستويات ذكاء تتراوح بين الحدّ الفاصل Borderline، وأقل من المستوى المتوسّط للذكاء مع بطء التعلم في التقدم والإنجاز الدراسي، ومن لايمكن اعتبار بطيئ التعلم كحالات صعوبات التعلم بسبب عدم وجود تباعد وتباين واضح بين قدراتهم العقلية وتحصيلهم الدراسي"[1].

ب- التأخر الدراسي: التأخر الدراسي أو التخلف الدراسي معناه"تكرار التلاميذ للأقسام وإعادتهم لنفس التعليم الذي سبق وأن تلقوه في السنة الدراسية السابقة...وللتخلف الدراسي او التأخّر الدراسي شكلين هما:

1- تخلف دراسي عام يكون فيه التلميذ متخلفا في كامل المواد الدراسية، وتخلف دراسي خاص يكون فيه التلميذ متخلفا في بعض المواد الدراسية.

2- تخلف دراسي خلقي يرجع إلى قصور في الجهاز العصبي أو الفيزيولوجي أو إلى نسبة للذكاء بين 70 و90 درجة، وتخلف دراسي وظيفي ترجع أسبابه إلى عوامل اجتماعية ونفسية"[2]، فالتأخر الدراسي هو في عرف أهل الاختصاص ذلك الإهمال الناتج جرّاء المشاكل الاجتماعية والأسرية والبيئية وليس بتخلف عقلي أو بسبب وراثيّ؛ إذ يعاني هؤلاء من ضعف في التحصيل الدراسي مما يضطره لإعادة السنة لفشله في العديد من المواد التعليمية، وبالمقابل ليست لديهم مشاكل نمائية [3]؛ لأنّ معدل الذكاء لديهم متوسّط أو فوق المتوسّط لكن التأخر الدراسي سببه الشعور بالإحباط والفشل للرسوب المتكرر عند هذه الفئة من المتعلمين لعدم وجود دافعية ورغبة للتعلم.

وعليه يمكن القول أنّ مفهوم صعوبات التعلّم يختلف كليّا عن مفهوم التأخّر الدراسي، فمصطلح صعوبات التعلم ينطبق على الأفراد الذين يتمتعون بذكاء عادي (متوسّط أو فوق المتوسّط) وترجع الصعوبة لديهم إلى عوامل أسرية أو مدرسية أو نفسية وغير ناتجة عن أية إعاقة حسية أو حركية أخرى، أمّا مصطلح التأخر الدراسي فيعرف بأنّه إعاقة ترجع لأسباب غير عقلية، مثل ضعف البصر أو ضعف السمع أو عدم التكيّف الاجتماعي في المدرسة[4].

ج- نقص الذكاء وصعوبة التعلم: الشخص الذي يعاني صعوبة في التعلم هو شخص عادي جدّا علما أنّ اضطرابه في العمليات الذهنية وقلة الانتباه والتركيز والإدراك والذاكرة كلّها عوامل من شأنها أن تجعله يشكو بعض المواد الدراسية الصعبة الاستيعاب والتي كثيرا ما يخفق فيها نحو: الرياضيات والإملاء والقواعد...لكن هذا لا

---

[1] - ينظر: سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم، المرجع في صعوبات التعلم النمائية والاكاديمية والاجتماعية والانفعالية، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، ط1، 2010م، ص:39

[2] - ينظر: عبد اللطيف الفاربي وآخرون، معجم علوم التربية – مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك- سلسلة علوم التربية 9-10، دط، دت، ص:288.

[3] - يشير مصطلح المشاكل النمائية إلى مجموعة من الاضطرابات التي تظهر في مجموعة مكونة من خمسة اضطرابات تتسم بتأخر نمو الوظائف الأساسية المتعددة، بما في ذلك الاندماج في المجتمع والتواصل .إن الاضطرابات النمائية تتمثل في:أ- اضطرابات نمائية شاملة غير محدد تعرف باسم(PDD-NOS) وتتضمن التوحد اللانمطي، وهو الأكثر انتشارا، ب- التوحد وهو الأكثر شهرة؛ ج- متلازمة أسبرجر، د- متلازمة ريت، هـ- واضطرابات الطفولة التحليلية (CDD) (ينظر: رائد خليل العبادي، التوحد، دار المعرفة، عمان، ط2، 2006م، ص:126-127).

[4] - ينظر: سليمان عبد الواحد يوسف، صعوبات التعلم وأخواتها... حدود فاصلة، مجلة الطب النفسي الإسلامي(النفس المطمئنة)، الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية، القاهرة، العدد90، مايو 2008م، ص:37.

يعني إطلاقا أنّ معدّل الذكاء لديه متوسّط أو فوق المتوسّط، فهو "تلميذ يواجه مشاكل هامة تتعلّق بالتعلّم أو بالحياة في الوسط المدرسي مع غياب نقائص حسيّة أو بدنية أو فكرية لديه"[1]، إنّه بحاجة إلى حصص الدعم والاستدراك أو برامج التعلم الفردي المكثّف حتّى يسدّ الثغرات التي تجعله يعاني من صوبة التعلّم وبها يتحسن مستواه الدراسي بشكل جيّد.

إنّ من أهمّ المشاكل التي تعيق نجاح استراتيجية العمليّة التعليمية لدى الطفل في عرف علماء النفس التربوي، هو عدم امتلاكه لتلك القدرة الكافية لإدراك العلاقة الدلالية بين المفاهيم والأشياء، لأنّ نشاطه الذهني في هذه المرحلة بالذات من التعليم يعتمد كليّة على المدركات الحسيّة التي تنقل المعرفة إلى الذهن، وذلك راجع بطبيعة الحال إلى محدودية خيراته مع عدم استكمال ما يعرف بالنضج العقلي لديه.

وبالارتكاز على نظريّة المعرفة نلفي معظم المفكرين يتفقون على فكرة واحدة مفادها أنّ العقل هو مصدر المعرفة ولكنّه لا يستطيع أن يبني المعرفة من غير الاعتماد على الحواسّ التي تعتبر المنافذ الحقيقيّة للتعلّم، بالاتكاء على عدّة وسائل تعليمية نذكر منها(الحسيّة ، السمعية كانت أو البصريّة) لقد أثرت نظرية الذكاءات المتعددة على العملية التعليمية، فظلت الممارسة التربوية مقيّدة بالمفهوم الأحادي للذكاء؛ حيث تعتبره قدرة واحدة يمكن التعبير عنها من خلال ما يصطلح عليه بـ: **معامل الذكاء**[2], بالإضافة إلى قياسها للذكاء انطلاقا من قدرتين فقط, هما اللغة والرياضيات.

وللرد على هذه النظرة الأحادية إلى الذكاء ظهرت نظرية جديدة تعتمد على الأبحاث الميدانية تقول بالعكس؛ أي بالذكاءات بمعنى أن القدرة العقلية لدى الإنسان تتكون من عدة ذكاءات وأن هذه الذكاءات مستقلة عن بعضها البعض إلى حد كبير. وحسب هذه النظرية, فإن الفكر البشري يشتمل على ثمانية أنواع للذكاء المختلفة:

أ- **الذكاء اللغوي**:هو التميز في القدرة على استعمال اللغة والإقبال على أنشطة القراءة والكتابة ورواية القصص والمناقشة مع الآخرين, مع إمكانية الإنتاج اللغوي أو الأدبي.

ب- **الذكاء الرياضي المنطقي**:وهو التميز في القدرة على استعمال التفكير الرياضي والمنطقي والإقبال على الرياضيات وعلى حل المشاكل ووضع الفرضيات واختبارها وتصنيف الأشياء واستعمال المفاهيم المجردة.

ج- **الذكاء الفضائي**:هو التميز في القدرة على استعمال الفضاء بشتى أشكاله, بما في ذلك قراءة الخرائط والجداول والخطاطات وتخيل الأشياء وتصور المساحات وتتمثل هذه القدرات في أنشطة مفضلة منها التصوير وتلوين الأشكال المصورة وبناء الأشياء والتمعن في الأماكن الهندسية مع الإبداع بعض من هذه المجالات أو كلها.

د- **الذكاء** الحسي **الحركي**:وهو التميز في القدرة على استعمال الجسد من ألعاب ورياضية ورقص ومسرح وأشغال يدوية وتوظيف الأدوات المهنية. والتعلم المفضل لدى أصحاب هذه القدرة هو الذي يتم عن طريق المناولة العملية والتحرك والتعبير الجسدي واستعمال الحواس المختلفة.

---

[1] - بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث (عربي، إنجليزي فرنسي)، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، دار راجعي للطباعة والنشر، الجزائر، ط2010م، ص:148.

[2] - معامل الذكاء: هي درجة مشتقة من واحدة من عدة اختبارات موحدة مختلفة مصممة لتقييم الذكاء (ينظر: ماجدة بهاء الدين السيد عبيد، الإعاقة العقلية، منشورات دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م، ص:74)

هـ- **الذكاء الموسيقي:** هو التميز في القدرة على تعرف الأصوات وتذوق الأنغام وتذكر الألحان والتعبير بواسطتها, كما أن أصحاب هذا النوع من الذكاء يفضلون التعلم عن طريق الغناء واللحن والإيقاع.

و- **الذكاء التواصلي:** هو التميز في القدرة على ربط وتمتين علاقات إيجابية مع الغير, وعلى التفاعل مع الآخرين وفهمهم, ولعب أدوار قيادية ضمن المجموعات, وحل الخلافات بين الأفراد والتعلم الذي تفضله هذه المجموعة هو التعلم عن طريق التواصل المستمر مع الغير والعمل الجماعي والتعاوني؛ (الفكاهيون ورجال السياسة).

ز- **الذكاء الذاتي:** هو التميز في القدرة على معرفة النفس والتأمل في مكوناتها ومواطن ضعفها وقوتها وهي القدرة التي تدفع صاحبها إلى تفضيل العمل الانفرادي, وغلى التعلم عن طريق العمل المستقلّ. أصحاب هذا النوع من الذكاء هم المبدعون في مجال التأمل الذاتي والتحليل النفسي وفي الكتابات السيكولوجية أو الشخصية.

ح- **الذكاء الطبيعي:** هو التميز في القدرة على التعامل مع الطبيعة بكل محتوياتها. ويتجلى التميز في هذا المجال في حب الطبيعة والتجول فيها وجمع معلومات عنها سواء منها الحية أو الميتة, وتصنيفها والاطلاع على أصولها وأوصافها وخصائصها، والتعلم المفضل لدى هذه العيّنة من أصحاب هذا النوّع من الذكاء هو الذي يكون عن طريق المشاريع التي تربط الشخص مباشرة بالطبيعة ومكوناتها, وملامسة الأشياء ومناولتها لعلماء والخبراء في عالم الفيزياء والبحر والنباتات[1].

هناك تفاوت ملحوظ في مستوى التحصيل الدراسي والاستعداد والقدرة العقلية لمن يعانون صعوبات في التعلم، فهم أذكياء فقط يشعرون بالإحباط عندما يخطئون وببساطة لا يجدون من يتفهمهم ويرشدهم ويرعاهم أو حتّى يعطيهم فرصة أخرى للتعلم والنجاح وهذا ما يزيد وضعهم تأزّما وتعقيدا.

وعليه نستنتج أنّ بطء التعلم أو التأخر الدراسي أو حتّى نقص الذكاء هي أمور موجودة لدى الأطفال العاديين وتعدّ طبيعية في عمر التمدرس، وما يميّز وجودها لذوي الصعوبات التعلمية كونها تبقى ملازمة لهم، ومستمرة لديهم حتى في سنّ متقدمة إذا لم تعالج.

3- مظاهر صعوبات التعلّم:

هناك خصائص لذوي صعوبات التعلم تميّزهم عن الآخرين ممن يعانون بطئا في التعلم أو تأخّرا في الدراسة، وتصنّف وفق أهل الاختصاص إلى أربعة أنواع هي[2]:

أ- **لغوية:** يعاني هؤلاء من صعوبات في اللغة الاستقبالية واللغة التعبيرية، أو بعبارة لسانية لديهم حبسة في التعبير وحبسة في الاستقبال، والملاحظ أنّ كلامهم يكون عادة مطوّلا ويدور حول فكرة واحدة، أو قاصرا على وصف خبرات حسية، وأحيانا كثيرة نرى حذفا أو إضافة أو تكرارا أو تشويها وإبدالا لبعض الحروف وأصواتها مما يجعل الكلام مبهما، مع العلم أنّ الفرد الذي يعاني من صعوبات التعلّم يكون عرضة لمشكل خطير وهو فقدان القدرة المكتسبة على الكلام وذلك بسبب إصابة الدماغ، كما نلاحظ لدى هذه الفئة وجود أخطاء نحوية وتركيبية بالجملة، التعلثم والبطء الشديد في الكلام الشفهي، والطامة الكبرى حذف بعض الكلمات.

---

[1] - ينظر: وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الاطر والبحث العلمي، قطاع التربية الوطنية، ديداكتيك اللغة العربية مصوغة خاصة بتكوين المعلمين العرضيين الحاصلين على شهادة الباكالوريا أو مستوى أقل، المملكة المغربية، أبريل 2006م ص:20،21.

[2] - ينظر: سليمان عبد العزيز العبد اللطيف، المرشد لمعلمي صعوبات التعلم،وزارة التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية، ط4، 1430هـ-1431هـ، ص:120.

ب- **معرفية**: تتجلّى في أربعة مستويات معرفية هي: القراءة والتهجئة والكتابة والحساب الذهني، ويمكن حصرها ضمن النقاط التالية:

- **على مستوى القراءة**:نجد من يعانون صعوبة في القراءة لايقرؤون عن طيب نفس، ولا بطلاقة حتّى نراهم يضعون أصابعهم لمتابعة المادة المقروءة، وبالتالي يخلطون بين الكلمات والأحرف المتشابهة ويكررون الكلمات ولا يعرفون إلى أين وصلوا، وهذا ما يعرف بعسر القراءة والتعبير، وتشير إحدى الدراسات العلمية إلى نسبة صعوبات القراءة التي قد تصل مابين 10 إلى 15% من مجتمع أطفال المدارس، كما تصل نسبة الأطفال الذين لديهم صعوبات في القراءة إلى ما بين 80- 90% من مجتمع الأطفال ذوي صعوبات التعلم، ولذا فمن الأهمية بمكان الكشف والتشخيص المبكرين لصعوبات القراءة[1].

- **على مستوى التهجئة**: يصعب عليهم ربط الأصوات بالأحرف الملائمة، فيستخدمون الأحرف في الكلمة بطريقة غير صحيحة؛ لأنهم يعكسون الأحرف والكلمات.

- **على مستوى الكتابة**: نلمس بطئا في إتمام أعمالهم الكتابية، ذلك لكونهم لايستطيعون تتبع العديد من الكلمات في السطر الواحد، وبالتالي نلفيهم غير قادرين على نسخ ما كتب لهم على السبورة، أو بالأحرى نراهم يستعملون تعابير كتابية لا تتناسب وأعمارهم الزمنية؛ إنّه ما يعرف بعسر الكتابة والتهجئة.

- **على مستوى الحساب الذهني والرياضيات:** هؤلاء يصعب عليهم استيعاب المفاهيم الحسابية وإدراك القواعد الرياضية، لأنّهم لا يحسنون استخدام الرموز والأرقام لعدم تذكرهم ونسيانهم بسرعة، أو لصعوبة في حل المسائل الحسابية الذهنية، وهو ما نسميه عسر بالحساب والرياضيات.

ج- **اجتماعية وتربوية**: يتفق المختصون في ميدان صعوبات التعلم على وجود علاقة وثيقة بين الصعوبات والأوضاع الاجتماعية والتربوية نذكرها على النحو التالي:

- اضطراب في الذاكرة والتفكير؛ وهي صعوبة متعلقة بسلامة النمو الدماغي للفرد، وقد قسمت إلى صنفين صعوبة هامة وتتمثل في :

- ضعف الانتباه، ضعف الذاكرة، وضعف الإدراك أيضا، وصعوبة ثانوية تتضمن: صعوبة التفكير والكلام معا.
- النشاط الزائد والاندفاع والتهوّر أحيانا.
- الحركة المستمرة والدائبة.
- اضطراب في الاستماع والنمو اللغوي.
- عدم القدرة على التناسق العام للحركة
- صعوبة في تكوين صداقات مع الآخرين وفقدانها بسرعة إذا تكوّنت.
- الانسحاب الاجتماعي.

د- **سلوكية:** وتتمثل في بعض المظاهر السلوكية غير الاعتيادية الملاحظة، والمتمثلة في:

- عدم الاستقرار العاطفي نحو الكآبة والانطواء وتقلب المزاج.
- يتصف عادة من لديهم صعوبة في التعلم بالهدوء والانسحاب.

---

[1] - فتحي مصطفى الزيات، صعوبات التعلم، الأسس النظرية والتشخيصية والعلاجية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 1998م، ص:451.

- التكرار غير المناسب لسلوك ما.
- السلوك غير الثابت كأن يتغيّب عن المدرسة كثيرا ونحو ذلك.
- التشتت الذهني وعدم المبالاة.

وعطفا على ماسبق، في الوسع القول أنّ مظاهر صعوبات التعلم محصورة في التحصيل الدراسي أين نجدهم يعانون من صعوبات في كلّ من القراءة والكتابة والحساب الذهني، واللغة والكلام فتراهم يرتكبون أخطاء فادحة في التعبير وربما يتلعثمون أو يتحدثون بشكل بطيء جدّا، كما يشقّ عليهم الإدراك البصري نظرا لضعف ذاكرتهم البصرية أو الإدراك السمعي لضعف ما يسمعون أو الإدراك الحركي كالمشي والجري معا بالإضافة إلى صعوبات التفكير فهم عادة لا يحسنون الإجابة بسبب عدم قدرتهم على تنظيم أفكارهم، كما يفتقرون للتركيز مع عدم اهتمامهم بالتفاصيل فضلا عن وجود صعوبات أخرى ذات صلة بالحركة التي تفصلهم إلى فئتين مختلفتين تماما، فئة يمتاز أصحابها بالنشاط الزائد وأخرى بقلة النشاط والخمول. وبالتالي نستنتج أنّ ظاهرة صعوبات التعلم تشكل خطورة كبيرة من حيث إنها تؤثّر على سلوكهم إذ تبعدهم عن الجو الدراسي والمشاركة الجماعية في الدروس المدرسة وبالتالي تؤثّر على قدرتهم على التكيف الاجتماعي والتفاعل مع المعلم إثناء التدريس الأمر الذي يؤدّي إلى فقدان ثقتهم في المدرسة كمؤسسة تعليمية لها أهدافها التربوية والاجتماعية.

وعليه نطرح السؤال التالي: ما أسباب صعوبات التعلم؟

4- أسباب صعوبات التعلم: أكدت العديد من الدراسات الحديثة وجود أسباب متداخلة لهذا الضعف تتراوح بين البطء في التعلم، والتأخر الدراسي، وصعوبات التعلم نجملها فيما يلي:

أ- عيوب في نمو المخ:خلال مراحل نموّ الجنين، قد تحدث بعض العيوب والأخطاء التي قد تؤثّر على تكوين و اتصال الخلايا العصبية ببعضها البعض، ويعتقد العلماء أن هذه الأخطاء أو العيوب في نمو الخلايا العصبية هي التي تؤدي إلى ظهور صعوبات التعلم عند الأطفال [1]. فقد أوضحت العديد من الدراسات البيولوجية أنّ التكوينات العصبية بالمخ تعدّمن أهمّ العوامل المتحكمة في عملية التعلم، وأنّ المخ يتكون من عدّة أجزاء[2] تعمل معا في نظام متكامل وذلك على الرغم من اختلاف الوظيفة أو الوظائف ***الخاصة بكل منها***، فكلّ تلف أو خلل وظيفي أو بالأحرى إصابة في المركز العصبي تتطلب من الطبيب تحديد نوع تلك الإصابة ودرجتها المخيّة، ليأتي دور المعلم فالأسرة في مواجهة مشاكل ذوي الإصابة المخية مع سلامة حواسهم[3].

ب- العيوب الوراثية: يلاحظ في كثير من الأحيان انتشار صعوبات التعلم في أسر معينة، ويعتقد أن هذا الأمر يعود لأساس وراثي، فعلى سبيل المثال فإن الأطفال الذين يفتقدون بعض المهارات المطلوبة للقراءة مثل سماع الأصوات

---

[1] - ماجدة بهاء الدين السيد عبيد، الإعاقة العقلية،ص:71.

[2] - أجزاء المخ هي: أربعة فصوص حيث إنّ كلا من النصف الكروي الأيمن للمخ يختص بالمعالجة المتزامنة للمعلومات البصرية والمكانية، والنصف الكروي الأيسر يختص بالمعالجة المتتابعة للمعلومات اللغوية، والتكامل بين النصفين مطلوب وضروري لعملية التعلم. والاضطراب الوظيفي في أيّ منهما يسبب حالة من عدم التوازن وبالتالي صعوبات في التعلم . (للتوسع أكثر: ينظر: سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم، المرجع في صعوبات التعلم النمائية والأكاديمية والاجتماعية والانفعالية، ص:64).

[3] - ينظر: عبد الفتاح عيسى إدريس و السيد عبد الحميد سليمان، التآزر البصري الحركي وتلف خلايا المخ لدى المتعلمين ذوي صعوبات التعلم والمتأخرين دراسيّا والعاديين دراسة نمائية، مجلة كلية التربية، جامعة الازهر الشريف، مصر، العدد 112، 2004م، ص: 270-271.

المميزة والمفصلة للكلمات من المحتمل أن يكون أحد الأبوين يعاني من مشكلة مماثلة[1]، حيث أشارت الدراسات أنّ ما نسبته 20-35% من صعوبات التعلم تكون موجودة لدى الأخوة، وكذلك فإنّ هذه النسبة ترتفع من 65-100% في حالة كون الأخوين توأم[2]، فليس هناك أسباب معينة ثابتة علميّا بجانب الوراثة، ولكنّ الأسباب التي تؤثّر على النمو الطبيعي أثناء فترة الحمل والولادة وما بعدها، قد يكون لها علاقة بصعوبات التعلم.

ج- مشاكل أثناء الحمل و الولادة: يمكن أن يرتبط ظهور صعوبات التعلم لدى الطفل بالمراحل التي تسبق ولادته، ففي بعض الحالات يتفاعل الجهاز المناعي للأم مع الجنين كما لو كان جسما غريبا يهاجمه، وهذا التفاعل يؤدّي إلى اختلال فى نمو الجهاز العصبي لهذا الأخير، وفي حالات أخرى قد يحدث التواء للحبل السري حول نفسه أثناء الولادة مما يؤدّي إلى نقص مفاجئ للأوكسجين الذي يصل للجنين مما يؤدّي إلى الإعاقة في عمل المخ وصعوبة في التعلم في الكبر[3]، كما يمكن أيضا أن يسبب التدخين أو تناول الخمور أو بعض الأدوية الخطيرة أثناء الحمل إلى معاناة الطفل من صعوبات التعلم.

د- مشاكل التلوث و البيئة: أثبتت الأبحاث أن التلوث البيئي من الممكن أن يؤدّي إلى صعوبات التعلم بسبب تأثيره الضار على نمو الخلايا العصبية، وقد أظهرت الدراسات أن الرصاص وهو من المواد الملوثة للبيئة والناتج عن احتراق البنزين والموجود كذلك في مواسير مياه الشرب، من الممكن أن يؤدّي إلى كثير من صعوبات التعلم[4].

ومما لا شكّ فيه أنّ المعيقات البيئية لها صلة بصعوبات التعلم، حيث تشير إحدى الدراسات العلمية إلى أنّ الجوع والصداع في المنزل قد يمنع من التركيز في الدراسة والذي يعتبر بدوره مشكلة تعليمية- وعلى أيّ حال- فإنّ سوء التغذية أو عدم الحصول على الرعاية الصحية المطلوبة يمكن أن يؤدّيا إلى صعوبات أو معوقات عصبية ينتج عنها صعوبات تعليمية[5]، فسوء التغذية الشديدة في السنوات المبكرة من حياة الأطفال تجعلهم يعانون من صعوبات التعلم في تعلم المهارات الأكاديمية[6].

5- سبل العلاج: إنّ أولى الخطوات التي يقوم بها المعالج لاسترجاع ما تعلمه هي البحث عن المعلومات ذات الصلة في مخزن الذاكرة واستغلال طاقتها مهما كانت محدودة، فكلما كان التدخل والعلاج التربوي مبكراً أكثر، كان ذلك أفضل هذه قاعدة صحيحة تماماً، في العمل مع ذوي صعوبات التعلم؛ ولأنّ وجود هذه العوائق التي تمثل حجرة عثرة في مسار العملية التعليميّة التحصيلية قد أعدّت لها العديد من الوسائل في عالمنا اليوم الكفيلة بحلّ تلك المشاكل المتحدّث عنها سلفا؛ وقد تكون كتبا مدرسيّة أو أسطوانات أو أشرطة فيديو أو أشرطة سمعيّة، أو عبارة عن برمجيّات مستخدمة بواسطة الحاسوب ومعها لابدّ من سياسة للتخطيط اللغوي لحلّ أزمة صعوبات التعلم وعلاجها على الفور، وحبّذا لو تمّ كشفها وتشخيصها قبل الوقوع في المشكلة لذا ينبغي أوّلا:

---

[1] - نبيل عبد الهادي وآخرون، بطء التعلم وصعوباته، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، دط، 2000م، ص:69.

[2] - عبد الفتاح عيسى إدريس و السيد عبد الحميد سليمان، التآزر البصري الحركي وتلف خلايا المخ لدى المتعلمين ذوي صعوبات التعلم والمتأخرين دراسيّا والعاديين دراسة نمائية، ص:283.

[3] - ينظر: جمال القاسم، أساسيات صعوبات التعلم، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2000م، ص:203 وما بعدها.

[4] - ينظر: جمال القاسم، أساسيات صعوبات التعلم، ص:208.

[5] - ينظر: نصرة عبد المجيد جلجل، علم النفس التربوي المعاصر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،ط 2000، ص:198.

[6] - ينظر: منال عمر براكمان، صعوبات التعلم في مرحلة ما قبل المدرسة، المؤتمر العلمي الثاني لمركز رعاية وتنمية الطفولة لذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في الوطن العربي –الواقع والمستقبل، كلية التربية بالمنصورة، جامعة المنصورة، 24و25 مارس 2004م، المجلد2، ص:780.

- تفهم الوالدين للمشكلة: يجب على الآباء أن يتفهموا طبيعة مشاكل أبنائهم و أن يساعدوا المدرسة في بناء برنامج علاجي لهؤلاء الأبناء بعيدا عن التوترات والضغوطات النفسية، ومن الممكن أن يقوم الوالدين بمساعدة المعلم والمدرسة ككل في إيجاد برامج علاجية لأولادهم دون أيّ توتر أو ضغط عليهم.

- البرنامج التعليمي الخاص: يجب تخطيط برنامج تعليمي خاص مناسب لكل طفل حسب نوع الصعوبة التعليمية التي يعاني منها، ويكون ذلك بالتعاون بين الأخصائي النفسي والمدرس والأسرة؛ بمعنى يجب أن يكون هنالك دائماً تنسيق وتعاون بين المدرسة والأسرة، كما يجب أن يكون البرنامج العلاجي شاملاً لجميع النواحي التعليمية.

- التشخيص والتدخل المبكر :إن تشخيص حالة الطفل المصاب ينبغي أن تتم تحت إشراف الأخصائيين النفسيين ، و كلّما كان التشخيص مبكّرا، كلما تمكنا من التعامل بشكل أفضل مع الطفل، و تجنب الكثير من سوء الفهم.

- التعاون بين المدرسة والعائلة: تؤثّر صعوبات التعلم على الحياة ككل، ولذلك يجب أن يكون البرنامج العلاجي شاملا لكل نواحي التعلم، و بتنسيق تامّ بين الأسرة و المدرسة[1].

- لابدّ من الوعي التام عند اكتشاف خطوات عملية صعوبات التعلم التي تتمّ وفق مراحل، تبدأ بتحليل عملية التعلم المناسبة، ثمّ تحديد أسباب صعوبة التعلم، وبعدها يتمّ استبعاد احتمال وجود إعاقات حسية أو ما شابه ذلك، فبناء خطة تربوية فرديّة ثمّ في الأخير القيام بإجراء تقييم تربوي شامل.

7- خاتمة: وصفوة القول أن لصعوبات التعلم أسبابا متعددة ومن الطبيعي أن يكون علاجها متناسبا مع طبيعة الصعوبة التي يعاني منها المتعلّم و درجة خطورتها، ومن الطبيعي أيضا تضافر الجهود بين مختلف المتدخلين في التربية من آباء و معلمين و أطباء نفسيين يمكن بواسطتها التخفيف من الآثار المحتملة لصعوبات التعلم، فمن يعانون صعوبات في التعلم ليسوا متخلفين أولديهم نفس الأعراض أو الأسباب -التي سبق الحديث عنها- مجتمعة في شخص واحد؛ بل قد يتجلى جزء منها في طفل، وجزء منها في طفل آخر. كما يوجد اختلاف في المفاهيم بين المصطلحات التالية: (صعوبات التعلم، أو بطء التعلم، أو التأخر الدراسي) إذ على الرغم من أنّ السمة الغالبة على الذين يعانون صعوبات في التعلم هي التأخر الدراسي غير أنّ المتأخرين دراسيا قد لا يعانون بالضرورة من صعوبة أو بالأحرى من صعوبات في التعلم، فأسباب التأخّر الدراسي كثيرة، وأحد هذه الأسباب هو صعوبات التعلم وهذا أمر طبيعي واضح.

بيبليوغرافيا البحث:

1- إبراهيم بن سعد أبو نيان، صعوبات التعلم، طرق التدريس والاستراتيجيات المعرفية، ط1، 2001، الرياض، المملكة العربية السعودية،

2- بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث (عربي، إنجليزي فرنسي)، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، دار راجعي للطباعة والنشر، الجزائر، ط2010م.

3- جمال القاسم، أساسيات صعوبات التعلم، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2000م.

4- رائد خليل العبادي، التوحد، دار المعرفة، عمان، ط2، 2006م.

[1] -ينظر: جمال القاسم، أساسيات صعوبات التعلم، المرجع نفسه، ص:213 وما بعدها.

5- سليمان عبد العزيز العبد اللطيف، المرشد لمعلمي صعوبات التعلم،وزارة التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية، ط4، 1430هـ-1431هـ.

6- سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم، المرجع في صعوبات التعلم النمائية والاكاديمية والاجتماعية والانفعالية، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، ط1، 2010م.

7- سليمان عبد الواحد يوسف، صعوبات التعلم وأخواتها... حدود فاصلة، مجلة الطب النفسي الاسلامي(النفس المطمئنة)، الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية، القاهرة، العدد90، مايو 2008م.

8- عادل عز الدين الأشول، موسوعة التربية الخاصة، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 1987.

9- عبد الفتاح عيسى إدريس و السيد عبد الحميد سليمان، التآزر البصري الحركي وتلف خلايا المخ لدى المتعلمين ذوي صعوبات التعلم والمتأخرين دراسيّا والعاديين دراسة نمائية، مجلة كلية التربية، جامعة الازهر الشريف، مصر، العدد 112، 2004م.

10- عبد اللطيف الفاربي وآخرون، معجم علوم التربية – مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك- سلسلة علوم التربية 9-10، دط، دت،

11- عبد الوهاب محمد كامل، الخصائص النيروسيكولوجية لدى بعض الأطفال ذوي الخلل الوظيفي البسيط بالمخ، المجلة المصرية للدراسات النفسية، العدد الثامن، أبريل 1994م.

12- عثمان أحمد مهدي، بطء التعلم أسبابه وطريقة التعامل معه، دار الكتاب الجامعي، العين، ط1، 2004.

13- فتحي مصطفى الزيات، صعوبات التعلم، الأسس النظرية والتشخيصية والعلاجية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 1998م.

14- ماجدة بهاء الدين السيد عبيد، الإعاقة العقلية، منشورات دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م.

15- منال عمر براكمان، صعوبات التعلم في مرحلة ما قبل المدرسة، المؤتمر العلمي الثاني لمركز رعاية وتنمية الطفولة لذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في الوطن العربي –الواقع والمستقبل، كلية التربية بالمنصورة، جامعة المنصورة، 24و25 مارس 2004م، المجلد2.

16- ميسون نعيم مجاهد، صعوبات التعلم، دار الزهراء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1،1432هـ- 2011م.

17- نبيل عبد الهادي وآخرون، بطء التعلم وصعوباته، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، دط، 2000م.

18- نصرة عبد المجيد جلجل، علم النفس التربوي المعاصر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،ط 2000.

19- وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الاطر والبحث العلمي، قطاع التربية الوطنية، ديداكتيك اللغة العربية مصوغة خاصة بتكوين المعلمين العرضيين الحاصلين على شهادة الباكالوريا أو مستوى أقل، المملكة المغربية، أبريل 2006م
.

تقنيات وأدوات الفحص التشخيصية للوظائف المعرفية العليا من الطرق الكلاسيكية إلى الطرق الحديثة:بطارية الـ (k-classic) المعلوماتية نموذجا

أ. بن يحي مداني
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
جامعة عمار الثليجي – الأغواط –الجزائر

الملخص:

يعرض هذا المقال أدوات وتقنيات التشخيص الحديثة المعمول بها في الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة الأميركية، بريطانيا وفرنسا لتقييم القدرات والوظائف المعرفية العليا؛ مثلا (الانتباه، الذاكرة واللغة.....الخ)، من خلال وصف بطارية الـ (k-classic)المعلوماتية في ضوء أدوات وطرق التشخيص والتقييم الكلاسيكية المعمول بها في الجزائر مثل بطارية(K-ABC). والسؤال المطروح هنا هل نحن نواكب هذا التطور التكنولوجي المذهل الذي مس جميع الميادين والتخصصات بداءً بعلوم الفضاء والكون الى العلوم الدقيقة وعلوم الحاسوب ليشمل حتى العلوم الإنسانية والاجتماعية؟

ومن هذا المنطلق أردنا أن نبين تداخل كل من العلوم الطبية وعلم النفس وعلوم الحاسوب ودورها في فهم وتفسير السلوك البشري كظاهرة سيكولوجية قابلة للدراسة والتحليل وفق المنهج العلمي الحديث.

في حين أن هناك متغيرات تركز على الوظائف المعرفية سنأخذ الانتباه والذاكرة نموذجا أين يمكن أن تصاب هذه الأخيرة ويختل أدائها وبالتالي تكون الأسباب والافتراضات والتفسيرات مختلفة باختلاف الاتجاهات والنماذج النظرية؛ كما أن أدوات وطرق التشخيص والتقييم تختلف كذلك من الكلاسيكية الى الطرق الحديثة وهي في تطور مستمر، لذا سنعرض وصفا لبطاريتين معرفيتين للتشخيص مع عرض نظريات تفسيرية.

الكلمات المفتاحية: تقنيات الفحص، بطارية (k-classic)، بطارية(K-ABC)، الوظائف المعرفية (الانتباه والذاكرة)، علم النفس العصبي، اضطراب تشتت الانتباه وفرط الحركة(Tdah)، الحاسوب والبرامج المعلوماتية.

Abstract :

This article presents tools and modern diagnostic techniques applicable in developed countries like the United States, Britain and France, to assess the capacity and cognitive functions for example (attention and memory ...... etc.) By describing informatics (k-classic) battery, In light of the classic tools and methods of diagnosis and evaluation in Algeria like (K-ABC).So, do we keep up with this terrible technological development, which touched all fields and disciplines starting from space sciences and the universe to the exact sciences and computer science to include even the humanities and social sciences?

From this point we want to highlight in this article overlap each of the medical sciences, psychology and computer science and its role in the understanding and interpretation of the psychology of human behavior as a phenomenon subject for study and analysis in accordance with the modern scientific method.

If we take for example the study of attention and working memory among cognitive abilities higher, which can be infected and break down their performance, the reasons, assumptions and interpretations vary depending on trends in theoretical models, tools and methods of diagnosis and evaluation vary as well as from classical to modern methods and are in continuous evolution.

Key words : Examination techniques, (k-classic) battery, (K-ABC) battery, Cognitive functions (Attention et Mémoire), neuropsychologie, (Tdah), computer and informatics programs.

مقدمة: ان ظهور علم النفس واتصاله بعلوم شتى ساعد في بلورة تيارات متعددة تخدم بعضها البعض وتجمع بين علم النفس، والطب النفسي وطب الأعصاب وعلوم دقيقة.... الخ، الأمر الذي ساهم كثيرا في فهم الصحة والمرض وألغى أحادية المنحى في البحوث العلمية وجعل يؤكد على أن نشوء الأمراض والاضطرابات لها جذورها البيولوجية، النفسية والاجتماعية وهذا ما أكدته الدراسات الحديثة المتعددة التخصصات التي تحاول فهم سلوك الكائن البشري في حالة اللاسواء(Abnormalité).

لقد تنامى الاهتمام الطبي والنفسي بدراسة السلوكات المرضية المتصلة باضطرابات الانتباه والذاكرة والبنية المعرفية بصورة عامة في بدايات القرن العشرين عندما صَرح (Tredgold) عام 1908 بأنه في حالات الإصابة الدماغية البسيطة أثناء الولادة، قد يؤدي إلى أعراض أولية يمكن أن تتلاشى بسرعة، إلا أنها تعاود الظهور في بداية مراحل الطفولة وتدل على وجود عجز ما. لذا تواصل الاهتمام في تأثير الإصابات الدماغية على السلوك بعدما أصيب عدد كبير من الأطفال بعدوى الالتهاب الدماغي والتهاب السحايا مما لفت الانتباه إلى المشكلات السلوكية عقب الإصابة بتلك الالتهابات، ومن أبرز السمات السلوكية التي ظهرت عند هؤلاء الأطفال، الاندفاعية وفرط الحركة والشرود الذهني وعدم الاستقرار الوجداني والعدوانية اتجاه الآخرين بالإضافة إلى مجموعة من المشكلات التعليمية.ومع ظهور علم النفس العصبي وتطور البحوث العلمية، تغيرت طريقة تناول النشاط المعرفي والحركي وتوسع البحث إلى دراسة العلاقة العضوية للدماغ وما ينجم عنه من سلوك وبدأت تظهر اتجاهات ونماذج تفسيرية محاولة البحث في أصل الاضطرابات، فهناك نماذج تفسيرية متعددة ومختلفة حاولت الأخذ في الحسبان حقيقة هؤلاء الأطفال الذين يعانون من هذه الاضطرابات كسبب محتمل للفشل الدراسي وإلى اضطراب السيرة والسلوك.

فالمنظور القديم لهذه النماذج التفسيرية كان قد أخذ في الحسبان وزن البنية العائلية أي المستوى الثقافي، الاجتماعي والاقتصادي إضافة إلى مشكلات التعلم خاصة بالطفل وبمناهج التدريس وإلى دراسة الشخصية في الإطار النفسو-مرضي.

أما المنظور الجديد فهو النماذج التفسيرية الحديثة التي تعمل على جمع مختلف معطيات المادة العلمية للمساهمة في التوصل إلى إعطاء تفسير علمي دقيق للاضطرابات المعرفية والسلوكية في وحدة متكاملة لعدة تخصصات كطب الأعصاب، البيولوجيا والفيزيولوجيا وإلى الاعتماد على التطور التكنولوجي الهائل خاصة وسائل الكشف والتصوير الدماغي المذهلة، يعني رؤية جديدة من علم النفس الكلاسيكي إلى العلوم العصبية المعرفية.

وإذا أخذنا على سبيل المثال المظاهر السلوكية غير العادية التي تمس أطفالنا والتي يشتكي منها المعلم في المدرسة والأولياء في منازلهم ومشاكل في المحيط الخارجي فهذه السلوكات المرضية تندرج ضمن الاضطرابات النفسية والمعرفية ومن أعراضها المرضية زيادة النشاط الحركي والاندفاعية، مع صعوبة في التركيز والتذكر، هذا ما أدى الى صعوبات التعلم والى تدني التحصيل الدراسي ومن ثمة الى الرسوب والتسرب المدرسي.

وإذا عدنا إلى أدبيات علم النفس العصبي والمعرفي، فهناك دراسات وأبحاث عديدة في هذا المجال ركزت على الأمراض والاضطرابات النفسية والمعرفية التي تؤثر على الذاكرة والانتباه معا مثل متلازمة ضعف الانتباه وفرط

الحركة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر دراسة "شاو وجيا مبرا" (Shaw et Giambra,1993) الذي توصل من خلالها الى أن الطفل الذي يعاني من تشتت الانتباه و فرط الحركة (Tdah) يكون مشوشا أثناء انجاز المهام الموكلة إليه، هذا ما يفسر الخلل في المراقبة والكف الواعي الداخلي بالنظر الى المنبهات و المصادر الطفيلية الخارجية والداخلية(Russell. A and Barkley R.A, 1997, P 65).

إضافة إلى دراسة "باركلي" (Barkley,1997) التي توصلت فيها أن اضطراب الـ (Tdah) يتمثل في صعوبة بدء وضبط سلوك موجه نحو هدف ما، إضافة إلى عجز يمس(6) وظائف معرفية لها علاقة مباشرة بالذاكرة العاملة ونظام الانتباه، وهي: ضعف في الكف السلوكي الروتيني، مراقبة التشوشات الداخلية والخارجية، ضعف في الضبط الآلي للوجدانات، ضعف في مراقبة الحركية، الطلاقة (Fluidité) وضعف في إدراك الزمن، وتبيًن من خلال هذه الأبحاث الدور الجوهري الذي يلعبه الانتباه والذاكرة العاملة بمختلف مكوناتها المعرفية وبالأخص الجزء الخاص بالمراقبة الانتباهية في هذا الاضطراب المرضي المعقد وتأثيره على الأداء العادي للسيرورة النفسية و المعرفية للطفل؛ كمأن هناك بعض الاضطرابات التي تكتشف من حين إلى آخر كصعوبات القراءة والكتابة و الحساب....الخ مرتبطة بزملة الـ (Tdah). وعليه كان من الممكن أن تتناول الدراسات التربوية والنفسية أو الاجتماعية هذه المشكلة المرضية إلا أن الدراسات الحالية وبحكم تطور البحث العلمي وتفرع علم النفس، اتجهت نحو البحث في الأسباب العضوية معتمدة على مساهمة التطور التكنولوجي المذهل، خاصة وسائل الكشف والتصوير الدماغي الوظيفي (Imagerie Fonctionnelle) إضافة الى وسائل الفحص والتقييم السيكولوجية والمعرفية المعاصرة؛ لكن الواقع الحالي للممارسة الإكلينيكية في مجتمعنا لا يزال يعاني من مشكلة التشخيص بدأ بعملية جمع المعلومات الى حصر المشكلة وتحديد أدوات الفحص (تكييفها وتقنينها) الى التفسيرات النظرية للاضطراب ومن ثمة مشكلة الكفالة. زد على ذلك التكوين السطحي للأخصائي الممارس الذي يحتاج إلى رسكلة دورية لمواكبة ما هو جديد في العالم في مجال القياس والفحص حتى يقدم خدمات أفضل لشريحة واسعة من المجتمع تعاني من مشكلات متعددة الأوجه كصعوبات التعلم الاكاديمية والمشكلات النفسية والسلوكية......الخ. لذا أصبح محتوما على الاخصائيين في علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا في الجزائر أن يواكبوا ما هو حاصل في الدول المتقدمة و ذلك بإعادة النظر في أدوات التشخيص والتقييم، ليتوجهوا الأن نحو استعمال التكنولوجية العالية في علم الحاسوب والمعلوماتية وتوظيفها في علم النفس وعلوم التربية وعلم الاحصاء والقياس ومن هذا المنطلق يجب على العلماء والباحثون في مجال علم الحاسوب أن يولون اهتماما بالغا لبناء أدوات القياس والتشخيص معتمدين على تصاميم علماء النفس في بناء أدوات الفحص والتقييم الكلاسيكية التي لها علاقة بتحليل وفهم السلوك البشري بأشكاله المتعددة لكي تصبح أدوات أكثر تطور ودقة، ومن هنا يستلزم على مراكز البحث العلمي الجامعية البدء في التنسيق والشراكة مع المستشفيات الجامعية والجامعات الوطنية ومخابر البحث العريقة وحتى صناديق الضمان الاجتماعي لتبني وتمويل هذه المشاريع العلمية بهدف تطوير المنظومة الصحية و التعليمية والرقي بمجتمعاتنا.

1-تعريف الانتباه: هو مصطلح كثير الاستخدام في التربية، الطب النفسي و علم النفس، فهو مفهوم جد معقد عرف عدة تعاريف إذ يعرفه معجم الطب، (2003)، بأنه " فعل مركز على هدف ما أو يقظة زائدة مع تركيز دقيق أثناء السمع أو الإبصار، فهي عملية ذهنية عميقة جدا تضع الفرد في مركز الحدث" (Morin.Y, 2003, P. 587).

أما فتحي مصطفى الزيات فيعرفه "أنه حالة ذهنية، ذو تركيبة انتقائية وتوجيهية دقيقة جدا ذات فعالية قوية على بعض النشاط مع كف النشاط الزائد " (فتحي مصطفى الزيات، 2001، ص65).

2-أنواع الانتباه:

2-1-الانتباه الانتقائي: يعتبر(Camus,1996) الانتباه الانتقائي حالة حسية أين تأخذ العضوية الانتباه بشكل تلقائي مع كف التشوشات الخارجية.

فيما يرى (Broadbent) الانتباه الانتقائي عملية عكس التشتت، يعني المرور عبر مصفاة يتم من خلالها ترشيح و انتقاء الرسالة الحسية الأساسية وإزاحة الرسائل الطفيلية(Parasitaires) أي ترشيح مبكر(Filtrage précoce)؛ و لا يتم ذلك إلا بعد تحليل محتوى ومدلول مختلف المنبهات على مستوى القشرة المعرفية (Cortex cognitif) الخاصة بالمعالجة؛ لذا وضع (Broadbent) التشويشات بين النظام الحواسي السمعي أو البصري و النظام الإدراكي؛ وبفضل المصفاة الانتباهية الانتقائية (Filtre sélective) يتم توجيه الإدراك الحسي نحو الهدف (Broadbent. D.E, 1958, P.P.16-17 et 71-74).

ويرى(Bloch) أن الانتباه الانتقائي يأخذ في الحسبان السعة المحددة لإرسال المعلومة و توجيهها نحو العضوية أو الحاسة المعالجة والتي تتطلب عمليات الانتقاء الجيد لطبيعة المعلومة المراد معالجتها مع كف التشوشات الدخيلة (Bloch.V, 1973, P.105).

2-2-الانتباه المستمر: هو الاحتفاظ بالمعلومة، أين يتطلب كف المنبهات الخارجية والداخلية التي تعمل على مضاعفة الجهد الذهني للفرد حتى لا تستنزف الطاقة في مقاومة التشوشات اللاإرادية الناجمة عن اللغة الداخلية أو التشويشات الخارجية غير المناسبة لمعالجة المعلومة؛ هذا لتفادي انحراف العضوية عن الهدف الأساسي (Laberge.D, 1995, P.35).

ويرى(Mialet) الانتباه المستمر درجة أعلى و مكملة للانتباه الانتقائي و التي تفرض على الفرد أن يهيئ قدراته (الحسية، الإدراكية، الحركية و الزمنية) لتحسين معالجة المعلومة الأساسية على حساب المعلومة الثانوية أي كف التشويشات(Mialet.J.P, 1999, P.11).

3- تعريف الذاكرة: هي مصطلح كثير الاستخدام في الطب، الطب النفسي، علم النفس وفي التربية؛ هناك عدة تعاريف، فهو مفهوم معقد، يعرفه (Y.Morin) في معجم الطب بأنه قدرة تسمح للدماغ أن يحتفظ بأثر خبرة ماضية يتم استرجاعها إلى الشعور، عبر آلية معقدة تمر بثلاثة مراحل: الترميز، تخزين المعلومات والاسترجاع في حين لا تخضع هذه الظواهر لمنطقة محددة وخاصة من الدماغ؛ فهي سيرورة عمليات تجرى على مستوى مراكز عصبية خاصة ومتعددة (الحصين أو قرن أمون، أسفل المهاد واللوزة ...) أي (الدماغ اللمبي) والألياف العصبية التي تربط هذه المراكز الثلاث" (Morin.Y,2003.P.583).

4-تصنيفات الذاكرة: لا تُعتبر الذاكرة نظاما وحيدا، بل توجد عدة أنظمة للذاكرة، مترابطة ويمكن لكل نظام أن ينقسم إلى عدة أنظمة فرعية (sous-systèmes):

4-1-الذاكرة **الحسية** تُلتقط المعلومات الحسية بسرعة خاطفة في ظرف (200 إلى 300 م/ثا) على شكل آثار حسية بصرية (Iconique)، سمعية (Echoïque) أو شمية (Olfactif...) و يتم هذا على مستوى مراكز عصبية خاصة (بصرية، سمعية ...الخ)(Gil.R, 2006.P.174) .

2-4-الذاكرة قصيرة المدى: الذاكرة قصيرة المدى ليست نظاما بسيطا للتسجيل و الاسترجاع، فهي عملية ديناميكية معرفية عامة، لها قدرة محدودة و مؤقتة للمعالجة و تخزين المعلومات، و بهذا اقترح **"بادلي و آخرون"** عام 1986 استبدال الذاكرة قصيرة المدى بالذاكرة العاملة أين تحتوي هذه الأخيرة على أربع مركبات (composantes): **نظامين خادمين** (Deux systèmes esclaves) " الحلقة الفونولوجية و المفكرة الفضائو بصرية " كل واحدة منهما مكلفة بتخزين المعلومات الخاصة مؤقتا، و ذلك تحت مراقبة **نظام الانتباه** المسمى "المدبر المركزي" (Gil.R.2006.P.176).

3-4-الذاكرة طويلة المدى: تسمى الذاكرة طويلة المدى بالذاكرة الثانوية التي تسمح بالاحتفاظ_المستدام للمعلومات بفضل الترميز الذي يُتبع بالتخزين المنظم في بنية مشتركة متعددة الميزات: مدلولية، فضائية، زمنية و وجدانية (Sémantique, spatiale, temporelle et affective)؛ هذه الذاكرة تسمح بالتعلم و يتم توطيد و تحصين المعلومات التي خزنت حسب درجتها الانفعالية و الوجدانية(Gil.R.2006.P.176) .

5-التعريف بزملة (Tdah):ورد في دليل التشخيص الإحصائي للاضطرابات العقلية أن اضطراب عجز الانتباه يعني عدم القدرة على الانتباه والقابلية للتشتت، أي صعوبة يواجهها الطفل في التركيز عند قيامه بنشاط ويكون نتيجته عدم القدرة على إكمال النشاط بنجاح.

وقد وضعت رابطة الطب الأمريكي (Apa.1980) وصفاً للطفل ذو الانتباه المضطرب والمصحوب بالنشاط الحركي الزائد "بأنه الطفل الذي يتصف بالعجز في الانتباه والمتمثل في صعوبة التركيز، وعدم القدرة على إنهاء الأعمال التي توكل إليه إضافة إلى الحركة المفرطة دون هدف محدد ".

وفي الغالب يلاحظ إلى هؤلاء الأطفال أنهم لا يصغون جيداً إلى ما يقال لهم، كما يتسمون بعدم الدقة في أدائهم لأي نشاط يتناسب مع سنهم (فتحي مصطفى الزيات، 2001، ص68).

6-النظريات المفسرة لاضطرابات المعرفية (الانتباه والذاكرة)

1-6--اضطرابات الذاكرة

1-1-6 الاضطرابات النفسو-عصبية المرضية الدائمة

- **فقدان الذاكرة (المحورية):** تعرف زملة اضطراب الذاكرة بوجود ضعف في تحصيل المعلومات الجديدة، يعني التعامل مع أحداث الحاضر،(Amnésie antérograde) وباضطراب في استرجاع المعلومات المكتسبة قبل تثبيت الإصابة الدماغية، يعني فقدان الذاكرة الرجعية، (Amnésie rétrograde)، حتى في حال قصور أو ضعف الذاكرة الحاد، تبقى الذاكرة قصيرة المدى، اللغة، الوظائف الإدراكية، الحركية والانتباهية وكذا التخمين والتفكير محتفظ بها، إذن هذه الاضطرابات المحورية للذاكرة تحدث نتيجة إصابة البنى العصبية التالية: الفص الوسطو-صدغي، أو المناطق الجبهية القاعدية(Godfroy.O,2008,P.80).

- **الزملة الثنائية الحصينو-لوزية:** يظهر هذا النوع من الزمل عند المرضى المصابين بإحدى الأمراض المنتشرة: عدوى التهاب الدماغ الناجم عن إصابة، أو التهاب الدماغ اللمبي، التسمم بمونو أكسيد الأزوت أو الكربون أو إلى الأنوكسيا الدماغية (Seron.X, 1994,P.P.286-287).

سنأخذ على سبيل المثال تشريح وفيزيولوجية الأنوكسيا: تحدث الأنوكسيا الدماغية نتيجة الانخفاض المفاجئ في كمية الدم المتدفق إلى الدماغ، الناجم عن اضطرابات حادة في القلب أو ضعف الجهاز التنفسي، الذي يؤدي بدوره إلى انخفاض كمية الأكسجين في الدماغ (Hypoxie cérébrale) ويُعتبر الفص الصدغي وخاصة الحصين أكثر المناطق الدماغية حساسية للأنوكسيا؛ هذا ما يفسر الارتفاع المتكرر لاضطرابات الذاكرة بعد الأنوكسيا؛ هناك دراسات تشريحو-مرضية لـ (Sevestre et al.,1988) وتصويرية دماغية لـ(wallays et al.1995) توصلا من خلالها إلى وجود إصابة متكررة للأنوية القاعدية وخاصة المخططة (Striatum) وبالأخص الكرة الشاحبة (Globus pallidum) وكذا إصابة في الحزم المتوجهة إلى القشرة قرب الجبهية، هذه الإصابات تفسر الاضطرابات الحركية والاختلالات الجبهية وبذلك تؤدي إلى اضطرابات الذاكرة(Godfroy.O,2008,P.82).

- **الضمور القشري الجبهو-صدغي:** يرجع هذا الاضطراب في الأساس الى تشوهات وتقلصات مورفوتشريحية على مستوى أنسجة الفص الجبهي، يتميز في البداية باضطرابات سلوكية من النوع الجبهي (انحطاط في السلوك الاجتماعي، تبلد انفعالي، سلوكات نمطية)، بينما تأتي اضطرابات الذاكرة في المرحلة الثانية، ويعزى ذلك إلى تقلص حصيني (Atrophie hippocampique) وتبقى درجة الاضطرابات مرتبطة بحجم هذا الضمور، وتتميز بصعوبة الترميز، التخزين وضعف في استراتيجية الاسترجاع وهذا ما لوحظ عند الأطفال المصابين بزملة الـ (Tdah) (Godfroy.O,2008,P.83).

2-6 الاضطرابات المرضية النفسو-عصبية المؤقتة

1-2-6 فقدان الذاكرة الخفيف: يتميز هذا النوع من الاضطراب بالحدوث المفاجئ، إذ يمكن للشخص الرجوع إلى الحدث(المعلومة) بعد لحظات أو بعد ساعات من حدوث النوبة وهذا في غياب أي اضطرابات عصبية أو معرفية مرتبطة كما تتميز هذه النوبة بوجود إصابة مباشرة في الذاكرة العرضية (Mémoire épisodique)، بينما تبقى الذاكرات الأخر محتفظ بها: الذاكرة العاملة، الذاكرة الدلالية، الذاكرة الضمنية، وفيما يخص ذاكرة الحاضر(Antérograde)، تكون الإصابة جسيمة وثابتة، تمس الترميز و/أو توطيد المعلومة، أما فيما يتعلق بالذاكرة الرجعية(Rétrograde) تكون الإصابة غير ثابتة وبدرجة متغيرة، يمكن أن تدوم بضعة أيام إلى سنوات مع إمكانية تحول هذا الاضطراب إلى نوع آخر يسمى الفجوة المعزولة في الذاكرة (Amnésie lacunaire). وتعددت الأسباب المفسرة إلا أنها غير جازمة: الصداع النصفي، التشنج الشرياني المؤقت في المناطق الدماغية الوسطى، الصرع، ومنذ سنوات قريبة توصل علماء الأعصاب إلى وجود أثر للأدوية النفسية والأدوية التي تحوي مادة البنزوديازبين وبعض الحشائش المخدرة (Gil.R, 2006,P.190).

2-2-6 لاضطرابات الاستقلابية: أثبت(Chapouthier) سنة 1989 في دراسة أجراها بأن اضطرابات الذاكرة تظهر نتيجة نقص إفراز هرمون الغدة الدرقية أو النقص في فيتامين (B12) أو النقص في حمض الفوليك، وتعد العلاقة بين الإصابة العصبية ونقص فيتامين (B12) الأكثر توثيقا (Chapouthier.G,1989, P.136).

3-2-6 الرضوض الجمجمية: تتعدد اضطرابات الذاكرة بعد الرض الجمجمي(TC) وتخضع في الأساس إلى وجود أو عدم وجود الإصابة الدماغية، على الأقل تعتبر هذه الحالة مؤقتة تحدث مباشرة بعد الرض الجمجمي و/أو بعد الاستيقاظ من حالة اللاوعي (Réveil du coma). ترتبط هذه الإصابة بزملة أعراض سلوكية: كارتخاء اللغة والتوجه المكاني والزماني، كما يمكن أن تصاحبها مضاعفات على المدى القريب حسب درجة وموقع الإصابة

الدماغية وحسب الفروق الفردية من حالة إلى أخرى، لذا يصعب تحديد العامل الزمني وفي غالب الأحيان تدوم هذه المضاعفات سنة أو أكثر بقليل ويمكن أن تمس هذه الاضطرابات الذاكرة الرجعية القديمة (Rétrograde) أي السراتية و/أو الدلالية (Gil.R, 2006.P.191).

7-اضطرابات الانتباه

7-1 وجهة النظر النفسو-معرفية: دراسة "جيا مبرا" (Giambra,1993) حيث يرى أن الطفل الذي يعاني من (Tdah) يكون مشوشا أثناء إنجاز المهام الموكلة إليه، هذا ما يفسر خلل في المراقبة والكف الواعي الداخلي بالنظر إلى المصادر الداخلية للمنبهات الطفيلية ويرى كذلك أن الانتباه والكف السلوكي يلعب دورا مهما في الضبط الآلي للانفعالات، وبهذا الأطفال الذين يعانون من (Tdah) يجدون صعوبة في التفاعل الهادف والتجاوب الإيجابي مع صعوبة المداومة على النشاط وهذا في غياب الدافعية (Russell.A and Barkley.R,1997, P 65). ترى" باركلي" (R.Barkley,1997) أن الشخص الذي لديه (Tdah) ليس بمنحرف بالمعنى الذي يعطى للأمراض العقلية و النفسية وإنما هو اضطراب يرتبط بخطأ في المراقبة الذاتية(L'auto-contrôle) حيث يظهر هذا الأخير لديه صعوبة كف الاستجابات مع عجز في شحن وتوجيه الانتباه نحو انجاز مهمة من المهام المعرفية، إضافة إلى صعوبة تجميع المعلومات وتحميلها في الذاكرة العاملة، حيث يكون أكثر حساسية وتأثرا بالمنبهات الآنية للمحيط الخارجي، واستند في ذلك إلى دراسات لـ(Seidman.L, &) Biederman.J, et al,. 1998, P.150-160). فيما لاحظت (Barkley 1990b) في دراسة قامت بها، وجود علاقة مباشرة بين الاندفاعية وانخفاض المدة الزمنية للاستجابة والوظائف التنفيذية، بحيث وضع فرضية وجود ارتباط بين العجز في الذاكرة العاملة وبالأخص(الجزء الخاص بالمراقبة) والاندفاعية، ويرى أن السلوك الاندفاعي اللفظي أو الحركي يعزى إلى ميكانيزمات التنسيق و الكف الضعيفة لنظام المراقبة و الانتباه على مستوى الذاكرة العاملة، إضافة إلى تخطيط الأفعال واتخاذ القرار وهذا ما يؤدي إلى خطأ في التقدير والتقييم الفعلي للزمن وهذا ما يعنيه الطفل المصاب باضطراب الـ (Tdah) (Teeter Phyllis Anne, 1998,p.6).

فيما لاحظ "بوسنر وأخرون" (Posner et al) عام 1987 زملة الفقدان الحسي (Sensoriel) لدى الأطفال المصابون باضطراب الـ (Tdah) و كذلك الأطفال العاديين، حيث يظهر هذا الخلل الحسي عندما يتم التعامل مع منبهين متداخلين في آن واحد و في نفس المجال الإدراكي، ويقع تداخل بين الانتباه الداخلي و الانتباه الخارجي، اذ في هذه الحالة يتم رصد منبه واحد داخل هذا المجال و ذلك حسب خصائصه الفيزيائية، مع تلاشي المنبه الثاني أين يصبح غير مدرك تماما؛ والفقدان الحسي البصري مثال على ذلك؛ بينما يحدث الفقدان الحسي السمعي عندما يصدر الصوت في نفس المجال السمعي و بنفس المسافة لكلا الأذنيين مع وجود نفس المشكلة في توظيف الانتباه (Posner.M.I, 1990,P.P.61-75).

7-2-وجهة النظر الإكلينيكية والنفسو-ديناميكية: يفترض " ميالي" (Mialet) في دراسات أجراها أن عدم نضج قدرة الانتباه يرجع في الأصل إلى ضعف في بناء الذات وإلى ضعف في اللغة الداخلية وللتصور الذهني، ويضيف إلى أن الانتباه هو نتاج النضج الشامل لبناء الشخصية (الجانب الوجداني، المعرفي، الاجتماعي والبيولوجي) التي تسمح للفرد أن يهيئ للظروف الأساسية للنضج. ويذكر كذلك أن نمو وتطور الانتباه يتوقف على «مثالية التربية والتنشئة الاجتماعية». إذ يتعلق الأمر خاصة بالوالدين، حيث لا يجب الخضوع لمطالب وأغراض الأطفال غير المهمة في الوضعية الآنية أو على المدى البعيد، والتي لا تتناسب مع مراحلهم العمرية ولا تخدم بناء شخصية سليمة، أي

(الإفراط في التدليل)، مما يفرض مقاومة هذه المطالب مع بداية السنوات الأولى من حياة الطفل حتى لا يقع في الإحباط و حالة الاكتئاب الذي يؤدي إلى عدم التوازن النفسي وبالتالي إلى إصابة الجانب المعرفي الذي بدوره يصيب الانتباه الداخلي (L'attention endogène)، والذي يسمى في بعض الأحيان بالدافعية (Motivation) أو روح الحيوية للفرد، فيصبح عاجز عن التعامل مع المنبهات الخارجية والاحتفاظ بآلية رد الفعل المعاكس (Auto-réaction) فهذه الحالة تؤدي إلى خلل في المراقبة أي توظيف وسير الانتباه الداخلي(Mialet.JP,1999, P.132) .

3-7-وجهة النظر العصبية: قام " فوستر" (Fuster) عام 1997 بعدة دراسات خلصت إلى أن القشرة قرب الجبهية (Cortex préfrontal) وخاصة الظهرو-جانبية (Dorso-latérale) للفص قرب الجبهي تدخل في الاستجابات السلوكية للفرد مع إقحام نظام التحكم الانتباهي، بينما باقي القشرة المخية للفص قرب الجبهي المتمثلة في المنطقة الوسطى والبطينية تظهر أهميتها في مراقبة وكف المنبهات الناجمة عن الظهور اللاشعوري للمشوشات الداخلية والخارجية. (Godfroy.O, 2008, P.19) وتوصلت "جيلي" (Gillet et al) عام 2005، في دراسة ذات بعد تشريحو- عصبي وظيفي اعتمدت على تقنيات التصوير الدماغي الوظيفي، فتكشف من خلالها وجود متلازمة الفص الجبهي لدى هؤلاء الأطفال المصابين بـ (Tdah) وتعتبر هذه الأخيرة ومعاونيها متلازمة (Tdah) كمتلازمة «جبهية نمائية». على الأقل، إذا كانت الوصلات القشرو قشرية تتوزع بكيفية متناظرة على مستوى نصفي الكرة المخية ابتداء من مرحلة البلوغ مما يسمح بنمو الوظائف التنفيذية، إذن يفترض أن أطفال (Tdah) يأخذون وقت أطول للنمو مقارنة بأقرانهم. وإذا ما سايرنا هذا الاتجاه يمكننا اعتبار اضطرابات الانتباه، اضطرابا وليس قصورا كالذي يعطى للأضرار الدماغية (Gillet.P,Hommet.C,et al.,2000,P.225). أما دراسة " ماتي" (Maté, 2001) فكانت ذات بعد عصبي اعتمد على قراءته للأفلام (Clichés) المتحصل عليها من التصوير بالرنين المغناطيسي (IRM) لأطفال يعانون من (Tdah). تبيَّن في هذه الدراسة أن هناك بنى تشريحية في الفص ما قبل الجبهي الأيمن صغيرة جدا مقارنة بالأطفال العاديين أي تختلف عن المعايير المورفو- تشريحية، إضافة إلى راسم التخطيط الكهربائي للدماغ(EEG) وجد اختلاف بين عينة ضابطة وعينة مصابة في حالة الكمون وفي حالة النشاط الذهني، وبصورة أخرى وجد أن هناك بطأ في النشاط الكهربائي للقشرة الدماغية مقارنة بنشاط كهربائي سريع للعينة الضابطة في نفس المهمة التجريبية (Maté.G,2001,P.123).

7-أدوات وطرق الفحص الكلاسيكية (التقليدية)

- **التعريف ببطارية الـ (k-abc) التقليدية**:بطارية كوفمان لتقييم الأطفال (**K**aufman **A**ssessment **B**attery for **C**hildren) هي أداة تقليدية للتقييم الإكلينيكي (اختبار سيكولوجي للتشخيص) صمم من أجل فحص وتقييم النمو والتطور المعرفي للأطفال الذين يتراوح سنهم من سنتين ونصف الى 12 سنة ونصف. ومكون من ستة عشر اختبار فرعي.ويتضمن بناؤه الأخير عدة تطويرات على المستوى النظري والجانب المنهجي والإحصائي. وقد تم تطوير هذا الاختبار من قبل (Alan S. Kaufman et Nadeen L. Kaufman) سنة (1983)، كما تمت مراجعته سنة (2004) وترجم وكييف بلغات مختلفة والى بلدان عديدة مثل النسخة اليابانية (تاتسويا ماتسوبارا) الخاصة بالأخصائيين النفسانيين اليابانيين ويولي اختبار الـ (K-ABC) أهمية خاص ويكمل احتياجات بعض الاختبارات الناشئة أو قيد التطوير التي لا تراعي الثقافات الأخرى، مثل الاستخدام الخاص بفئة المعوقين وبالتالي يوجد ضمنه اختبارات فرعية غير لفظية تلبي الحاجيات الثقافية للمجتمعات المتعددة والفئات الخاصة. ونبه واضعوا هذا الاختبار على أن الحكم على هذا الاختبار يجب أن يكون بالاستخدام الجيد والمستمر، ولا ينبغي الاعتقاد بأن هذه البطارية هي

أداة فحص كاملة وشاملة وإنما يجب تطبيقها وتنسيقها مع أدوات أخرى للفحص للإجابة على الاحتياجات الفردية مثل اختبار"ستنفورد بينه" (Stanford-Binet) أو "ويكسلر" (Wechsler) أو اختبارات أخرى نفسو-عصبية. كما تم تطوير النسخة الأصلية لاختبار الـ (K-ABC) انطلاقا من النظرية النفس عصبية للعالم " لوريا" ومن الجمع بين أبحاث الدماغ وخاصة السيطرة المخية على الوظائف المعرفية، مثل أعمال "سبيري" (Sperry 1968) وانقسام المخ الى المعالجة المتسلسلة والمعالجة المتزامنة وكذلك أعمال " لوريا " (Luria) في علم النفس المعرفي سنة (1966).

ويركز اختبار الـ (K-ABC) على العمليات الضرورية لحل المشكلات بدلا من محتواها أي الأداء اللفظي في مقابل الأداء غير اللفظي.ويعتبر اختبار الـ (K-ABC) واحد من اختبارات الذكاء الأولى الذي بني على أساس نظري نفسو-عصبي صلب وقوي (Reynolds & Kamphaus, 1997)..يحتوي اختبار الـ (K-ABC) على 16 اختبار فرعي ويتكون من سلمين متميزين للذكاء وسلم ثالث للذكاء العام:

- سلم العمليات المتسلسلة أو المتتابعة يقيس قدرة الطفل على حل المشكلات ذهنيا والتعامل مع المثيرات في ترتيب تسلسلي على سبيل المثال إعادة انتاج من حركات اليد تعطى من قبل الفاحص للطفل.
- سلم العمليات المتزامنة يقيس قدرة الطفل على حل المشكلات ذهنيا ويتطلب تنظيم ودمج عدة مثيرات موازية والتعامل معها في نفس الوقت مثل التعرف على رسم غير مكتمل أو وضع بقعة.

ويوجد سلم ثالث للذكاء العام مكون من سلم العمليات المتتابعة وسلم العمليات المتزامنة، يسمى سلم العمليات الذهنية المركبة (Kaufman.AS, et Kaufman.NL, 1993, P.P 8-17).

8-أدوات وطرق الفحص الحديثة:

- **التعريف ببطارية الـ (k-classic) الحديثة:** هي بطارية معلوماتية مكونة من خمسة اختبارات فرعية تقيس القدرات المعرفية والانتباه موجهة للأطفال الذين يتراوح سنهم من 6 الى 10 سنوات و11 شهرا، ويدوم تطبيقها حوالي 40 دقيقة.

صمم اختبار الـ (K-classic)على شكل لعبة مسلية للأطفال، موجه الى الأخصائيين المدرسيين والعياديين، ويستند هذا الأخير على المقاربة النظرية النفسو-عصبية للعالم " لوريا " (Luria) وكذا نموذج " كاتل " (Catelle) للربط بين المستوى المعرفي والسلوك.

والاختبار مكون من خمسة اختبارات فرعية منها:

- اختبار فرعي واحد خاص بقياس القدرة الإنتباهية والتركيز.
- أربعة اختبارات فرعية خاصة بقياس الوظائف المعرفية المتعددة نذكر منها (النمو المعجمي، الذاكرة العاملة والقدرة على معالجة المعلومة وحل المشكلات).

ويعتبر اختبار الـ (K-classic) أداة أصلية تستخدم للقياس والتقييم الاكلينيكي كغيرها من الأدوات الأخرى ومن خصوصيات هذا الاختبار ما يلي:

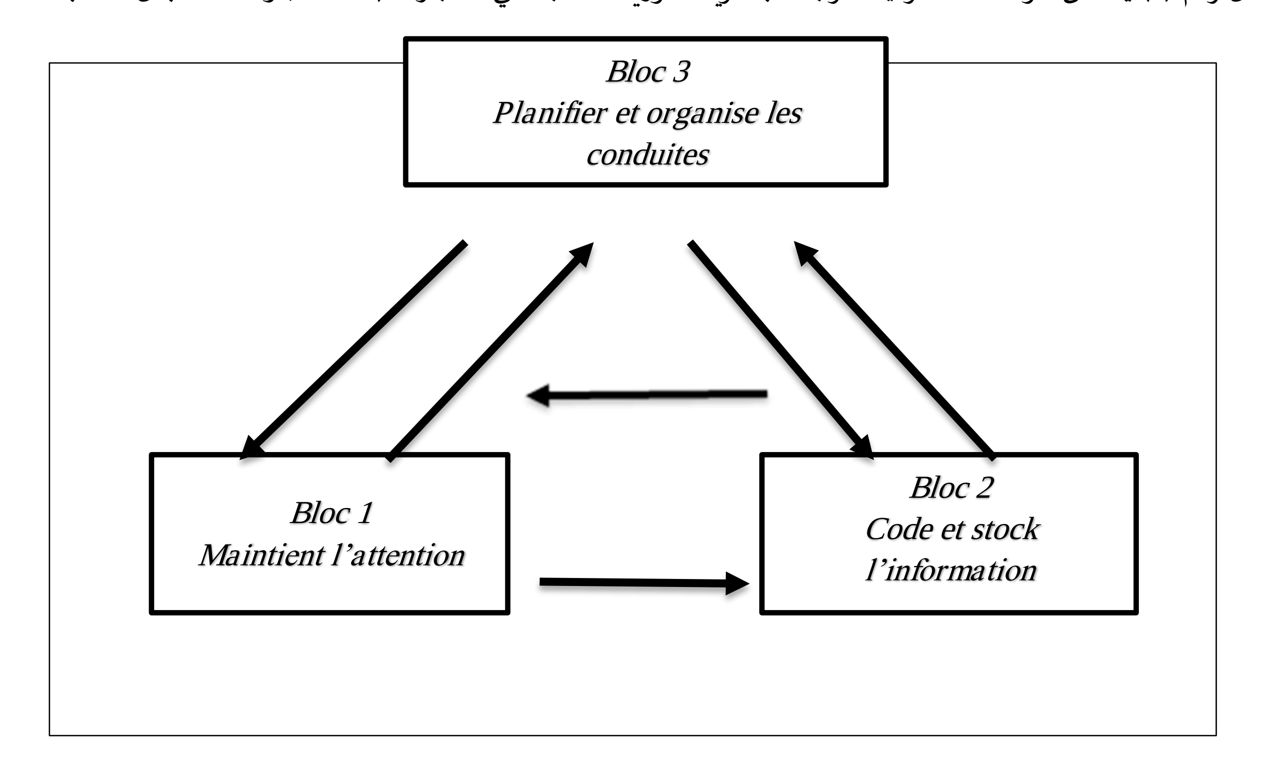
1. اختبار صمم انطلاقا من تكنولوجيا عالية الدقة تتمثل في برمجيات الحاسوب المتطورة التي تعمل على أنظمة النوافذ (Windows).
2. يعطي قياس وتقييم سريع للقدرات المعرفية والذكاء العام، كما يتمتع بصدق وثبات عاليين.

3. تصميمه المسلي يجلب اهتمام وفضول الأطفال.
4. تم بنائه وتطويره انطلاقا من نظرية " لوريا " (Luria) النفسو-عصبية التي وضعت خريطة لوظائف الدماغ كما حددت أنظمة ومستويات السلوك من المعقد الى البسيط لحل المشكلات.
5. يسمح اختبار الـ (K-classic) بفضل تصميمه المعلوماتي بجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات الأساسية في المجال السلوكي والمعرفي عن المفحوص وبدقة عالية، خاصة اختبار الانتباه بجزئيه.
6. يتميز اختبار الـ (K-classic) بالمرونة والحرية في التطبيق، اذ يمكن للفاحص أن يختار تمرير البطارية بأكملها أو يختار بعضا منها بحسب الطلب.
7. يسمح اختبار الـ (K-classic) بالاستغلال الأمثل للوقت بفضل التمرير الآلي.
8. يعمل اختبار الـ (K-classic) على حساب العلامات الخام والمعيارية وتصحيح الأخطاء بصورة ألية.
9. يسمح اختبار الـ (K-classic) بإعطاء تقرير شامل ومفصل عن المفحوص.

ومن بين المسلمات التي ينطلق منها " لوريا " هي أن الوظائف المعرفية الأساسية للدماغ تتمثل في ثلاثة أنظمة وظيفية رئيسية على شكل مكعبات (Blocs):

- المكعب (1) مسؤول عن اليقظة والانتباه.
- المكعب (2) مسؤول عن استخدام المعاني لتحليل وترميز وتخزين المعلومة عن طريق العمليات المعرفية المتسلسلة والمتزامنة.
- المكعب (3) يعمل على تنشيط الوظائف التنفيذية، التخطيط، تطوير المشاريع، تشكيل المفاهيم والتنبؤ بالسلوكات.

الشكل رقم (1) يلخص الوظائف المعرفية المرتبطة بنظرية " لوريا " المطبقة في اختبار الـ (K-classic) والخاصة بكل مكعب.



وانطلاقا من هذا التصور لهذه المكعبات فكر " لوريا" (Luria) بأن معالجة المعلومة وتخزينها في الذاكرة ترتبط بوظائف المكعب (2)، حيث تدخل مهمتها في ترميز المثيرات السمعية والبصرية للمعلومة التي تقع في المجال الحسي للعضوية، وأوضح أن المكعب (2) يتواجد في الفص القفوي ويتفرع الى الفصوص الجدارية والصدغية وراء شق "رولاندو" (Scissure de Rolando).

كما ميز "لوريا" (Luria) داخل المكعب (2) شكلين أساسيين من نشاط القشرة المخية وأطلق عليهما تسمية السيرورات المتسلسلة والسيرورات المتزامنة؛ وبحسب نظرية " لوريا" (Luria) ينتظم اختبار الـ (K-classic) في ثلاثة مكعبات، حيث أن الاختبار الفرعي الخاص بالانتباه يوجد بالمكعب (1) أما اختبارات السيرورات المتسلسلة والسيرورات المتزامنة الخاصة بالذاكرة السمعية والذاكرة البصرية موجودة بالمكعب (2)،

ويوجد اختبار فرعي أخر خاص بتشكيل المفاهيم موجود بالمكعب (3)

وتوصل " لوريا " (Luria) من خلال نموذج المكعبات الى ضرورة تنشيط وتفاعل هذه المكعبات فيما بينها لمعالجة المعلومة واكتساب المعارف والتعلم (Kaufman. AS, et Kaufman.NL, 2007, P.P, 1-8) .

خاتمة

بما أن علم النفس العصبي تخصص حديث النشأة في العالم ولم يظهر في الجزائر إلا مؤخرا في مدة لا تتعدى بضع سنوات مقارنة بالدول المتقدمة، ويسير ببطء لكي يأخذ مكانه ووضعه كتخصص محوري في علم النفس ونقطة التقاء مع عدة تخصصات أخرى كعلم الأعصاب وعلم البيولوجيا والفيزيولوجيا وعلم النفس الاكلينيكي والمدرسي ...الخ، وهذا لإعطاء رؤية جديدة في كيفية فهم وتحليل المشكلات السلوكية والمعرفية.

ومنه تناولنا في هذا المقال نظريات مختلفة لتفسير بعض الاضطرابات المعرفية العليا وكذا احدى أهم أدوات القياس في علم النفس العصبي المعرفي بطرق ومنهجية حديثة في حين أن هذا المنحى الجديد في علم النفس وتقنيات الفحص يدل على التطبيقات العلمية الحديثة في مجال القياس، ويعتبر هذا الطرح بمثابة مقدمة للمفاهيم الأساسية في الممارسة الإكلينيكية الحديثة ويعطي صورة واضحة عن التطور الحاصل في مجال القياس وبناء الاختبارات، كما يعرج على ابراز أهم المواضيع المعاصرة في مجال علم النفس المعرفي وعلم السلوك من خلال إعادة بناء أدوات الفحص والتقييم والتفسير من الاستبانات والاختبارات الورقية الكلاسيكية الى شكل جديد تماما من الاختبارات المعلوماتية المتطورة.

ونتوقع أن تطبيق أدوات وطرق الفحص الكلاسيكية والحديثة أن تكون نتائج البحث لصالح الأدوات الحديثة مما يسمح بتحسين وتسهيل عملية التشخيص لتصبح أكثر دقة، ويساهم أيضا في وضع شكل أخر من التناولات للعمليات التشخيصية والتقييمية في الوسط المدرسي والاستشفائي وبمفاهيم جديدة من حيث الأدوات والنظريات والنماذج التفسيرية وكذا استراتيجيات التكفل النفسي والبيداغوجي مع الشركاء الاجتماعيين (المعلمين، الأولياء والاخصائيين)؛ إضافة الى تكوين الأخصائيين في مجال الممارسة النفسية وتدريبهم على أدوات الفحص الحديثة.

قائمة المراجع العربية والأجنبية

1-فتحي مصطفى الزيات، (2001): علم النفس المعرفي ج2، مداخل ونماذج ونظريات، دار النشر للجامعات، مصر.

2- Bloch، V. (1973) : Les niveaux de vigilance et attention، PUF، Paris.

3 - Chapouthier.G, (1989) : Mémoires et cerveau, Editeur Rocher.
4 - Godfroy, O., (2008) : Fonctions exécutives et pathologies neurologiques et psychiatriques Évaluation en pratique clinique, 2em édition, Solal, Marseille.
5 - Gil, R., (2006) : ABREGES de Neuropsychologie, Masson, Paris.
6 - Jacques corraze(1999) : les troubles psychomoteurs, Marseille, Solal.
7 - Kaufman.AS, et Kaufman.NL, (1993) : K.ABC, Batterie pour l'examen psychologique de l'enfant, Edition du centre de psychologie Appliquée (ECPA), Paris.
8 - Kaufman.AS, et Kaufman.NL, (2007) : K-classic, évaluation informatisée des capacités cognitives et attentionnelles, Edition du centre de psychologie Appliquée (ECPA), Paris.
9- Laberge, D., & Baron's, (1995) : Cognitive Psychology of Attention, Cambridge, Harvard University Press.
10 - Maté، G. (2001): L'esprit dispersé، Comprendre ET traiter les troubles de la concentration، Québec، Les éditions de L'HOMME.
11 - Mialet، J.P. (1999): L'attention ،Que sais-je?، PUF ،Paris.
12- Morin,Y., (2003) : Petit Larousse de la médecine, Larousse Brodas, Paris.
13 - Russell, A & Barkley, R.A., (1997) : ADHD and the nature of self-control, the Guilford Press, New York.
14 - Seidman, L.J., Biederman, (1998): Neuropsychological function in adults with ADHD, Biological Psychology, Special Annals of the New York Academy of science.
15 - Seron.X (1994) : Neuropsychologie humaine, Liège Mardaga.
16 -Teeter Phyllis Anne (1998) : Intervention for ADHD, treatement in developmental context, the guilford press new york.
17- Posner,M.I et al. (1990): The attention system of the human brain. Bruxelles, DeBoeck Université.

L'Education Visuelle et Artistique: Une chance pour développer la pensée critique et créative des étudiants algériens

Dr. Brinis Ouafa
Département d'Italien
Université Badji Mokhtar – Annaba -

Résumé
L'article tend a démontré que l'introduction prévue de l'éducation artistique et visuelle dans le nouveau programme de l'enseignement universitaire peut jouer un rôle déterminant pour apprendre aux étudiants à penser de manière critique et créative dans l'univers saturé d'éléments visuels. Cet article a pour but la révélation des opinions de cinquante-six étudiants à l'université de Badji-Mokhtar -Annaba- (Département d'Italien). Le questionnaire qui a été utilisé dans cette étude a démontré, que le faite de développer l'éducation à l'image, pour exercer la pensée critique des étudiants, peut représenter une étape importante pour le succès du nouveau programme d'enseignement des modules comme la civilisation.
Mots clés: éléments visuels, l'éducation à l'image, opinions des étudiants, civilisation, peinture, patriotique, soldat.

Abstract
The article tends to show that the planned introduction of art education and visual in the new university teaching program can be instrumental to teach students to think critically and creatively in the saturated world of visual elements. This article reveals fifty-six students' opinions at the University of Badji Mokhtar –Annaba- (department of Italian language). The questionnaire that was used in this study has shown that developing image learning, exercising critical thinking of students, can be an important step for the efficiency of the new curriculum modules as civilization.
Keywords: visual elements, image education, students' opinions, civilization, painting, patriotic, soldier.

ملخص
هذا المقال يهدف إلى إدخال منهج جديد من خلال استعمال التربية الفنية والبصرية في برنامج التدريس الجامعي, فهذا يمكن أن يكون مفيدا لتعليم الطلاب على التفكير النقدي والإبداعي بعالمنا المشبع بالعناصر البصرية.حيث تحاول هذه الدراسة تحليل آراء ستة وخمسين طالبا بجامعة باجي مختار-عنابة- (قسم اللغة الإيطالية) . وهذا الاستبيان الذي تم استعماله في هذه الدراسة أظهر أنه بالإمكان تطوير التعليم بالفنون من خلال الصورة، وممارسة التفكير النقدي لدى الطلاب، يمكن أن يكون خطوة هامة لنجاح وحدات المناهج التعليمية وخاصة مادة الحضارة.

Introduction

L'objectif principal de cet article, est de citer un autre système d'enseignement, et l'intégration de l'éducation visuelle et artistique pour améliorer et raffiner l'enseignement des modules d'histoire. A titre d'exemple, on peut présenter un cours de civilisation italienne à travers la peinture, et par conséquent, évoquer la toile en considérant son étroit lien avec l'éducation artistique et visuelle. Les activités artistiques sont une occasion pour familiariser les étudiants, par l'observation, avec les formes d'expression artistique les plus variées. Les compositions plastiques sont des moyens d'expression privilégiés, en plus d'être des moyens de communication; que les étudiants découvrent pendant le cours. Par ailleurs, l'éducation visuelle entretient de nombreux liens avec les autres domaines d'apprentissage. **Nous avons développé cette idée en se basant sur**

la nature de l'homme qui est de surcroit liée à sa culture, la rendant strictement dépendante de l'image. Le monde dans lequel nous vivons devient l'univers de l'icône.

L'intérêt de créer une idée de l'enseignement à travers la peinture, a été créé avec l'intention de manifester une nouvelle idée et aussi pour éviter les problèmes de la didactique du module de la civilisation, l'objectif de l'enseignant étant de découvrir une méthode d'enseignement de l'histoire tout en évitant les difficultés d'apprentissage dans l'enseignement de la civilisation italienne et de l'art en même temps. La peinture peut être utile dans l'enseignement d'une sphère de la culture à nos étudiants, notamment ceux qui ont des problèmes particuliers; cela permet par exemple, de comprendre l'explication d'une expression en italien par un signe. l' enseignement à travers la projection des compositions plastique, devient visuelle, simple et amusant parce que déjà « La peinture est un trésor »[1]. L'étude que nous faisons est axée sur le concept de la peinture comme une forme d'éducation visuelle, puisque:

[...]La peinture fournit la clé pour comprendre les idéaux d'une civilisation qui met l'homme au centre et mesure de toutes choses pour arriver à une forme d'organisation civile qui renforce la culture et l'art.[2]

En fait, cette recherche dans le domaine de l'enseignement est basée sur ces deux questions: Qu'est-ce que la peinture? Comment nous pourrons enseigner l'histoire de l'Italie à travers des compositions plastiques? - Afin de répondre à ces questions, nous avons pu choisir un exemple dans un programme de civilisation italienne dans les classes de 2ème année « *L'unité de l'Italie* » comme un long siècle à travers la peinture militaire, parce que la peinture au 19ème siècle comprend un style qui pour nous est un langage très utile, c'est-à-dire la peinture est un langage visuelle.

1. L'intégration de l'éducation visuelle et artistique pour réformer l'enseignement des disciplines non artistique

L'objectif de l'enseignant de l'histoire de l'art, est de décrire l'importance de la peinture comme art figuratif dans une classe pour la didactique de la culture italienne, puisque, la peinture est un homologue au langage verbal, et en tant que tel devrait être ordonnée et soumise à un sentiment indicible et utilisable, qui sera celle de l'histoire, cette étude nous encourage à chercher la bonne façon d'enseigner l'histoire à travers les toiles dans notre département des langues, alors! Qu'est-ce qu'une toile? – Cette question nous permet de faire une courte lecture dans le livre de G. Patrizi, selon lui, la composition plastique, couleurs et formes de quoi que ce soit créée par la nature, affirme que la peinture est englobante.

La liberté visuelle implique l'élément fantastique, voir que les arts visuels et tout cela est lié au style. Brièvement, on peut donner une explication de ce terme, parce que le concept de style est strictement lié à l'art, en fait, cette étude n'a pas de vocation à être une étude exhaustive sur le style, mais l'information sur ce concept nous sert seulement de comprendre l'utilisation de la peinture dans un cours de civilisation, et surtout capable de nous aider à comprendre l'importance de l'esthétique de l'image, la forme, et certainement le style, Henri Focillon confirme que le style: 'indique une meilleure qualité de l'œuvre d'art, qui lui permet d'échapper à temps, une sorte de valeur éternelle [...]'[3].

L'éducation artistique nous incite toujours à connaître les différentes cultures et nous aide toujours à connaître le passé et le présent d'un pays comme l'Italie, mais la fonction de cette branche, ne nous aide pas seulement à enseigner le cours de l'histoire italienne mais, aussi la

[1] P. Daverio (a cura di), *Il secolo lungo della modernità. Il Museo immaginato*, Rizzoli, 2012, Milano, p.9.
[2] S. Zuffi, *Come leggere l'arte del Rinascimento, Sassi Editore,* 2010, Roma, p.7.

[3] H. Facillon, *Vita delle forme (*Paris *1934),* Torino 1987, pp. 3-12, in M. Schapiro, *Lo stile*, 1995, Donzelli Editore, Roma, p. XI.

langue joue un rôle important, parce que l'accent sur la centralité de la langue italienne utilisée pendant la leçon est lié à l'importance de la connaissance et de l'œuvre artistique. Tout cela pour dire que l'éducation visuelle joue un rôle clé dans le développement du continu du module de l'histoire, d'une part la continuité de l'effort d'éduquer, d'autre part l'interprétation critique d'un contexte historique, exprimés à la fin dans une toile, donc :

'l'art qui part dans tous les sens' [...] partir dans tous les sens [...] Donc si on parle de ça, on parle d'un memant d'histoire'[4].

La peinture peut compter avant tout comme source pour la recherche historique, et renforcer les capacités d'interprétation, de méthodologie de la lecture, également, fournir aux étudiants des connaissances de base du contexte historique et culturel:

'L'éducation artistique [...] est décrite comme des activités directes à la réalisation des compétences expressive qui signifie être capable de traduire leur expérience dans un message, connaître les différents systèmes de leurs symboles de la culture [...]. définition de l'image: message représentatif de la réalité, [...] en utilisant des signes, les facultés intellectuelles (observation, la curiosité, la mémoire, l'attention et le raisonnement), compétences sociales (communication, la responsabilité, l'autonomie, la débrouillardise'[5].

En conséquence, nous devons dire que les modules qui se rapportent à la culture italienne, doivent être fondés sur l'enseignement visuel et l'élargissement de l'environnement d'apprentissage dans le domaine de l'art (la peinture), au-delà de la lecture de l'œuvre entre la dimension esthétique et le patrimoine culturel; parce qu'ils ouvrent de nouvelles frontières de l'enseignement, et voilà pourquoi nous avons également pensé à l'enseignement du module de la civilisation à travers des tableaux typiquement politique et militaires pour les étudiants algériens.

2. Une toile à l'huile est un support notamment outil pour expliquer parfaitement l'histoire

Nous avons remarqué au cours de l'histoire italienne, que l'enseignant a des difficultés avec certains étudiants, liés à l'étude de cette discipline. Et pour améliorer l'enseignement de ce module, nous avons proposé une autre façon d'enseigner l'histoire italienne, en se basant sur l'icône pour améliorer la vision de l'étudiant envers cette matière, et a partir des mots du professeur Mauri Pichiassi, qui dit que l'enseignant, joue habituellement un rôle précis: «l'enseignant est réévalué non seulement comme l'exportateur de langue, mais aussi en tant que connaisseur de la culture»[6]. Souvent, face au module de la civilisation, l'étudiant manifeste des difficultés parfois même fastidieuses, aussi nous rencontrons parfois une question de la part de nos étudiants: *Pourquoi étudier* à l'anciennes?- Cette question est pour nous un «défi». Et pour accepter ce défi, il est nécessaire de démontrer que l'idée d'enseigner l'histoire à travers l'art peut être intéressante et importante dans notre département d'italien, même pour chacun de nous. L'art en général aide à vivre, et l'étudier a un rôle important non seulement disciplinaire et académique, mais social et civil, il exerce également un sens critique et de liberté de jugement, parce que, selon le domaine de la '*Neuroscience*'[7], certains chercheurs ont confirmés que l'éducation artistique peut améliorer l'attention et les fonctions

[4] B. Darras et A. M. Kindler, *Éducation artistique à l'école et au musée*, publics et musées, Revue internationale de Muséologie, 1999, Lyon, p. 91.

[5] M. Calidoni, *Insegnare con i concetti arte e immagine,* FrancoAngeli, 2007, Milano, p. 24.

[6] M. Pichiassi, *Fondamenti di glottodidattica. Temi e problemi della didattica italiana*, Guerra, 1999, Perugia, p. 140.

[7] L. Mandolesi, *Neuroscienze dell'attività motoria: Verso un sistema cognitivo-motorio*, Milan, Springer - Verlag, 2012, p.1.

cognitives de l'étudiant, aussi favoriser la créativité chez les jeunes; et ont montré qu'il était nécessaire d'améliorer sans cesse sa qualité. Ainsi, l'apprentissage de l’histoire à travers la peinture aide les étudiants à élargir leur culture, car ils savent que l'histoire et le langage visuel d'une œuvre aura toujours un bord plus, à partir de ce point, nous dirons que chacun de nous est curieux pour comprendre le sens d’une toile à l’huile, nous dirons que l'art est un produit de la création humaine, et seule l'histoire qui donne les éléments et les raisons pour décider que l’artiste peut être un artiste ou pas, cela est notre première observation qui fait un lien plus étroit entre l'histoire et la peinture.

Après cette brève introduction sur l'importance de l'histoire de l'art, il est temps de nous demander: pourquoi enseigner avec les œuvres artistiques dans un cours de civilisation aux étudiants algériens? - Nous avons déjà vu que la peinture, bien plus qu'une forme de communication compréhensible, donc facile de voir que cet élément est une référence et aussi peut transmettre le contenu de l'histoire liée à la culture et à la société. Par conséquent, l'enseignement de l'histoire à travers l'art, et surtout avec les tableaux peut aider à former les apprentissages et développer la conscience culturelle et interculturelle de l'étudiant en classe. En fait, l'enseignement de la civilisation à travers les toiles, se joint à l'éducation linguistique, parce que la peinture est comme un langage verbal, appartenant au monde du langage comme des possibilités d'expression et de communication, afin de stimuler les actifs visuels, expressifs et communicatifs, par exemple, les histoires de personnes réelles, les protagonistes des événements politiques et des batailles, relient l'image et l'histoire à travers des textes.

3. Les objectifs de l’éducation artistique et visuelle dans le département des langues *(le cas du département d’italien)*

Les objectifs généraux que chaque étudiant doit retenir: Les compétences, les connaissances et la compréhension liées aux arts. Les compétences constituant la base du langage artistique, telles que la compréhension des lignes, des formes et des couleurs, dans les arts visuels (la peinture). L’appréciation critique ou jugement esthétique, figure parmi les objectifs principaux les plus souvent mentionnés dans l’éducation artistique et visuelle, notamment la sensibilisation des étudiants aux aspects essentiels d’une œuvre ou d’une interprétation et le développement de leur capacité de jugement critique dans l’évaluation de leur propre travail.

Un troisième objectif lier à la quasi-totalité des pays est la compréhension du patrimoine culturel et historique. Dans certains cas, cet objectif est associé à la construction de l’identité culturelle, la compréhension de la diversité culturelle. Un autre objectif commun à la plupart des programmes d’éducation artistique, le développement de l’expression personnelle et le développement de la créativité (voir activité n°1 et 2).

Le Silence. Un élément très important, pour certains chercheurs, qui soulignent l'importance du silence de l'enseignant au cours de l’apprentissage: *Silent Way*, pour faire place à la recherche et la réflexion indépendante des étudiants. Puis, ‘lorsque l'étudiant commence à parler, vous devez éviter d'être bloqué’[8]. Sachant que le silence est considéré comme une communication, nous pouvons dire que pendant la présentation d'une toile à l’huile aux étudiants, l'enseignant doit cesser d'expliquer, pour permettre à l'étudiant d'analyser l'image en utilisant sa compétence et son imagination et répondre individuellement aux questions, qui se doivent d’être faciles et ouvertes, comme: Que voyez-vous? Analysez le tableau…etc. Donc, les objectifs généraux de l’éducation artistique et visuelle pour les étudiants algériens: ‘l’éducation [...] a l’art et le développement de leur conscience du phénomène artistique’[9].

[8] B. Cacco (cur.), *L’intercultura. Riflessioni e buone pratiche*, FrancoAngeli, Milano, 2007, p. 124.
[9] B. Darras et A. M. Kindler, *Cit.,* p.24.

4. La créativité et l'imagination de l'étudiant algérien

Aristote envisageait que 'l'acte créatif prend sa source dans la sphère mentale plutôt que dans les interventions divines'[10]. Du point de vue des enseignants envers la créativité à travers l'utilisation de différentes méthodes, nous avons proposé quelques pistes de réflexion de deux exercices pour déployer la *créativité* en classe pour les étudiants, et comme précédemment au cours de l'année universitaire (2013-2014) avec les classes de deuxième année. La principale caractéristique de cette méthode consiste, comme point de départ, en la projection de peintures militaires et des tableaux allégoriques du 19ème siècle en Italie, qui feront l'objet d'une brève observation, afin d'analyser chaque commentaire, émis par les étudiants. Le but de ces activités, est de définir la capacité de l'étudiant à observer le travail artistique.

4.1. La première activité

Dans cette activité, nous avons choisi un cadre très important de la période du *Resurgissement*, intitulée : La Méditation, réalisée par l'artiste peintre Francesco Hayez. L'exercice a eu lieu le 18.04.2014. La question pour cette activité était très facile, nous avons proposé de projeter le tableau en utilisant le *powerpoint*. La question est: La Méditation de Hayez, est un cadre *politico-allégorique*. L'artiste dans ses œuvres, porte souvent une signification métaphorique. Analyser le tableau.

4.1.1. Description du tableau *La Méditation*

Dans un angle de lecture très profane, F. Hayez dans cette période présente une toile qui tend à représenter l'esprit au 19ème siècle, qui est en fait défini comme un cadre patriotique, et avec le titre officiel et original: *Méditation sur l'Ancien et du Nouveau Testament* (fig.1), qui dépasse la situation réelle de l'Italie en 1848, comme en témoigne sans aucun doute la nouvelle découverte de la date des *Cinq jours de Milan*, où les citoyens de Milan se sont battus en masse. Autrichiens levant le drapeau italien et même après; Charles Albert avait signé une trêve avec les Autrichiens pour se préparer à quitter Milan.

En fait, la création de la Méditation, manifeste la crise des idéaux de ce siècle (*Resurgissement*), avant et après 1848, entraînant un certain nombre d'éléments novateurs, d'abord avec le changement traditionnel de l'iconographie du pays, et d'autre part, la transposition de cette tradition rhétorique de l'allégorie, accompagné d'une grande sensualité des femmes dans cette image.

4.1.2. Commentaire et analyse de l'activité de l'étudiante

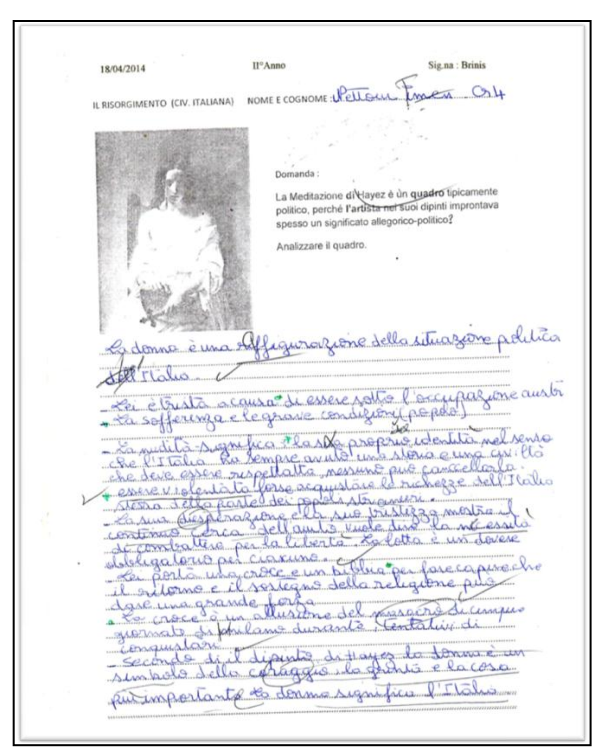
Dans cette activité, l'étudiante, a tentée d'analyser l'image en utilisant son imagination pour créer des phrases et des idées personnelles, par exemple: [*La femme représente la situation politique en Italie en 1848*, aussi: *la nudité signifie la réalité*, et: *la croix est une illustration des événements en Italie de l'année 1848*: *Les Cinq jours de Milan*, et : *La femme est un symbole de courage, cela signifie Italie*] sont des expressions utilisées pour décrire l'image de l'artiste et la métaphore utilisée par Francesco Hayez, donnant la base pour construire leurs idées.

L'étudiante a décrit la figure féminine dans un commentaire très facile, nous voyons aussi quelques erreurs grammaticale. La base de son analyse était l'idée de l'indépendance, tandis que la figure féminine selon l'étudiant représentant: *Les Cinq jours de Milan*, voir la date de la

---

[10] T. Lubart (dir.), *Psychologie de la créativité*, Armand Colin, 2003.

réalisation de la toile. Enfin, nous pouvons observer que l'imagination de l’étudiante devient le seul moyen d'arriver à la réalité de la situation politique de cette période.



18/04/2014 II°Anno Sig.na : Brinis

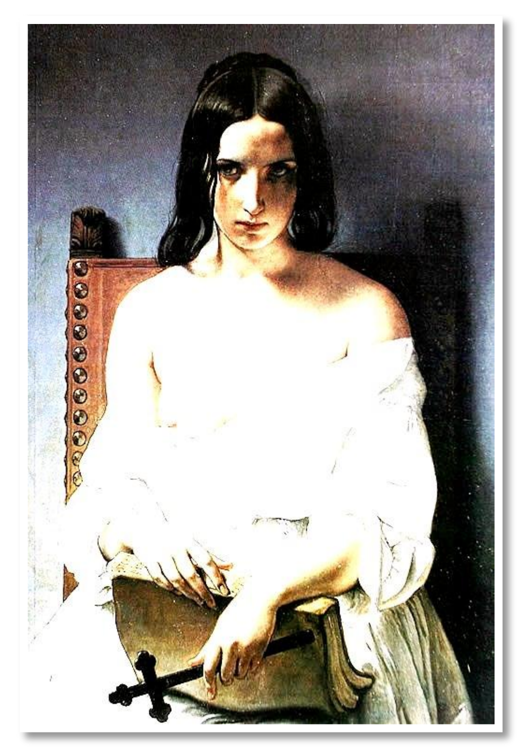
IL RISORGIMENTO (CIV. ITALIANA) NOME E COGNOME : [illegible]

Domanda :

La Meditazione di Hayez è ùn quadro tipicamente politico, perché l'artista nei suoi dipinti improntava spesso un significato allegorico-politico?

Analizzare il quadro.

La donna è una raffigurazione della situazione politica dell'Italia.
- Lei è trista a causa di essere sotto l'occupazione austri[illegible]
- La sofferenza e le grave condizioni (popolo)
- La nudità significa la sua propria identità nel senso che l'Italia ha sempre avuto una storia e una civiltà che deve essere rispettata, nessuno può cancellarla. essere violentata forse acquistare le richezze dell'Italia stessa dalla parte dei popoli stranieri.
- La sua disperazione e la sua tristezza mostra il continuo cerca dell'aiuto vuole dire la necessità di combattere per la libertà. La lotta è un dovere obbligatorio per ciascuno.
- Lei porta una croce e un bibbia per fare capire che il ritorno e il sostegno della religione può dare una grande forza
- La croce è un allusione del massacro di cinque giornate di Milano durante i tentativi di conquistare
- secondo di il dipinto di Hayez la donna è un simbolo dello coraggio, la [illegible] e la cosa più importante la donna significa l'Italia.



Activité N°1 **Francesco Hayez La Méditation (fig.1)**

4.2. La deuxième activité

Une heure et trente minutes était la durée de cette activité. Comme nous pouvons le constater un effort de groupe, a été sollicité le 13/04/2015, en changeant la forme de l’activité, nous n'avons pas donné la même question, mais juste: «*Commenter*», car avec des questions ouvertes, les étudiants peuvent créer, imaginer et produire plus d'idées. La toile réalisée par Gerolamo Induno intitulé Triste Pressentiment (fig.2).

4.2.1. Description du tableau *Triste Pressentiment*

L'artiste-soldat représente les événements précisément à l'intérieur de la maison, où Induno manifeste dans sa toile une pauvre chambre dans un grand désordre. Sur le mur au fond, le Baiser de Hayez et un petit buste de Garibaldi ‘sur le mur au fond, le Baiser de Hayez et un petit buste de Garibaldi ... ’ [11], indiquant le désordre des idées de la société et la politique de cette phase historique. La passion politique, la vanité et la modestie, la tristesse de cette jeune fille, peut-être le conflit intérieur de l’artiste même, où la jeune fille, en 1862, attend des nouvelles tôt le matin: [...]un fils, un petit ami, un mari, un ami. Une jeune femme, réveillé le matin par la lumière de l'aube, et peut-être même d'un rêve troublant [...][12].

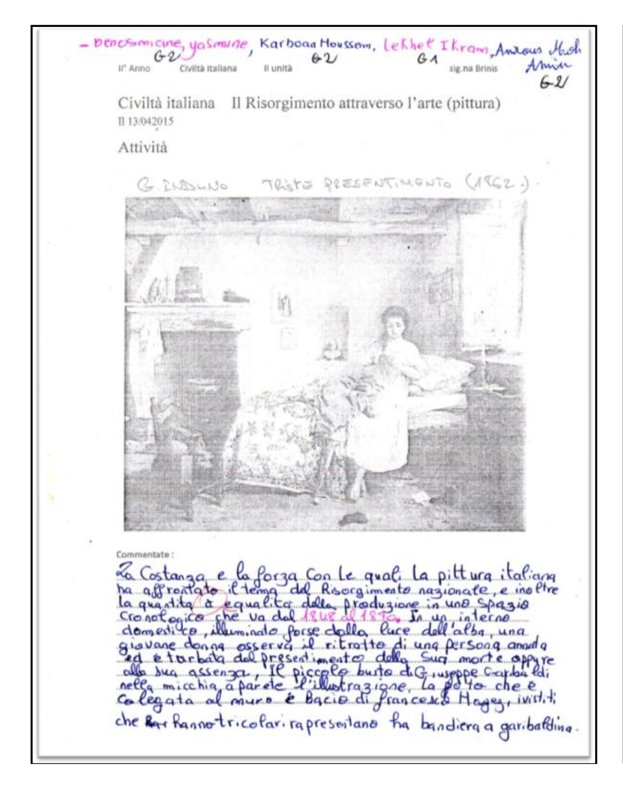
4.2.2. Commentaire et analyse de l’activité des étudiants

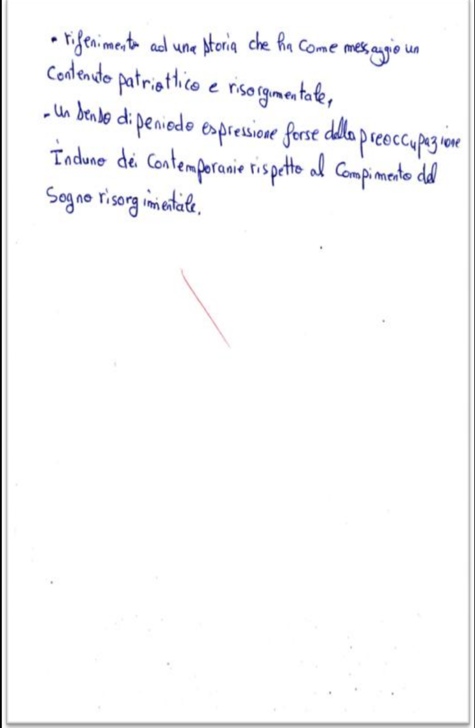
Nous constatons un travail d'équipe, deux étudiants et deux étudiantes. Ils ont décrit la figure de cette jeune fille sur la toile de Gerolamo Induno, en deux pages, en utilisant le présent, avec quelques erreurs (d’orthographe et vocabulaire). Leur analyse est basée sur la

---

[11] P. Daverio, *Cit.* p. 93
[12] Gianluca Formichi, *Il Risorgimento (1799-1861)*, Giunti, 2003, Firenze, p. 142.

position de la jeune fille, qui regarde un objet, décrivant la chambre d'une manière détaillée. Ils commencèrent par une idée générale au sujet de la peinture au 19ème siècle, sans indiquer le genre de la peinture militaire. En bref, le choix du nom du Risorgimento est écrit de cette manière: [*Le thème de l'unité national*]. Ensuite, ils clôturent leurs commentaires avec la description des sentiments de l'artiste envers son pays et l'idée de la liberté de l'Italie, avec l'utilisation de ces phrases: [*Induno, est un artiste-soldat et patriote italien, il accompagna Giuseppe Garibaldi dans sa compagne, fut peintre officielle de Resurgissement*], aussi l'utilisation de l'analogie comme dans la phrase suivante : [*référence à une histoirse qui donne un message patriotique*], pour eux, le contenu de la toile est similaire au contenu de l'histoire nationale de l'Italie.


- Benosmicane, yasmine, G2 , Karboaa Houssem, G2 , Lekhel Ikram, G1 , Amrous Mohamed Amine G2
II° Anno Civiltà italiana II unità sig.na Brinis
Civiltà italiana Il Risorgimento attraverso l'arte (pittura)
Il 13/042015
Attività
G. INDUNO TRISTE PRESENTIMENTO (1862.)
Commentate :
La Costanza e la forza Con le quali la pittura italiana ha affrontato il tema del Risorgimento nazionale, e inoltre la quantita à equalita della produzione in uno spazio cronologico che va dal 1848 al 1870. In un interno domestico, illuminato forse dalla luce dell'alba, una giovane donna osserva il ritratto di una persona amata ed e turbata dal presentimento della sua morte appure alla sua assenza, Il piccolo busto di Giuseppe Garibaldi nella nicchia a parete l'illustrazione, La foto che e collegata al muro è Bacio di francesco Hayez, i visti che hanno tricolari rapresentano la bandiera a garibaldina.


• rifenimento ad una storia che ha come messaggio un contenuto patriottico e risorgimentale,
- Un senso di periodo espressione forse della preoccupazione Induno dei contemporanie rispetto al compimento del sogno risorgimentale.

Activité N°2

Après cette analyse des activités en classe avec les étudiants des 2ème année, il est le temps de faire une petite description sur la peinture au 19ème siècle et souligner le rôle de l'artiste soldat durant les batailles. Tout ça nous aiderait a faire une lecture profonde sur l'histoire de l'Italie aux étudiants algériens.

5. La peinture au 19ème siècle

Alors que les grandes puissances d'Europe rivalisent pour contrôler l'Italie, les peintres italiens au 19ème siècle élargissent le champ de la peinture occidentale en fait c'est le « *le* ***retour au gothique*** **»[13].** Les arts se développent dans un contexte politique. L'Italie n'est pas encore unifiée et chaque prince, homme politique aussi chaque famille qui règne sur un royaume veut montrer sa splendeur, sa puissance, et son espoir pour devenir le premier homme qui réunit l'Italie, alors : pourquoi l'art et l'artiste-soldat? la peinture peut-

[13] A. Chastel, *Storia dell'arte italiana,* Tomo Secondo, Editori Laterza, 2009, Bari, p.583.

elle avoir une action politique?- Dans ce cas, on doit aborder le sujet de l'unité de l'Italie, en fait, ce pays, cherche pendant les siècles passés à retrouver son indépendance, et *certains poètes ont montré* leur action patriotique:

« Italie, Italie! Ò mère des Brutus,
Terre de dévouements, des antiques vertus!
L'univers a sucé tes mamelles divines.
[...]
Italie !, ò c'est toi notre mère patrie.
[...]
Nous voulons secourir ton peuple abandonné
Et te rendre le sang que tous nous as donné! »[14]

Les œuvres, les grands chantiers tous liés à une commande sont là pour montrer la magnificence de leurs mécènes. Chaque endroit artistique a sa propre spécificité, exemple: la peinture florentine privilégie le dessin, la peinture vénitienne donne la primauté à la couleur et le clair-obscur (le tonalisme), et Rome prend au début, avec le mécénat pontifical et princier, une importance croissante. Le rôle de l'art italien possède une forte présence même dans les siècles précédents par exemple des artistes italiens à Fontainebleau ferons du château du roi de France un laboratoire de forme et un centre de diffusion de l'art italien en Europe. L'artiste de la « *Resurgissement* » est un artiste complet, souvent peintre et orfèvre, sculpteur et architecte, théoricien et poète, comme l'étaient Francesco Hayez, Gerolamo Induno ou Giovanni Fattori. L'artiste devient un savant, qui écrit ou utilise des traités théoriques, connaît les règles de la perspective, s'attache à la connaissance du corps humain en pratiquant les dissections, observe et expérimente. Son statut social évolue au cours du 19ème siècle au fur et à mesure que la dimension intellectuelle de l'œuvre créé est reconnue au même titre que sa dimension manuelle. La peinture prend dès lors sa place au sein des Arts libéraux. Après tant de siècles d'activité prodigieuse, l'art italien a vu tarir les sources de son inspiration.

Le domaine de la peinture compte de nombreux artistes moyennement doués, qui vont d'un naturalisme de facilité, riche en détails, à une composition froide et trop calculé. Avec une bravoure, Hayez représente des scènes de l'histoire médiévale qui relient la partie psychologique à la douceur des clairs obscurs, et 'parvient à conférer à la peinture de genre historique' [...][15], nous notons cela dans sa toile : *Les réfugiés de Parga* (fig.3). Il est inspiré par le poème éponyme de Giovanni Berchet, écrit en 1821-1823 et se réfère à un épisode de la guerre gréco-turque :

«Ce fut un spectacle vraiment digne de pitié de voir ces hommes donner le triste et dernier adieu à leur chère patrie [...] Les uns les livrèrent aux flammes, d'autres les cachèrent dans les lieux les plus secrets et les plus profonds, avec l'espoir dans le cœur de les recouvrer un jour»[16].

L'histoire est traduite avec une grande participation de charge sentimentale qui, Hayez, l'obtient avec le caractère typique de ses œuvres théâtrales de sujet historique et patriotique :

---

[14] De la Grave H.P. (1859), *Aux soldats français après la bataille de Solferino, poème au profit des blessés*, Paris, J. Leclerc. In, Cipolla C. (a cura di), *Il crinale dei carinli, La battaglia di Solferino e San Martino*, Edizione FrancoAngeli, Milano, 2009, p. 330.

[15] Gloria Fossi (a cura di), *L'arte italiana. pittura, scultura, architettura dalle origini a oggi*, Giunti, 2010, Firenze, p.472.

[16] M. C. Gozzoli e F. Mazzocca (a cura di), *Hayez*, Palazzo Reale Sala delle Cariatidi, Accademia Pinacoteca Biblioteca di Brera, novembre 1983- febbraio 1984, Milano, Electa, 1983, p. 165.

«A leur centre, on voit quelques bouquets d'arbres, mais au renflement de leur base [...] comme par enchantement, des bosquets d'orangers [...] qui descendent par étages jusqu'au fond de la vallée romantique ».[17]



F. Hayez. Les réfugiés de Parga (fig.3)

L'impressionnisme français a trouvé un écho en Italie et notamment à Florence avec le mouvement des tachistes: *le Macchiaiolisme 'Il movimento dei macchiaioli'*[18], dont les représentants 'un tachiste de luxe Silvestro Lega'[19], et autre. Ces principaux artistes du groupe donnent, dans des ouvrages inédits, des démonstrations de clarté et de beauté qui contrastent avec les morceaux de courage et les scènes de genre parfois savoureux d'autres peintres italiens appartenant à la fin du 19ème siècle comme Francesco Michetti et Giovanni Segantini. Le 19ème siècle a été représenté par les œuvres des grands historiens et les tableaux militaires de Francesco Hayez, Gerolamo Induno, et Giovanni Fattori. Ces derniers ont toujours tendance à relier le présent au passé, en utilisant les épisodes de l'histoire italienne comme un message d'identité, et qui donne à la fin de ce siècle une lecture typiquement militaire: les batailles, les héros et surtout leur actes d'héroïsme, nous nous souvenons par exemple: *La bataille de Cernaia* (fig.3) et *Le camp italien après la bataille de Magenta* (fig.4), et celle de Induno la *bataille de Magenta* (fig.5), visent à propager les valeurs d'une identité nationale, à partir d'une lecture sociale du processus unitaire.

L'idée principale qui nous a poussé à écrire cet article sur l'art de ce siècle et surtout avec le 'chef de la peinture historique' [20] Francesco Hayez et les artistes-soldat du *Risorgimento*, comme Induno et Fattori, est qu'ils ont toujours enrôlés, avec Giuseppe Garibaldi, représentant les moments de la guerre, ces peintres avaient combattu en personne, représentant de façon réaliste les héros de l'unité de l'Italie: les dirigeants, les bénévoles, les soldats, les victimes, la joie de la victoire et la liberté gagnée; mais aussi l'agonie du blessé et la douleur des femmes causée par la séparation familiale.

[17] Ibidem.

[18] Giuliana Videtta, Anna Gallo Martucci, *I luoghi di Giovanni Fattori, nell'Accademia di belle Arti di Firenze passato e presente*. Mauro Paagliali Editore. 2008, Firenze, p.75.

[19] A. Chastel, *Cit*.

[20] C. Castellaneta, *L'opera completa di Hayez*. Apparati critici e filologici di Sergio Coradeschi. Milano, Rizzoli, 1971, p.9.



G. Induno La bataille de Cernaia (fig.4)

Les artistes-soldats, cherchaient à capturer les actions et la plupart des glorieux événements héroïques et soulèvements contre les tyrans européens. G. Induno a transféré dans ces cadres, les sentiments du peuple italien en montrant ainsi les victimes après la guerre, mettant en évidence le sacrifice personnel et celui de l'humanité qui a caractérisé la participation des petits et pauvres soldats. Les toiles représentent le peuple pendant la guerre que ces artistes peintres, illustrent en tant que thème de liberté, d'indépendance et d'unité nationale.





G. Fattori Le camp italien après la bataille de Magenta (fig.4) G. Induno La bataille de Maginta (fig.5)

Après voir soumis des activités à nos étudiants, nous avons proposé un questionnaire, pour savoir, si on doit continuer d'enseigner le module de la civilisation à travers des toiles ou pas?

6. Méthodologie et questionnaire

Dans cette partie, il s'agit d'une élaboration d'un questionnaire adressé aux étudiants algériens de la deuxième année (langue et culture italienne), année universitaire 2013/2014 et 2014/2015, à l'Université Badji-Mokhtar Annaba, pour un échantillon total de 56 étudiants. Cet questionnaire comprend des questions multiples et simple à remplir, et les réponses permettront d'effectuer un calcul statistique:

Questionnaire

Questionnaire pour les étudiants de la deuxième année spécialité Littérature et civilisation, langue et culture italienne (Université Badji-Mokhtar Annaba, Faculté des Lettres sciences sociales et humaines. Année universitaire 2014/2015.

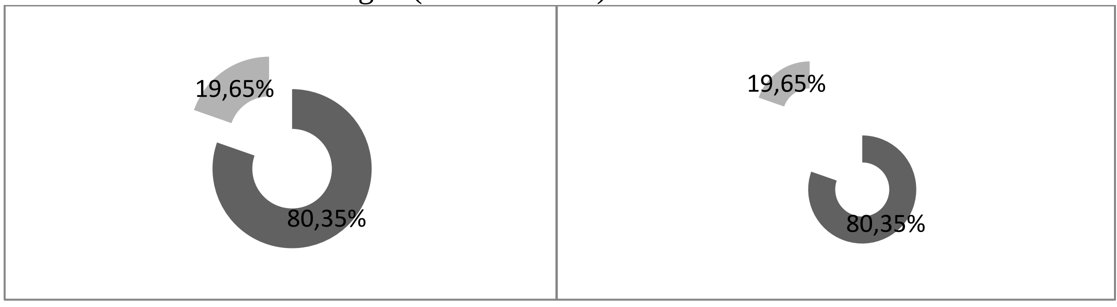
Questionnaire anonyme: vous pouvez remplir le questionnaire suivant pour une étude que je fais. Vos réponses seront anonymes et seront utilisées uniquement pour le traitement statistique.

1. Aimez-vous étudier l'histoire de l'art?
 Oui Non
2. La langue utilisée et le style de l’enseignant de civilisation sont faciles?
 Oui Non
3. Lorsque l'enseignant explique le cours de la civilisation sans la projection des toiles, vous aimez le cours?
 Oui Non
4. Lorsque vous avez terminé la leçon, vous demandez a l’enseignant d'autres titres des toiles?
 Oui Non
5. Vos notes dans le module de civilisation pendant l’année, sont:
 Bonnes Moyennes Mauvaises
6. Les toiles militaires utilisés au cours sont :
 Intéressantes Superficielles Ennuyeux
7. Pensez-vous que le module de la civilisations doit être enseignées seulement à travers les livres d’histoire?
 Oui Non
8. Est-ce que vous faites des analyses des toiles après le cours de la civilisation?
 Oui Non
9. Trouvez-vous que l'analyse des leçons de civilisation et de l'histoire italienne à travers la peinture militaire (XIX siècle), sont utiles pour comprendre le cours?
 Oui Non
10. Aimez-vous étudier la civilisation à travers une toile allégorique ou militaire?
 Oui Non

6.1. Analyse des données

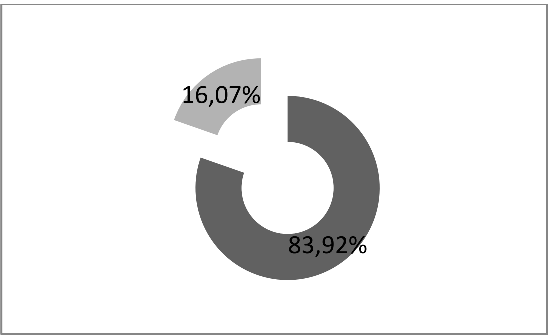
Selon les sondages, on observe que pour la (**Question n°1**) 45 étudiants (80,35%) ont répondu ‘oui’, ce qui signifie clairement qu'ils veulent étudier l'histoire de l'art, tandis que le reste se composant de (19,65%) des étudiants ont répondu par non, alors nous pouvons dire que l'histoire de l'art est un module très important; et pour l'étudier, la plupart sont motivés pour l'apprentissage de l’analyse de l'histoire à travers des toiles.

La plupart des étudiants qui ont étudié le module de la civilisation italienne et de l'histoire à travers la peinture comprennent la langue utilisée par l'enseignant pendant le cours. Logiquement, nous le voyons dans le sondage de la (**Question n°2**) que 45 étudiants (80,35%) sont en mesure de comprendre des phrases et expressions utilisées par l’enseignant, cela montre également que le message est très clair, il suffit de regarder la toile et d’utiliser un texte, qui induit la compréhension non seulement l'histoire, mais aussi la connaissance d'autres matières concernant la langue (écrite et orale).



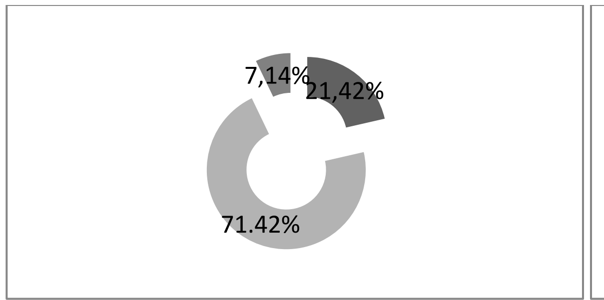
Question et Graphique n°1 **Question et Graphique n°2**

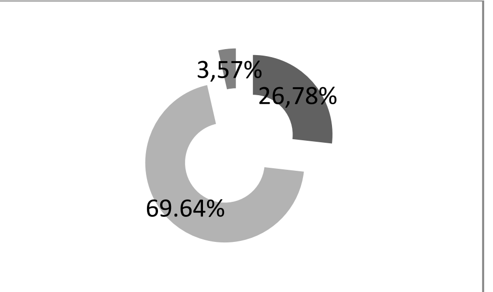
Voici le résultat de la (**Question n°3**), 47 étudiants (83,92%) répond ‘non’, c'est-à-dire que la leçon de la civilisation n’est pas complète sans ajouter des toiles. 9 étudiants (16,07%) répondre par oui, parce qu’ils veulent juste l'information oralement, certainement parce que selon les 9 étudiants veulent écouter et noter des idées. Pour les autres, est le contraire, car avec la projection des toiles dans une leçon de civilisation est un moyen de stocker l'information, le cours de l’histoire doit être complet en utilisant un tableau comme un élément pour comprendre le cours.



Question et Graphique n°3

En ce qui concerne la (**Question n°4**) la majorité (71,42%) ne demande pas à l'enseignant d'autres titres des toiles, parce que le cours avait enseigné par plusieurs tableaux, avec 12 étudiants (21,42%) qui veulent toujours approfondir leurs recherches personnelles dans le domaine de l’art italien, et ils sont à peu près les mêmes que ceux qui ont choisi la première question de leur intérêt pour l'étude de l'histoire de l'art. Pour la (**Question n°5**) sans doute, dans chaque classe nous notons souvent entre bonnes, moyenne et mauvaises notes, cette fois nous avons essayé d'éviter, des résultats plus bas et aussi les problèmes d'apprentissage de cette discipline. nous examinons le pourcentage des notes sur le sondage auprès des étudiants (69,64%), pour les autres qui sont 15 étudiants sont des bons éléments, un pourcentage de (26,78%), par conséquent, le résultat de cette question est logique, et suffisant pour les étudiants qui ont eu des mauvaises notes, qui représente (3,57%) des étudiants.





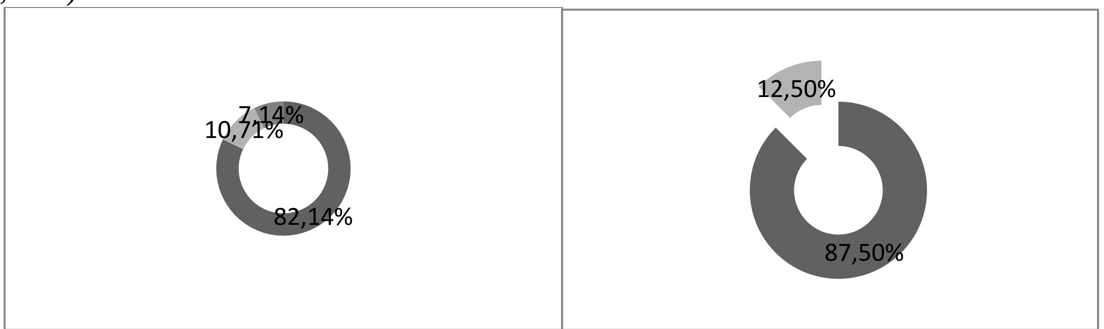


Question et Graphique n°4 **Question et Graphique n°5**

Pour la (**Question n°6**), 46 étudiants (82,14%), voient que le contenu des tableaux militaires est intéressant, nous avons fait une petite comparaison avec la (**Question n°10**), où nous avons demandé à l'étudiant de choisir quel est le genre de peinture préfère lors de la présentation du cours de civilisation, et il a choisi le genre de peinture politico-allégorique, car c’est un genre où l'étudiant analyse l'image en décodant les codes derrière une toile qui est habituellement de contenu politique, pour lui, c’est comme un jeu pour mesurer et évaluer son imagination, et pour cela, nous voyons 6 étudiants (10,71%) qui ont choisi la deuxième réponse et 4 étudiants (7,14%) considèrent que les tableaux de contenu militaires sont ennuyeux, en fait, les mêmes étudiants qui ne sont pas motivés pour étudier l'art, ni la culture

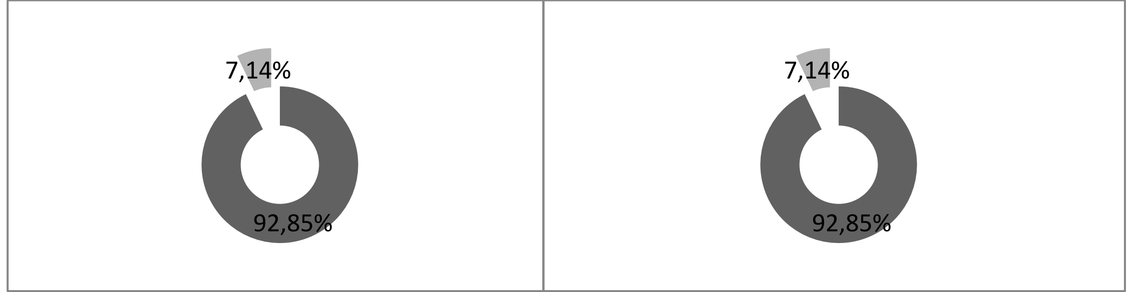
italienne, ceci est notre observation lorsque nous avons fait le lien entre la 1ère , 3ème et 4ème questions.

Nous voyons la (**Question n°7**) que la majorité des étudiants ont répondu ‘oui’, représentant (87,50%) ce qui explique que les étudiants obtiennent l'exercice pendant et après la leçon de l'histoire; parfois, nos activités dure 15 minutes, mais tout le reste est consacré à l'analyse des tableaux d'histoire, parce que notre travail en classe est basée sur l'analyse des compositions, et pour cette raison les apprenants répondent par non. Ceci explique le pourcentage suivant (12,50%).



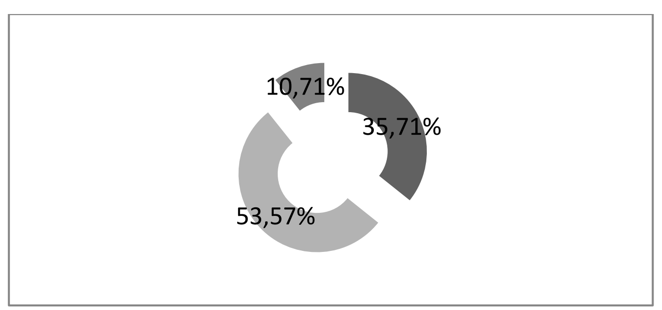
Question et Graphique n° 6 **Question et Graphique n°7**

Nous obtenons des (**Question n°8 et n°9**) peut-être le plus représentatif de toutes les questions, nous voyons clairement que les 52 étudiants (92,85%) voient que la peinture est un élément très utile pour la compréhension de la matière, et ils veulent travailler en groupe. Avec ces résultats, nous pouvons enfin dire que nous avons trouvés une solution parmi de nombreuses aux problèmes rencontrés par l'enseignement de cette matière, (7,14%) répondent négativement à cette question et ne trouvent aucune utilité dans la peinture.



Question et Graphique n°8 **Question et Graphique n°9**

Les résultats de la (**Question n°10**), où nous avons demandé à l'étudiant de choisir quel est le genre de peinture préfère lors de la présentation du cours de civilisation, et il a choisi le genre de peinture politico-allégorique, 30 étudiants (53,57%), car c’est un genre où l'étudiant analyse l'image en décodant les codes derrière une toile qui est habituellement de contenu politique, nous voyons 6 étudiants (10,71%) ils n’ont pas choisi une réponse, et 20 étudiants (35,71%) ont choisi le genre de l’image allégorique, la première raison est d'apprendre de nouveaux mots techniques qui concerne ce module, et la deuxième raison est d’apprendre à observer, et comme nous, les enseignants de la civilisation, pensons que notre rôle pendant le cours est de permettre à l'étudiant de se faire sa propre idée en montrant ces toiles, parce que le sujet de la guerre au cours au 19ème siècle, est un message non seulement politique, mais aussi éducatif. A travers l'art, nous pouvons toujours répondre à nos ambiguïtés, ce qui aide l’étudiant de comprendre le «pourquoi et comment», le module de l’histoire de l’art, ouvre l’esprit pour étudier la culture du monde occidental qui est pour nous un monde étroitement lié à notre passé.



Question et Graphique n°10

Nous avons remarqué aprés cette étude, que les étudiants ont répondu en donnant leurs avis positifs, et fournissant également des nouvelles idées et suggestions très utiles pour améliorer l'enseignement de la civilisation italienne, incluant également l'utilité de l'éducation artistique et visuelle comme un élément très important pendant le cours.

Conclusion

A la fin de ces sondages, activités et observations, nous dirons que l'éducation artistique et visuelle donne souvent un message éducatif pour nos étudiants, joue un rôle très important pour comprendre les autres disciplines telle que l'histoire en première instance, puis la littérature qui est très proche de ce domaine. Ces commentaires peuvent servir à mieux comprendre certains aspects d'autres matériaux, car il permet à l'étudiant d'observer de façon précise et à la fin d'arriver à un point de vue différent à travers ses idées et sa créativité.

Avec l'éducation artistique et surtout visuelle, la leçon de la civilisation est considérée incitative et complète, parce que nous avons vraiment essayé d'équilibrer entre la théorie et la pratique de l'enseignement des événements politiques, en montrant un tableau à chaque fois différent qui contient le même contenu de l'histoire (selon le cas de la Méditation qui représente l'évènement de *Cinq Jours de Milan*, triste pressentiment représente *La deuxième guerre d'indépendance italienne* et ainsi de suite, peux aider l'étudiant a apprendre d'une manière plus profonde le module.

L'analyse du contenu militaire des toiles, donne aux étudiants la capacité de réfléchir et d'activer leur langage visuel, qui joue un rôle capital (et exclusif) dans le développement de leurs cultures, puisque la discipline d'histoire à travers l'art permet d'interpréter les images individuellement par chaque apprenti. Aussi, projection des tableaux dans un cours de civilisation, est une action pour mémorisé les événements historique, puisque la mémoire est une fonction capitale pour la réussite de la leçon. La mémoire est une banque de donnée, et l'étudiant peut enregistrer plus facilement et retenir mieux, et éprouver du plaisir à apprendre dans le cas, de l'utilisation de l'icône pendant le cours.

Bibliographie

- **A**ndré Chastel, *Storia dell'arte italiana,* Tomo Secondo, Editori Laterza, 2009, Bari, p.583.
- **B**runo Cacco (cur.), *L'intercultura. Riflessioni e buone pratiche*, FrancoAngeli, Milano, 2007, p. 124.
- **B**ernard Darras et Anna M. Kindler, *Éducation artistique à l'école et au musée,* publics et musées, Revue internationale de Muséologie, Lyon, 1999, p.24.
- **C**arla Castellaneta, *L'opera completa di Hayez*. Apparati critici e filologici di Sergio Coradeschi. Milano, Rizzoli, 1971, p.9.
- **C**harles Rappoport, *La philosophie de l'histoire comme science de l'évolution*, Edition Ligaran, 2016, Paris.

- **D**e la Grave H.P. (1859), *Aux soldats français après la bataille de Solferino, poème au profit des blessés*, Paris, J. Leclerc. In, Cipolla C. (a cura di), *Il crinale dei carinli, La battaglia di Solferino e San Martino*, Edizione FrancoAngeli, Milano, 2009, p. 330.
- **H**. Facillon, *Vita delle forme (paris 1943)*, Torino 1987, pp. 3- 12, in M. Schapiro, *Lo stile*, 1995, Donzelli Editore, Roma, p. XI.
- **G**loria Fossi (a cura di), *L'arte italiana. pittura, scultura, architettura dalle origini a oggi*, Giunti, 2010, Firenze, p.472.
- **G**iuliana Videtta, Anna Gallo Martucci, *I luoghi di Giovanni Fattori, nell'Accademia di belle Arti di Firenze passato e presente*. Mauro Paagliali Editore. 2008, Firenze, p.75.
- **G**ianluca Formichi, *Il Risorgimento (1799-1861)*, Giunti, 2003, Firenze, p. 142.
- **L**. Mandolesi, *Neuroscienze dell'attività motoria: Verso un sistema cognitivo-motorio*, Milan, Springer -Verlag, 2012, p.1.
- **M**aria C. Gozzoli e F. Mazzocca (a cura di), *Hayez*, Palazzo Reale Sala delle Cariatidi, Accademia Pinacoteca Biblioteca di Brera, novembre 1983- febbraio 1984, Milano, Electa, 1983, p. 165.
- **M**. Calidoni, *Insegnare con i concetti arte e immagine*, FrancoAngeli, Milano, 2007, p. 24.
- **M**auro Pichiassi, *Fondamenti di glottodidattica. Temi e problemi della didattica italiana*, Guerra, Perugia, 1999, p. 140.
- **P**hilippe Daverio (a cura di), *Il secolo lungo della modernità. Il Museo immaginato*, Rizzoli, Milano, 2012.p.9.
-**S**tefano Zuffi, *Come leggere l'arte del Rinascimento, Sassi Editore,* 2010, Roma, p.7.
- **T**. Lubart (dir.), *Psychologie de la créativité*, Armand Colin, 2003.

Communication and Speech Act Theory: A Contextual Study of Language

Mr. Makhlouf Abdelkader - Dr. Driss Mohamed Amine
University of Mustapha Stambouli - Mascara

Abstract
The role of communication in general is to send and provide information to a receiver, convey meanings, messages in an attempt to create shared understanding among participants. In order to investigate the basic principles of communication, it seems necessary to examine its nature and the different communicative models introduced by eminent linguists such as De-Saussure, and Jakobson. This examination serves to give an explanation to the concept of interaction among participants in their everyday life in different social situations and how to avoid the breakdowns of communication that may bring about misunderstanding between participants. Pragmatics is basically indispensable to understand what happens among interactors through the concept of speech acts, a fascinating discipline introduced in the 1960's by two famous linguists Austin and Searl who made up a theory on how language serves to perform action. Speech act belongs to the domain of pragmatics, and its study, called speech act theory, is a prominent part of that discipline. At this level, speech act theory and utterances are essential functional units that are interwoven with the context within which communication is undertaken.
***Keywords*:** Communication, speech acts, context, pragmatic meaning, grammatical meaning.

ملخص

يكمن دور التواصل بشكل عام في إرسال وتقديم المعلومات، وكذا في نقل المعاني والمرسلات إلى المتلقي في محاولة لخلق فهم مشترك بين المتخاطبين. وبغية تحقيق مبادئ التواصل الأساسية، يبدو من الأهمية بما كان دراسة طبيعتها والنماذج الاتصالية المختلفة المتبناة من قبل لغويين بارزين من أمثال دي سوسير وجاكبسون. كما تحاول هذه الدراسة إعطاء تفسير لمفهوم التفاعل بين أطراف عملية التواصل في حياتهم اليومية عبر المواقف الاجتماعية المختلفة، وكيفية تجنب القصور في التواصل الذي ينجم عن سوء التفاهم بين المتواصلين. وفي هذا الصدد نجد أنّ التداولية المتبناة من طرف أوستن وسيرل العام 1960 كنظرية ترتكز على مفهوم أفعال الكلام لهي أمر رئيس في فهم ما يحدث بين المتفاعلين. وعلى هذا الأساس، تعتبر نظرية أفعال الكلام والمُقال وحدات وظيفية مهمة تتداخل مع السياق لأجل تمام التواصل وإتمامه.

الكلمات المفتاح: التواصل، أفعال الكلام، السياق، المعنى السياقي، المعنى النحوي.

Introduction
Language is a particular sort of behaviour, its principal function is that of communication. From the psychological side it is a phenomenon of the individual which is principally concerned with explaining how we acquire language, underlying the comprehension and the production of speech. Moreover and more essentially it is a social insitution, in that it is an act of communication between people who interact and cooperate with each other and agree upon the same conventions and rules (Corder, 1985, p.25).

Accepting the fact that language is a social institution, its study must be related with theories of social structure, social behaviour and human culture. In this respect, a good way of understanding these theories is consonant with the analysis of language use in its socio-cultural setting, and based on the fact that the meaning of an utterance can be understood only in relation to speech acts (e.g. greetings, compliments, apology), "speech event" or "communicative event", in which it is embedded (Bussmann, 2006, p. 381). Learning to use a

language and these different linguistic units implies from us using them appropriately and effectively according to the context in which communication occurs.
Moving on to what speech acts are and what relationship can be found with communication, we can best approach them through pragmatics as an attempt to study language relations' to the contextual background features. The determination of meaning through context opposes semantics as a study of what the words mean by themselves, out of context (Cutting, 2002, p.1). Thus, the objective of the present study is to focus on the meaning of interaction in relation to the context of communication that interactors participate to construct together, and how interactors implies often more information than the words they use.

I. Communication

1 The nature of communication

Generally speaking, communication between humans is a complex phenomenon. The Macquarie Dictionary defines communication as "The imparting or interchange of thoughts, opinions, or information by speech, writing, or signs" (cited in Elder, 1995, p. vii). Thus, it is used to convey meanings, messages in an attempt to create shared understanding. Therefore, communication is considered to be a social interaction.
In this present work, a focus will be on language as a foremost means of exchanging thoughts, messages, meanings and information. When we speak about message we refer to the transmission and perception of information between a source and a receiver, using a signalling system (Crystal, 2008, p.89).
In this respect, Jeremy Harmer drew some generalisations when at least two persons engaged in talking to each other; he stated that the process of producing messages by the speaker is clearly done for a reason:
a. He wants to speak under his own decision or intention, otherwise he would keep silent.
b. He has some communicative purposes: i.e., being successful at what he wants to convey, for example, he may speak to charm his listener, to agree or to complain.
c. He selects from his language store the language he thinks is appropriate: in order to achieve his communicative purpose.
Similarly, some generalisation can also be directed to the listener, in assuming an effective piece of communication:
a. He wants to listen to "something" purposefully.
b. Generally, he is listening to find out what the speaker is trying to say, and the ideas that this latter is conveying, in other words he is interested in the communicative purpose.
c. In order to understand exactly what is being said by the speaker, the listener has to be prepared to process a great variety of grammar and vocabulary, even if he may have a good idea of what the speaker is going to say next (Harmer, 1990, p.42).
It is worthwhile to notice here that when communication progresses, especially in conversation as an essential component in speech, the speaker quickly becomes a listener: i.e., both roles of speaking and listening are interchangeable from the part of the same person.

2 Different models of communication

After having an idea about communication, its definition and nature, and that it is mainly oral and verbal, depending on messages between both: the speaker and the hearer, we admit that its process involves certain elements, which can be clearly identified by examining some communication models.

2.1 De Saussure's Model of The Speech Circuit

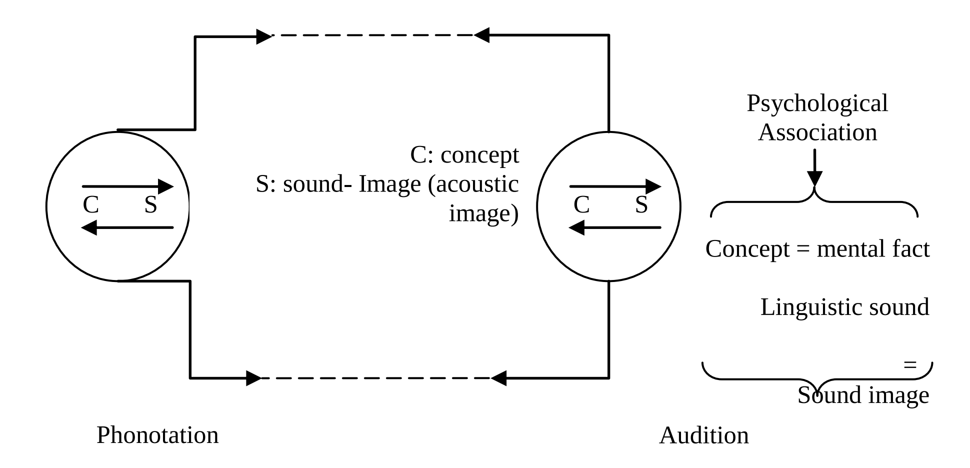
As it was seen previously, the roles of the participants in the communication process are both interchangeable and simultaneously active; they are not participating in a linear way: i.e. A

(addresser) and B (addressee) communicate in a way that a message is conveyed from one to the other: A ⟶ B

So, this leads us to recognise that person B does not only listen, but he may answer or show at least some reactions, in here Saussure clarifies this process in a circular communication model of the speech circuit, under what is known as: 'linguistic sign', this latter consists of two parts: a concept, the signified (*signifié*) and a sound image, the signifier (*signifiant*). The former refers to a concrete object or abstract idea, while the latter is a set of sounds or graphic signs by which a speaker refers to the object idea (referent) of which he has a mental (sound) image. For example, the word rose as a (signifier) may be used to mean a type of flower the (signified), or the concept expressing love.

The following figure clarifies the relationship between the signified and the signifier (De Saussure in Allen and Pit 1973, p.10).

Figure 1. *De Saussure's Model of The Speech Circuit*



This model of speech circuit shows the mechanisms of a dialogue: acoustic signals are sent from a speaker (A) to a receiver (B), who then, in turn, becomes the sender sending information to (A) who becomes the receiver. In the previous figure , Saussure outlined two processes within this frame work. The first one is phonotation, in which mental signs in the mind formulated by the sender, then he shapes them acoustically. The second one is audition; it is the opposite of the previous process, in which the receiver transforms the acoustic message into mental signs (Ipson ,WS 98/99, p. 29).

2.2 Jakobson's Model of Communicative Functions

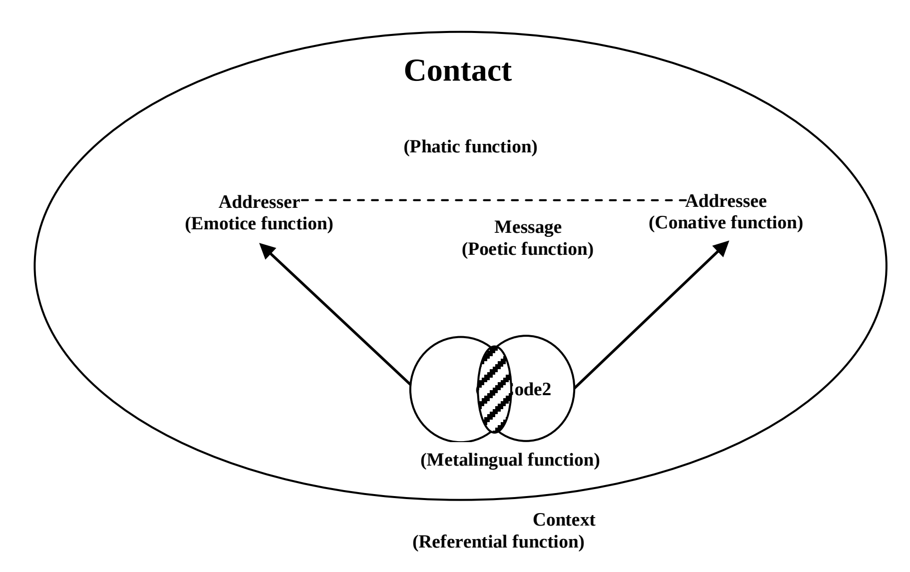
Jakobson's model stresses on different communicative functions, namely context. A context is strikingly necessary from which the object of communication is drown, because having a common code is not sufficient for the communicative process. The different functions that exist in this model are:

1- The emotive function: focuses on the addresser, and the addresser's own attitude towards the content of the message is emphasised. Examples are emphatic speech or interjections.

2- The conative function: is allocated to the addressee in accord with the speaker's wishes; its use is illustrated by a range of directive functions (e.g. commands, vocatives), but its precise sense needs to take into account the range of other functions such as expressive (personal) and referential (situational or informative) functions.

3- The referential function: refers to the context, which emphasises that communication is always dealing with something contextual. Therefore, it is the most important function according to this model.
4- The phatic function: helps to establish contact and refers to the channels of communication, some of these utterances only serves to maintain contact between two speakers rather than for examining information or ideas (e.g. comments on the weather, or inquiries about health).
5- The metalinguistic function: deals with the code itself, where the code is misunderstood and needs correction or clarification, it is predominant in questions like "sorry what did you say?"
6- The poetic function: is allocated to the message. It has the message to embellish and to make the message "nicer", by means of rhetorical figures, and pitch or loudness (Ipson, ws 98/99,p. 33-34 and Crystal, 2008, p. 97-98).
So, it is clear here that the meaning of the last function extends what appears simply in the content, by adding a creative touch over it. But, it can lead also, in the case of exaggeration, sometimes to the point of not being understood clearly. We will discuss this last point, when dealing with the problem of indirectness and non literal meaning that the "Model Message" faces in communication.

Figure 2. Jakobson's Model of Communicative Functions (Source Ipson WS 98/99: 32)



3 *The message model of linguistic communication*

From what precedes, we have discovered the general definition and nature of communication, and the different models defined, mainly, by De Saussure and Jakobson who tried to give an explanation to the process of communication between the addresser and the addressee, but still there are other elements, that can clarify these models, under the heading of the "Message Model" of communication as a general identification.
We can easily recognise it through the attempt of Akmajian in explaining the relationship between the speaker and the hearer: the speaker has some message in mind that he wants to communicate to a hearer. Then, the speaker produce some expressions from the language that encodes the message as its meaning, then the hearer identifies the incoming sounds, syntax, meaning, and uses his knowledge of language to compose these meanings in the form of successfully decoded message.

This communication is successful when the hearer decodes the same message that the hearer encodes. On the contrary, communication breaks down if the decoded message is different from the encoded message (Akmajian et al, 2001, p. 364).

3.1 Problems with the message model

When the addressee (hearer) decodes the meaning(s) of a sentence, he is certainly achieving a crucial part of linguistic communication.

However, there are problems that the message model encounters. Akmajian et al outlined six typical problems faced by this model, trying to show how complex communication process is.

a. The problem of ambiguity: The hearer must determine which of the possible meaning of an expression is intended by the speaker on that occasion. To overcome ambiguity, the Message Model must be supplemented by principles of contextual appropriateness. For example, a conversation between (A) and (B).

(A): we lived in Saida, but we got Moscow's weather.

(B): "which was worse". (Adapted from Akmajian, A. et al, 2001).

Here a problem of ambiguity arises, we do not know, whether (B) is making an assertion or asking a question. It is only by extra optional cues that disambiguation occurs:

- Assertion: it was worse getting Moscows weather!
- Question: which weather was worse?

b. The problem of under-determination of reference (by meaning), when the Message Moldel missed to be supplemented enough by mechanisms for successfully recognising the speaker's intention to refer to a specific person, place or thing. For example:"shrewd politician" can be used in different occasions to refer to different people such as Winston Churchill or Richard Nixon. Yet the phrase always means one thing ("politician who is shrewd"). If the hearer thinks of Richard Nixon at a moment the speaker's intended referent is Winston Churchill, in this case the hearer will not have understood the message clearly.

c. The problem of under-determination of communicative intention, which exist within the fact that successful communication doesn't rely simply on producing, hearing and understanding meaningful expression(s), but still should take into account the speaker's communicative intention. For example: "I will be there tonight" might be a prediction, a promise, or even a threat, depending on the speaker's intentions in the appropriate circumstances.

d. The problem of non literality: this occurs when the message conveyed by the speaker does not incorporate the literal meaning at all, at a moment when the hearer intends to use the literal meaning to figuring out what the speaker actually intends to communicate.

In speaking nonliterally, we, often, do not mean what our words mean. This can be mainly done by irony, sarcasm, and figurative uses of language such as metaphor. For example, a speaker who says: Oh, what an intelligent person you are! In the appropriate context, be taken to mean the opposite of what the words mean (contrary, you are a stupid person).

e. The problem of indirection: includes speaking indirectly, in a way that we sometimes mean to communicate more than what our sentences mean, or sometimes we intend to perform one communicative act by means of performing another communicative act. For example a person (A) is repairing a machine, and next to him a friend (B) who is watching without helping him. Then, person (A) gets tired and says: "it is too difficult to move this machine". Here, the speaker (A) apparently utters the sentence directly and literally, but indirectly he is requesting the help of his friend, or may be more tragically, he is blaming him.

But, how does a hearer know if a speaker is speaking indirectly or directly? The answer is related to the contextual appropriateness; in the above example it would be contextually

inappropriate to be only reporting the fact that the machine is heavy in such embarrassing or dangerous situation.

f. The final problem with the Message Model is the one of non communicative act: it happens when communicative intentions are not recognised, this is the case of a kind of a speech acts called perlocutionary acts. For instance, a speaker may say things with intent to persuade, impress, or deceive an audience, but in contrast members of the audience may recognise the speaker's intention to do these things and may well not be persuaded, impressed or deceived (Akmajian et al, 2001, p. 366-369).

3.2 Successful Communication according to the message model

After dealing with the problems that occur during communication according to the Message Model, we can deduce what follows:

Linguistic communication is successful if the hearer receives clearly the speaker's message. Consequently, the Message Model of communication must assume that:

1- The language is unambiguous.

2- What the speaker is referring to is determined by the meaning of the referring expressions uttered.

3- The communicative intention is determined by the meaning of the sentence.

4- Speakers are suggested to use words, phrases and sentences only to communicate.

Additionally, a shared system of beliefs and interferences must be operating, which function in effect as communicative strategies. Thus, linguistic communication is successful if the hearer recognises the speaker's communicative intention. This can happen perfectly, when learning to speak our language we satisfy also the condition of learning how to communicate in that language, which involves the acquisition of a variety of shared beliefs or presumptions as well as a system of inferential strategies.

The important point in the system of inference strategies is the one of direct and literal communication; speaking literally and directly is meaning just what we say. Communicating directly is performing just one communicative act; and communicating literally is realising compatibility between what we say and what we mean. Thus, communicating directly and literally: is saying what we mean and meaning what we say (Akmajian et al, 2001, p. 369-372).

In addition to the different concepts mentioned in this first part, the following part is devoted to speech act as an essential concept that brings about more clarification to communication, through the role of utterances and their position in the interactive relationship between participants.

II. Speech Act Theory

1. Types of speech act

As we have recognise before, the major role of communication is to send and provide information to a receiver. In fact we do not intend simply to do that , but behind this we are acting when we talk by means of different utterances and sentences , namely illocutionary acts (illocution) or speech acts in the narrow sense , this is the case when we declare , pronounce , give orders agree upon something , or refuse it , etc.

Speech act belongs to the domain of pragmatics, and its study, called speech act theory, is a prominent part of that discipline. This theory is coined with the name of two famous linguists, J.L Austin and Searl in 1960's who made up this theory on how language serves to perform actions.

In this respect, Austin wrote his famous book *How to do Things with Words* (Austin 1962, cited in Ipsen WS 98/99, p. 68 and Bussmann, 2006, p. 1107). Crystal argues that this theory

is used to analyse the role of Utterances in relation to the behaviour of speaker and hearer in interpersonal communication (Crystal ,2008, p. 466).
According to J.L Austin (1962), when we speak we perform different "acts": locutionary acts, illocutionary acts, and perlocutionary acts (Austin, 1962 cited in Meyer, 2009, p. 50). These three kinds of acts are considered as aspects or types of speech act theory.

4 Illocutionary Act also Illocution:

Illocution [lat –in 'in' +loqui, 'to talk, to speak': i.e. 'what one does by speaking']. It is the fundamental aspect of speech act; it is what we are trying to do by speaking (Bussmann, 2006, p. 537). In other terms, they are acts performed in uttering something. According to Richard & Schmidt (2002) "An illocutionary act is using a sentence to perform a function. For example, "shoot the snake" may be intended as an order or a piece of advice" (p. 315).
Austin (1962) characterized the illocutionary act as an act performed in saying something. In fact, whenever we say something, there may be one or more intentions behind the utterance. For instance, in saying "Sampras can beat Agassi" one might perform the act of asserting that Sampras can beat Agassi.
Some other examples of illocutionary acts are: (promising, reporting, stating, asking, telling, threatening, requesting, suggesting, ordering, proposing) (Akmajian ,2001, p. 395). For instance, each verb of the following (to promise, to warn, to deny) is a performative verb, an utterance which performs an act, knowing that performatives constitute a particular class of illocution. For example in saying the sentence: "I promise to buy you a teddy-bear", constitutes making a promise a teddy-bear, itself is an act of doing something, and nothing is required to complete (as opposed to fulfil) the promise. An utterance of this sort is called an (explicit) performative utterance. In contrast, utterances such as: I am going to a film, cannot be regarded as doing something: saying this does not constitute going to a film (Trask, 2005 p. 151).
Additionally, a distinction was made by Austin between performative and constatives. A constative is an utterance which asserts something that is either true or false; for example, Chicago is in the United States. (Richards & Schimidt, 2002, p. 393), or the two following examples: 1) "The snow is white", 2) "All men are mortal ; Socrates is mortal". The first example describes a visual phenomenon; the second details a logical relation's reality and describes Socrates as a man and all men as mortal (Strazny ,2005, p. 1017). In fact, Austin refers to constative sentences as locutions.
Another term similar to constative performative is called "implicit performatives", which does not contain a performative verb, e.g. "there is a vicious dog behind you" implied warning (Richards &Scmidt, 2002, p. 393).

5 Locutionary Act also Locution

Locution [Lat. locutio 'the act of speaking, speech'] (Bussmann, 2006, p. 704).
It is saying something which is meaningful and can be understood. For example, saying the sentence "shoot the snake" is a locutionary act if hearers understand the words: 'shoot', 'the', 'snake' and can identify the particular snake referred to (Richard & Schmidt, 2002, p. 315).
We deduce here, that certain understandable meanings are conveyed by some words which the utterance contains. In this sense, we are dealing with propositional meaning or locutionary meaning (Richard & Schmidt, 2002, p. 498).

6 Perlocutionary Act also Perlocutionary:

Perlocutionary [Lat-per 'through' loqui 'to talk, speak'] (Bussmann, 2006, p. 880). We have seen before that utterances intended to achieve a different effect are called "illocutions". A particular intent of illoctions is labelled "illocutionary force", or also illocutionary meaning (Strazny, 2005, p. 1017). In fact, an illocution that not only aims to achieve an effect but is

also successful at achieving it, is called a perlocution. For example, commands resulting in obedience are perlocutions.

2. *Classification of speech act*

The philosopher Searle established five parts in classifying speech acts, which are primarily interested in speaker's intentions:

A- Commissive: these commit the speaker to do something in the future such as: promises, pledges, threats, vows and undertaking. For example, if you don't pay the bill we'll call the police (threat). I'll take you to the movies tomorrow (promise).

B- Declarative: a speech act which brings changes to the state of affair in situation: blessing, firings, baptism, arrests, marrying, declaring a mistrial. For example, I pronounce you husband and wife; I name this ship titanic; we are at war; you are under arrest; I now declare the conference officially open.

C- Directive: intends to make the hearer to do something e.g.: asking, suggesting, inviting, requesting, ordering, commanding, challenging, inviting, and daring. For example:

- Please, sit down (inviting).
- Why don't you close the window?

D- Expressive: these indicate the speaker's feelings and attitudes about something such as: greetings, apologies, congratulations, condolences, thanksgiving, agreeing, conceding, denying, welcoming, complaining, complimenting, approving, disapproving, reprimanding. For example: The meal was delicious.

E- Representative (informative/assertive): A speech act which describes and represents states of affaires or event, such as assertions, statements, claims, defining, explaining, predictions, comparison, hypotheses, description, suggestions. For example: this is a German car.

These speech acts are commonly regarded as true or false. A distinction is found between two categories of these five classes; one is particularly associated with ideas (cognitive matter), which is representative (informative), whereas directives, expressives and commissives are more interactional or more dealing with affective matters (Kennedy, 200, p. 312-13 and Ipsen, WS 98/99, p. 68).

Now, coming back again to the two terms: propositional and illocutionary force, which are related to two important kinds of meaning: propositional meaning (also known as locutionary meaning or sense), and illocutionary meaning or illocutionary force. Linguists sometimes distinguish between them as being different, in that the first is considered to be the basic literal meaning of the utterance, which is conveyed by the particular words and structures which the utterance contains.

Whereas, the second, as we have seen before, is a successful intended effect the utterance (or written text) has on the listener (or reader). For example, I am thirsty; the propositional is what the utterance says about the speaker's. The illocutionary force is the effect the speaker wants the utterance to have on the listener (may be a request for something to drink). These two meanings are both part of speech acts (Richard & Schmith, 2002, p. 498).

3. Conditions of successful speech act

Now, let us explore when speech acts are successful and when they are not. There are conditions which must be accomplished for a speech act to be satisfactorily performed or realized, they are known as "felicity conditions".

Considering the following example: "I promise the sun will set today" is considered as a false promise, because this kind of promise is not under our control, and misses certain necessary of felicity conditions which are:

1-The speaker has the ability to do the act.

2-The hearer prefers the speaker to do the act rather than not to do it.

3-The speaker intend to do the act (Richard & Schmith, 2002, p. 199).
If the felicity conditions are not satisfied, then the resulting utterance is merely infelicitous, and has no effect (or at least not the intended effect). For instance, the utterance “clean up your room” is infelicitous if the addresser has no authority over the addressee (Trask, 2005, p. 189).
Same thing for the verb “pronounce” in the earlier example (mentioned in ‘declarative’ as one part of the five types of classification of speech acts) “I pronounce you husband and wife”: It makes them husband and wife, but only in the context of certain felicity conditions; because if the person uttering the performative lacks authority to perform marriages, the man and the woman are not made husband and wife. Thus, felicity conditions assure the successful performance of speech acts (Strazny, 2005, p. 1017).
In addition to these conditions there must be compatibility between two layers of meaning, which make speech more comprehensible. The following section will give a clear insight about the two types of meaning, and how the sentence meaning can be clearly different from the speaker meaning.

4. Sentence meaning vs speaker’s (utterance's) meaning

Consider the following small conversation between the addresser (A) and the addressee (B).
(A) Can you tell me what time is it?
(B): yes I can.
Under normal circumstances, in ordinary places such as in an office or at a bus stop, (A) would consider (B)'s answer to be very strange; though, (B)'s answer is grammatically correct and yet it is still incorrect at other level because (A) is not asking about (B)'s ability to tell the time, but rather he is asking (B) to tell him time. The problem here with (B) is that his answer is responding to the sentence meaning but not the speaker's meaning (Scollon & Wong, 2001, p. 28).
Asking the question why there is such a difference, needs an answer under the province of pragmatics. We can say that speaker's meaning (non literal meaning) is determined in part by the context of the utterance.
It is worthwhile saying here, that pragmatics concerns the determination of speaker's meaning, while semantic concerns the determination of sentence meaning or literal meaning.
In addition, sense (propositional or locutionary meaning as we have seen before), force and tone together, as ingredients in meaning, determine sentence meaning. All this belongs to the province of semantics, while the context of utterance determines the speaker's (utterance's) meaning (Miller, 2007, p. 63-64).
Now, we will see how pragmatic meaning, under the province of pragmatics, is important in making determination of speaker’s meaning. This can be clearly possible through two stages:
1- Maxims of conversation: under the heading of “cooperative principle”.
2- A distinction between pragmatic meaning and grammatical meaning.

5. Cooperative principle

The different conversations that governs speech acts can be very complex, there are, however, four maxims suggested by the philosopher Grice that can be regarded as general principles in all speech acts.
a- The maxim of quantity: give as much information as needed. If a person is asked something, and his answer doesn't convey all the information asked, therefore he is not respecting this maxim, and usually he is regarded as uncooperative.
b- The maxim of quality: refers to the truth or false value of a statement. If a speech act lucks this principle, it is then a lie. It refers to the consciousness of the speaker, it is secondary

if the speaker is mistaken or not; a statement such as "I think (A) was right" whether (A) was right or not is another subject matter.

This maxim is the most important, because successful communication rests on the assumption that the other is telling the truth.

c- The maxim of relevance: says things that are relevant. In the previous section of "sentence meaning vs. speaker meaning", we gave the example of asking about time: A can you tell me what time is it? And getting the answer from (B):"yes, I can". This answer clearly lacks all the relevance in the given context.

d- The maxim of manner: says things clearly and briefly, and respecting the details in the chronological order. They are presented under the principle of "First comes first".

In addition, speaker should avoid obscurity of expression, and also avoid unnecessary ambiguity (Ipsen, SW 98/99, p. 69-70 and Richard & Schmidt, 2002, p. 122).

6. Grammatical vs. pragmatic meaning

As it is noticed in this study, the main concern is devoted to pragmatics as essential in communication process. This paves the way to understand the largest point in the majority of sentences and utterances. As a response, it is necessary to distinguish grammatical meaning from pragmatic meaning.

Meyer argued that some linguists, such as Noam Chomsky, do not study pragmatics mainly because they considered the study of grammar, unlike pragmatics, as the primary focus of linguistic analysis. Others in contrast, such as the case of Hymes' (1971), see the study of pragmatics as crucial to understand human language under the knowledge of how to use the linguistic structures in specific communicative contexts, rather than simply depending on the study of linguistic competence (Cited in Meyer, 2009, p. 49).

The distinction between grammar and pragmatics arises from the fact that within grammar we are merely studying what is known as semantics: how words have individual meaning (lexical semantics). Semantics is one component of grammar, therefore, it is part of linguistic competence. Whereas, within pragmatics, we succeed to satisfy the need to understand the entire social context in which a sentence was uttered.

Grammatical meaning therefore, is considering meaning as part of our linguistic competence; whereas, pragmatic meaning is related to meaning as derived from our interactions in specific social contexts (Meyer, 2009, p. 48).

In other terms, grammatical meaning is concerned with the meaning that could be derived directly from the words, phrases, clauses and sentences in which language is encoded. For instance the sentence such as" the woman called her husband" is meaningful, because each word separately is meaningful, e.g. the word 'woman' designates an adult female. Pragmatic meaning in contrast, describes meaning as a product of the social context in which language takes place. For example: a father says to his two children:" we're going to be late", the words that this sentence contains are all meaningful in its grammatical meaning context, but the full meaning of the statement transcends over the words that it contains; it is a polite way for the father to tell his children to "hurry up". (Meyer, 2009, p. 151).

In this respect, grammatical and pragmatic meanings respectively are related to the notion of denotation (literal meaning) and connotation (non literal meaning). The former is related to the dictionary sense of a word; the latter to the associations a word evokes.

There are types of meaning: descriptive, social and expressive. The first one is related to grammatical meaning; the two remaining meanings are two subtypes of pragmatic meaning. Social meaning as its name suggests serves to establish and maintain social relations (Lyons, 1977, cited in Meyer, 2009, p. 151). Expressive meaning characterizes the particular meaning

that individuals add to language when they speak; it is more particular to the individual rather than the previous one (Meyer, 2009, p. 151).

Conclusion

Through this research we conclude that communication is a complex process. It involves certain elements; the most important ones are as follows:

- The input, in which the sender has an intention to communicate with the receiver. This intention serves to construct the content of the message.
- The sender who encodes the message and transmits to the receiver.
- The receiver who decodes the incoming message, or expression.

However, there are problems which may break down the process of communication and bring about misunderstanding between participants. In addition, the existence of context is also a necessary concept under Jakobson model, from which the object of communication is drawn. The importance of context leads us to recognise the concept of speech acts under the province of pragmatics, and how a speaker when communicating does not only intend to send and provide information; but he declares, pronounces, gives order, apologies and utters different expressions interwoven with his feelings and thoughts. The interpretation and the use of these utterances depend on the knowledge of the real world that we are surrounded with; this means that we are governed with external conditions and circumstances.

References

Allen, J. P. B. & Corder, P. S., eds. (1973). *Readings for applied linguistics*; Vol1. London: Oxford University Press.

Akmajian, A. et al. (2001). *Linguistics an introduction to language and communication*. The Mit Press.

Austin, J. L. (1962). *How to do things with words*. Oxford University Press.

Bussmann, H. et al. (2006). *Dictionary of language and linguistics*. Routledge.

Corder, P. S. (1985). *Introducing applied linguistics*. Penguin Books.

Crystal, D. (2008). *A dictionary of linguistics and phonetics* (6th ed.). Blackwell Publishing Ltd.

Cutting, J . (2002). *Pragmatics and Discourse: A resource book for students*. Florence, KY, USA: Routledge.

Elder, B. (1995). *Communication and job-seeking skills.* Macmillan (Australia).

Harmer, J. (1990). *The practice of English language teaching*. Longman.

Ipsen, G.(1998). *Linguistics for beginners*; Universität Gesamthochschule Kassel.

Kennedy, G. (2003). *Structure and meaning in English*. Pearson Longman.

Meyer, C. F. (2009). *Introducing English linguistics*. Cambridge University Press.

Miller, A. (2007). *Philosophy of language*. Routledge.

Richards, J.C. & Schmidt, R With Heidi K and Youngkyu K. (2002). *Longman dictionary of language teaching and applied linguistics* (3rd ed.). Pearson Education Limited.

Scollon, R .& Scollon, S. W.(2001). *Intercultural communication*: A Discourse Approach; Blackwell Publishers Inc.

Trask, R. L. (2005). *Key concepts in language and linguistics*. Taylor & Francis Library.

Strazny, P.(2005). *Encyclopedia of linguistics Volume 1 A-L*. Taylor & Francis Library.

Stress et maladies psychosomatiques

Nait Abdesselam Karima
Université de Tizi Ouzou

ملخص:

بات من المعلوم منذ بضع سنوات ، أن هناك الكثير من العوامل النفس- اجتماعية التي تلعب دورا هاما في ظهور وخطورة (تعقيدات) بعض الأمراض كالأمراض القلبية – الوعائية بالخصوص والسرطانات ، ومن أجل فهم وعلاج أحسن ، يجب أن ينظر إلى الفرد ككل متكامل نفس وجسد ، ويؤكد هذا المقال على الدور الكبير الذي يلعبه الضغط في ظهور الأمراض النفس - جسدية والتي تتميز بأعراض جسمية تمس أحد الأعضاء أو الأجهزة الفسيولوجية ، أين تكون الأسباب عادة انفعالية .

Abstract:

It is known for some years that various psychosocial factors play an important role in the onset and worsening of certain diseases which mainly cardiovascular diseases and cancers , and to better understand and cure , the individual must be taken into psychosomatic its entirety, and this article confirms the major role of stress in the development of psychosomatic diseases , which are characterized by physical symptoms and affect an organ or physiological system and whose causes are primarily emotional.

Résumé :

On sait depuis quelques années déjà que divers facteurs psychosociaux jouent un rôle important dans l'apparition et l'aggravation de certaines maladies dont essentiellement les maladies cardio-vasculaires et les cancers, et pour mieux comprendre et guérir, l'individu doit être pris dans son intégralité psychosomatique, et le présent article souligne le rôle majeure du stress dans l'apparition des maladies psychosomatiques, qui se caractérisent par des symptômes physiques qui affectent un organe ou un système physiologique et dont les causes sont principalement émotionnelles.

1. Introduction

Quand on parle de troubles psychosomatiques en général, il faut souligner que la source principale de l'apparition de ces troubles, est l'incapacité de l'individu à gérer son stress et à canaliser ses angoisses, La théorie de stress et coping de Lazarus & Folkman (1984) parle de l'inefficacité des stratégies d'ajustement aux stress, établis par l'individu.

Les émotions négatives et quelques traits de personnalité, tels que l'anxiété-trait peuvent êtres aussi à l'origine des troubles psychosomatiques comme elles peuvent aussi aggraver toutes autres maladies, on peut alors définir la maladie Psychosomatique comme l'écho d'un état d'angoisse ou de détresse Psychologique qui se manifeste par des symptômes physiques.

Ce n'est pas parce qu'une maladie a une forte composante psychologique qu'il ne s'agit pas d'une vraie maladie, Les douleurs et symptômes ressentis par une personne atteinte d'une maladie psychosomatique sont bien réels et l'évolution vers une maladie somatique grave est tout à fait possible.

Il ne faut d'ailleurs pas confondre les personnes hypochondriaques avec celles qui sont atteintes d'une maladie psychosomatique. Les premières ressentent des douleurs et des symptômes qui sont rarement objectivés par des examens médicaux. Alors que chez les secondes, les examens médicaux corroborent très souvent leurs dires.

L'excès de stress (mal géré) peut entraîner de réels problèmes de santé, qui dépendent des prédispositions éventuelles et des antécédents de l'individu. De manière générale, on peut

identifier certaines "maladies" qui sont souvent corrélées à un stress trop important comme suit :

Les maladies digestives : spasmes, bouche sèche, ballonnements, diarrhée, gastrites, ulcères, colopathies ;

Les troubles cardio-vasculaires : palpitations, douleurs, gène dans la poitrine, hypertension, angine de poitrine voire infarctus du myocarde ;

L'hyperthyroïdie ;

Les infections virales ou microbiennes à répétition dues à une baisse des défenses immunitaires ;

Les infections cutanées : eczéma, boutons rouges, psoriasis, herpès, chute de cheveux, démangeaisons ;

Les troubles gynécologiques : retard ou absence de règles, affections bénignes du sein….etc.

Et bien sure, le processus de développement de la maladie psychosomatique est complexe, et pour comprendre comment s'installe cette pathologie chez un individu il faut savoir qu'il y'a une interaction entre plusieurs facteurs...et c'est ce qu'on verra au fil des pages, commençant par définir le mot « stress » selon le modèle cognitif de gestion du stress de « Lazarus & Folkman ».

2. Le stress

Le modèle de « Lazarus & Folkman » décrit la réponse donnée par la personne face à une situation aversive comme fonction de ses transactions avec l'environnement, transactions elles-mêmes médiatisées par deux processus : l'évaluation de la situation et les stratégies de coping **(**Berjot, S & Benjamin, P ; 2008, p. 34).

Pour Lazarus et Folkman, c'est la relation observée entre le stimulus et la réponse qui définit le stress, et pas le stimulus lui-même. Et de se justifier par le mécanisme de la maladie : une personne ne tombe pas malade par la simple présence d'agents nocifs dans l'environnement, puisque ces agents (les virus, les bactéries, etc) sont toujours présents dans l'environnement ; une personne tombe malade par le fait d'une vulnérabilité à ces agents. Ainsi, pour Lazarus et Folkman , « le stress subjectif est une relation particulière entre la personne et l'environnement qui est évaluée (appréciée) par la personne comme mettant à l'épreuve ou dépassant ses ressources et compromettant son bien être » (Lazarus et Folkman, 1984, p. 19).

L'évaluation cognitive est définie comme un processus complexe qui détermine pourquoi et dans quelle mesure une transaction particulière ou une série de transactions particulières entre la personne et l'environnement est stressante et le coping comme le processus par lequel l'individu gère les demandes de la relation personne-environnement qui sont évaluées comme stressantes, y compris les émotions générées.

3. Stress et coping

Lazarus et Folkman définissent le coping comme « les efforts cognitifs et comportementaux en constants changements pour gérer des demandes internes ou externes spécifiques qui sont évaluées comme mettant à l'épreuve ou dépassant les ressources de la personne » (Lazarus et Folkman, 1984, p. 141).

Le coping comprend deux grands ensembles de stratégies : les stratégies de coping centrées sur l'émotion et les stratégies de coping centrées sur le problème.

Les auteurs précisent qu'une même personne, face à une même situation stressante, pourra utiliser – et utilisera effectivement la plupart du temps – ces deux grandes stratégies de coping même si, selon eux, un coping centré sur l'émotion s'observera avec plus de probabilité lorsque la personne aura évalué que les conditions de l'environnement ne peuvent en rien être

modifiées pour atténuer / faire disparaitre la menace ou la perte. Par contre, un coping centré sur le problème serait plus probable lorsque les conditions de l'environnement seraient évaluées comme susceptibles de changements (Berjot, S & Benjamin, P ; 2008, p. 36).

Un groupe important de stratégies de coping centrées sur l'émotion consiste en des processus cognitifs dirigés vers la diminution de la détresse émotionnelle (évitement, minimisation, distanciation, attention sélective, comparaisons positives, etc.).

Un autre groupe de stratégies de coping centrées sur l'émotion visent à augmenter la détresse émotionnelle : certains individus ont besoin d'avoir d'abord « plu mal » pour devenir par la suite « mieux » ; il s'agit de stratégies telles que l'auto-accusation, l'auto – punition, etc.

D'autres formes encore, comme la réévaluation positive, consistent en un changement de la manière dont l'obstacle est considéré par l'individu, sans un changement de la situation objective.

Pour ce qui concerne les stratégies de coping centrées sur le problème, Lazarus et Folkman, estiment qu'elles sont constituées des mêmes stratégies que celles utilisées pour la résolution de problème (définition du problème, élaboration de diverses solutions envisageables, mesure du rapport couts-bénéfices des alternatives, choix et mise en acte), mais tout en embrassant un plus large panel.

Alors que la résolution de problème impliquerait un processus analytique objectif, ciblé prioritairement sur l'environnement, les stratégies de coping centrées sur le problème incluent, pour les auteurs, également des stratégies qui sont dirigées vers l'intérieur, vers soi-même ; notamment, des stratégies dirigées vers des changements motivationnels ou cognitifs comme le fait de changer son niveau d'aspiration, réduire l'engagement personnel, trouver les voies de gratification alternatives, développer de nouveaux standards de comportements , ou apprendre de nouvelles règles et procédures .

On peut déduire alors, que le stress ne peut être considéré ni comme agent stressant (ou facteur de stress), ni seulement comme le résultat de la réaction suite à une agression. Il est au centre de la transaction dynamique de ces deux phénomènes.

Cette dernière (la transaction) vise au maintien de l'équilibre du sujet grâce à un ensemble de processus biopsychologiques qui organisent la relation du sujet à son monde. Ces processus dépendent comme on l'a déjà vu, étroitement de la situation nouvelle, de la perception qu'en a le sujet et de l'analyse qu'il fait de ses propres capacités de réponse.

Un sujet est stressé quand il a le sentiment d'être débordé (ou qu'il risque de l'être) par un événement nouveau auquel il doit faire face. Ainsi considéré, le stress apparait comme un « état de décalage » entre les demandes exigées par la situation nouvelle, telles que perçues par le sujet, et l'idée qu'il se fait de ses possibilités de réponse. Le résultat en est le sentiment de la perte de contrôle (Berjot, S & Benjamin, P ; 2008, p. 8).

Cette situation, qui est toujours responsable d'un changement, est accompagnée de manifestations physiologiques et psychologiques qui témoignent de la rupture de l'équilibre intérieur du sujet. Ces manifestations varient, comme nous le verrons au file des pages , selon la nature de l'événement et selon les caractéristiques propres à chaque individu .

4 . Qu'est - ce - qu'un événement de vie stressant ?

Si, à l'origine, le stress a pour finalité le combat physique ou la fuite, il prend dans nos sociétés contemporaines un autre aspect, résultant davantage de réactions psychologiques ou émotionnelles.

De nombreux événements sont facteurs de stress, au premier rang desquels un deuil, mais aussi un divorce, un avortement, une maladie, un accident ou encore une agression, un déménagement… Cependant, les événements heureux peuvent générer un stress tout aussi

important : un mariage, une naissance, la réussite d'un concours ou la remise d'un prix. Tout événement qui provoque une forte réaction émotionnelle et psychologique chez l'individu peut être perçu comme un stress.

La liste est longue des agents stressants présents dans notre environnement quotidien, c'est pour ca on peut dire que touts les événements qui surviennent dans notre environnement constituent- en particulier s'ils sont inattendus - une agression et sont ainsi des agents stressants. Ils peuvent venir de notre environnement physique (bruit, températures excessives, pollution atmosphérique,…etc.) ou de notre environnement social (difficultés relationnelles, familiales et conjugales, sociales et professionnelles).

De nombreux auteurs, ont accordé à cette dernière catégorie d'agents stressants un intérêt particulier, et ils l'ont nommée « stress psychosocial », divorce, séparation, décès, etc. sont les difficultés familiales les plus souvent rencontrés. Leur survenue introduit des changements substantiels dans la vie des sujets.

L'environnement du travail est certainement responsable de malaise et de tension, les activités professionnelles, comme les services de police, de gendarmerie et des pompiers, qui amènent à une confrontation fréquente et brutale avec la mort et ou le risque vital est souvent présent, sont responsables d'un état de tension psychologique et d'une charge mentale importants (Boudarene, M ; 2005, p.13).

Il en est de même des professions ou l'engagement affectif et émotionnel est présent (travailleurs sociaux, assistantes sociales, infirmières, médecins, enseignants, etc.).

Enfin, l'ambiance professionnelle, le type d'organisation des relations avec les supérieurs hiérarchiques et les collègues sont souvent le fait de conflits générateurs de stress. Les agressions psychologiques, le harcèlement moral et sexuel (en particulier) sont de plus en plus montrés du doigt.

Le stress lié au chômage est souvent occulté et sa responsabilité dans l'apparition fréquente de troubles de nature diverse doit être connue et reconnue, le travail fait partie de la vie. Il est non seulement un instrument économique mais il est aussi et surtout un « objet social ». En Algérie, soixante dix pour cent de la population a moins de trente ans. Trente pour cent des sujets en âge de travailler ne trouve pas d'emploi. Le travail est « une denrée rare » (Boudarene, M ; 2005).

5. Événements de vie stressants et réseau social

Si les événements aversifs sont sensés fragiliser les individus en mettant à l'épreuve leurs capacités d'ajustement, certaines caractéristiques de l'environnement joueraient au contraire un rôle protecteur. C'est le cas du réseau social, c'est- à- dire l'ensemble de personnes avec lesquelles l'individu a des contacts sociaux (nombre, durée, fréquence). En générale une forte intégration sociale semble protéger l'individu alors que l'isolement correspond à un risque accru de morbidité et de mortalité, risque qui s'accentue avec l'âge**.** L'isolement social accroit le risque de morbidité et de mortalité cardio – vasculaire et l'incidence des cancers chez les femmes, comme il prédit une évolution péjorative de certaines maladies chroniques comme la polyarthrite (Bruchon-Schweitzer, M & Quintard, B ; 2001).

Des études actuelles s'accordent à l'idée que ce n'est pas tant le réseau social considéré objectivement qui protège les individus, mais plutôt la façon dont ceux- ci perçoivent et évaluent l'aide reçue. L'étude de Ell et al. (1992) distingue précisément certaines caractéristiques du réseau social (vivre ou non en couple, importance quantitative de ce réseau) de celles du soutien perçu (satisfaction). Cette étude menée pendant six mois sur 294 patients atteints de divers cancers, montre la supériorité du soutien social perçu comme prédicteur de la durée de survie sans récidive des femmes atteintes de cancers du sein (Bruchon-Schweitzer, M & Quintard, B ; 2001).

6. Vulnérabilité aux maladies (traits pathogènes)

Quant on parle de vulnérabilité des sujets aux maladies, on souligne comme on l'a déjà dit les caractéristiques propres à chaque individu qui le prédisposent à tomber malade, et c'est ce qu'on appelle les traits pathogènes.

D'après la méta-analyse de Friedman et Booth-Kewley (1987), certaines dimensions de la personnalité : l'hostilité, le névrosisme, la dépression et l'anxiété seraient significativement associées au risque de développer des maladies telles que (asthme, migraine, ulcères, arthrite rhumatoïde et d'autres maladies coronariennes).

6.1. L'hostilité

Des réactions concomitantes (élévation de la pression artérielle, du rythme cardiaque, constriction des artères coronaires, ralentissement du métabolisme des glycérides) ont été observées chez des sujets hostiles placés en situation de compétition sociale. L'activation répétée de ces systèmes pourrait induire une pathologie permanente mais discrète (athérosclérose, ischémie, arythmie…), fragilisant les sujets et augmentant le risque d'épisode aigu (angine de poitrine, infarctus) (Bruchon-Schweitzer, M & Quintard, B ; 2001, p.11).

6.2. Le névrosisme

C'est un large facteur bipolaire de la personnalité (stabilité émotionnelle- névrosisme) rassemblant sur le pole névrosisme : irritabilité et détresse, anxiété, affects et cognitions négatifs, instabilité thymique, insécurité, vulnérabilité et hostilité. Il serait associé à la labilité (réactivité) du système nerveux autonome. Beaucoup de travaux ont observés une association si consistante entre névrosisme et symptômes somatiques, que certains auteurs ont considéré le névrosisme comme un facteur majeur de vulnérabilité somatique.

6.3. L'anxiété - trait

C'est la sensibilité permanente aux aspects menaçants de l'environnement, accompagnée de l'activation de certains systèmes physiologiques (système nerveux autonome notamment). Elle s'est révélée associée au risque de développer certaines pathologies comme l'hypertension chez les femmes (Adler et Matthews, 1994).

L'anxiété trait apparait bien comme facteur de risque de surmortalité cardio-vasculaire, elle prédit également les troubles émotionnels consécutifs à certaines pathologies (traumatismes médullaire, lombalgie, infection par le VIH….).

Bien d'autres dimensions des conduites émotionnelles et cognitives sont considérées comme des facteurs de vulnérabilité : non- expression des affects (proche de l'alexithymie), attitudes et croyances dépréciatives relatives au monde en générale (pessimisme) et à soi en particulier (lieu de contrôle externe, faible estime de soi) (Bruchon-Schweitzer, M & Quintard, B ; 2001, p.12).

9. Qu'est - ce - qu'un stress chronique ?

Le stress à la source de touts les maux ? C'est ce qui semble se dégager de nombreuses études et recherches médicales. Du sida au cancer en passant par l'obésité, le stress chronique semble avoir des conséquences majeures sur la santé.

Dangereux pour l'équilibre psychologique et physique, il déclenche des douleurs quasi permanentes ou des maladies organiques, Dans des cas extrêmes, il peut même aboutir à la mort (Jourdain, S & al ; 2005).

Le maintien du contrôle sur les événements de vie stressants, surtout quand ces derniers sont durables ou répétés, se fait au prix d'un effort important et accru et le risque de décompensation est à craindre, même si les sujets ne présentent aucune plainte et qu'ils se sentent encore en parfaite santé. La durée est un paramètre indispensable à considérer pour bien comprendre le rôle du stress dans la genèse de la souffrance (Boudarene, M ; 2005).

De nombreux auteurs ont observé, à plus ou moins longue échéance, chez les sujets durablement stressé la survenue de décompensations psychiques et psychosomatiques (Dantzer, 1989 ; Chrousos and Gold, 1992 ; Stratakis and Chrousos, 1995).

Le stress chronique conduit à des états dépressifs, perturbations hormonales et sexuelles, problèmes de mémorisation. Nombreux sont les maux contemporains qui en résultent : spasmophilie, fatigue chronique, asthme, fibromyalgie, polyarthrite….

7. Stress et Mécanismes Biologiques

Sur le plan biologique, le stress implique le système nerveux. En complémentarité avec le système nerveux cérébro-spinal qui commande les réactions et déplacements de l'être humain, un second système nerveux gère les fonctions vitales de l'organisme : c'est le système neuro- végétatif ou système nerveux autonome.

* Le système neuro - végétatif

Il est le garant du fonctionnement des viscères et des fonctions vitales de base : respiration, digestion, circulation, excrétion, en d' autres termes, on dit qu'il assure l'homéostasie, c'est-à-dire les constantes physiologiques telles que la respiration, les battements cardiaques, la pression sanguine. Il régule la température interne et les taux d'acidité ou d'alcalinité.

Le système neuro-végétatif a recours à deux systèmes qui agissent l'un par rapport à l'autre : le système nerveux sympathique et le système nerveux para sympathique.

Le système nerveux sympathique, situé dans la partie latérale de la moelle épinière, produit de l'énergie et joue un rôle de protection et d'alerte. Il régule la pression sanguine des artères par des mécanismes de vasoconstriction et de vasodilatation. Il agit par l'intermédiaire de deux médiateurs chimiques, l'adrénaline et la noradrénaline (Jourdain, S & al ; 2005).

Le système nerveux parasympathique, constitué par un ensemble de nerfs issus de la région cérébro-spinale, partie la plus basse de la moelle épinière, le système parasympathique se met en branle lorsque l'organisme est au repos.

Son rôle est d'alimenter, de régénérer le métabolisme et de restaurer l'énergie. Le système nerveux parasympathique agit par l'intermédiaire du médiateur chimique, l'acétylcholine.

Un stress permanent conduit à l'épuisement du système nerveux sympathique et à l'hypertonie du système parasympathique, ce dernier n'arrivant plus à régénérer le métabolisme.

8. Les réponses de l'organisme au stress

Il a été déjà prouvé, que la réceptivité au stress varie selon les individus, leurs environnement, leurs milieu familial, leurs passé, mais aussi leurs gènes et leurs terrain biologique. Face à un événement similaire, une personne peut ressentir de l'excitation ou de l'euphorie et l'autre un grand malaise. Toutefois, sur le plan physiologique, les modifications chimiques sont les mêmes :

Augmentation de la pression sanguine, accélération des battements du cœur et de la respiration, afflux d'hormones vers certains organes.

Les réponses de l'organisme au stress sont multiples et ses manifestations extérieures peuvent être différentes : afflux de sang au visage ou au contraire visage pale, sueurs, tremblements, mains moites.

D'autres symptômes comme une sensation d'oppression dans la poitrine, un nœud à l'estomac peuvent se manifester mais aussi crises de tétanie, spasmophilie et tachycardie. Si le stress est fort, des problèmes digestifs sont susceptibles d'apparaitre très rapidement, diarrhées ou constipations, anorexie, gastrites, aérophagie.

Les symptômes respiratoires tels que bronchite chronique, asthme, mais aussi les problèmes génito-urinaires, baisse de l'élimination urinaire, frigidité, éjaculation précoce,

impuissance ou excès de libido, sont quelques-uns des effets possibles du stress (Jourdain, S & al ; 2005).

10. Stress et maladies

Les maladies psychosomatiques illustrent le lien qui existe entre le système nerveux et le système immunitaire. Lorsque le morale est soumis à rude épreuve, le physique ne tarde pas à montrer des signaux de détresse. Les raisons sont aujourd'hui connues : sous l'effet du stress, l'organisme produit des hormones corticoïdes qui abaissent les défenses immunitaires. Si le stimulus extérieur est de courte durée, l'organisme rétablit les choses de lui-même.

Par contre, si son intensité est forte, répétitive et de longue durée, les défenses immunitaires s'abaissent, ce qui expose immanquablement aux affections.

10.1. Les maladies cardio-vasculaires

En cas de stress chronique ou répété, le cœur, très souvent sollicité par les augmentations du rythme cardiaque et par la contraction des artères, et soumis à rude épreuve. Le tissu nodal qui contrôle la contraction du cœur ne joue plus correctement son rôle. Un foyer de contraction apparait au niveau des ventricules créant ce qu'on appelle communément des « palpitations ». Les risques d'accident cardio-vasculaire sont alors accrus, hypertension, infarctus du myocarde, accidents vasculaires cérébraux sont quelques exemples graves pouvant intervenir à terme sur un cœur trop souvent sollicité.

10.2. Les maladies respiratoires

Les sensations d'oppression sont fréquentes chez les sujets stressés. L'hyperventilation peut provoquer des crises de spasmophilie, c'est-à-dire une contraction musculaire généralisée.

10.3. Les maladies digestives

L'abdomen, siège de l'émotionnel, est bien souvent le premier à réagir aux agressions extérieures. De l'aérophagie à l'ulcère d'estomac en passant par les colites spasmodiques et spasmes du colon, douleurs fréquentes de l'abdomen.

10.4. Les maladies de la peau

Une vasoconstriction des vaisseaux de la peau génère un mauvais fonctionnement. Urticaire, eczéma, psoriasis, dermites se développent alors.

11. Stress et système immunitaire

Plusieurs chercheurs se sont attachés à vérifier les liens existants entre le système immunitaire et le système nerveux. Ils ont fait le lien entre les désordres neuro-végétatifs et les maladies auto- immunes, de plus en plus répandues. Des relations sont établies entre le développement d'un cancer ou du sida et le stress. Une nouvelle spécialisation médicale a même vu le jour : la Neuro-psycho-immunologie.

Sur le plan biologique, la sécrétion de corticostéroïdes entraine une baisse du membre des lymphocytes dans le sang et les catécholamines génèrent une baisse de l'efficacité des lymphocytes (Jourdain, S & al ; 2005).

12. Stress et obésité

Les glucocorticoïdes, dont l'effet est renforcé par une situation d'anxiété ou de tension très forte, favorisent l'hypertension artérielle et l'insulinorésistance, stimulant ainsi l'accumulation des graisses. Or, chez les personnes sujettes à l'obésité viscérale, on a observé une activité particulièrement renforcée du système nerveux sympathique.

Ainsi, la prise de poids est souvent associée à l'anxiété et à la dépression, et concerne encore plus les personnes s'imposant des restrictions alimentaires (Jourdain, S & al ; 2005).

13. Maladies et stratégies d'ajustements

Un niveau faible d'un stress perçu et un niveau élevé de contrôle et de soutien social perçus ont généralement un impact bénéfique sur la santé des individus ; Ce sont sans doute

les stratégies d'ajustement ou (coping) élaborés par les sujets face à des situations perçues comme menaçantes qui jouent le rôle le plus important (par exemple quant à l'évolution ultérieure d'une maladie.

En général, les stratégies centrées sur le problème ou (actives) qui se traduisent par la recherche d'informations et par l'adhésion thérapeutique (prendre ses médicaments, suivre un régime…etc.) sont fonctionnelles, par contre, les stratégies centrées sur l'émotion ou (passives) qui, chez les sujets malades subdivisent le plus souvent en plusieurs stratégies (impuissance, désespoir, évitement cognitif, répression des affects, hostilité, auto- accusation, etc.), ont un impact dysfonctionnel (Bruchon-Schweitzer, M & Quintard, B ; 2001).

Mais tout n'est pas si simple, parce que certaines stratégies actives peuvent s'avérer inefficaces et couteuses (lorsque la maladie est incontrôlable), alors que certaines stratégies d'évitement peuvent être utiles (en permettant, dans certains cas, de ne pas être submergé par la détresse).

C'est sans doute la flexibilité des stratégies de coping chez un individu donné (variété, adéquation par rapport au type de stresseur, au moment, etc.) qui le protège le mieux contre l'impact des situations aversives.

Conclusion :

Le rôle du stress dans la genèse des maladies a été souligné il ya plusieurs décennies. Le concept de « maladie psychosomatique » y est rattaché quand il s'agit de maladies somatiques dont l'étiopathogénie est demeurée plus ou moins obscure mais dont la relation à la vie psychique est soupçonnée.

Il en est ainsi des affections dermatologiques chroniques (psoriasis, eczéma, pelades, etc.), de certaines affections digestives (ulcère, maladie de Crohn, certaines formes de cancer, etc.) Et endocriniennes (hyperthyroïdie, diabète, etc.), des maladies coronariennes et cardio-vasculaires et de nombreuses affections auto-immunes.

Bibliographie :

Adler, N & Matthews, K (1994): Health Psychology: why do some people get sick and some stay well? , Annual Review Of Psychology, 45, 229-259.

Berjot, S & Benjamin, P (2008) : Stress et faire- face aux menaces du soi et de l'identité ; Série « stress, santé, société », volume 4 ; EPURE Paris, France.

Boudarene, Mahmoud (2005) : Le Stress entre bien être et souffrance, Ed ; Berti, Alger, Algérie.

Bruchon-Schweitzer M., Quintard B. (2001) Personnalité et maladie : Stress coping et ajustement, Paris, Dunod.

Chrousos, GP & Gold, PW (1992): The Concept Of Stress and Stress System Disorder. Overview of Physical and Behavioral Homeostasis, JAMA, March 4, Vol, 267, N 9, 1244-52.

Dantzer, R (1989): L'illusion psychosomatique, Ed Odile Jacob, Paris.

Jourdain, S & al (2005) : Le Stress, Petit guide, éditions AEDIS, France.

Lazarus, R. & Folkman, S. (1984): Stress Appraisal and Coping, New York Publishing Company.

Stratakis, CA & Chrousos, GP (1995): Neuroendocrinology and pathophysiology of the Stress system .In Stress, basic mechanisms and clinical applications. Annals of N Y Academy of Sciences, Vol, 771, pp. 1-18.



Université Amar Telidji -Laghouat-

DIRASSAT

Revue internationale

N° 47

OCTOBRE 2016

ISSN 1112-4652